

(٢)

دراسة تحليلية ونقدية واستنتاجية

سقوط الدولة العباسية

ودور الشيعة بين الحقيقة والإتهام

دراسة جديدة لفترة حاسمة من تاريخ أمتنا الإسلامية ٥٤٩-٦٥٦هـ

معتمداً على مصادر أولية، إسلامية (عربية وفارسية) وأجنبية، معاصرة

تأليف

أ.د / سعد بن حذيفة الغامدي

أستاذ التاريخ الإسلامي ودراساته الشرقية

كلية الآداب / قسم التاريخ

جامعة الملك سعود

دار ابن حذيفة

تاريخ المغول والعالم الإسلامي
دراسة وتحليل

سقوط الدولة العباسية

دراسة جديدة لفترة حاسمة من تاريخ أمتنا الإسلامية

٥٤٩-٦٥٦ هـ / ١١٥٤-١٢٥٨م

معتمدة على مصادر أولية ، إسلامية (عربية وفارسية) وأجنبية ، معاصرة

تأليف

الدكتور سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدي

الأستاذ المساعد بقسم التاريخ
كلية الآداب - جامعة الرياض




سقوط الدولة العباسية

الطبعة الأولى

١٤٠١هـ - ١٩٨١م

الطبعة الثانية

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

يطلب الكتاب من المؤلف على العنوان التالي :

الدكتور سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدي

الأستاذ المساعد بقسم التاريخ

كلية الآداب - جامعة الرياض

الإهداء

أقدم هذا الكتاب إلى فيصل بن عبد العزيز رحمه الله

حبًّا ووفاءً وتقديرًا ...

سعد



كلمة ثناء

كان من المستحيل عليّ أن أقوم باخراج هذا الكتاب دون مساعدة الآخرين ، فرادى كانوا أم جماعات ؛ أصدقاء كانوا أم من جمعتني بهم روابط علمية .

وفي هذه المناسبة ، أود أن أشيد بدور أخوة ، أصدقاء، ساهموا، مساهمة فعالة ، في سبيل اخراج هذا البحث ؛ الذي أرجو الله مخلصاً أن ينفع به . ومرة أخرى أتقدم بشكري وتقديري للأستاذ الأخ الصديق/ عبدالله حسين الغامدي على مساهماته ، وجهوده ودعمه الدائم وتشجيعه لنا ، ولقراءته لبعض فصول هذا العمل . كما أشكر الأخ الأستاذ / عبد الله سفر الغامدي على ما بذله من الجهد الكبير، وما أعطاه لنا من وقته الثمين ، وما قام به من خدمات شخصية ليجعلني أتفرغ بصورة أكثر لانجاز هذه الدراسة. وانني مرة ثانية ، أدعو الله مخلصاً أن يثيب الأخوة : مصطفى السلع ، وأحمد عزام ، ومبلول العطا المبلول ، خير ثواب ؛ لما قاموا به من جهود، ومساهمات كبيرة في سبيل انجاز هذا الكتاب، واخراجه في هذا الوقت ، والذي لم يكن ليرى النور في وقته المحدد له ، لولا ما بذله أولئك الأخوة من عناية على حساب راحتهم ؛ فجزاهم الله عنا خير الجزاء . كما أنني أشكر الأخ الأستاذ/ عبدالله أحمد الغامدي والأخ الاستاذ/ محمود جمال بشرلمابذلا من جهود ،لإخراج خرائط هذا الكتاب بشكلها ذلك الدقيق .

لقد لقيت من أخوة ، لا تربطني معهم سوى رابطة العلم ، تسهيلات كبيرة، وقدموا لنا خدمات تستحق التنويه بها ، وهؤلاء الأخوة هم : منسوبي

وأعضاء المكتبة السليمانية ؛ ومكتبة متحف قصر طبقباى في استانبول بتركيا ؛ وأشكر الأخوة موظفي المكتبة الظاهرية بدمشق ؛ وأعضاء دار الكتب بالقاهرة ؛ كما اخص بشكري الأخوة أعضاء منسوبي جامعة الثورة (الانقلاب) ، ومكتبة مجلس الشورى الوطني الايراني ، ومكتبة جامعة طهران ، ومكتبة ايران الوطنية ؛ كما أثني على موظفي مكتبة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية ـ بجامعة لندن ـ وأعضاء المتحف البريطاني ؛ أشكر هؤلاء جميعاً على ما قدموه لنا من ارشادات، وتسهيلات في سبيل الحصول على معلومات تتعلق بهذا البحث ، ابان قيامي بزيارات لمكتباتهم العامرة . واشكر الأخوة زملائي في قسم التاريخ، على تعاونهم معي .

كما أشكر صاحب مؤسسة الرسالة للقيام بطبع هذا الكتاب، واخراجه بهذا المظهر الجميل.

وأشكر أبنائي وزوجتي على أن أعطوني وقتاً ، وهيأوا لي جواً دراسياً ، قمت فيه بكتابة هذا العمل .

ومع هذا ، وفي ختام كلمة الثناء هذه ، فانني أتحمل وحدي أية مسؤولية لأي نقص، قد يكون ورد في هذه الدراسة، والله أدعو أن يجعل جهدنا خالصاً لوجه الله الكريم .

سعد حذيفة الغامدي

غامد/ الباحة، في يوم الخميس ٣ رجب ١٤٠١ هـ، الموافق ٧ مايو ١٩٨١م

المقـــدِّمَة

فاتحـة الكـتاب

دراسة تحليلية مختصرة لأهمّ المصادر الرئيسية

فاتحة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله ، فاتحة كل خير ، والحمد لله ، خاتمة كل نعمة ؛ والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن دعا بدعوته ، وسار على منواله ، واهتدى بهديه ، الى يوم الدين .

في السنوات الأخيرة، من العقد الأخير للقرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي ، في الجهة الشرقية من قارة آسيا، وبالتحديد ، في قلب منغوليا ـ وعلى الأرض الواقعة على ضفاف نهري «أنُون، وكِرُولِن» كان هناك شخص اسمه «تيموچين بن يسوكاى بهادر» يجالد ـ على رأس فئة قليلة من أتباعه ومريديه ، من قبيلة «قيات» (وهي فرع من القبيلة المغولية العظيمة «بور جگين») ـ في سبيل توحيد القبائل المغولية، والقوى المجاورة تحت زعامته ، لتكون أراضيها وممتلكاتها نواة لتكوين قوة ناشئة فتية تحت نفوذه ؛ ومن ثم لتكوين امبراطورية تمتد شرقاً وغرباً الى ما شاء الله لها أن تصل .

ما أن شارف هذا القرن على النهاية،وبدأت طلائع السنين الأولى من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، حتى اتضحت معالم نواة تلك الامبراطورية العظيمة ؛ التي أراد تكوينها «تيموچين» والذي عرف في التاريخ العالمي بـ «جنكيز خان». فأصبحت قوة رئيسية من دول قارة آسيا ، تمتد حدودها من أراضي سيبيريا شمالاً الى الحدود الشمالية لامبراطوريتي «تِشِنْ» و «هسي ـ هسيا» جنوباً ؛ ومن منشوريا شرقاً الى جبال التاي «الطاى» في قلب قارة آسيا غرباً .

شرع المغول ، بقيادة قائدهم العظيم ـ جنكيز خان ـ في شن حملات

عسكرية جبارة ؛ لا تكاد تقف حتى تبدآ مرة أخرى من جديد أعنف وأقوى من ذي قبل . فسارت شرقاً وضربت غرباً ؛ ثم اتجهت شمالاً ، وذهبت جنوباً ، من نصرٍ الى نصر ؛ طوال سنين النصف الأول من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي . فلاقت نجاحاً منقطع النظير ، تقف العقول أمامه منذهلة ، وحيارى ، لا تكاد تجد له شبيهاً في تاريخ البشرية الطويل . شملت هجمات المغول الغاضبة ، المدمرة ، في هذه المدة القصيرة ، الأراضي الممتدة من المحيط الهادي شرقاً الى قلب أوروبا وأراضي الشام وفلسطين غرباً ؛ ومن سيبريا والأراضي الروسية الشمالية وبحر البلطيق شمالاً الى كوريا والصين الجنوبية وشبه القارة الهندية جنوباً . فقد قلبت تلك الحملات العسكرية المغوليةوجه العالم القديم رأساً على عقب ؛ فكونت لحكومة «قرا ـ قروم» أكبر وأعظم امبراطورية عرفتها البشرية في أقصر مدة في التاريخ .

قاد جنكيز خان قواته المغولية من ضفاف نهري «أنُون» و «كِرُولِن» في الشمال من صحراء جوبي ؛ واتجه بها ضد أراضي امبراطورية «هسي ـ هسيا» الى الجنوب الغربي . وبعد ثلاث حملات عسكرية متتالية (٦٠٣ ـ ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٦ ـ ١٢٠٩م) استطاع أن يخضع هذه الامبراطورية تحت نفوذه ؛ وأن يجبر امبراطورها ، صاغراً ، على الطاعة ، رغم ما كانت تتمتع به دولته من قوة ، وحصانة في جبالها المنيعة . بعد ذلك ، نجد الخان المغولي يتجه رأساً الى الجنوب ، فيخترق بقواته تلك التحصينات الجبارة للامبراطورية الذهبية في شمال الصين «تِشِنْ» ممثلة في أسوار الصين العظيمة ؛ وأن يتسلق بجنده أسواراً وتحصينات معاقل هذه الامبراطورية العريقة ، وأن ينتهك مدنهاوقلاعها ؛ ثم أن تواصل جيوشه الظافرة انتصاراتها الى النهر الأصفر، الواقع الى الشمال من حدود امبراطورية «سُنْگ» الصينيةالجنوبية وبعد خمس سنوات فقط (٦٠٧ ـ ٦١١ هـ/ ١٢١١ ـ ١٢١٥م) استطاعت قوات جنكيز خان أن تدمر القوات النظامية لجيش تلك الامبراطورية، رغم قوته وصرامة نظامه القائم عليه ، وما كان يتمتع به من تفوق في العدة والعتاد ، على ما كان لدى المغول ؛ كما استطاع أن يطوح بسلالتها الحاكمة في شمال الصين ومنشوريا .

بعد فترة راحة ، من عناء الحروب الصينية ، ولي جنكيز خان بوجهه شطر الغرب ، فسار هذه المرة بقواته ضد الأراضي الاسلامية . وفي خلال خمس سنوات أُخَر (٦١٦ - ٦٢٠ هـ/ ١٢١٩ - ١٢٢٣م) هاجمت جحافلُ المغولِ المسلمين في عقر دارهم ؛ فاكتسحوا جميع أراضيهم؛ ومدنهم وحصونهم وقلاعهم ؛ فقوضوا عرش الدولة الخوارزمية ، وقضوا على سلطانها محمد ؛ وقلبوا جميع المدن الاسلامية - من نهر سيحون شرقاً الى حدود أراضي الخلافة العباسية غرباً ، ومن اقليم خوارزم في الشمال الى نهر السند جنوباً . وهكذا أصبح خان المغول ، في عاصمتهم الجديدة «قرا - قروم» جاراً للحكام المسلمين الآخرين ؛ وهم : خليفة بغداد - العباسي ؛ وحاكم اربل - مظفر الدين كوكبرى ؛ وأتابك الموصل - بدر الدين لؤلؤ ؛ وللسلاطين السلاجقة - في آسيا الصغرى ، وللأمراء الأيوبيين - في الجزيرة وأرمينيا .

بعد ذلك ، نجد ان القوات المغولية تنشطر الى قسمين كبيرين ، القسم الأول أخذ طريقه الى الجنوب الغربي - ضد امبراطورية «هسي - هسيا» المتمردة، وضد بقايا وفلول امبراطورية «تشِنْ» في أراضيها الجنوبية ؛ فلاقت قواتهم نجاحاً باهراً في هذه الجبهة ؛ بينما أخذ القسم الثاني طريقه الى الأقطار الغربية ؛ وفي خلال خمس سنوات فقط (٦٣٤/ ٦٣٨ هـ/ ١٢٣٧ - ١٢٤١م) دمرت قوات المغول، دولة بلغاريا، وقوضت عروش الامارات الروسية ، وقضت على جيشها ؛ ووصلت في تقدمها داخل الأراضي الروسية الى بحر البلطيق شمالاً ، بعد أن دمرت موسكو ، وريازان ، وسوزدلا ، وفلاديمير ، وجميع المدن والقرى الريفية الأخرى في شمال الأراضي الروسية . ثم اتجهت جنوباً الى كِيف، فأشعلتها ناراً ؛ فذهبت بعدها غرباً ، فأهلكت الجيوش البولندية في معركة «سِيْزدْلُو» وأبادت قوات «ديوك هنري» «السيليسية» وحلفاءهم ، من الألمان وغيرهم، في معركة خاضتها معهم على أرض «وهلستت». وفي الوقت ذاته كانت الغالبية العظمى من هذه الجيوش المغولية الزاحفة الى الغرب لتقويض العروش الأوروبية ، تشق طريقها عبر جبال «كاربائيا» وأدغالها ووهادها الموحشة، فاخترقت أراضي دولة هنغاريا (أو هنكاريا) ، فطوحت بهذه الدولة -

التي كانت من أقوى وأكبر دول أوروبا ـ وقضت على جيش ملكها «بيلا الرابع» في معركة «موهي، مهي، أو، سِيْوُ» فهرب «بيلا» من المعركة ؛ ولم يجد ذلك الملك الأوروبي النجاة، من براثن عدوه المخيف ، في اليابسة ، فركب متن البحر، يبحث عن مكان يلتجيء اليه من هذا العدو المرعب . صعقت الشعوب الأوروبية، واهتزت عروشها من تحت ملوكها وحكامها ؛ حتى أن الخوف من المغول وصل الى الجزر البريطانية في أقصى غرب هذه القارة، ولم ينقذ الأقطار الاوروبية ، التي وقفت ترتعد أمام جحافل المغول رعباً وهلعاً، سوى ظروف سياسية داخلية ، حدثت في قلب منغوليا في هذه اللحظة الحرجة من تاريخ أوروبا ، أجبرت «باتو» العظيم و «سوبتاي» العملاق آن يعودا بقواتها . فنجت بقية الأقطار في أوروبا من الدمار المحقق ؛ والا كان مصير «باريس وروما» كمصير «موسكو وكيف» ألا وهو الدمار الشامل .

بعد سنوات ، لا تتجاوز عشرا ، نجد أن حكومة «قرا ـ قروم» تقوم بتنفيذ مرحلة أخرى من مراحل توسيع امبراطوريتها ؛ بموجب خطةٍ مسبقة ومحكمة الدراسة، فترسل جيشين عظيمين، الأول ضد أراضي امبراطورية «سُنْكَ» في الصين الجنوبية ؛ والثاني ضد الاقطار الجنوبية الغربية في جنوب غرب قارة آسيا . فكان الأول بقيادة «قبلاي» بينما كان الثاني يقوده «هولاكو» حفيدان من أحفاد جنكيز خان . فساهم كل منهما في تنفيذ جزء من مخطط المغول العام للسيطرة على العالم .

وفي الحقيقة ، فان الغزو المغولي، لأي قطر من الأقطار، لم يكن بدافع عوامله الفقر ؛ أو جاء نتيجة لتحريض محرض أو دعوة داع ، كما يزعم العديد من المؤرخين ـ قديماً وحديثاً . بل لقد كانت هجمات المغول، وما تلاها من فتوحات ، شرقية كانت أم غربية ، شمالية أو جنوبية، تنفيذاً لأمر واحد، وهو توحيد العالم تحت قيادة شخص واحد ، هو خانهم المتربع على عرشهم في قلب منغوليا . «ان في السماء رباً واحداً؛ فليكن هناك حاكم واحد على الأرض» وهو الخان . هكذا كان يعتقد المغولي، وهو يقاتل أعداءه ؛ وهكذا قال لهم خاناتهم . فكان المغول يحاربون أعداءهم بهذه العقيدة الراسخة ، التي رأوا أن

«تنكرى» وهو الرب الذي يعلو السماء الزرقاء، كان يبارك خطواتهم ؛ وأنهم خلقوا ليحكموا العالم بأسره، ويخضعونه تحت نفوذهم . وليس أدل على هذه الحقيقة من أشياء، لعل منها ذلك الاسم الذي تسمى به تيموجين «جنكيز خان»، والذي يعني حاكم العالم ، ثم ما أورده كتابهم« التاريخ السرى »من ان جنكيز خان هو «حسب زعمهم» «بنعمة من الله الحاكم العالمي» ؛ وما أورده لنا المؤرخ المسلم المعاصر للمغول ـ علاء الدين عطا ملك الجويني، من أن المغول كانوا يعتقدون ، في قرارة نفوسهم ويدعونه ، ان الله لم يخلق الأرض الا من أجلهم فقط ؛ وأنهم خلقوا ليحكموا شعوب الأرض ؛ فهم الحكام الفعليون على هذه الأرض . وعلى هذا الأساس ، رأوا أنه لا بد ان يمارسوا ذلك الحق بصورة فعلية . ولذلك كانت غزواتهم وفتوحاتهم ، التي سيكون جزء منها موضوعاً لهذه الدراسة ، في هذا الكتاب المتواضع .

تعددت المصادر المعاصرة ، التي كتبت عن التاريخ المغولي، بتعدد اللغات الحية في ذلك الوقت تقريباً؛ حيث دون تاريخ هذه الأمة ، وعلى رأسها جنكيز خان ، بلغات كثيرة لا تقل في مجموعها عن عشر لغات ؛ كتبها مؤرخون معاصرون . كانت اللغتان الاسلاميتان (العربية والفارسية) من بين تلك اللغات ، التي كتب بها تاريخ المغول . كان من هذه اللغات : الصينية ، والمغولية ، واليابانية ، والروسية ، والجرجانية ، والارمينية ، والسريانية ، واللاتينية ، الى جانب لغات تركية في قلب قارة آسيا ومع هذا ، فانني لا أعتقد أن شخصاً، مهما بلغ علمه ، ألم بتلك اللغات ؛ أو كان في استطاعة فرد قراءة تاريخ المغول باللغات الأصلية المعاصرة التي كتب بها .

ولكن رغم ذلك ، ولحسن الحظ ، فقد استطعنا أن نطلع على جزء ، لا بأس به ، مما كتب في تاريخ المغول بتلك اللغات ، وذلك بفضل الله ، ثم بفضل ما قام به مجموعة من العلماء الأعلام ، في التاريخ وغيره ـ الأوروبيون المستشرقون على وجه التخصيص ـ من جهود مضنية ؛ وذلك بترجمة الكثير من تلك المصادر (وخاصة ما كتب باللغات: الصينية والمغولية ، والسريانية واللاتينية والجرجانية والأرمينية والروسية ، وهذه اللغات هو ما يهمنا في هذا البحث) الى

لغات اوروبية حديثة ، كالالمانية ، والفرنسية، والانجليزية .

بناءً على ذلك ، فانه لم يكن باستطاعتي أن أقوم بهذه الدراسة، بجهدي المتواضع، أو أن أبني رأياً خاصاً بي ، ورد في ثنايا هذا الكتاب، وبالشكل الذي رأيت أنه الأقرب الى الصواب، لولا توفيق الله أولاً، ثم مساعي أولئك العلماء، وما بذلوه من جهود مضنية، خلال آجيال عديدة مضت ، في سبيل انارة وتوضيح صفحة مثيرة من الصفحات التاريخية الحاسمة ؛ وخاصة ما يتعلق منها بماضينا نحن المسلمين . وقد عبرت لاولئك الأعلام، عن اعترافي لهم بالفضل، حسب الطريقة التقليدية المتبعة ، وذلك بالاشارة الى جهودهم، الباحثة العلمية تلك ، في حواشي صفحات هذه الدراسة ؛ وأثبت ذلك أيضاً في قائمة المصادر والمراجع ، باللغتين العربية والانجليزية، وذلك للاشادة بفضلهم .

أما ما يتعلق بنا نحن المسلمين ، وأعني المؤرخين المحدثين ، فانني أظن بأننا ما زلنا متقاعسين في هذا الميدان ؛ فلم نعط تلك الصفحة التاريخية الحاسمة ، من تاريخ المسلمين، حقها من الدراسة. فهل يا ترى قد أصابنا ما أصاب ابن الأثير، عندما لم يرد أن يؤرخ لهذه الفترة من تاريخنا ، لولا أن قام أصدقاؤه ومحبوه باقناعه بأن يدون في كتابه «**الكامل في التاريخ**» ما يعرفه عن أولئك القوم ؟ فكتب في تلك الصفحة المؤلمة ، بل الموجعة والفاجعة الأليمة ، التي مني بها عالمنا الاسلامي آنذاك .

أنني أرى بأن دراسة هذا الموضوع ، وهذه الفترة بالذات أكثر من كونها مهمة جداً ؛ وذلك لتشابه ماضينا بالحاضر ؛ فلا أكتم القارىء الكريم سراً ، اذا قلت بأنه ، بدراسة مقارنة بين ما كان يقوم به المغول من غزوات وهجات تمهيدية، قُبيل عاصفتهم المدمرة ضد الخلافة العباسية في بغداد ، والأقطار الاسلامية الأخرى في ذلك الوقت، نشاهده يتكرر بعينه في وقتنا الحاضر الآن . اذ أن ما تقوم به اسرائيل والصهيونية الآن ، ضد الأراضي الاسلامية، شبيه بما كان يفعله المغول ضد أسلافنا في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي ، فهذا العدو يتبع الآن نفس أسلوب ذاك الخصم اللدود ، في تعامله معنا . فهذه

الحقيقة لم أكن الأول الذي يقولها ، بل لقد سبق وقال بها مستشرقون غربيون، منهم المؤرخ المغولي المستشرق «ج.ج. ساووندرز» الانجليزي الجنسية ، في كتابه «تاريخ الفتوحات المغولية».

لهذا، فقد خصصت هذه الدراسة لجزء من تاريخ تلك المرحلة الحاسمة من تاريخ أمتنا الاسلامية؛ وجعلت عنوانها «سقوط الدولة العباسية». وجمعت حول هذا العنوان كل المواضيع التي اعتقدت - أرجو أن أكون قد أصبت - أن لها صلة بهذا الموضوع ، وتوخيت في كتابته أسلوباً سهلاً .

لم يكن سقوط بغداد ، على أيدي المغول ، والنتائج التي ترتبت على ذلك - حيث انتهت دولة الخلافة العباسية التقليدية ، الا نتيجة حتمية، لا مفر منها لذلك الانحطاط، والتدني اللذين كانت حكومة العباسيين تعانيهما ، في جميع شؤونها، العسكرية، والاقتصادية، والادارية ، والاجتماعية. اذ لم يفشل الخلفاء العباسيون المتأخرون في انتهاج سياسة بناءة ، وادارة حازمة فحسب ، بل لقد أصبحوا أنفسهم ألعوبة في أيدي رجال البلاط ؛ وأصبحت مصالحهم، وشؤونهم الشخصية الخاصة ، يديرها الخدم ، في معزل عن الخلفاء .

أقفل الخلفاء العباسيون على أنفسهم أبواب قصورهم ؛ وأحاطوها بسياج من الحرس ؛ وأصبحت مقابلة الخليفة امراً في غاية الصعوبة، ليس فقط لوجهاء البلاد وأعيانها ، بل وحتى للزائر الرسمي ، الذي كان يقوم بمهمة سياسية ؛ ناهيك عن أفراد الشعب . وهكذا أصبح الخليفة يعيش في عزلة تامة ، لا يعرف حقيقة ما كان يجري من أحداث خارج أسوار قصره .

كانت نهاية الخلافة العباسية نهاية لفترة مؤلمة ؛ فقد وقعت أراضيها تحت وطأة الغزوات المغولية المتواصلة، طوال سنوات تزيد في عددها عن ثلث قرن من الزمن؛ حيث كانت عصابات المغول تهاجم أراضيها؛ فتسلب، وتنهب، وتقتل كيف تشاء؛ ثم تعود سالمة ، دون أن تجد رادعاً يقف أمامها . كما جاءت نهاية لما كانت تعانيه الخلافة العباسية من ضعف وانحطاط ، وتدن طوال سنوات القرن الأخير من عمرها . فقد كانت السياسية الدفاعية الضعيفة الواهية، التي

انتهجتهاضد الخطر المغولي ، الجاثم على حدودها الشرقية والشمالية خلال الثمان والثلاثين سنة الأخيرة من تاريخها ، ما تدل ـ دلالة واضحة ـ على ان الكارثة، التي لم يكن منها مفر، واقعة لا محالة ، عاجلاً كان أم آجلاً .

كان زوال الخلافة العباسية، على أيدي المغول بالذات، يرجع الى عوامل خارجية أيضاً ، لا تقل في أهميتها، وخطورتها عن تلك العوامل الداخلية . فمن تلك العوامل الخارجية، أساساً ظهور المغول ـ كقوة عالمية بالدرجة الأولى ـ ثم انهيار الدولة الخوارزمية بالدرجة الثانية، فقد كانت هي الدولة المسلمة الوحيدة التي يقال بأنها كانت تستطيع أن تقف سداً حائلاً ، في وجه المغول وخطرهم المميت، أو الحد من زحفهم باتجاه الغرب . وقد سبق وعالجنا حقيقة أوضاع هذه الدولة في كتابنا «**أوضاع الدول الاسلامية في المشرق الاسلامي**» وما يتعلق بذلك، بنوع من التفصيل .

لذلك فان مهمة هذه الدراسة، هي البحث عن العوامل المباشرة ، وأسباب سقوط الدولة العباسية في سنة ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨م . وهذه العوامل هي ما يتعلق منها أولاً بظهور المغول، على مسرح التاريخ العالمي ـ كقوة دولية ـ ضمت أراضيها أغلب مساحة قارة آسيا، والأجزاء الشرقية من قارة أوربا . وعلى العموم ، فقد جعلنا هذا البحث مكوناً من فصول خمسة ؛ يختص كل فصل بدراسة ناحية معينة من هذا الموضوع ، وذلك على النحو التالي :

* خصصنا الفصل الأول لمعالجة جوهر، ولب المشكلة ، ألا وهو «**جنكيز خان**» . حيث شرحنا كيف استطاع هذا القائد العظيم ان يتغلب على الأحزاب الداخلية المعارضة لسلطاته من داخل قبيلته ؛ وأن يقهر القوى الخارجية، التي حاولت أن تقف في وجهه ، أو أن تحول دون تكوين امبراطوريته، التي عقد العزم على تكوينها . كما تكلمنا في هذا الفصل عن تلك الدول، أو القوى، بشيء من التفصيل، مستعينين بما ترجمه الرواد المستشرقون من معلومات عن هذه الدول من اللغة الصينية، وغيرها من لغات أواسط قارة آسيا ، الى لغات حديثة؛ أهمها بالنسبة لنا الانجليزية والفارسية؛ ثم شرحنا كيف تهافتت دول آسيا، واحدة تلو الأخرى ، وخضعت لسلطان جنكيز خان وأصبحت جزءً لا

يتجزأ من امبراطوريته المغولية العظيمة .

* أما الفتح، أو الهجوم، المغولي ضد الأراضي والممتلكات الاسلامية، وخاصة ما يتعلق منها بالدولة الخوارزم شاهية ، فقد تناولناه في الفصل الثاني . وقد عولج في هذا الفصل أولاً : الدور الحاسم والفعال الذي ساهم به المسلمون؛ حيث لم يكن لهم أبرز دور في بناء امبراطورية جنكيز خان فحسب، بل وفي تقرير مصير ذلك النجاح المذهل، والسريع ، الذي حققه المغول في غزوهم ضد أراضي الدولة الخوارزم شاهية ، والتي سرعان ما تداعت ، وتهافتت، فبرز للعيان مظاهر ضعفها الخفية . وما أن زالت هذه الدولة ، حتى أصبحت الدولة العباسية وجهاً لوجه أمام هجمات المغول الماحقة ؛ والذي أصبح بعدها زوال الخلافة العباسية الهرمة في بغداد حقيقة لا محيد عنها ، ولا مفر منها . لذلك، فمنذ أن زالت سلطة الخوارزميين، نجد أن حكومة العباسيين في العراق تتأثر بكل ما كان يجري من أحداث في قلب منغوليا ؛ وأصبح كل قرار يتخذه الخان الأعظم المغولي الحاكم في عاصمته «قرا ـ قروم»ذا أثر على السلطات القائمة في جنوب غرب آسيا ، وفي بغداد على وجه الخصوص . لهذا فان هذا الفصل يقدم وصفاً محدداً ومختصراً للأحداث المهمة والبارزة، التي كانت تجري أيام الخانات الثلاثة الذين خلفوا جنكيز خان مباشرة ، وهم «**أكتاي قاآن**»، و «**وكويوك خان**» ، و «**منكو قاآن**».

* أما أوضاع الخلافة العباسية، عشية قيام الحملة المغولية الغربية، والتي سبق أن أشرنا اليها ، في هذه المقدمة، بأنها كانت بقيادة هولاكو ، فقد نوقشت في الفصل الثالث . ففي الفقرة «١» بذلت محاولة لتوضيح ملابسات ، وظروف مسألة التهمة التي وجهت ضد الخليفة الناصر ؛ والقائلة بتآمره مع المغول ضد السلطان محمد الخوارزمي ؛ حيث ألصق المؤرخون ـ قديماً وحديثاً ـ هذه التهمة بهذا الخليفة العباسي؛ فأصبحت مع مرور الزمن وكأنها حقيقة واقعية، لا يُقْبَل الجدالُ فيها .

أما في الفقرة «٢» فقد ناقشت مسألة الهجمات ، والحملات المغولية

المتواصلة ، على اراضي الخلافة العباسية ، والتي أصبحت وكأنها جزء من حياة السكان العراقيين اليومية ، على طول الثمان والثلاثين سنة الأخيرة من عمر خلافتهم العباسية .

أما الفقرة «٣» فتتناول خلافة المستعصم ؛ حيث أبرزت أهم ملامح حكم هذا الخليفة ، الذي تميز بالصراع الطائفي الدامي ، الذي كان ينشب ـ من وقت إلى آخر ـ بين المذاهب الاسلامية المختلفة بوجه عام ، والمذهبين السني والشيعي بوجه خاص . وسنجد أن هذه الصراع الطائفي لم يقتصر في حد ذاته على عامة طوائف أبناء الشعب فحسب ، بل تعداه حتى شمل كبار موظفي دار الخلافة ، كل حسب ميولهم الطائفية الضيقة ؛ فكانت هذه الصراعات الطائفية عاملاً حاسماً ، عجّل بحتمية زوال الاسرة العباسية من بغداد، وبشكل أليم وموجع .

* في الفصل الرابع شرحنا حملة المغول الغربية بقيادة هولاكو ، حفيد جنكيز خان ؛ ففي الفقرة «١/أ» أوضحت تلك الاستعدادات الهائلة للحملة ، والوسائل والاحتياطات ، التي اتبعتها السلطات المغولية ، لاستبعاد أي سبب قد يؤدي الى اخفاق هذه الحملة ؛ أو ان تفشل في أية مرحلة من مراحل سيرها .

وفي الفقرة «١/ب» تناولنا سقوط الاسماعيلية في ايران ، والعوامل الكامنة وراء تصميم هولاكو خان باجتثاث الحصون والقلاع المنيعة من جذورها ؛ ومن ثم ابادة ساكنيها .

أما في الفقرة «٢/أ» فقد تناولنا دراسة المراسلات التي جرت بين هولاكو خان والخليفة العباسي ، المستعصم؛ حيث طالب القائد المغولي الزاحف على بغداد، استسلام خصمه ، دون قيد أو شرط مسبقين، في الوقت الذي كان الخليفة في حيرة من أمره ، لا يدري ماذا دهاه، وماذا يفعل، في وقت بلغت الخصومات والمهاترات المذهبية ، والحزازات الشخصية بين رجال بلاطه الأوج.

ـ وفي الفقرة «٢/ب» شرحنا كيف إنْقَضَّتْ جحافلُ القوات المغولية، بمختلف فرقها وكتائبها ، على اراضي الخلافة العباسية ، من ثلاث جهات

رئيسية ؛ وخنقت بغداد من هاتيك الجهات ، فأصبح بعدها سقوط العاصمة العباسية وخلافتها ، أمراً لا مفر ولا محيد عنه ؛ كما لم يكن هناك أي سبيل لانقاذها من مصيرها الأسود ، الذي كتبه الله عليها .

* وفي الفصل الخامس بذلنا محاولة متواضعة ـ على قدر ما توصلنا اليه ، والتي أرجو أن أكون قد وفقت ولو بجزء بسيط ـ لتوضيح ما أشيع في مصادرنا ومراجعنا من ملابسات حول دور عناصر مسلمة ، من داخل مجتمع بغداد ، في غزو المغول هذا ؛ ثم معرفة من هي العناصر التي شاركت مشاركة فعّالة مع المغول (من مسلمين وغير مسلمين) في الاطاحة بالخلافة العباسية ؛ وتدمير بغداد وهلاك أهلها . وقد كانت تلك العناصر من فئات اسلامية ، ومسيحية من خارج وداخل أراضي الخلافة العباسية .

* اما في خاتمة هذه الدراسة ، فقد قمنا بتلخيص أبرز وأهم الملامح الرئيسية ، التي رأيت أنني قد توصلت اليها في هذا البحث . فان كنت قد أصبت فهذا من فضل ربي ، وهو ما كنت ولا زلت أرجوه ؛ وان كنت قد جانبت الصواب ، فأرجو من الله ثواب المجتهدين .

وفي ختام هذه المقدمة أقول بأنني على أتم استعداد لتقبل اي نقد بناء ؛ او اية مناقشة علمية باحثة ومثمرة ، حول هذا الموضوع ، لنصل سوية الى الحقيقة ، التي ـ نحن جميعاً ـ نسعى وراءها .

والله من وراء القصد ، وهو الهادي الى سواء السبيل .

الدكتور سعد بن محمد حذيفة سيفر الغامدي
الأستاذ المساعد بقسم التاريخ
كلية الآداب ـ جامعة الرياض

بَحث في دِرَاسَةِ أهَمّ مَصَادِرِ الكِتاب

دراسة لأهم المصادر الأساسية التي استخدمت في هذا البحث*

اعتمدت في اعداد هذا البحث بصفة اساسية ، على المصادر المهمة التي كان مؤلفوها معاصرين للاحداث التي تناولتها هذه الدراسة ؛ وفي حالة عدم وجود مصادر من هذا النوع ـ لاسباب كثيرة أقلها الضياع ـ فقد عول على ما كتبه المؤرخون الذين جاءوا بعد المعاصرين ، فنقلوا عنهم، واستفادوا مما كتبه سابقوهم في هذا الميدان. هذه المصادر وتلك، تحتوي على اكثر الروايات، أهمية وتفصيلاً ، درست في هذا العمل ، حيث ان البعض من اصحاب تلك المصادر ، اما ان يكونوا شاهدي عيان ، لما كان يقع من احداث في عصرهم ، او دونوا معلوماتهم ممن شاهدها او سمعها ؛ واما ان يكونوا نقلوا من كتب مؤلفين آخرين كانت معاصرة لتلك الاحداث ، الا انها ـ كما يعتقد ـ قد فقدت بشكل او بآخر .

لهذا، فقد اعتمد، بصورة رئيسية ، على المصادر الأولية المعاصرة ، والمتواجدة في اعداد هذا البحث ، ولم يرجع الى المصادر الاخرى الا في حالتين رئيسيتين، الاولى ، وهي ان تكون المصادر الاولى قد توقفت عند حد معين من المعلومات، او انها قصَّرت في اكمال ما نحن بصدده ، او انها شحَّت في اعطائنا معلومات وافية، اكثر تفصيلاً ؛ فاضطررنا الى الرجوع الى ما كتبه المؤرخون الذين تلوا. والحالة الثانية : ان تكون تلك المصادر اعطتنا معلومات رأينا انها قد تكون مجانبة لما نعتقد انه هو الاقرب الى الصواب ، مع تقديم ادلة، ظننا بأنها

---

* يعتبر هذا البحث مكملاً، من الناحية الزمنية، لكتاب «اوضاع الدول الاسلامية في المشرق الاسلامي» ؛ لذلك فإن مصادر الكتابين واحدة الى حد كبير . وبناءً على ذلك فإن دراسة المصادر قد اعددناها لهذا الكتاب ، الذي نضعه الآن بين يدي القارىء الكريم .

تناقض ما ذهب اليه هذا المؤرخ او ذاك ، وان هذه الادلة قد تسند وجهة النظر التي ابديت في هذا المضمار .

تتناول هذه الدراسة، عن المصادر، اعطاء لمحة خاطفة وسريعة عن بعض المراجع الاساسية التي تناولت الفترة التاريخية التي طرقت في هذا البحث، وقد رتبت تلك المصادر حسب التسلسل الزمني، من ناحية، ثم المنطقة التي طرقت تلك المصادر بالدراسة، وليس حسب اهمية المؤلَّف او المعلومات التي اوردها صاحب ذلك المرجع . هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية ، فقد درس المؤلَّف (اى المصدر) وليس المؤلِّف (اي كاتب المصدر). ولعل اهم هذه المصادر ما يلي :

«راحة الصدور وآية السرور في تاريخ آل سلجوق»

(٤٢٩ ـ ٥٩٥هـ/ ١٠٣٧ ـ ١١٩٩م)

كتب هذا المؤلف محمد بن علي بن سليمان ، المعروف بـ «الراوندي». وقد عاش مؤرخنا هذا ـ مثله في ذلك مثل بقية اعضاء اسرته ـ في كنف وظل الحكام السلاجقة ، وتبوأ مناصب عليا في خدمة هذه الأسرة الحاكمة . عاش الراوندي في النصف الثاني من القرن السادس وسني العقود الاولى من القرن السابع الهجريين/ الثاني والثالث عشر الميلاديين . .

شرع الراوندي في كتابه «راحة الصدور» في سنة ٥٩٩ هـ/ ١٢٠٢ م وانتهى منه في حوالي عام ٦٠١هـ/ ١٢٠٥م حيث قدمه هدية الى السلطان السلجوقي في آسيا الصغرى «الروم» كيخسرو الاول (٦٠١ ـ ٦٠٧ هـ/ ١٢٠٤ ـ ١٢١٠م).

يشتمل كتاب راحة الصدور، على تاريخ الاسرة السلجوقية الحاكمة، من اوائل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي وحتى سقوط السلاجقة في «العراق وكردستان» في سنة ٥٩٠ هـ/ ١١٩٤م وذلك عندما أطيح بآخر سلطان لهم هناك «السلطان طغرل الثالث» على أيدي الخوارزميين ـ وقطع رأسه

وأرسل الى بغداد . كما ان الكتاب يحتوي على فصل اضافي ملحق بالمؤلَف. وقد اشتمل هذا الملحق على معلومات تخص احداث السنوات الخمس التي تلت (اي من سنة ٥٩٠ هـ/ ١١٩٤م الى سنة ٥٩٥ هـ/ ١١٩٩م).

يعتبر كتاب «راحة الصدور»، هو المصدر الاول والاساسي للفترة الاخيرة من عهد الاسرة السلجوقية الحاكمة ، وخاصة فترة حكم السلطان طغرل الثالث . لان المؤلَف كان شاهد عيان لمعظم النشاطات التي قام بها هذا السلطان ، والاحداث التي جرت في عهده؛ وشاهد تطور العلاقات بين سيده والخليفة الناصر العباسي .

الا انه ، على الرغم من ذلك، يعكس على الدوام وجهة النظر السلجوقية في تفسيره للاحداث والوقائع التاريخية ويراها من خلال ذلك المنظار الضيق ، والسبب في ذلك واضح ، وبديهي، وهو انه كان قد تربى في كنفهم، وعاش تحت رعايتهم . لهذا فيبدو لنا ان روايات الراوندي لابد ان تؤخذ بعد تمحص، وتدقيق في صحة ما أورده هذا الكاتب .

اما اللغة التي كتب بها الكاتب ، فهي بطبيعة الحال، الفارسية، وهو ـ على ما قيل لي ـ قدترجم الى اللغة العربية[1].

«اخبار الدولة السلجوقية»
(٤٢٦ ـ ٥٩٠هـ/ ١٠٣٤ ـ ١١٩٤م)

مؤلف هذا الكتاب هو : صدر الدين ابو الحسن، والمعروف بـ «الحسيني» عاش هذا المؤرخ في اواخر القرن السادس وأوائل السابع الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين. ألف كتابه هذا ، الذي كتبه في وقت ما بعد سنة ٦٢٢ هـ/ ١٢٢٥م ، عن التاريخ السلجوقي . حيث اورد الحسيني في

(١) للحصول على معلومات وافية عن هذا الكتاب وكاتبه، انظر: مقدمة الطبعة الفارسية، م.ت هوتسما ، بعض الملاحظات على التاريخ السلجوقي ، مجلة : اكتا اوريتاليا ، ١٩٢٥م جـ٣/ص . ص: ١٢٦ ـ ١٥٢ .

كتابه، كما هو معلوم من العنوان ، تاريخ الاسرة السلجوقية الحاكمة من الوقت الذي اسست فيه ، وهي سنة ٤٢٦ هـ/ ١٠٣٤م وحتى سقوطها ، في عهد السلطان طغرل الثالث في عام ٥٩٠هـ/ ١١٩٤م.

يورد الحسيني رواياته مراعياً الدقة الى حد كبير وبطريقة معتدلة ؛ حيث لم يظهر في كتاباته اي تحيز من فئة الى اخرى، رغم انه يقال بأنه ربما كان قد عاش في بغداد، تحت ظل ورعاية البلاط العباسي .

يعتبر هذا الكتاب افضل تقرير معاصر ، كتب في الفترة الاخيرة من حكم السلطان السلجوقي طغرل الثالث ، حيث يظهر بجلاء تلك المجهودات المضنية، واليائسة، رغم انه لم يكن وراءها اي طائل ، التي قام بها آخر سلاطين السلاجقة ضد أتابكه في آذربيجان والرآن ، وضد الخليفة في بغداد، وضد الخوارزميين، وذلك لسعيه الشاق المتواصل في سبيل استعادة سلطة السلاجقة المتداعية على الاراضي التي فقدتها تلك السلطنة في السنوات الأخيرة السابقة . كما ان مؤلف الحسيني هذا يحتوى على معلومات جيدة حول العلاقات العدائية التي استجدت بين خليفة بغداد في ذلك الوقت وبين السلطان السلجوقي[١] .

«الكامل في التاريخ»
(٠٠٠ ـ ٦٢٩ هـ/ ٠٠٠٠ ـ ١٢٣١م)

مؤلف هذا السفر هو : الشيخ العلامة عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد، المعروف بـ : ابن الأثير (٥٥٥ هـ ـ ٦٣٠ هـ/١١٦٦ ـ ١٢٣٣م). وعلى الرغم من ان الكتاب المذكور يعتبر كتاباً في التاريخ العام ، فانه لا يوجد ادنى شك في ان **«الكامل في التاريخ»** هو واحد من اهم المراجع التاريخية ، وخاصة فيما يتعلق بتاريخ الاقاليم الواقعة في جنوب غرب قارة آسيا، اي المناطق : ايران ، والعراق ، والشام ، وجميع المناطق المعروفة بـ : الهلال الخصيب بوجه عام ، في هذه الفترة التي نحن بصددها . وكتاب ابن الأثير هذا

---

(١) لمعلومات اوفر ، انظر مقدمة الكتاب ، الذي حقق وطبع .

يحتل مكانة بارزة بين المصادر الاولية الرئيسية الاسلامية .

عاش ابن الاثير (هذا المؤرخ الكبير، المتزن، اليقظ) معظم ايام حياته في مدينة الموصل، تحت كنف ورعاية حاكمها الاتابك بدر الدين لؤلؤ . كان ابن الاثير مؤرخاً معاصراً للغزو المغولي الاول ضد الاقطار الاسلامية وقد قدم لنا هذا المؤرخ وصفاً حياً لذلك الغزو المدمر ، الذي كان كالنار، اتت تقريباً على كل شيء .

وبصفة عامة ، فقد اورد المؤرخ رواياته التاريخية بطريقة التسلسل التاريخي ، الحوادث متتابعة حسب السنين، اي يورد السنة ثم الحوادث التاريخية لهذه السنة . وفي آخرها يذكر بعض وفيات الاعيان والمشاهير . وغالباً يفحص ابن الاثير ويدقق في المعلومات التي توفرت بين يديه ، بعناية ثم يرجعها الى مصادرها، ولكن في كثير من الاحيان تغلب عليه عوامل المبالغة، وخاصة وصف موقعة ، وعدد القتلى ، وما شابه ذلك . وعلى الرغم من ان ابن الاثير هو المؤرخ الاول للفترة التي عاشها، عن تاريخ المنطقة التي عاش فيها (منطقة الهلال الخصيب) الا ان عوامل الغموض وّالتشويش ، والخلط تطغى في كثير من الأحيان على رواياته ؛ فكلما ابتعدت المناطق ، التي يتكلم عنها مؤرخنا هذا عن المكان الذي يقطنه ، وهو الموصل كلما زادت عوامل التشويش والخلط ، وخاصة معلوماته عن المناطق والاقاليم الواقعة في الشرق من نهر جيجون .

لقد كان الوضع الذي عاش فيه ابن الأثير، قد جعله يكتب ما كان يقع بصورة حقيقية ـ على ما يبدو ـ فيما يتعلق بالخلفاء العباسيين ، وخاصة الخليفة الناصر، حيث عاش في الموصل، يتمتع بحرية كاملة لتحرير ما يراه حقيقة ، دون مضايقة ، او قيود مفروضة عليه من خليفة الوقت . وينتهي كتاب الكامل في التاريخ بحوادث سنة ٦٢٩ هـ والكتاب ـ كما قلنا ـ كتاب عام ، يبدأ تاريخه منذ الخليقة وحتى السنة التي ذكرناها .

«الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير»
الجزء التاسع (٥٩٥ ـ ٦٠٦ هـ/ ١١٩٩ ـ ١٢١٠م)

ألَّف هذا الكتاب من قبل : علي بن انجب ، المعروف بـ : ابن الساعي الخازن، حيث يتكون من ثلاثين جزءً . ولسوء الحظ ، فلا يوجد ـ حسب معرفتنا ـ من هذا السفر الضخم سوى الجزء التاسع .

في هذا الجزء (الذي حققه الاستاذ/ مصطفى جواد ، وطبع في بغداد سنة ١٣٥٣ هـ/ ١٩٧٤م) روى المؤلف حوادث اثنتي عشرة سنة فقط ، من سنة ٥٩٥ ـ ٦٠٦ هـ/ ١١٩٩ ـ ١٢١٠م.

عاش ابن الساعي بين سنتي ٥٩٣ هـ/ ١١٩٦ م و ٦٧٤ هـ/١٢٧٦م؛ ويستنتج من المعلومات التي اوردها لنا هذا المؤرخ، في الجزء التاسع من مؤلفه «الجامع المختصر» بأنه يعتبر واحداً من اهم الكتب التاريخية تفصيلاً لحوادث وتواريخ السلالة العباسية التي حكمت في بغداد، وعن شؤونها الداخلية والخارجية، ومعلومات وافية عن موظفي هذه الدولة، وأخبار جيدة عن مشاهير وأعيان سكان العاصمة ، بغداد .

من الوظائف التي تقلدها ابن الساعي ، وظيفة خازن الكتب ، امين مكتبة ، في الجامعة المستنصرية في سنة ٦٣٢ هـ ١٢٣٣م. وكان ربيب نعمة حكومة بني العباس في بغداد ، ولذلك فان المرء ليعتقد ان رعاية وكنف الخلفاء لهذا المؤرخ قد كانت لها آثارها الكبيرة في ميول ابن الساعي ؛ انعكس ذلك على طريقة تدوينه للحوادث التاريخية في هذا الوقت . وهذا يظهر بجلاء واضح في طريقة عرضه لاسلوبه في المجلد المذكور ؛ ثم ان هناك مسألة اخرى تؤيد وجهة النظر هذه ، وهي ان المؤلف ابن الساعي تكلم في كتاب آخر له بصراحة عن الخليفة الناصر حيث وصفه بأنه كان خليفة غير عادل ، ظالماً وشريراً ، وانه كان قبيح السيرة في رعيته . وقد الف ابن الساعي كتابه هذا فيما بعد ، حيث لم يكن يخاف ، او يخشى ما يكتبه ؛ كما لم يكن خاضعاً لقيود كتابية معينة ، تجعله يحرف الحقائق ، بعكس ما ورد في « الجامع المختصر » . والذي يظهر ان كتابه « مختصر تاريخ

الخلفاء» هو اختصار شديد لما ورد في كتابه الكبير، حيث اختصر فيه تاريخ الخلفاء، وموظفي الدولة ايامهم، ومشاهير واعلام العاصمة العباسية[1].

«سيرة السلطان جلال منكبرتي»

هذا المؤلَّف، هو كتاب ترجمة لحياة آخر حاكم للسلالة الخوارزم شاهية، جلال الدين، كما يظهر واضحاً من عنوانه، وقد الفه منشيه «أو سكرتيره» الخاص شهاب الدين محمد بن احمد النسوي المنشي.

كان مؤلفنا هذا، مثل ابن الأثير، معاصراً للغزو المغولي الاول بقيادة جنكيز خان ضد الاقطار الاسلامية، كما سيرد معنا في هذا البحث، حيث كان النسوي انذاك يعيش في قلعة خاصة بأسرته، هي «خرندز» في اقليم خراسان، وممن شاهد المغول عن كثب ورأى بأم عينيه ما كان يفعله هؤلاء الناس؛ وفي هذه الناحية يختلف عن ابن الأثير الذي ربما لم يرهم.

انخرط النسوي في خدمة الاسرة الخوارزمية في اواخر عهدها ايام حاكمها الاخير، جلال الدين، بعد عودة الاخير من الاراضي الهندية في سنة ٦٢١ هـ/ ١٢٢٣م؛ وظل كواحد من كبار موظفيه حتى الايام الاخيرة من حياة جلال الدين في سنة ٦٢٩ هـ/ ١٢٣١م.

اورد النسوي في هذا الكتاب، معلومات عن تاريخ المغول في عهد جنكيز خان. الا ان المعلومات التي اوردها، مع ذلك، في هذا الشأن كانت غاية في شدة الاختصار؛ وفي اغلب الاحيان غير دقيقة، وكثيرة التشويش والخلط؛ ويكتنفها غموض شديد، يدل على عدم اطلاع في التاريخ الذي يكتبه. كما اشتمل كتابه على روايات تاريخية عن فترة حكم السلطان محمد،

---

(١) عن هذا المؤرخ، انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، طبع دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٧م، ص: ١٤٦٩، الترجمة رقم ١١٦١. انظر ايضاً: مقدمة الاستاذ جواد لكتاب «الجامع المختصر».

مبتدئاً ذلك من حملة السلطان العسكرية، التي قام بها ضد الاراضي الغربية من سلطنته ، اراضي اقليم بلاد الجبل ، واقليم فارس ، واقليم آذربيجان . ومعلوماته التي اوردها هنا عن السلطان محمد، بوجه عام ، جيدة، وعن اطلاع لا بأس به، ودقيقة الى حد كبير ؛ ويمكن الاعتماد عليها ، خاصة وانه كتبها بعد زوال الاسرة الخوارزم شاهية بحوالي عقد من الزمن .

اما بقية كتاب النسوي هذا فانه مخصص لتاريخ سيده ، سيرة جلال الدين بن السلطان محمد خوارزم شاه ؛ حيث اعطى لمحة سريعة ومركزة عن الغزو المغولي . وهو هنا يعتبر شاهد عيان . بعد ذلك يتكلم بالتفصيل ، كتابة مطلع وشاهد عيان على الوقائع والاحداث التاريخية ومجريات الامور ، عن فترة حكم جلال الدين، وعن علاقته بالمغول في عهده ؛ ثم يتكلم بالتفصيل عن علاقة سيده مع الخلفاء العباسيين ؛ ثم علاقته مع الحكام المسلمين الآخرين (من امثال حكام بني ايوب في الشام وارمينيا والسلاجقة في ارزن الروم ، وآسيا الصغرى) .

يعتبر كتاب النسوي هذا سجلاً ثميناً للمعارك التي خاضها جلال الدين ضد المغول، وخاصة معركة اصفهان ؛ ثم حروبه المتواصلة وغزواته داخل الاراضي « الكرجية » (الجرجانية) حيث لاقى نجاحاً منقطع النظير في حروبه معهم ، ثم الحروب التي خاضها الامير الخوارزمي مع الحكام المسلمين والخليفة العباسي في بغداد ، وبني ايوب في سوريا وارمينيا والسلاجقة في آسيا الصغرى (او بلاد الروم) . وكتابه في هذا الشأن مهم جداً ؛ وتأتي اهميته من حقيقتين مهمتين : الاولى وهي ـ كما اسلفنا القول ـ انه كتبه في حوالي سنة ٦٣٩ هـ / ١٢٤١م ، اي بعد عشر سنوات تقريباً من وفاة سيده الذي كتب عنه ، لذلك كان النسوي حراً فيما يكتبه ؛ والحقيقة الثانية ـ وكما اورده هو في ثنايا كتابه ـ انه كان يحتفظ بمذكرات خاصة به ، لهذا فهو عندما ألّف كتابه ، لم يكن يعتمد على الذاكرة فقط ـ والتي غالباً ما تخون ـ بل يدون من مذكرات كان قد كتبها في وقت سابق ، ربما اثناء الحادثة ، او بعد ذلك بزمن قليل ، والمعلومات ما تزال حية في ذاكرته .

كتب النسوي كتاباً آخر، هو ادبي اكثر منه تاريخي، واسم هذا المؤلف «نفثة المصدور». وهو ليس فقط مليئاً بالمحسنات البديعية واللفظية، بل ويطغى على كل المعلومات التي اوردها النسوي في هذا الكتاب، اذ كانت، وكما قال هو، غرضه الاساسي، اي البحث عن المحسنات اللغوية؛ حتى ان القارىء ليسأم لاول وهلة، ويضجر من مواصلة القراءة. ولا يوجد في «نفثة المصدور» اية معلومات ذات قيمة تاريخية.

«مرآة الزمان»

(۱۰۰۰ - ٦٥٤ هـ/ ۰۰۰۰ - ١٢٥٦م).

مؤلف هذا الكتاب هو يوسف بن قزغلو، المعروف بـ: سبط بن الجوزي (٥٨٢ - ٦٥٤ هـ/ ١١٨٦ - ١٢٥٧م). اتبع سبط بن الجوزي، في طريقة تأليفه لكتاب المرآة، نهج جده لامه عبد الرحمن ابن الجوزي، في كتابه «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم»، حيث جمع بين الاحداث التاريخية والتراجم الشخصية للاعلام والمشاهير. توقف هذا الكتاب، حوادث وتراجم، في سنة ٦٥٤ هـ/ ١٢٥٧م اي قبيل وفاة مؤلفه.

على الرغم من ان كتاب «مرآة الزمان» يعتبر كتاب حوادث تاريخ وتراجم شخصيات خاصة بالشام ومصر بشكل رئيسي، الا انه يعطينا معلومات تاريخية ذات قيمة عن حكومة العباسيين في بغداد، والخوارزميين، وخاصة آخر حكام هذه الاسرة، جلال الدين، ومعلومات عن المغول. ومع ذلك فان معلوماته عن المناطق التي تقع خارج سوريا ومصر، كانت قصيرة جداً؛ الا ان اهمية هذا الكتاب لنا تأتي من حقيقة حياد المؤلف، رغم انه كان سني المذهب وربيب نعمة بني ايوب. وسيرد معنا ذلك في آخر فصل هذا البحث ومدى اهمية حياده.

لهذا الكتاب ذيل، قام بتأليفه: قطب الدين اليونيني (٦٤٠ - ٧٢٦ هـ/١٢٤٢ - ١٣٢٥م) بعنوان: «ذيل مرآة الزمان»، ويمثل الكتاب الروايات التاريخية عن احداث سوريا ومصر بصفة اساسية.

«تراجم رجال القرنين السادس والسابع»
(٥٩٠ ـ ٦٦٥ هـ/ ١١٩٤ ـ ١٢٦٦م)

هذا الكتاب كتاب تراجم شخصية للناس والاعلام والمشاهير، ألّفه: عبد الرحمن بن اسماعيل، المعروف بـ«ابو شامة» (٥٩٩ ـ ٦٦٥ هـ/ ١٢٠٣ ـ ١٢٦٧م) حيث اعتبره المؤلف ذيلاً مكملاً لمؤلف سابق له هو «كتاب الروضتين في اخبار الدولتين».

تتعلق محتويات كتاب التراجم هذا، وبصفة اساسية، بتاريخ سوريا ومصر، حيث يبدأ من سنة ٥٩٠ هـ/ ١١٩٤م وينتهي سنة ٦٦٥ هـ/ ١٢٦٦ م، قبل وفاة ابي شامة بوقت قصير جداً. اما المعلومات التي وردت في ثنايا الكتاب، فقد اعتمد صاحبها، على مؤلَّف سبط بن الجوزي «مرآة الزمان».

كان ابو شامة معاصراً للغزو المغولي الثاني، الذي جاء ضد العراق وسوريا وارمينيا، اي ضد اراضي الهلال الخصيب بوجه عام. وعلى هذا الاساس، فان المعلومات التي اوردها ابو شامة، بعد سنة ٦٥٤ هـ/ ١٢٥٦ م في كتاب التراجم ـ حيث ينتهي «مرآة الزمان» ذات قيمة، رغم اختصارها، وان صاحبه يظهر بعض التحايز والتحامل. كما سيرد معنا في نهاية هذا البحث.

يوجد هناك كتابان اخران يتعلقان بالحوادث التاريخية في سوريا ومصر، هما «المختصر في اخبار البشر» لمؤلفه ابي الفدا (٦٧٢ ـ ٧٣٢ هـ/ ١٢٨٣ ـ ١٣٣١م) وكتاب «البداية والنهاية» لكاتبه «ابن كثير» (٧٠٠ ـ ٧٧٤ هـ/ ١٣٠١ ـ ١٣٧١ ـ ١٣٧٢م) وكلا الكتابين يتعلقان بالتاريخ العام ويختصان بتاريخ هذه المنطقة المذكورة بشكل اساسي. كما يحتويان على معلومات عن الدولة العباسية نقلاهما عمّن سبقهما.

«طبقات ـ ى ـ ناصرى»
(١٩٤ ـ ٦٥٨ هـ/ ٨١٠ ـ ١٢٦٠م)

هذا المصدر هو من تأليف العلامة القاضي منهاج الدين عثمان بن سراج الدين، المعروف بـ: الجوزجاني ، (٥٨٩ ـ توفي بعد سنة ٦٦٠ هـ/ ١١٩٣ ـ بعد سنة ١٢٦٢م). يعتبر كتاب «**طبقات** ـ ى ـ ناصرى» مؤلَّفاً في التاريخ الاسلامي العام ، اى للاســـرالمسلمة الحاكمة في قارة آسيا، بما في ذلك الهند ؛ كما ان المؤلف اورد لنا في كتابه هذا معلومات عن تاريخ الفرس وملوك اليمن، قبل الاسلام، كما كتب في تاريخ خانات المغول (اي تاريخ جنكيز خان ، وتاريخ ابنائه الاربعة ـ «**جوتشي، وتشغتاى، واگتاي، وتولي**» ـ وتاريخ احفاد جنكيز خان (مثل : « **كويوك ، وباتو ، ومنكّو، وهولاكو**»)

كان الجوزجاني، مثل والده ، واحداً من كبار موظفي السلاطين الغوريين . على الرغم من ان المؤرخ هذا ، في تدوينه للحوادث التاريخية يشطح في بعض الاحيان الى ايراد بعض الاحداث التي هي اقرب الى الاساطير منها الى التاريخ ، الا ان «**طبقات ناصرى**» يعتبر ذا قيمة تاريخية قصوى، وخاصة ما اورده المؤلف من الحوادث التاريخية التي تخص الفترة التي عاشها ، وخاصة تلك التي تتعلق بما وقع في بلاد الافغان (افغانستان) في وقته . اذ ان الكتاب يحتوي على معلومات اولية ، مستقاة بصورة مباشرة قام بها المؤلف نفسه ، تفوق في ذلك ما اورده النسوي وابن الاثير عن الغزو المغولي ـ بقيادة جنكيز خان ـ ضد الاقطار الاسلامية . وفي الحقيقة، فان الجوزجاني كان ممن اشترك شخصياً في القتال ضد المغول وقواتهم الغازية ؛ كما كان واحداً من المدافعين عن «**قلعة طُلَقْ**» في اقليم خراسان .

اما مذهب الكاتب الديني، فقد كان المذهب السني، وميوله الكتابية ميول غورية ، وافكاره مناصرة للخلفاء العباسيين في بغداد . لهذا نرى ان يحتاط المرء في بعض الروايات، والا يؤخذ كل ما اورده هذا المؤلف من معلومات عن هاتين الاسرتين، على علاته ، دون التحقيق مما كتبه ، بطريقة فاحصة علمية

مدققة . كما نجد ان الجوزجاني قد اظهر ، في كتاباته لهذاالمؤلَّف، تحاملاً وتحيزاً شديدين، في المعلومات التي اوردها لنا ، ضد طائفة الشيعة . لذلك فلابد من اخذ احتياط خاص عندما تقرأ رواياته التي تتعلق بأي شخص ينتمي الى هذه الطائفة .

أُلِّف الكتاب هذا باللغة الفارسية ؛ وقد حقق من مخطوطاته الاصلية، وترجم الى اللغة الانجليزية، وطبع اول طبعة له في لندن سنة ١٢٩٨ هـ/ ١٨٨١م؛ حيث قام بهذا العمل الجليل «الميجر جنرال» هـ. ج. رافرتي . وقد حقق الكتاب، في طبعة فارسية الاستاذ/ عبد الحي حبيبي ، وطبع في كابل سنة ١٣٤٣هـ .

«تاريخ جهانكشاى»
(٠٠٠ - ٦٥٤هـ/ ٠٠٠٠ - ١٢٥٦م)

قام بتأليف هذا الكتاب الهام: علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد بن محمد الجويني (٦٢٣ - ٦٨١ هـ/ ١٢٢٥ - ١٢٨٢م) في عام ٦٥٨ هـ/ ١٢٦٠م.

يعتبر كتاب «تاريخ جهانكشاى» تقريراً وافياً ومفصلاً عن هجوم المغول في حملتهم العسكرية الثانية ، التي قاموا بها ضد الاقطار الاسلامية - تحت قيادة هولاكو - في جنوب شرق قارة آسيا ، حيث ان الجويني كان شاهد عيان لكل ما دونه لنا في كتابه هذا من معلومات تخص هذه الفترة ، لانه كان في صحبة القائد المغولي خلال هذه الحملة ، وأحد موظفي حكومته . شاهد الجويني عن كثب سقوط القلاع الاسماعيلية في ايران ، ودمار هذه الطائفة بصورة نهائية ، كما رافق المغول في حملتهم ضد الخلافة العباسية وانقراض حكم هذه الأسرة من بغداد ، على ايدي المغول ، وقائدهم هولاكو . كما يحتوي الكتاب على ذيل، وهو في آخر الجزء الثالث ، بعنوان «كيفية واقعة بغداد» وقد ألَّفه العلامة نصير الدين الطوسي ، الذي كان هو الآخر ممن رافق هولاكو في حملته تلك ضد بغداد ؛ كما كان واحداً من مستشاريه المقربين .

كان الجويني يتمتع بثقة حكومة هولاكو، الذي يعتبر مؤسساً للاسرة المغولية الحاكمة في الاراضي الجنوبية الغربية من ممتلكات الامبراطورية المغولية، والتي عرفت في التاريخ باسم «**الدولة الايلخانية**»؛ كما عين الجويني - فيما بعد - نائباً لدولة المغول في بغداد، في سنة ٦٥٨ هـ/١٢٦٠م.

بناءً على ذلك، فان الكثير من المعلومات التي اوردها لنا الجويني، على ما يظهر لنا، لا بد ان تكون مبنية على تقارير شاهدي عيان، لجميع الحوادث، وخاصة ما يتعلق منها بحملة **هولاكو** الغربية التي **أطاح فيها بالقلاع** الاسماعيلية، وسار بعدها الى اراضي الخلافة العباسية واراضي الشام. «**وكتاب جهانكشاى**»، يعتبر - بدون شك - اهم مصدر معاصر بين مصادر التاريخ المغولي؛ على الرغم من ان «**جامع التواريخ**» الذي **ألّفه** رشيد الدين قد القى ظلاً على كتاب الجويني، لاننا نجد ان رشيد الدين ينقل عن «**جهانكشاى**»، كلمة فكلمة تقريباً، في اثناء كتابته عن التاريخ الذي يختص بالفترة التي كتب عنها سلفه «**الجويني**».

ومع هذا، فلا بد ان يأخذ القارىء لهذا المؤلَّف «**جهانكشاى**» بعين الاعتبار ان الجويني ما هو الا ربيب نعمة المغول، تربى في كنف البلاط الخاني؛ حيث نجده يمتدحهم مدح اطراء، ويشيد بكل عمل يقومون به، حتى انه ذهب الى ابعد من ذلك، فبرر غزوهم للاراضي الاسلامية، بانه لم يكن الا تنفيذاً لارادة الله. وهذه جملة يرددها القادة المغول، وعلى رأسهم الخان، في «**قرا - قروم**»، نفسه والتي يقولون بان الله اختار جنكيز خان وسلالته لحكم كل بني ادم على وجه البسيطة، وانهم لم يكونوا الا منفذين لتلك الارادة الالهية، التي انتدبهم الله للقيام بها.

يتكلم الجويني، في «**جهانشكاى**» عن تاريخ المغول، من الفترة التي سبقت ظهور جنكيز خان بقليل، حتى «**منكو قاآن**» (٦٤٩ - ٦٥٦ هـ/ ١٢٥١ - ١٢٥٨م)؛ وعن تاريخ الخوارزميين، وعن علاقتهم مع حكومة بغداد

العباسية، ثم عن «الدولة القراخطائية»؛ وعن تاريخ الدولة الاسماعيلية في ايران.

والكتاب فارسي اللغة، حققه العلامة الاستاذ المرحوم/ محمد بن عبد الوهاب القزويني، وطبع في ليدن، في هولندا، ترجم الى اللغة الانجليزية ترجمة ممتازة، حيث قـام بهذا العمل الجليل الاستاذ الدكتور/ ج. أ. بويل، وطبع في مطابع جامعة مانشستر في سنة ١٩٥٨م. كما ان الجزء الاول - كما قيل لي - ترجمه الى العربية سباعي السباعي، ونال عليها شهادة الدكتوراه[١].

«التاريخ السري للمغول»

مؤلّف كتاب «التاريخ السري للمغول»، او «تاريخ المغول السري»، كاتب غير معروف؛ كما لم يعرف على وجه التحديد التاريخ الذي أُلّف فيه هذا المرجع الهام. وحسب ما لدينا من معلومات - حصلنا عليها من خلال قراءتنا عن هذا المصدر - انه أُلّف من صميم التعاليم الشفهية المغولية الخالصة، وقام بهذه المهمة شخص مجهول، كان ذا صلة قوية ومعرفة تامة بجنكيز خان.

يعتبر الكتاب مهماً جداً، رغم ما ورد فيه من روايات اسطورية، هي الى الاساطير اقرب منها الى التاريخ، لانه اول كتاب مغولي، يحتوي على معلومات تفصيلية عن حياة جنكيز خان المبكرة؛ كما تكلم مؤلفه بالتفصيل عن الحروب التي خاضها هذا الفاتح العظيم مع مختلف القبائل المغولية، والتتر، والكرايت، والنيمان؛ تلك الحروب التي قادت في النهاية الى تكوين امبراطورية المغول العالمية[٢].

---

(١) لمعلومات اوفر عن المؤلف، والكتاب، انظر مقدمة الاستاذ محمد القزويني، ثم الاستاذ ج. أ. بويل، في «دراسات عن تاريخ - ي - جهانكشاي للجويني»، وهي اطروحته التي قدمها الى جامعة لندن سنة ١٩٤٩ م ونال بها درجة الدكتوراه، ثم انظر ايضاً مقدمته للترجمة الانجليزية التي قام بها نفسه.

(٢) لمعلومات اوفى انظر ترجمته الانجليزية، بقلم الاستاذ ارثر وولي، والمقدمة لهذا المُتَرْجِم؛ ج. ليديارد، غزوات المغول في كوريا وتاريخ كتابة التاريخ السري للمغول، المجلة الاسيوية المركزية، ١٩٦٤م، جـ ١٠٩/ ص. ص: ١ - ٢٢.

«تقارير البعثات المسيحية الى اراضي منغوليا»

كانت البعثات السياسية الاوروبية ، التي ارسلت الى اراضي منغوليا، من احدى النتائج التي ترتبت على الغزو المغولي ضد الاقطار الاوروبية ؛ اذ ان ذلك الغزو ـ الذي اجتاح روسيا واوربا الشرقية خلال خمس سنوات (٦٣٥ ـ ٦٣٩ هـ/ ١٢٣٧ ـ ١٢٤١م) بقيادة «باتو بن جوتشي بن جنكيز خان». وقد قام بايفاد تلك البعثات الاوروبية البابا في روما وملوك اوروبا الى خانات المغول ، وذلك للتعرف على طبيعةهؤلاء الناس . وقد كانت بعثة البابا الاولى احتجاجاً على غزوة المغول المذكورة هذه ؛ كما كان من الأغراض التي ارسلت من اجلها تلك البعثات دعوة البابا وملوك اوروبا للمغول باعتناق الديانة المسيحية؛ ومحاولة جادة صادقة، في ايجاد حلف شرقي غربي ضد المسلمين لاستعادة الاراضي المقدسة من ايدي المسلمين .

اسندت مهمة القيام بهذه البعثات السياسية الى اشخاص بارزين مثقفين، من اعضاء المنظمتين المسيحيتين «منظمة الدومنكان ومنظمة الفرنسيسكان» قاموا بها الى الاراضي المغولية. رغم كثرة وتعدد البعثات السياسية وأغراضها ، التي تبودلت بين بلاط «القا آن» في «قرا ـ قروم» والبابا وبعض ملوك اوروبا ، الا ان الذي يهمنا في هذا البحث بعثتان. البعثة الاولى قام بارسالها «انوسنت الرابع»؛ واسندت مهمة القيام بها الى شخص يدعى «جون بلانو كربيني»، وزميله «البولندي الأخ بندكت». استغرقت هذه البعثة ـ من بداية الرحلة الى العودة ـ من سنة ٦٤٣ هـ/ ١٢٤٥ م الى سنة ٦٤٥ هـ/ ١٢٤٧م).

اما البعثة الثانية فقد ارسلت بعد الاولى بمدة ، ست سنوات تقريباً . وقد اضطلع بهذه المهمة شخص يدعى «القس ـ او الراهب ـ وليم الربركي» ما بين سنة ٦٥١ هـ/ ١٢٥٣م وسنة ٦٥٣ هـ/ ١٢٥٥م حيث انتدبه للقيام بهذه السفارة ملك فرنسا «لويس التاسع» .

والذي يهمنا ، في هذا الشأن بالذات هو ما تركه لنا هؤلاء المبعوثون من تقارير عن رحلاتهم تلك ؛ اذا انها كانت تحتوي على معلومات فريدة ، عن ثقافة

المغول ، ومجتمعهم الذي كانوا يعيشون فيه . فتكلم مبعوثو «البابا انوسنت الرابع» عن الرسل الذين ارسلهم الخليفة المستعصم ورآهم «جون» هناك في «قرا ـ قروم». هذا بالاضافة الى رسل كثيرين قام بايفادهم حكام مسلمون ـ الى البلاط المغولي ـ وهم محملون بالهدايا والتحف الى الخان المغولي .

اما التقرير الذي تركه لنا القس (الراهب) «وليم الربركي» ، والذي كتبه عن رحلته الى بلاط «القا آن منكو»، فيحتوي على معلومات قيمة ايضاً عن مبعوثي الحكام المسلمين، بما فيهم خليفة الوقت ، المستعصم، وتلك المناقشة التي جرت بين قاضي الخليفة و «منكو»، واصرار الاخير على انه لابد من مشاركة الخليفة الفعالة في حملة هولاكو ـ التي كان قد وجهها ضد القلاع الاسماعيلية وسيرد معنا ذلك ـ ان شاء الله ـ في ثنايا هذا البحث معلومات اوفى .

«جامع التواريخ»

كتاب جامع التواريخ هو من تأليف رشيد الدين فضل الله الوزير بن عماد الدولة وابي الخير موفق الدولة علي ، ذلك الوزير المشهور ، الذي وزر لثلاثة من خانات الاسرة «الايلخانية» في ايران «غازان ، وأولجايتو، وابو سعيد» . ان هذا المؤلَّف ليعتبر بحق ـ ودون اي شك ـ واحداً من اهم المصادر التاريخية القيمة عن التاريخ المغولي ؛ اذ لا نكاد نجد اي مرجع آخر في هذا المستوى من الشرح والتفصيل في هذا الشأن. فجامع التواريخ هو مستودع هائل لمعلومات عن المغول ؛ حيث يتكلم مؤلفه بالتفصيل عن تاريخ المغول، وأساطيرهم ، ومعتقداتهم ، ونمط حياتهم خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني والثالث عشر الميلاديين .

اعتمد رشيد الدين ، في تأليف كتاب «جامع التواريخ» على معلومات اولية وعلى مصادر اساسية محلية وخاصة الوثائق المغولية الاصل . وتزداد اهمية هذا المرجع من حقيقة اخرى وهي ان تلك المصادر التي استطاع رشيد الدين الاطلاع عليها واعتمد في تأليفه عليها قد فقدت. كما ان منصب مؤرخنا هذا، كوزير، مكنه من الاطلاع على وثائق ومراجع سرية لا تتاح لاحد غيره . ثم انه

كان يستقبل وفوداً من منغوليا والصين شرقاً؛ ورسلاً موفدين من ملوك اوروبا في الغرب. وقد استفاد من هؤلاء الناس؛ حيث قدموا له معلومات ـ كل عن بلده ـ فدونها لنا رشيد الدين في «جامع التواريخ».

لقد حاول رشيد الدين محاولة ناجحة، لم يسبقه احد اليها، ان يؤلف كتاباً في التاريخ على مستوى عالمي. وقد بدأ تاريخه ـ مثله في هذا الشأن مثل مؤرخينا المسلمين الكبار ـ من ابينا آدم (عليه السلام) وحتى زمن المؤلف.

دوَّن رشيد الدين في «جامع التواريخ» تاريخ المغول؛ اي تاريخ القبائل التركية، والمغولية؛ وتاريخ جنكيز خان واسلافه؛ ثم تاريخ خلفائه ـ الابناء والاحفاد ـ وتاريخ الاسرة الايلخانية في ايران. كما ضمن كتابه هذا الضخم تاريخ ما قبل الاسلام؛ ثم تاريخ الاسلام ـ قبل وبعد الهجرة النبوية الشريفة ـ (من محمد ﷺ، فالخلفاء الراشدين، فبني امية، وبني العباس حتى سقوطهم في بغداد على يدي هولاكو في سنة ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨م). كما تكلم مؤرخنا الكبير، في هذا السفر، عن السلالات الاسلامية التي حكمت في ايران والشرق الاسلامي بوجه عام؛ كما دون رشيد الدين في مؤلفه هذا تاريخ امم وشعوب اخرى، كالصينيين، والافرنج، والهنود، وطرق تاريخ الشعب اليهودي.

كتب رشيد الدين «جامع التواريخ» باللغتين الفارسية والعربية؛ ومعظم المخطوطات الفارسية الموجودة، حققت ونشرت؛ اما المخطوطات العربية، فانه ـ حسب علمي ـ لم يحقق منها شيء. ترجم اجزاء من الكتاب الى لغات عالمية حية، كالانجليزية والفرنسية، ولا يوجد الكتاب محققاً ومنشوراً بكامله الا باللغة الروسية فقط.

ان مكتبتنا (اعني المكتبة العربية) لتفتقر الى وجود مثل هذا الكتاب البالغ الاهمية؛ وان الحاجة ماسة جداً الى تحقيق مخطوطاته العربية التي لم تنشر[1].

---

(١) لمعلومات اوفى عن كتاب «جامع التواريخ» انظر الاستاذ الدكتور/ ل. اى. بروان، اقتراحات لتحقيق طبعة كاملة لكتاب «جامع التواريخ» لرشيد الدين، مجلة الجمعية الأسيوية الملكية، ١٩٠٨ م، ص. =

«الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة»
(٦٢٦ ـ ٧٠٠ هـ/ ١٢٢٨ ـ ١٣٠١م)

يعتبر كتاب «الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة» (او الحوادث) والذي الّفه كمال الدين عبد الرزاق والمعروف بـ «ابن الفوطي» هو بحق الكتاب الاول، والاهم فيما يخص تاريخ احوال وشؤون العراق الداخلية في هذه الفترة التي نحن بصددها. وفي حقيقة الامر فان كتاب الحوادث هذا يعتبر اهم مرجع يتكلم بالتفصيل عن تاريخ حكومة بغداد العباسية، خلال سنواتها الاخيرة ، اذ ان القارىء لهذا الكتاب يجد فيه ـ تقريباً ـ ما يجده قارىء الصحف اليومية في عصرنا الحاضر. حيث يسجل فيه ابن الفوطي أهم حوادث بغداد اليومية طوال هذه الفترة من آخر عمر هذه المدينة ، كعاصمة لدولة بني العباس؛ كما تكلم ابن الفوطي عن سقوط بغداد على ايدي المغول ؛ كما سيرد معنا ان شاء الله في ثنايا هذا الكتاب، وخاصة في الفصل الرابع منه .

يغطي الكتاب الفترة من سنة ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨ م الى سنة ٧٠٠ هـ/ ١٣٠١ م ويشتمل على معلومات تفصيلية ـ تقريباً ـ عن جميع احوال العراق في هذا التاريخ . فيتكلم مؤرخنا عن الحياة الاجتماعية، والناحية الاقتصادية، والحياة السياسية؛ كما يتكلم المؤلف عن موظفي الدولة ، وكبار وأعيان رجالات بغداد، وترجمة حياتهم الشخصية[1].

الكتاب محقق ومطبوع ، منذ نصف قرن خلا ؛ الا ان الطبعة قديمة وتحتاج الى تنقيح ، هذا حسب معلوماتي .

= ص : ١٧ ـ ٣٧ ؛ فؤاد الصياد ، مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمداني، القاهرة ، ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٧م؛ ج. أ. بويل، الجويني ورشيد الدين كمرجعين من مراجع تاريخ المغول، مجلة مؤرخي الشرق الأوسط، لندن ١٩٦٢ م، ص.ص: ١٣٣ ـ ١٣٧؛ رشيد الدين المؤرخ العالمي الاول ، ايران تسمة، لندن، ١٩٧١م ص.ص: ١٩ ـ ١٢٦؛ اهمية جامع التواريخ كمصدر لتاريخ المغول، ايران شناسي، ٢، طهران، ١٩٧٠م؛ ص . ص : ١ ـ ٨ .

(١) انظر مقدمة الطبعة للاستاذ مصطفى جواد .

«مختصر سلجوق نامه ـ ى ـ ابن بي بي»
(٥٨٨ ـ ٦٧٩ هـ/ ١١٩٢ ـ ١٢٨٠م)

هذا المؤلَّف هو مختصر من كتاب أكبر آخر بعنوان «الاوامر العلائية في الامور العلائية»، قام بتأليفه : ناصر الدين يحيى بن محمد، والمعروف بـ « ابن بي بي» . وقد سمى كتابه باسم السلطان السلجوقي في آسيا الصغرى (الروم) علاء الدين كيقباذ (٦١٦ ـ ٦٣٤ هـ/ ١٢١٩ ـ ١٢٣٦م). اما كتاب «المختصر» هذا فان محتوياته تتعلق بتاريخ السلاطين السلاجقة في آسيا الصغرى «بلاد الروم»؛ ويشتمل على الحوادث التاريخية للفترة من سنة ٥٨٨ هـ/ ١١٩٢ م الى سنة ٦٧٩ هـ/ ١٢٨٠م.

يتكلم المؤلف بنوع من التفصيل عن الغزو المغولي ضد اراضي هذا القطر الاسلامي، وانضمام هذا الجزء من العالم الاسلامي تحت السلطة المغولية، حيث اصبح قسماً من الاراضي الخاضعة لهذه الامبراطورية المترامية الاطراف . كما يتكلم فيه عن الدور الذي لعبه سلاطين السلاجقة الذين خضعوا تحت نفوذ المغول، في حملتهم ضد المسلمين الآخرين وخاصة مسلمي اراضي الشام بقيادة هولاكو. والكتاب معاصر للاحداث وهو مهم جداً لتاريخ السلاجقة في آسيا الصغرى .

حقق الكتاب المستشرق /م. ت. هوتسما . الا ان تلك الطبعة اعادها الاستاذ/م.ج. مشكور. وقد اضاف الاستاذ مشكور مقاطع لروايات اخرى من كتب تاريخية، عن التاريخ السلجوقي؛ كما اضاف مقاطع لمعلومات جغرافية قيمة عن بلاد الروم . وقد اصبح عنوان الطبعة الجديدة، التي قام بها الاستاذ مشكور باعادتها واضافة معلومات جديدة اليها، هو «اخبار سلاجقة ـ ى ـ الروم». والكتاب فارسي اللغة[1].

(١) لمعلومات اوفر، انظر مقدمة الطبعة الجديدة للاستاذ مشكور

«تاريخ مختصر الدول»
(۰۰۰ - ٦٨٢ هـ/ ۰۰۰۰ - ١٢٨٣م)

كتب المؤرخ والعالم المسيحي «گريگوري ابو الفرج بارهبريوس الملطي»، المعروف بـ «ابن العبري» عدة مؤلفات في مواضيع مختلفة . كان موضوع التاريخ واحداً من هذه المواضيع التي طرقها مؤرخنا هذا ؛ حيث كتب فيه كتابين كبيرين ، كان احدهما بعنوان «تاريخ مختصر الدول» او «مختصر تاريخ الدول». اورد لنا في هذا لكتاب ، بشكل مختصر جداً ، تاريخاً عاماً ، من آدم (عليه السلام) حتى سنة ٦٨٢ هـ/ ١٢٨٣م. وهذا الكتاب هو ترجمة وملخص لمؤلف سابق لابن العبري نفسه ، كتبه اصلاً باللغة السريانية . وقد اظهر ابن العبري ، في كتابه السرياني هذا تحاملاً وتحيزاً شديدين في كتابته عن المسلمين - الذين يسميهم «العرب»؛ حيث بلغ به تحامله الى درجة السب والشتم، بل وحتى اللعن . وقد حققت وترجمت المخطوطة السريانية الى اللغة الانجليزية، حيث قام بهذا العمل الجليل «ووليس هودج» وطبع بمطابع اكسفورد بلندن .

اما في مختصره العربي ، والذي قام مؤرخنا نفسه بمهمتي الترجمة والاختصار، فقد حذف كل ما من شأنه الاساءة الى المسلمين «العرب» حيث ازال شتائمه ، واللعنات التي استنزلها عليهم من السماء ؛ وذلك - على ما يظهر - لئلا يغضب اصدقاءه «العرب» الذين طالبوه وحثوه على ان يقوم بترجمة عمله السرياني ذلك الى لغتهم ليتمكنوا من قراءته .

تأتي اهمية الكتاب من حقيقة مهمة ، وهي ان المؤرخ كان رجلاً معاصراً للغزو المغولي الكبير الثاني ، ضد الاقطار الاسلامية - العراق واراضي الهلال الخصيب بوجه عام - بقيادة هولاكو . اذ ان ابن العبري لم يقابل هولاكو ويتحدث اليه فقط ، بل ويصبح فيها بعد واحداً ممن خدم في ظل الحكومة المغولية في جنوب غرب قارة آسيا ، حيث كان احد الموظفين العلماء الاعلام في مرصد مراغه ، الذي انشأه هولاكو ؛ وكان ابن العبري ممن تمتع برعاية وحماية اسرة الايلخانيين في ايران .

بالاضافة الى ما كتبه ابن العبري عن تاريخ فترة ما قبل الاسلام، فقد كتب (وان كان ذلك ـ كما قلنا ـ باختصار شديد) عن التاريخ الاسلامي، فترة الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين، وعن الدولتين الاموية والعباسية ـ حتى سقوط بغداد؛ كما كتب عن تاريخ المغول، وعن اسرتهم الحاكمة في ايران (الايلخانيين) وحتى تتويج «ارغون خان» في سنة ٦٨٢ هـ/١٢٨٣م..

«تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام»
(٠٠٠ ـ ٧٠٠ هـ/ ٠٠٠٠ ـ ١٣٠٠م)

كتب هذا السفر التاريخي الضخم «**تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام**» العلامة المسلم شمس الدين ابي عبد الله. **المعروف بـ«الذهبي»**. يعتبر الذهبي علامة من الدرجة الاولى ليس فقط في مجال علم التاريخ، بل وفي علمي الحديث والفقه.

سلك الذهبي ـ في مؤلفه هذا ـ الطريقة المتبعة التي ذهب اليها قبله ابن الجوزي وسبطه، في تدوينه للحوادث التاريخية والتراجم الشخصية؛ فهو كتاب تاريخي، وكتاب تراجم في آن واحد. الا ان الذهبي ـ مع ذلك ـ يعطي كل موضوع عنوانه الخاص به، فالحوادث التاريخية يسردها تحت عنوان «**الحوادث الكائنة**» في حين يضع ما كتبه من تراجم شخصية للاعلام والمشاهير تحت عنوان «المتوفون» وكل فصل مقسم الى عنوانين فرعية.

اعتمد الذهبي، مثل غيره ممن سبقه من المؤرخين، على كتب ومراجع كتبها سابقوه في هذا الميدان. وكانت كتب: الطبري(تاريخ الرسل والملوك)، وابن الاثير (الكامل في التاريخ)، وابن الجوزي (المنتظم في تاريخ الملوك والامم)، وسبط ابن الجوزي (مرآة الزمان)، واليونيني (ذيل مرآة الزمان)، بعضاً من المراجع التي استقى مؤرخنا معلوماته منها؛ ونقل عن اولئك المؤرخين، وتابع بعضهم كلمة بكلمة، وخاصة عن اليونيني، حيث ينقل عنه الكلمات والجمل.

كان الذهبي من اتباع المذهب السني، على مذهب الشافعي؛ ولذلك نجد انه في بعض الاحيان يرى الحوادث التاريخية ويفسرها من هذا المنظار الضيق. والكتاب بوجه عام تاريخ للاراضي السورية والمصرية، اكثر من اية جهة ثانية من الاقطار الاسلامية الاخرى. ومع ذلك فان تاريخ الاسلام للذهبي يشتمل على معلومات قيمة عن السلاجقة والمغول؛ وتزداد اهمية كتاب مؤرخنا هذا من حقيقة واحدة، وهي ان الذهبي كان قد نقل عن كتب معاصرة للاحداث التي كانت قد وقعت قبل الذهبي (عاصرها كتاب تلك المصادر)؛ والتي لم يعثر عليها، فاعتبرت من المراجع المفقودة. ومثل هذه المصادر ما كتبه ابن الساعي، وخاصة كتابه المفقود «الجامع المختصر» والمكون من ثلاثين مجلدة تقريباً. وكتاب «تاريخ الاسلام» ما يزال معظمه مخطوطة، وخاصة الفترة التي نحن بصددها.

الف الذهبي كتباً اخرى، مثل كتاب «دول الاسلام» و «العبر في اخبار من غبر»، و«تذكرة الحفاظ»، و« سير اعلام النبلاء»، و «المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الدبيثي»[1]

«تاريخ وصاف»

(٦٥٤ - ٧١٩ هـ/ ١٢٥٦ - ١٣١٩م)

هذا الكتاب معروف ايضاً بـ «كتاب تجربة الامصار وتزجية الاعصار»؛ واشتهر الكتاب في الاوساط التاريخية بـ «تاريخ وصاف». قام بتألفه شرف الدين (او [illegible]) عبد الله بن فضل الله المعروف بـ «وصاف الحضرة» مداح البلاط [illegible] او «المادح الملكي».

ذكر لنا [illegible] ـرة بان مؤلفه هذا هو ذيل على الكتاب الذي قام بتأليفه علاء الدين عطا [illegible] الجويني، المعروف بـ «جهانكشاى»؛ وان الحوادث التاريخية التي اوردها في كتابه هذا ما هي الا استمرار مباشر لحوادث كتاب الجويني. لهذا فقد شرع وصاف في تدوين كتابه من حيث انتهى سلفه ـ

(١) للحصول على معلومات اوفر عن الذهبي وكتابه هذا «تاريخ الاسلام» انظر/ ج. دو. سوموجي، تاريخ الاسلام للذهبي «مجلة الجمعية الاسيوية الملكية»، ١٩٣٢م، ص.ص: ٨١٥ - ٨٥٥.

الجويني ـ مواصلاً لتاريخ امبراطورية المغول، بوفاة «**منكو قاآن**»ـ الا انه كتب عن سقوط بغداد . ثم يواصل تاريخه عن «**الدولة الايلخانية**» ، حتى سنة ٧١٩ هـ/ ١٣١٩م .

يشتمل كتاب «**تاريخ وصاف**» ايضاً على معلومات (بشكل مختصر جداً) عن تاريخ امبراطورية المغول سابقاً ؛ وعن تاريخ الخوارزم شاهيين؛ وعن تاريخ الدولة الاسماعيلية (طائفة الاسماعيليين) ؛ حيث عاد هنا فنقل عن المعلومات التي اوردها الجويني نفسه .

يبدو ان منصب وصاف قد أثر ـ الى حد كبير ـ في اسلوبه في كتابة تاريخه هذا ؛ حيث كتبه باسلوب رنان جداً . كما ان المعلومات التاريخية قد جاءت مليئة بالسجع والطباق، وما شابه ذلك من المحسنات البديعية المضجرة ، تجعل القارىء يسأم من مواصلة القراءة .

كان وصاف الحضرة معاصراً للخان «**أولجايتو**» ووزيره المشهور «**رشيد الدين**»؛ وقد اهدى جزءً من كتابه الى هذين الرجلين في سنة ٧١٢ هـ/ ١٣١٢(١) . والكتاب فارسي اللغة وهو مطبوع.

«تاريخ بناكتي»

(٠٠٠ ـ ٧١٧ هـ/ ٠٠٠٠ ـ ١٣١٧م)

يعرف هذا المؤلَّف ايضاً بـ «**روضة اولي الالباب في معرفة التواريخ والانساب**»؛ وقد الفه فخر الدين ابي سليمان بناكتي، الذي توفي في سنة ٧٣٠ هـ/ ١٣٢٩ ـ ١٣٣٠م.

كتب تاريخ بناكتي في التاريخ العام حيث طرق صاحبه فيه التاريخ منذ ان خلق الله العالم وحتى الحاكم الايلخاني «**ابو سعيد**» سنة ٧١٧ هـ/ ١٣١٧ م حيث يروي ـ باختصار شديد جداً ـ تاريخ جميع الأمم، مسلمين وغير

---

(١) انظر مقدمة الاستاذ عبد المحمد آيتي للكتاب .

مسلمين ، كاليهود، والمسيحيين والهنود ، والقراخطائيين ، والمغول . ويقع الكتاب في تسعة فصول .

لم يكن الكتاب ، برغم ذلك، غاية في الاختصار فقط ، بل ان صاحبه اعتمد اعتماداً كبيراً على كتاب «جامع التواريخ» لرشيد الدين مع اضافة ملاحق غير مهمة ، وهو فارسي اللغة ومحقق ، ومطبوع .

«تاريخ - ى - گزيده»
(٠٠٠ - ٧٤٤ هـ/ ٠٠٠٠ - ١٣٤٣ - ١٣٤٤م)

قام بتأليف هذا الكتاب حمد الله بن ابي بكر احمد بن ناصر القزويني والمعروف بـ المستوفي (اي محصل الضرائب والخراج)، وذلك في سنة ٧٣٠ هـ/ ١٣٣٠م. كما هو واضح من اسم المؤلف، كان مستوفياً ، اي محاسب ، او جابي للخراج في خدمة الحاكم الايلخاني في ايران «ابو سعيد».

الف كتاب تاريخ - ى - گزيدة (اي التاريخ المنتخب) في التاريخ العام ؛ ومثله في ذلك مثل كتاب بناكتي ، يشتمل على تاريخ امم وشعوب ، منذ خلق الله العالم حتى سنة ٧٤٤ هـ / ١٣٤٣ - ١٣٤٤ م . والكتاب شديد الاختصار ، وقليل الاهمية ؛ مع بعض الفصول الاضافية . وهذه الاضافات ذات قيمة قليلة جداً . يقع الكتاب في فاتحة ، وستة ابواب وخاتمة .

ألّف المستوفي القزويني كتاباً آخر في الجغرافيا بعنوان « نزهة القلوب » ، في سنة ٧٤٠ هـ / ١٣٣٩ م ؛ حيث جمع معلوماته التي اوردها في هذا الكتاب من الكتب الجغرافية السابقة مع بعض الاضافات التي جمعها هو ، بحكم وظيفته الّتي تحتم عليه التنقل لجباية الضرائب . كما انشأ مؤرخنا وجغرافينا هـذا رسالة ،او بحثا في الشعر «ملحمة شعرية بمعنى ادق»بعنوان «ظفر نامه»اي« كتاب اورسالة النصر » ؛وتعتبر تكملة للملحمةالشعرية العظيمة التي انشأها الشاعر الفارسي العظيم الفردوسي.وتشتمل ملحمة «ظفر نامه» على خمسة وسبعين الف بيت شعري ،بحيث سرد في الخمسة والعشرين الف بيت الاولى تاريخ العرب ؛ بينما

اشتملت العشرون الف بيت الاخرى على تاريخ ايران ؛ كما روت ، الثلاثون الف بيت الاخيرة تاريخ **المغول**، حتى وقت المؤلف ـ أيام السلطان « **ابو سعيد الايلخاني** »[1] .

بالاضافة الى **هذه** المراجع التي بحثناها في الصفحات السابقة، فقد حالفنا الحظ كثيراً، حيث استطعنا ان نطلع على مراجع وتقارير كتبت اصلاً بلغات اخرى (غير التي نعرفها) كالصينية، والجرجانية والسريانية، واللاتينية، والروسية؛ حيث اسعفنا الحظ ووجدنا بعض تلك المصادر ترجمت الى اللغة الفارسية او اللغة الانجليزية، وقد قام بذلك اساتذة ايرانيون ، أو مستشرقون . وقد اشرنا الى ذلك في الحواشي وفي قائمة المراجع في اخر هذا البحث .

---

(١) لمعلومات اوفر عن القزويني، انظر مقدمة نوائي، للطبعة الفارسية؛ ومقدمة الاستاذ الدكتور، اى. ج براون للطبعةوالترجمةالانجليزية ؛ ج. لوسترنج ، القسم الجغرافي من كتاب نزهة القلوب ؛ ج. أ. بويل، بمنى الملاحظات الاضافية حول الاسماء المغولية في تاريخ الامة ذات الافواس ؛ بحوث في اللغات الطائية ؛ بودابست، ١٩٧٥م، ص.ص: ٣٣ـ ٤٢.



الفصل الأول

جنكيزخان والقوى التي حاولت مجابهة المغول لتكوين امبراطوريتهم

التعريف بالمغول وتحديد موطنهم الأصلي

أ ـ التعريف بالمغول

ظهر المغول على مسرح أحداث التاريخ العالمي في أواخر القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، ثم برزوا، كقوة عالمية ذات شهرة دولية واسعة النطاق خارج نطاق موطنهم الأصلي ـ منغوليا في خلال العقدين الاول والثاني من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي. وقد استطاعوا ان يؤسسوا لهم اكبر امبراطورية عالمية عرفها تاريخ البشرية في أقصر مدة، حيث تكونت امبراطوريتهم الواسعة الأرجاء، والمترامية الأطراف في خلال الثلاثة عقود الأخرى التي تلت. فقد امتدت دولتهم وشمل نفوذهم الأراضي الممتدة من الجزر اليابانية والمحيط الهادي شرقاً الى قلب القارة الأوروبية غرباً، ومن سيبيريا وبحر البلطيق شمالاً الى الحدود الشمالية للجزيرة العربية وبلاد الشام وفلسطين جنوباً.

ولقد عرَّفهم مؤرخونا، العرب منهم على وجه الخصوص ـ والذين عاصروا أحداث ظهور المغول وغزواتهم للعالم الاسلامي، بأنهم هم «التتر أو التتار». وقد نهج منهجهم من جاء بعدهم من المؤرخين، بل وحتى الأغلبية من مؤرخي المغول في عصرنا الحاضر. على أن هذه التسمية الخاطئة لم تقتصر فقط على المؤرخين المسلمين من العرب، بل وسار على ذلك التعريف الخاطىء المؤرخون والرحالة الأوروبيون الأقدمون منهم على وجه التخصيص. إلا أن المؤرخين الأوروبيين المستشرقين الكبار، أمثال بريتسكنيدر وبارثولد الروسيين، وسبولر الألماني وبويل الانجليزي وغيرهم، عرفوا الفرق بين التتر والمغول، وذلك من خلال ما كتبه المؤرخ المسلم الفارسي العظيم رشيد الدين الوزير ـ

وخاصةما كتبه في كتابه العالمي المشهور «جامع التواريخ»، ثم مما كتبه المؤرخون الصينيون، والتي ترجمت كتبهم الى بعض اللغات الأوروبية الحديثة، كالروسية، الألمانية، والفرنسية، والانجليزية. كما عرف المستشرقون ذلك أيضاً من ما كتب باللغة المغولية، ويتمثل ذلك بصورة رئيسية في الكتاب المعروف بـ «التاريخ السري للمغول أو تاريخ المغول السري».

بناءً على هذا، نجد ان المغول شيء والتتر شيء آخر. ويمكن ان توجد صلة تعريفية بين الاسمين ـ المغول والتتر ـ فنقول، بكلمات مختصرة: ان التتر مغول، ولكن ليس المغول تتراً. فالتتر شعبة متفرعة من المغول، وليس المغول فرع من التتر؛ فالأصل هنا هم المغول، وليس الأصل التتر. وعلى الرغم من ان التتر تفرعوا اصلاً من المغول، وأصبح لهم دولة مستقلة ـ سيطرت على المغول حقبة من الزمن ـ الا أنه في الفترة التي نتكلم عنها الآن، وكما سيرد معنا ان شاء الله، جاء المغول تحت زعامة جنكيز خان، فهزموا التتر، فقتلوا رجالهم، وسبوا انساءهم واسترقوا أطفالهم. ولهذا نجد أن التتر قد تلاشوا على يد الزعيم المغولي العظيم، وأصبح المغول هم أصحاب الدولة، والغلبة؛ فأسسوا امبراطورية لهم عرفت في التاريخ بالمغول، وليس بالتتر.

ب ـ مواطن المغول الأصلي

عاش المغول على ضفاف نهري أونون وكِرُولِنْ، اللذان يقعا الى الشمال من صحراء جوبي؛ كما شمل تجوالهم المناطق الواقعة حوالي بحيرة بيكال. ولذلك كانت هذه المناطق هي الوطن الأصلي للمغول. وفي الوقت الحاضر أصبحت تلك المناطق تقع ضمن أراضي ثلاث دول مختلفة هي دولة منغوليا، أو جمهورية منغوليا، وجمهورية الصين، وجمهوريات روسيا الاشتراكية. فيمثل اقليم «تشيتا» جزءً من أراضي الدولة الروسية؛ كما تحتل الدولة المغولية الحالية جزءً كبيراً من موطن المغول الأصلي؛ وتحتل دولة جمهورية الصين الشيوعية اقليم منغوليا الداخلي، المتمتع بالحكم الذاتي[1].

---

(١) حول هذا الموضوع انظر: ن. پوپ، حول بعض الأسماء الجغرافية الواردة في جامع التواريخ، مجلة هارفرد للدراسات الأسيوية، ١٩٥٦ م، مجلد ١٩، ١ ـ ٢، ص. ص: ٣٣ ـ ٤١، ص: =

أما من ناحية المناخ في موطن المغول، فهو مناخ متطرف جداً، فهو شديد التباين في درجات الحرارة بين الليل والنهار ، والصيف والشتاء . فهو قارص ومتجمد في فصل الشتاء ، ومحرق في شهور فصل الصيف[1].

أما ما يخص طريقة معيشتهم ونظام حياتهم ، فان المغول كانوا أصحاب مجتمع بدوي . عاشوا على النظام القبلي ، على غرار النظام الذي كانت تعيشه القبائل العربية في الجزيرة العربية . حيث كانت كل قبيلة مغولية تعيش حياة التنقل والترحال ، وراء الكلأ ، كما كانت كل قبيلة تعيش مستقلة عن غيرها من القبائل المغولية الأخرى . وفيما يخص هذا الموضوع يحدثنا رشيد الدين ، المؤرخ العالمي العظيم، بالتفصيل عن مختلف الأجناس ، التركية والمغولية والتترية . كما يحدثنا عن أقسام تلك الأجناس، وقبائلها ، وفخوذها ، وبطونها ؛ ويحدثنا ايضاً عن صلة كل قبيلة أو فخذ أو بطن ، بغيرها من القبائل ، والفخوذ والبطون الأخرى . وكذلك يتكلم عن أساطير وسلسلة أنساب تلك القبائل . وتمثل هذه المعلومات التفصيلية الفصل الأول من القسم الأول من كتابه المشهور «جامع التواريخ» . وحسب معلوماتنا الخاصة ، فان هذه التفاصيل ، عن المغول ومختلف شعبهم وقبائلهم ، لا توجد في أي مرجع قديم معاصر أو غير معاصر . فقد اختص رشيد الدين، حسب ما نعرف، بهذه المعلومات الضافية دون غيره من المؤرخين[2]

=٣٣ ؛ ج .أ. بويل ، المقدمة الطويلة ل : «زيجي ايلخاني» لنصير الدين الطوسي ، في مجلة الدراسات السامية ، ١٩٦٣ م، مجلد ٨ ص . ص : ٢٤٤ ـ ٢٥٤ ، ص : ٢٤٩ ، والحاشية رقم ١ بالذات .

(١) انظر : جون بلانو كربيني ، تاريخ المغول ، تحقيق دوسون . ص . ٥ ؛ ووكر ، جنكيز خان ، ص . ص : ١٢ ـ ١٥ ؛ هارت ، قادة عظام ، ص : ٤ ؛ ف. بتروف، منغوليا ، ص . ص : ١٣ـ ١٥ . ويمكن قراءة وصفاً حياً لمناخ منغوليا في كتاب «منغوليا، في البحث عن ماركوپولو ومغامرين آخرين» ل: سيلڤيو ميتشلي ، ترجمه من الايطالية الى الانجليزية بروس بنمان ، لندن ، ١٩٦٧ م في كل صفحات الكتاب ؛ انظر ايضاً : /. كَروسّت ، نهوض وعظمة امبراطورية الصين ، لندن ، ١٩٥٢م ، ص : ٢٢ .

(٢) رشيد الدين ، جامع التواريخ ، جـ ١/ ص . ص: ٢٥ ـ ١٦١ . وقد حقق وترجم هذا القسم من كتاب رشيد الدين الى الانجليزية د. مولدر، وقدمه للحصول على درجة الدكتوراه من جامعة لندن سنة ١٩٥٧م . انظر ايضاً ، كَريكَور الأكانكي ، تاريخ الأمة ذات الأقواس «المغول» تحقيق وترجمة ر. ب. بليك و ر. ن. فري ، مطبعة جامعة هارفرد ، ١٩٥٤م، ص . ص: ١٧ ـ ١٨ .

كان النقص في المراعي ، وقلة الماء ، ونفاد الطعام ، كل هذه كانت أسباباً تقود الى التنافس بين القبائل المغولية ؛ وهذا بدوره يؤدي الى حروب طاحنة ومريرة . وفي حقيقة الأمر فان الرجل المغولي كان يغضب ويثور لاتفه الأسباب[1] .

---

(١) لتفاصيل أوسع انظر : الجويني ، جهانكشاي ، جـ ١ ، ص : ١٥ ، الترجمة الانجليزية ، جـ ١/ص : ٢١ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٩/ ص : ٣٣٠ ؛ بارهبريوس . كريكوري أبو الفرج الملطي ، كرونكرا في ، ترجمه من السريانية الى الإنجليزية اي . أ. ووليس . مطبعة جامعة اكسفورد ، لندن ١٩٣٢م ، جـ ١/ ص : ٣٥٢ ؛ كيراكوس الكنجاك ، وصف مختصر لظهور تاتار ، حققه ووضع حواشيه ، ج . أ ، بويل بعنوان كيراكوس الكنجاك عن المغول ، المجلة الأسيوية المركزية ، ١٩٦٣ م جـ ٨/٣ ، ص . ص : ١٩٩ ـ ٢١٤ ، ص . ص : ٢٠٠ ـ ٢٠٣ ، وحاشية رقم ١٥ ؛ ڤلاديميرستوف ، نظام اجتماعي المغول ، الاقطاعية البدوية ، ترجمه من الروسية الى الفارسية د/ شيرين بياني ، طهران ١٩٦٧م ١٣٤٥ هـ . ش ، ص . ص : ٦٣ ـ ٦٨ ؛ سايكس ، تاريخ ايران ، طهران ، ١٣٣٠ هـ . ش (تُرجم أصلاً الى الفارسية من الطبعة الانجليزية ، طبع باكسفورد عام ١٩٢٢م، جـ ٢/ ص : ٩٨) ؛ ووكر ، جنكيز خان ، ص . ص : ١٦ ـ ٢٠ ؛ بلانو الكربيني ، تاريخ المغول ، تحقيق دوسون ، ص . ص : ٤٤ ـ ٤٥ ؛ كريكور اقانتجي ، تاريخ الأمة ذات الأقواس (المغول) ص . ص : ٢٧ ـ ٢٩ ؛ رس . د . التجوال البدوي في آسيا ، مجلة الجمعية الملكية للفنون مجلة جمعية (أو الفنون الملكية) ، ١٩٢٩ ، ص . ص : ٣٥ ـ ٤٥ .

جنكيز خان

أما الأصل الذي ينتمي اليه الشخص الذي نتلكم عنه في هذا الفصل (واسمه تيموجين، حيث عرف في التاريخ بـ « **جنكيز خان** ، **أو تشنكيز خان** ، **أو جنغيز خان** . . **الخ**) فيرجع أجداده في نسبهم الى قبيلة قيات ، والتي كانت قد انحدرت أصلاً من القبيلة المغولية* العظيمة «**بور جگين**» . ويحدثنا كل من رشيد الدين والمؤلف المجهول لكتاب «**التاريخ السري للمغول**» عن أجداد جنكيز خان، فيذكران بأنهم ينتمون أصلاً الى عائلة مالكة . حيث كانت رئاسة المغول قد أعطيت الى نسل أولئك الذين انحدروا من نسل السيدة «**آلآن قوءا**» تلك المرأة العاقلة، الذكية، الكيِّسة ، ذات الحسن والجمال . وحسب الروايات القديمة ، وما تناقلته الأساطير ، كانت (يوماً ما) رئاسة القبائل المغولية منحصرة في شخصيات معينة من نسل تلك السيدة، ذات النسب الحاكم . فورثوا حكم ورئاسة هذه القبائل ، واحد بعد واحد ، حتى جاءت الرئاسة الى السلسلة التي ينحدر منها يسوگاي، والد تيموجين ، أو جنكيز خان[1] .

أما المكان الذي ولد فيه جنكيز خان ، فقد كان ذلك الموقع الذي يسمى «**ديلون بولداق**» ويقع هذا المكان في المجرى السفلى لنهر «**أونون**»[2]

أما تاريخ ميلاده فمختلف في ذلك اختلافاً بيناً بين المؤرخين الأول ،

---

(١) تاريخ المغول السري ، الترجمة الفارسية من الطبعة الفرنسية (باريس ، ١٩٤٩) ترجمتها د/ شيريني بياني ، طهران ، ١٣٥٠ هـ . ش ، جـ ١/ ص . ص : ٥ ـ ١٦ ؛ رشيد الدين ، جامع التواريخ ، جـ ١/ ص . ص : ١٧١ ـ ١٧٢ .

(٢) انظر : ن ـ پوپ ، مجلة هارفرد للدراسات الأسيوية ، ١٩٥٦ م ص : ٣٥ ، حاشية ٨ . حيث كتبها دايرن بولداق .

الفرس والصينيين ؛ ونتيجة لهذا الاختلاف بين المصادر الأولية فقد اختلف مؤرخو المغول في وقتنا الحاضر . فرواية المؤرخين المسلمين من الفرس تقول بأن تاريخ ميلاد جنكيز خان كان في وقت ما من أيام شهر ذي القعدة ؛ وبعضهم يحدد ذلك بأنه كان في العشرين من ذي القعدة ، من عام ٥٤٩ هـ ، والذي كان موافقاً لليوم السادس والعشرين من شهر يناير من سنة ١١٥٥ م[١] .

بناءً على ذلك فقد ذهب بعض مؤرخي المغول في وقتنا الحاضر مذهب المؤرخين المسلمين ممن كتب بالفارسية ، فأعتبروهم في وضع أفضل من غيرهم لمعرفة التفاصيل التاريخية حول هذا الموضوع ، وذلك لصلتهم القوية بالمغول ، وارتباطهم بهم وبادارة امبراطوريتهم منذ بداية تكوينها على يد مؤسسها العظيم جنكيز خان[٢] .

وهناك فريق آخر اعتبر ما ذهب اليه مؤرخو الصين هو الأقرب الى الصواب ، وذلك لقربهم مما كان يحدث على حدود أراضيهم الشمالية ، داخل منغوليا ؛ والقائل بأن تاريخ ميلاد جنكيز خان كان في شهر من شهور عام ١١٦٧ م ، والذي يقابل أحد أشهر سنة ٥٦٢ ـ ٥٦٣ للهجرة النبوية الشريفة[٣] .

الا أن المؤرخ المغولي ج . ج . ساووندرز يذكر ، خطأً ودون تحقيق ، بأن المؤرخ المسلم رشيد الدين ذكر أن تاريخ ميلاد جنكيز خان كان في سنة ١١٦٢م ، وهي السنة التي تقابل عام ٥٥٧ ـ ٥٥٨ هـ . الا أننا عندما راجعنا ما

---

(١) رشيد الدين ، جامع ، جـ ١/ص : ٢٣٣ ؛ بناكتي ، تاريخ ، ص : ٣٦٢ ؛ ومؤرخون مسلمون فرس آخرون أمثال : حافظ أبرو ، ومير خواند ، وخواند أمير .

(٢) انظر على سبيل المثال : ڤلاديميرستوف ، حياة جنكيز خان ، ص : ٨ ؛ م ، برودين ، الامبراطورية المغولية ، الترجمة الانجليزية ، لندن ، ١٩٤١ م ، ص : ٢٣ ؛ اسپولر ، تاريخ المغول ، ترجمه من الالمانية الى الانجليزية هلكا ، واستورت دروموند ، لندن ، ١٩٧٢ م ، ص : ١٩ ، وحاشية ٢ .

(٣) أنظر : ر . ك . دوگلاس ، حياة جنكيز خان ، ص : ٢١ ؛ ووكر ، جنكيز خان ، ص : ٣٣ ، حاشية رقم ١ ؛ الموسوعة الاسلامية ، مادة جنكيز خان ؛ ساووندرز ، تاريخ الفتوحات المغولية ، ص ٤٧ ؛ ك . كرسون ، النبحة المغوليه ، ص : ١٠ (في المقدمة) ؛ سايكس في ص : ٩٩ من كتابه « تاريخ ايران » يضع مولده في عام ١١٧٥ م .

كتبه رشيد الدين في هذا الخصوص ، نجد أن هذا المؤرخ لم يذكر ما ادعاه عنه المستشرق الانجليزي ساووندرز[1].

ومن المحتمل أن يكون جنكيز خان قد عاش ما يقرب من أربع وسبعين سنة ؛ وأنه ربما ولد في عام ٥٤٩ هـ/١١٥٤م، ومات في سنة ٦٢٤ هـ/١٢٢٧م. وقد اعتبرنا هنا رواية المؤرخين المسلمين من الفرس هي أقرب الى الصواب، وذلك ـ كما قلنا ـ لالتصاقهم بالمغول منذ المراحل الأولى من تكوين الامبراطورية المغولية .

توفي يسوكاي ، والد جنكيز خان ، في حوالي عام ٥٦٢ هـ/ ١١٦٥م من آثار السم الذي دسه له جماعة من التتر في سفرة من سفراته . فما أن وصل رحاله حتى شارف على الموت ، فمات بعد مدة وجيزة . وقد كانت وفاته بمثابة كارثة وقعت على أسرته ، أنزلت أفراد هذه العائلة من مرتبة الأسرة التي تتزعم القبيلة وترأسها ، الى أسرة تعيش عيشة بائسة فقيرة فقراً مدقعاً ؛ وفي عوز وفاقة شديدين . فقد أصبح في وقت من الأوقات قوت أفراد هذه الأسرة اليومي يتكون من البصل البري ؛ وما قد يجود به الحظ من صيد الأسماك النهرية من نهري أونون وكِروُلنْ ، ومن صيد بعض الطيور[2]. وقد نجحت والدة جنكيز خان ، «هو آلون أوجين»، بعد أن هجرتها قبيلتها بعد وفاة زوجها ، أن تلم شمث الأسرة ، وأن تخرج بها من هذه المحنة والفاقة ؛ حتى جاء وقت أصبحت أسرتها ـ بقيادة ابنها الأكبر جنكيز خان ـ حليفة لقبيلة كيرايت . وهذه القبيلة هي إحدى القبائل التركية الأصل ، والتي كانت تقطن منغوليا . ومقارنة بالقبائل المغولية الأخرى نجد أن قبيلة كيرايت هذه ، والتي كانت تحت زعامة شخص يسمى طغرل خان ، والذي أصبح معروفاً في التاريخ بـ «أونك خان» من أكبر وأقوى تلك القبائل . لذلك فقد كان انتهاء جنكيز خان بـ «أونك

---

(١) ساوندرز ، تاريخ الفتوحات المغولية ، ص ٢١١ ، حاشية ٧ ؛ انظر رشيد الدين، جامع . ١ جـ ١/ ص . ص . ٣٣ ، ٢٤٠ ، ٣٣٦.

(٢) انظر : تاريخ المغول السري ، الترجمة الانجليزية ، ص : ٢٢٦، الترجمة الفارسية ، جـ ١/ ص ص : ٢٤ ، ٢٥.

خان»، وحلفه مع قبيلته كيرايت، يمثل الخطوة الأولى في مسيرته نحو تكوين مجده العظيم في المستقبل[1].

وسوف نخصص بقية هذا الفصل في الكلام عن القوى الكبرى، قبائل ودول، التي كانت مجاورة لموطن المغول الأصلي، عن مقر سكناها، ومناطق نفوذها؛ ثم نتكلم بشيء من التفصيل، عن كيفية تغلب جنكيز خان على هذه القبائل وتلك الدول، وعن الظروف والملابسات التي اكتنفت صراعها مع المغول؛ ذلك الصراع وتلك الحروب الطاحنة التي انتهت بزوال تلك الدول والقبائل، وانضمام أراضيها، بصورة نهائية تحت سلطة وادارة ونفوذ المغول. فأصبحت بعد ذلك جزءً لا يتجزأ من امبراطوريتهم الواسعة الأرجاء، والمترامية الأطراف.

---

(١) المرجع السابق، الترجمة الانجليزية، ص. ص: ٢٣٥ - ٢٣٧.

قبيلة كيرايت

يحدثنا رشيد الدين بالتفصيل عن قبيلة كيرايت ، فيذكر لنا جنسها الذي تنتمي اليه ؛ ويعدد لنا فخوذها ، وبطونها الرئيسية ، كما يذكر لنا المناطق التي كانت تعتبرها أراضي مخصوصة لها دون غيرها من القبائل المغولية الأخرى ، ترعى كلاها وتشرب ماءها[1].

ولقد عاشت هذه القبيلة الكبيرة على ضفاف نهري «**أور خان**» و «**تؤولا**»، واللذان يقعا في الوقت الحاضر في اقليم «**أولان باتور**»،والذي فيه عاصمة الدولة المغولية الحديثة . وقد سمى كاتب «**التاريخ السري للمغول**» أراضي ومناطق تجوال هذه القبيلة بـ «**الغابة السوداء**»، والتي حددها بالأراضي الواقعة بين «**جبال خانجاى وكنتاى**». وعلى وجه العموم، فقد كان لهذه القبيلة منطقتان رئيسيتان لرعي دوابهم ومواشيهم ، التي كانت تمثل العمود الفقري لحياتهم ، احدى هذه المناطق الرعوية تجوبها القبيلة ، في وقت الصيف ، وتقع الى الجهات الشمالية من مناطق نفوذها ـ وأخرى للرعي في شهور فصل الشتاء ـ وهي النواحي الجنوبية من بلادها[2].

أما اللقب الذي تسمى به رئيس هذه القبيلة فهو « **أونك خان**»، أو « **وانك خان**» حيث منحه اياه بعض كبار الموظفين الصينيين ، اعترافاً منهم

---

(۱) رشيد الدين، جامع، جـ ۱/ ص. ص: ۸۷ ـ ۹۵.

(۲) التاريخ السري للمغول ، الترجمة الفارسية ، جـ۱/ ص : ۳٤ ؛ ج.أ. بويل ، أراضى المخيمات لقبيلة كيرايت في الصيف والشتاء ، المجلة الأسيوية المركزية ، جـ ۳/ ۱۷، ص. ص: ۱۰۸ ـ ۱۱۰ .

بفضل هذا السيد ؛ وما أبلاه في حروبهم ضد قبائل التتر ، التي حاولت ان نتمرد على حكومة الصين . فقد كان له فضل كبير ـ كما سيرد معنا ـ في مساعدة جيش حكومة بكين ، الذي كان قد ارسل في حملة تأديبية ضد التتر[1].

أما معتقدات هذه القبيلة، فقد كانت، حسب رواية رشيد الدين، هي الديانة المسيحية على المذهب النسطوري ، حيث كانت هذه الديانة قد تغلغلت في أواسط قارة آسيا في وقت مبكرٍ جداً ، أي في حوالي القرن الأول الهجري / السابع الميلادي . وقد كان هذا المذهب النسطوري هو صاحب الغلبة والمعتقد الديني المسيطر في هذه الأقسام من قارة آسيا[2].

ولقد كان زئيس قبيلة الكيرايت هذه هو الذي سماه الرحالة الاوربيون **«أونـك خان»**، وادعـوا بـأنـه ذلـك الملك المسيحي العـظيم المسمى بـ : **«بريسترجون»** ونسجوا حوله الأساطير ؛ وجعلوا منه ذلك الحاكم المسيحي ، ذو النفوذ الواسع وصاحب تلك الامبراطورية المترامية الأطراف في الشرق . وهو الذي أخضع «التتر» (وهذا الاسم هو الذي كانوا يطلقونه على المغول والتتر على السواء دون تفريق) وأجبرهم على أن يؤدوا له ضريبة سنوية ، تتمثل في دفع رأس واحد من حيواناتهم عن كل عشرة رؤوس . وقد كبرت هذه الشائعات وانتشرت في الأوساط الأوروبية عن هذا الحاكم المسيحي في وسط آسيا[3].

---

(١) رشيد الدين ، جامع .، جـ ١/ ص : ٩٠ ؛ الجويني ، جهانكشاى ، جـ١/ ص. ص: ٢٥ ـ ٢٩ ، الترجمة الانجليزية ، جـ ١/ ص : ٣٥ ، انظر الحاشية رقم ٥ ؛ دورا شيويلتز ، البعثات البابوية الى بلاط الخانات العظام ، لندن ، ١٩٧١ ، ص : ٣٣ ؛ مارتن ، بروز جنكيز خان وفتوحاته لشمال الصين ، لندن ١٩٥٠ م ، ص : ٢٣٨ ، عن حياة جنكيز خان الاولى ، انظر التاريخ السري للمغول الترجمة الانجليزية ، ص : ٢٥٦ وبعدها .

(٢) رشيد الدين ، جامع .، جـ ١/ ص : ٨٧ ؛ دوراتشيويلتز ، البعثات .، ص : ٣٣ ؛ مارتن، بروز جنكيز خان ، ص : ٦٩ .

(٣) جون بلانو الكربيني، تاريخ .، تحقيق دوسون ، ص : ٢٢ ؛ والروبروكي، رحلة ويليم الروبروكي الى القسم الشرقي من العالم (الرحلة.) تحقيق دوسون ، ص : ١٢٢ ؛ ووكر ، جنكيز خان، ص : ٣٤ ؛ پولو، رحلات ماركوپولو ، الطبعة الانجليزية ، ص : ٧٨ ؛ ولمعلومات اضافية عن بريسترجون انظر : روس ، بريسترجون وامبراطورية اثيوبيا في كتاب الرحلة والرحالون في العصور الوسطى ، تحرير نيوتون، لندن، ١٩٣٠م، ص . ص : ١٧٤ ـ ١٩٤ .

أما الروايات الفارسية عن «أونْك خان» فتقوم على أساس ما رواه لنا الجويني حول خان قبيلة كيرايت . فيروي لنا الجويني أن «أونْك خان» كان أكبر وأقوى حاكم بين حكام قبائل المغول في هذا الوقت ، وذلك من حيث عدد الرجال القادرين على حمل السلاح والحرب ، ثم من حيث عدة الحرب وعتادها . وكان ذا مجد تليد ومنعة وجاه عظيمين[1].

الا أننا عندما نرجع الى ما رواه لنا المؤرخ المغولي المجهول ، صاحب كتاب التاريخ السري للمغول، فإننا نستطيع أن نستنتج ان « اونْك خان » هذا لم يكن من القوةوالجاه بما وصفه به الرحالة الغربيون، أو الجويني، ومن قال بقولهم من المؤرخين المسلمين للفرس . فيروي لنا مؤلف التاريخ السري ، انه عندما ذهب جنكيز خان الى «أونْكَ خان» يستنجد به (بعد حلفه معه) لمساعدته ضد قبيلة مغولية أخرى هي «المركيت» لم يكن باستطاعته وحده أن يعين حليفه لاسترجاع الزوجة التي اختطفها منه رئيس قبيلة «المركيت» في غارة ليلية مفاجئة . فلم يكن في مقدور «أونْكَ خان» تجهيز العدد اللازم من الرجال لرد عادية المركيت على حليفه الجديد الشاب . ولولا مساعدة «جاموقه» (وهو رئيس قبيلة مغولية أخرى تسمى «جاجيرات» يبدو انه كان من المستحيل على «أونْكَ خان» أن يمد يد العون الى حليفه ، ويستعيد زوجته من مختطفيها . كما أن هناك حادثة أخرى يرويها لنا نفس المؤلف ، حيث يقول أن «أونْك خان» نفسه كان قد هاجمته قبيلة «النيمان» الشرقية (وهي احدى القبائل التركية التي كانت تعيش الى الغرب والشمال الغربي من صحراء جوبي ، وسيرد معنا ذكرها ، وسنشرح عنها أكثر فيما بعد) فأسرت زوجته وولده ، كما أسرت معظم رجال قبيلته واسترقتهم، وأخذت عليه جميع مواشيه ودوابه . ولو لم يساعده جنكيز خان ، لاستعادة ما أخذمنه وفك اسر زوجته وولده ورجال قبيلته المأسورين، لما استطاع «أونْكَ خان» فعل ذلك بنفسه ؛ كما أعانه جنكيز خان في استعادة سلطته على قبيلته[2] .

---

(١) الجويني ، جهانكشاى ، جـ ١/ ص : ٢٦ ، الترجمة الانجليزية ، جـ ١/ ص ٣٥

(٢) التاريخ السري ، الترجمة الانجليزية ، ص . ص: ٢٣٧ ، ٢٦٠ - ٢٦١ .

ويروي لنا المؤرخون أن حُسْنَ الجوار، والعلاقات الطيبة التي كانت تربط بين الحليفين (جنكيز خان و «أونك خان») كانت ترجع اساساً الى أيام «يسوگاي»، والد جنكيز حان فيروي لنا مؤلف التاريخ السري بداية هذه العلاقات الحسنة . فيذكر بأن الطريقة التي أصبح فيها ، منذ سنوات طويلة خلت ، كل من «يسوگاي»و «أونك خان» أخوين بالميثاق كانت كما يلي : أقدم «أونك خان» على قتل عدد من اخوته وأقربائه (على ما يبدو للوصول الى الحكم والحفاظ على مشيخة القبيلة تحت رئاسته)، وقد نجى أحد أعمامه ، ويدعى «گورخان»، وهو الأخ الأصغر لأبي «أونك خان»، فأخذ على عاتقه مهمة الانتقام لذويه من «أونك خان» . وقد استطاع «گورخان» أن يهزم ابن اخيه وأن يلاحقه الى جبال خرؤن . الا ان «أونك خان» هذا استطاع في النهاية ان ينجو بجلده ، وأن يلتجيء الى مضارب «يسوگاي» ومعه مائة من رجاله فقط . وقد استعان «أونك خان» «بيسوگاي بهادر»، الذي جمع رجاله وسار ضد «گورخان» وهزمه وألجأه الى الهرب . فتعقبه حتى أجبره الى اللجوء الى أراضي مملكة هسي ـ هسيا (التانگوت)والتي كانت إحدى الممالك التي تنتمي الى أصل صيني وتسكن مناطق جبال التبت الى الجنوب الغربي من صحراء جوبي). وبمساعدة «يسوگاي بهادر» استطاع «أونك خان» لا أن ينجو من الموت فقط ، بل ويستعيد سيادته ، ومشيخة قبيلة «كيرايت». فكانت هذه الحادثة السبب الرئيسي لكي يصبح «أونك خان» و «يسوگاي بهادر» أخوين بالميثاق ثم أن يقبل «أونك خان» الشيخ جنكيز خان حليفاً له فيما بعد[1] .

وحّد «أونك خان» وجنكيز خان قواتهما وأصبحا يعيشان في منطقة واحدة ومضارب خيامهم تحتل أرضاً واحدة ، فأصبحت علاقتهما كعلاقة الابن بأبيه . أما حلفهما العسكري فكان موجهاً بالدرجة الاولى ضد «التتر»، و «والمركيت» ومملكتي «النيمان» الشرقية منها بوجه خاص . أما فيما يتعلق بقبائل «التتر» و المركيت»، فقد كانوا اعداء ألداء قديمين لجنكيز خان وأسلافه من قبله . وقد كان

---

(١) المصدر السابق ، ص . ص: ٢٥٥ ـ ٢٥٦ ؛ انظر رشيد الدين ، جامع ، ، جـ ١/ ص : ٢٦٦ .

عداؤهم مستحكماً، وله جذوره العميقة على مدى العصور التاريخية السابقة . فهم الأعداء التقليديون لقبيلة جنكيز خان «**بور جكين**» المغولية على وجه الخصوص . فقد كانت الحروب طاحنة بين المغول و «**التتر**»، على مستوى كبير وصغير، حتى ولو كان الهجوم على نفر واحد ؛ وعلى سبيل المثال فقد باغت «**المركيت**» جنكيز خان، وأخذوا منه عروسته «**بُرته**» غصباً، ولم يستنقذها من مختطفيها الا بعد ان أصبح حليفاً لـ : «**أونك خان**»، فأعانه ذلك واستعاد زوجته[1] .

المركيت

وقد كانت مناطق سكنى قبائل «**المركيت**» هي السواحل الجنوبية والشرقية من «**بحيرة بيكال**»، والمناطق الواقعة في وسط وأسفل نهر سِلِنْكا ؛ وقد كانت رئاسة قبائل «**المركيت**» في يد شخص يدعى «**توقوتا بيكي**». أما من حيث القوة والمنعة، وكثرة الرجال فقد وصف لنا كل ذلك رشيد الدين، على أنهم كانوا يعتبرون من أكثر القبائل المغولية شهرة بكثرة عددها ووفرة عدتها وعتادها ؛ وانها كثيرة الأحلاف الذين تستطيع أن تستند اليهم اوقات الحروب[2].

أما قبائل «**التتر**» فقد كانت مناطق سكناهم وتجوالهم هي المناطق الغربية من نهر كِرُولِن، والنواحي القريبة والمحيطة بـ «**بوير نئور**» أي بحيرة بوير[3] .

(١) التاريخ السري . الترجمة الانجليزية، ص : ٢٣٧، الترجمة الفارسية، جـ ١/ ص.ص: ١٩ ـ ٢٠ ؛ رشيد الدين، جامع .، جـ١/ ص : ٢٣٣ ؛ برودين، الامبراطورية المغولية، ص : ٢٧ .

(٢) رشيد الدين، جامع .، جـ ١/ ص : ٧١ ؛ ولمعلومات اضافية عن هذه القبيلة انظر : نفس المرجع ص . ص: ٧١ ـ ٧٥.

(٣) عن المغول والتتر، انظر: رشيد الدين، جامع .، جـ ١/ ص.ص: ٥٧ ـ ٧٠، انظر ايضاً ڤيلاديمير إستوڤ، حياة جنكيز خان، ص : ٤١ ، ووكر، جنكيز خان، ص : ٣٤.

حروب جنكيز خان وبداية توحيد القبائل تحت زعامته

ولعل أول حرب اشترك فيها جنكيز خان مع حليفه «أونَك خان» هي تلك التي شنوها على قبائل «التتر» في حدود عام ٥٩٣ هـ/ ١١٩٦ ـ ١١٩٧م. اذ يروي لنا مؤلف التاريخ السري للمغول أن «التتر» كانوا قد استثاروا غضب السلطة الصينية من أسرة «تشن» أو(كِنْ) الذهبية . فقد تحدوا هذه الامبراطورية بامتناعهم عن دفع الضريبة المعتادة المفروضة عليهم . وهنا أرسلت حكومة «تشن» حملة عسكرية تأديبية ضدهم بقيادة الجنرال الأمير «تشينَك سَنَك»[1].

وهنا اغتنم جنيكز خان هذه فرصة طيبة ضد «التتر»، فأراد أن يثأر منهم أولاً : لدم عمه «إينگای خان»؛ حيث كان قد تآمر عليه «التتر» فقبضوا عليه وسلموه غدراً الى حكومة الصين التي قتلته تعذيباً . ثانياً : كان جنكيز خان يتوق ويتحرق شوقاً للانتقام من «التتر» لقتلهم والده الذي دس له السم مجموعة منهم في طعام قدموه له أثناء تعريجه بهم في احدى سفراته . وقد تقم الحليفان، «اونَك خان» وجنكيز خان ، بقواتهما جنباً الى جنب مع القوات الصينية فهزموا التتر»، وانتقم جنكيز خان لعمه وأبيه .

وقد كان لهذه الحرب بالذات أهمية قصوى بالنسبة للقائد المغولي الشاب . فقد منحته فرصة طيبة لكي يحتك بالعالم الخارجي عن نطاق منغوليا ، وكسب خبرة عن قتال القوات الصينية ، تلك الخبرة التي لا شك افادته في حروبه المقبلة

---

(١) ارثر وولي ، (الترجمة الانجليزية لـ: التاريخ السري) ص : ٢٤٨ ، يذكر بأنه كان رئيس الوزراء الامير آن ، والذي أصبح معروفاً فيها بعد بـ : الامير « هسينا نكرده» .

معهم ، عندما غزاهم في عقر دارهم . ثم كان للدور الذي لعبه في هذه الحرب ضد «التتر» أهمية أخرى ، فقد كان أحد أعلامها ، فأبلى فيها بلاءً اثار اعجاب الأمير الصيني . فكان ذلك حافزاً قوياً لجنكيز خان لكي يحقق طموحه كقائد عسكري ، ورئيس تلوح بشائر العظمة على ملامحه . فزاد كل ذلك من شهرته خارج مجتمعه البدوي في منغوليا[1].

وقد كسب جنكيز خان مكاسب جمة ، مادية وغيرها . فالى جانب الغنائم والأسلاب التي غنمها من «التتر» فانه قد منح مثل حليفه ، لقباً جديداً ، لقبه به القائد الأمير الصيني وأجازته حكومة بكين في الصين، فقد لقبه بلقب **«جاووت قوري»** . ويترجم لنا رشيد الدين المعنى لهذا اللقب الجديد لجنكيز خان ، والذي كان معزوفاً ـ كما قلنا سابقاً بـ **«تيموجين»**، الأمير المعظم. أما اللقب الذي منح لحليفه **«أونّك خان»**، والذي كان معروفاً آنذاك بـ **«طغرل خان»** فقد كان **«أونات خان»** والذي شرح لنا معناه أيضاً رشيد الدين فقال بأنه يعني **«ملك ناحية»** أو **«حكام مقاطعة»**[2].

نعود الآن لبحث علاقة جنكيز خان مع حليفه **«أونّك خان»**، حيث نلاحظ ان تلك العلاقة الطيبة لم تدم طويلاً، وخاصة بعد المعركة التي اشتركا فيها مع الصينيين ضد «التتر». فَيُرْوَىٰ لنا أن جنكيز خان تقدم الى حليفه يخطب ابنته **«جاوور بيكّي»** لابنه الأكبر **«جوتشي خان»**. الا ان رئيس **«كيرايت»** رفض طلب حليفه ، على أساس عدم الكفاءة النسبية بينهما ـ رغم انهما حليفان . وقد روى ان هذا التصرف المتكبر والصلف من جانب «أونّك خان» تجاه حليفه المغولي

(١) رشيد الدين ، جامع .. ، جـ ١/ ص.ص: ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ؛ التاريخ السري ، الترجمة الفارسية جـ ١/ ص: ٦٤.

(٢) رشيد الدين، جامع .. ، جـ ١/ ص: ٢٥٠ ؛ وقد ترجم كلا اللقبين صاحب التاريخ السري (الترجمة الانجليزية ، في ص : ٢٤٨ كما يلي : «جاووت أوري» والذي منح لجنكيز خان على انها تعني «قائد أو مقدم مائة» أما اللقب الذي منح لـ: طغرل خان فقد كان يعني «أمير». وفي الترجمة الفارسية للتاريخ السري (جـ ١/ص : ٦٢) فان «أونات» التي عند رشيد الدين، قد ترجمها على انها «أونّك» وهذا على ما يبدو هو الصحيح، فقد أصبح طغرل معروفاً بـ«أونّك خان» . حول هذا الموضوع ، انظر ايضاً، ووكر ، جنكيز خان ص : ٣٤ ؛ بروديس ، الامبراطورية .. ، ص : ٥٥ ؛ وولي، في ترجمه للتاريخ السري ، ص . ٢٤٨ ؛ ساووندرز، تاريخ الفتوحات .. ، ص : ٥١ ؛ الموسوعة الاسلامية ، مادة جنكيز خان .

جنكيز خان ، كان هو السبب المباشر لركود العلاقات بينهما، وبداية النفور من بعضهما ، ومن ثم عدائهما ـ الذي قاد فيما بعد الى حرب بينهما[1] .

ويظهر لنا أنه رغم أن رفض «أونَك خان» تلبية مطلب حليفه كان قد زاد من حدة التوتر في علاقتهما ، الا أنه لم يكن السبب الرئيسي والمباشر لنشوب العداء ، ثم الحرب بينهما . لأننا لو رجعنا الى الوراء قليلاً ، وبحثنا مدى صدق واخلاص كل من الحليفين تجاه بعضهما ، لوجدنا أن ذلك كان ظاهرياً أكثر مما كان باطنياً . فتوتر العلاقة بينهما كان له مسببات أخرى ، وهذا ما نفهمه من المصادر التي بين أيدينا . فقد غدر «أونَك خان» بحليفه وتركه يواجه «النيمان» وحده ، بعد أن اتفقا على حربهم . ثم نجد «أونَك خان» يغير وحده على بعض القبائل دون اعلام حليفه ، أو اعطائه ما كان يجب من الغنائم التي كسبها من تلك القبائل. وقد زاد ذلك سوءً ما كان يحسه الابن الأكبر لـ : «أونَك خان» يلاق سنجوم من شعور بالحسد ، والغيظ تجاه حليفهم المغولي ذي الطموح والامال الكبيرة التي لا تكاد تقف عند حد. وقد زاد من لهيب هذا الغيظ والحسد ما كان يقوم به «جاموقه» (وهو رئيس قبيلة جاجيرات المغولية ـ وليس رئيس قبيلة بورجگين كما يدعي المستشرق الانجليزي ج. ج. ساووندرز) من تصرفات للدس بين الحليفين ؛ فأوغر بذلك صدر «يلاق سنجوم» ووالده على جنكيز خان . وقد كان لهذا التصرف من قبل «جاموقه» ما يبرره . اذ نجده رئيساً ـ كما قلنا ـ لقبيلة «جاجيرات» المغولية ، الذي رأى في جنكيز خان منافساً خطيراً لرئاسة المغول التي كان يتوق «جاموقة» اليها . لذلك نراه يسعى جاهداً لفك ذلك الحلف بين جنكيز خان و «أونَك خان»، وذلك بالتقرب من «يلاق سنجوم» ووالده ويثيرهما ضد حليفهما ويخوفهما من مغبة التمادي في البقاء معه حليفين ؛ فهو ذو أطماع توسعية، وطموح سياسية، قد تؤدي الى تلاشي رئاسة «أونَك خان»، وبروز حليفه عليه ، وحثهما «جاموقه» على أن ينفصلا من حلفهما مع جنكيز خان[2].

---

(١) رشيد الدين ، جامع . ، جـ ١/ ص : ٢٧٩ ، التاريخ السري ، الترجمة الفارسية، جـ ١/ ص : ٣٦ ؛ ساووندرز، تاريخ الفتوحات المغولية ، ص : ٥١.

(٢) الجويني، جهانكشاى، جـ ١/ ص : ٢٦ ؛ الترجمة الانجليزية، جـ ١/ ص : ٣٦ ؛ انظر =

نجح «جاموقه» في هدم ذلك الحلف ، وأصبح عامل الحرب بين الحلفاء السابقين يثيره أتفه سبب ؛ كسرقة فرس ، أو شاة ، أو ما شابه ذلك من نزاع على مناطق الرعي وموارد المياه . وقد نشبت أول معركة مسلحة بينهما في خريف عام ٥٩٩ هـ/ ١٢٠٣م . الا أن «أونك خان» وقبيلته «كيرايت» كانوا في مركز حربي مسيطر ، خلال المناوشات العسكرية بينهما طوال ذلك الفصل . وقد ألجأوا خصمهم ، جنكيز خان ، على التراجع والانهزام ؛ الا أن ذلك كان بطريقة منظمة حفظته من هزيمة ماحقة [١].

وفي أواخر فصل الخريف المذكور قام جنكيز خان بعمل حيلة عسكرية بارعة ، لينتصف بها من أعدائه . فأقدم اولاً على تغيير مراكز مخيماته عن الأنظار، فأعطى بذلك انطباعاً على أنه هزم ، وهرب الى الشرق، لئلا يلاحقه خصومه فيقضون عليه ؛ ثانياً : قام بارسال أخيه الأصغر «جوتشي قسار» الى «أونك خان» ليدعي أنه قد تنازع مع أخيه بعد هزيمته ، فانفصل عنه ؛ وانه يرغب أن يلتحق بأهله الذين كانوا شبه أسرى في مضارب «أونك خان»، ليعيش تحت رعاية وكنف «أونك خان» كواحد من اتباعه ، وقد خُدع رئيس «كيرايت» بهذه الأقوال الخادعة ، معتقداً أن جنكيز خان فعلاً قد أضرته هزيمته في المناوشات الحربية بينهما ؛ وأنه قد أجبر على التراجع الى جهة الشرق . ومما زاده يقيناً أن جنكيز خان قد أصبح في موقف ضعيف جداً ، وان أمر القضاء عليه كان في متناول اليد ، هو أن الخان المغولي كان قد هجره جُل اتباعه ؛ ولم يبق معه الا النزر اليسير منهم ؛ وهم الذين عمل معهم معاهدته المشهورة في التاريخ ، والمعروفة بـ «ميثاق بالگونه والتي سترد معنا فيما بعد، باذن الله .

الا أن ظروفاً طرأت على أحوال جنكيز خان غيرت من أوضاعه المتردية

= ايضاً . ساووندرز ، تاريخ الفتوحات ، ص ٥١ ؛ ثم كتابه «المسلمون والمغول»، ص . ٦٣ ، والحاشية رقم ٢٢ .

(١) رشيد الدين، جامع .، جـ ١/ ص : ٢٨٦ ؛ التاريخ السري ، الترجمة الفارسية ، جـ ١/ ص.ص: ٩٢ - ٩٣ ؛ الجويني، جهانكشاي، جـ ١/ ص: ٢٦، الترجمة الانجليزية ، جـ ١/ ص: ٣٦.

الراهنة ، وساعدته على تنفيذ خططه ضد عدوه ؛ فبين عشية وضحاها نجد أن القائد المغولي أصبح على رأس جيش يربو تعداده على ثلاثة آلاف محارب . وقد سار بهم بعد ذلك ليل نهار ، باتجاه مضارب خصمه ـ الذي كان قد أقام سرادقه الذهبي للاحتفال بهزيمة جنكيز خان ؛ ولم يقم بأي احتياط وقائي من أي هجوم، معتمداً على المعلومات التي كانت قد وصلته عن الرئيس المغولي، وتراجعه منهزماً جهة الشرق . وفي هجوم مفاجىء، أول الليل في أيام آخر فصل خريف عام ٥٩٩ هـ/١٢٠٣م على مضارب قبيلة كيرايت ، استطاع جنكيز خان أن يحرز نصراً ساحقاً ، محق به خصومه أوردوهم موارد الذل والهلاك . حيث جرت هذه المعركة في ضواحي مدينة «وركو» الحالية والتي فيها هاجم جنكيز خان مخيمات «كيرايت» بوحشية متناهية ؛ واستمرت المذبحة طوال ذلك الليل ، كما استمرت مطاردة فلول العدو ثلاثة أيام متتابعة . وكان من نتائج هذه المعركة ازالة قبيلة «كيرايت» من الوجود ، كقوة ذات استقلال ذاتي ، وانقراضها ، نهائياً، كمجتمع بدوي ، على يد جنكيز خان ؛ حيث ذبح معظم أفرادها . أما الأحياء من الرجال والنساء والأطفال فقد تقاسمتهم الأسر المغولية المنتصرة فيما بينها ، فأصبحوا أرقاء وخدماً لهم ، فملكوهم كما تملك المتاع[1].

أما «أونك خان» وابنه «يلاق سنجوم» فقد نجيا من مقصلة «وركو» وهربا باتجاه الغرب . الا أن «النيمان» الشرقيين أسروا الأب ، وقتلوه ، وأرسلوا رأسه الى ملكهم «بيبوقا تايانك». أما الابن فقد هام على وجهه أياماً في منطقة كاشغر ، وقتل على يد جماعة من الصيادين في هذه المنطقة[2].

---

(١) انظر : التاريخ السري ، الترجمة الفارسية، جـ ١/ ص: ١١٣.

(٢) الجويني ، جهانكشاى ، جـ ١/ ص.ص: ٢٦ ـ ٢٧ ، الترجمة الانجليزية، جـ ١/ ٣٦ ـ ٣٧ ؛ بويل ، ١٩٦٣، جـ ٨/ ص.ص: ٢٥٥ ـ ٢٥٩ ؛ رشيد الدين، جامع. ، جـ ١/ ص.ص: ٢٩٠ ـ ٢٩٢ ؛ التاريخ السري ، الترجمة الفارسية ، جـ ١/ ص.ص: ١١٣ ـ ١١٤ ؛ خواند أمير، حبيب السير، جـ ٣/ص.ص: ١٩ ـ ٢٠ ؛ رحلات ماركوبولو ، ص.ص: ٨١ ـ ٨٢ ؛ برودين ، الامبراطورية المغولية ، ص.ص: ٥١ ـ ٥٢ ؛ ووكر ، جنكيز خان ، ص : ٣٥.

كما كان من نتائج معركة «**وركو**» هذه أن أصبح جنكيز خان السيد الوحيد ، ليس للمغول من قبيلته «**برجگين**» ، بل سيداً لقبيلة «**كيرايت**» المسيحية ، ذات الأصل التركي . ولم يبق على جنكيز خان الا القضاء على عدوين ألداء هما قبيلة «**المركيت**» والبقايا من قبيلة «**جاجيرات**» التي ما زالت تحت زعامة «جاموقه» . وكلا العدوين لم يكونا في مركز قوي يهددا منه جنكيز خان ودولته القوة الناهضة . لذلك نراهم يهربون الى بلاط ملك «**النيمان**» الشرقيين ، ملتمسين منه الحماية والعون ضد جنكيز خان ، الذي أصبح من القوة بحيث أخل بميزان القوى في وسط قارة آسيا .

مملكتا النيمان، وخضوعها تحت سلطة جنكيز خان

كان «النيمانيون» يمثلون احدى القوى الكبرى التي جابهت المغول في ظهورهم وبروزهم كقوة عالمية ذات امبراطورية شملت معظم أراضي قارة آسيا وأجزاء كبيرة من أراضي القارة الأوروبية. و «النيمان» يرجعون في أصلهم الجنسي (أو العرقي بمعنى أدق) الى العنصر التركي. أما من ناحية نظام حياتهم، ومجتمعهم ، فيحدثنا رشيد الدين أن بعضهم كان يعيش في الصحراء وينتهجون حياة أهلها ، والبعض الآخر يقطنون مناطق جبلية ويعيشون عيشة رعوية في الجبال الواقعة الى الغرب والشمال الغربي من صحراء «جوبي»[1].

وقد كانت أراضي «النيمان» قديماً تعد ضمن الحدود التقريبية التالية ، حيث يحدها من الشمال أراضي قبائل «القرقيز»، كما تحدها من الجنوب ممتلكات قبائل «الأويغوريين»، أما حدودها من الشرق فكانت ملاصقة لاراضي قبائل «كيرايت» و «المركيت»، أما من الناحية الغربية فيحدها «القراخطائيون». وكان ملوكهم، أو خاناتهم ، يسمون بـ «كوتشلوك خان». وهي كلمة تعني : العظيم، الجبار، القوى . . الخ ، كما يخبرنا بذلك رشيد الدين .

أما طريقة حياتهم ونظام مجتمعهم ، وعاداتهم ، وتقاليدهم، فقد كانت شبيهة بغيرها من المجتمعات المجاورة لها ، كالمغول وغيرهم من القبائل البدوية الرعوية الأخرى[2].

---

(١) رشيد الدين، جامع . ، جـ ١/ ص.ص: ٩٥ ـ ٩٦.

(٢) المرجع السابق ص : ٩٦ ، في المخطوطة العربية اسمه «كوشلوك بلق خان» حول هذا الموضوع.

وقد كانت دولة «النيمان» من اكبر الدول في وسط آسيا وذات سلطان واسع ، ويحكمها ملك واحد . الا أنه في الوقت الذي ظهر فيه جنكيز خان ، على رأس قبائل المغول، نجد أن المملكة «النيمانية» مقسمة الى قسمين ، شرقي وغربي ، ويحكمهما أخوين كل واحد مستقل عن الثاني . فكان «**بويروق خان**» يحكم مملكتهم الغربية ، و «**بيبوقا تاياَنْكْ**» كان هو حاكم مملكتهم الشرقية . ونظراً لمتاخمة الحدود الشرقية لمملكة «النيمان» الشرقية لحدود «كيرايت» و «**المركيت**»، فقد كان من نتائج كارثة معركة «**وركو**» وقتل «**أَونَكْ خان**» أن أصبحت الأراضي «**النيمانية**» مفتوحة على مصراعيها امام اللاجئين من قبيلة «**كيرايت**» الهاربة من سيف جنگيز خان . فنتج عن ذلك تجدد الصراع بين جنكيز خان من ناحية وملكي «**النيمان**» الأخوين من ناحية أخرى ؛ وقد انتهى ذلك الصراع الدامي المرير بزوال الدولتين «**النيمانيتين**»، والقضاء بصورة نهائية على استقلالها كقوتين مستقلتين في وسط قارة آسيا . فقد قتل الأخوين على التوالي ـ كما سيرد معنا بعد قليل ان شاء الله ـ فامتصت امبراطورية جنكيز خان الشابة الناهضة المملكتين ، والتهمت أراضيهما؛ لتصبح جزءً لا يتجزأ من أراضي دولة المغول[1].

ان تاريخ العداء وحالة الحرب بين جنكيز خان وبين «**النيمان**» يرجع الى الوراء سنوات كثيرة ، من الأيام التي كان «**أونَكْ خان**» والخان المغولي حليفين ؛ فقد قام كل فريق بحرب ضد الآخر . وآخر هذه الحروب ما كان قد قام به جنكيز خان ضدهم لانقاذ الأسرى من قبيلة «**كيرايت**»، وعلى رأسهم «**يلاق سنجوم**»، ابن «**أونَكْ خان**» وأمه ، في أواسط التسعينيات[2].

الا أن وجود «**جاموقه**»، رئيس قبيلة «**جاجيرات**» المغولية ، ومعه أنصاره

انظر : بويل ، مجلة الدراسات السامية ، ١٩٦٣م، ص .ص: ٢٥٢، وحاشية رقم ١
(١) رشيد الدين، جامع . ،المخطوطة العربية ، ورقة : ١٨١ ب.
(٢) المرجع السابق ، جـ ١/ ص. ٢٧١ ، التاريخ السري ، الترجمة الانجليزية، ص.ص: ٢٦٠ ـ ٢٦١ .

من رجال قبيلته، وكذلك أعضاء قبيلة «المركيت»، بين ظهراني البلاط «النيماني»، أغرى ملكهم، «بيبوقا تايانك» ان يعلنها حرباً شعواء، ذات أحلاف، على جنكيز خان. وقد التحق بهذا الحلف الجديد أصحاب ثأر آخرون من «التتر» وغيرهم من القبائل التي أخضع بعضها جنكيز خان لسلطانه، في حروب داخلية، لا تتعدى غارات شطحنا عنها الى المعارك ذات الأثر في بناء امبراطورية جنكيزخان. وقد أصبح كل عضو من أعضاء هذا الحلف له ثأر عند جنكيز خان وقومه، يريد الأخذ به.

وفي ربيع سنة ٦٠٠ هـ/١٢٠٤ م تجمعت قوات الحلفاء المكونة من «النيمان»، و «المركيت»، وبقايا «كيرايت»، و «التتر» وغيرهم، فاتحدوا في هدفهم العام والوحيد، وهو السير ضد جنكيز خان والقضاء عليه وعلى قوته المغولية الجديدة، التي أخلت بتوازن القوى في المنطقة[١].

لقد استعد المغول، بقيادة رئيسهم جنكيز خان، لهذه المعركة القادمة؛ واعتبروا أنه سيكون لها ما بعدها. ومع هذا فقد فوجيء قائدهم بأن قوات الأحلاف هذه تفوق ما عنده أضعافاً مضاعفة، ورأى أنه لا طاقة له بهم والحالة هذه. وهنا عمد الى حيلة بارعة، أثبتت قدرته على تحدي الصعاب، ومقارعة الحروب ومصارعة الأهوال، كما أثبتت قدرته العسكرية وحنكته القيادية الهادئة المتزنة. فبعد أن خيم الطرفان تجاه بعضهما، عشية يوم المعركة، أمر جنكيز خان كل فرد من رجاله أن يشعل نيراناً ثلاثة وعلى فترات متقطعة، ليوهم الأعداء بأن مدداً جديداً كان يصل اليه أثناء الليل بين حين وآخر؛ حتى أرعب الخصوم، وأضعف روحه المعنوية ونفسيته القتالية، بشكل انعكس على مجريات نتائج المعركة المنتظرة. وما أن طلعت خيوط الفجر حتى أصبحت لدى خصومه نظرية مؤداها: أن قوات جنكيز خان قد أصبحت تفوق عددهم أضعافاً كثيرة. وقد أحاطت قوات المغول بخصومها من كل جانب احاطة السوار بالمعصم.

---

(١) رشيد الدين، جامع..، جـ ١/ص: ٣٠٣.

وكان أول نتيجة من نتائج حيلة جنكيز خان أن انسحب «جاموقه» من الحلف، وتبعه آخرون، قبيل نشوب المعركة .

جرت هذه المعركة في مكان يعرف بـ «مونت ناقو»، حيث هاجمت قوات جنكيز خان الأعداء من كل جانب حتى حصرتهم على رأس تلعة جبل ؛ بعدها أحرزت نصراً ساحقاً على « النيمان » وحلفائها . وقد أذل المغول خصومهم ، وقضوا على قوات « النيمان »،ووضعوا نهاية لاستقلالهم كقوة مستقلة، وذات سيادة . وقد مات خانهم «بيبو قاتاياًنك» من آثار الجروح في ميدان القتال على قمة ذلك الجبل ، بعد أن دافع عنه قومه دفاعاً أبادهم جميعاً[1] .

كان ممن نجا من مقصلة «مونت ناقو» «كوتشلوك خان بن بيبوقاتاياًنك». فلجأ في هربه ، مع من نجا من المنهزمين ، الى بلاط مملكة «النيمان» الغربية، ومليكها «بويروقا خان». فطلبوا منه العون ضد جنكيز خان . وفي السنة التالية ـ أي عام ٦٠١ هـ/ ١٢٠٥م، نجد ان «كوتشلوك» وعمه ، وقبيلة «المركيت»، برئاسة شيخهم «توقتابيكَي» يتحدون في حملة عسكرية، ويسيرون بها ضد الخان المغولي ، جنكيز خان . الا أن قوات الحلفاء هذه منيت بكارثة مماثلة لكارثة «مونت ناقو». فبعد معركة دارت رحاها في مكان ما على أحد سفوح احدى سلسلة جبال «ألتاي»، على ضفاف نهر «قرا ارتيش»، استطاعت القوات المغولية أن تحرز نصراً ساحقاً على خصومها . ففي رواية ان رئيس «المركيت» «توقتا بيكَي» قتل بسهم طائش في ميدان المعركة ، وفي رواية أخرى أنه استطاع بصعوبة بالغة أن ينجو بنفسه، وأنه لم يقتل الا بعد أن رجع جنكيز خان من فتوحاته في شمال الصين[2] .

أما «كوتشلوك خان» فقد نجا بجلده من المقصلة ، فشق طريقه هارباً الى الغرب ، حيث دخل أراضي مملكة «الأويغوريين»، ومنها الى أراضي

---

(١) المرجع السابق ، ص .ص : ٣٠٤ ـ ٣٠٥ ؛ انظر ايضاً ص.ص: ١٣٥، ١٥٥ .

(٢) ان بقايا قبائل المركيت سوف ينهي جنكيز خان امرها بعد فتوحاته في شمال الصين في حملات متالية كما سيرد معنا ، ان شاء الله . سيقود هذه المعارك الجنرال «سوبتاي» والبطل توقوتشار، والامير جوتشي ، أكبر أبناء جنكيز خان .

«القراخطائيين»، حيث وصل في نهاية خط هربه الى بلاط ملكهم «كَورخان»[1].

وفي أوائل فصل الربيع لسنة النمر، الموافقة لشهر رجب عام ٦٠٢ هـ/ فبراير - مارس سنة ١٢٠٦ م عقد جنكيز خان مجلساً عاماً، أو اجتماعاً عمومياً، حيث تم تنصيبه كخان أعظم على جميع ساكني الخيام في منغوليا، وما جاورها من البلدان، واتخذ له لقباً جديداً مختاراً هو «جنكيز خان»[2]. وقد أعطانا المؤرخ المسلم الفارسي، رشيد الدين، ترجمة لمعنى هذا اللقب الجديد لخان المغول العظيم، فيقول: «... **وتعني كلمة جنكيز: القوة، والصرامة، والقسوة؛ وجنكيز هو اسم جمع مثله في ذلك مثل معنى گورخان، ملك القراخطائيين، والتي تعني الملك القوي العظيم**»[3]. وقد فسر معناه بعض الأساتذة المستشرقين من أوروبا بـ: الخان المحيط، أو الخان العالمي، أو الخان العظيم[4].

في هذا الاجتماع، أو «قُورِ التاى» باللغة المغولية، أعلن جنكيز خان ايضاً خطة جديدة لفتوحات، خطط القيام بها ضد بلدان خارج نطاق منغوليا، كما أنه - على ما يبدو لنا - نشر في هذا الاجتماع العام قوانينه المشهورة في التاريخ، والمعروفة بـ «الياسا» أو «اليساق»[5].

---

(١) رشيد الدين، جامع، جـ ١/ ص.ص: ٣٠٤ - ٣٠٥، ٣٠٨. -٣٠٩؛ انظر أيضاً: التاريخ السري، الترجمة الانجليزية، ص.ص: ٢٧٥، ٢٨١.

(٢) اعتبرت ما سار عليه الاستاذ ج.أ. بويل في ترجمته لكتاب جهانكشاى للجويني، بعنوان «تاريخ فاتح العالم». عن تعدد طريقة كتابه الاسم «جنكيز خان» انظر: ووكر، جنكيز خان، ص: ٣٨، الحاشية: ١.

(٣) رشيد الدين، جامع، جـ١/ص: ٣٠٧.

(٤) انظر مثلاً: ج. ساووندرز، تاريخ الفتوحات، ص: ٥٢؛ ووكر، جنكيز خان: ص: ٣٨.

(٥) عما يتعلق بالياسا، ولمعلومات أكثر، انظر: الجويني، جهانكشاى، جـ ١/ ص.ص: ١٦ - ٢٥، الترجمة الانجليزية، جـ ١/ ص.ص: ٢٣ - ٣٤؛ رياز انوفسكي، الأسس الرئيسية لقانون المغول، انديانا، ١٩٦٥، ص.ص: ٢٥ - ٩١؛ آيالون، الياسا العظيمة لجنكيزخان، مجلة الدراسات الاسلامية، ١٩٧١ م، جـ ٣٣/ ص.ص: ٩٧ - ١٤٠ و جـ٣٤/ص.ص: ١٥١ - ١٨٠؛ بوليك، تأثيرات ياسا جنكيز خان على التنظيم العام لدولة المماليك، مجلة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية، ١٩٤٢م جـ ١٠/ص.ص: ٨٦٢ - ٨٧٦.

حملات المغول العسكرية خارج منغوليا

في أوائل عام ٦٠٣ هـ/ اي في أوآخر فصل صيف ١٢٠٦ م، كانت أول حملة عسكرية خارج منغوليا، والتي قام بها جنكيز خان مبتدئاً مشروع تكوين امبراطوريته العالمية . فقد قاد جيشه في هجوم كاسح ومفاجىء على مملكة «النيمان» الغربية . وقد استطاع في هذه الحملة ان يقضي بصورة نهائية على استقلال دولة «النيمان» ويزيلها من الوجود ، وأن يقتل آخر ملوكها «بويروقا خان» ؛ وأن يضم جميع أراضيهم الى ممتلكات الامبراطورية المغولية التي بدأت تنهض في أواسط قارة آسيا كالعملاق الجبار[1]. ثم اتبع حملته على «النيمان»، بحملات ثلاث متتالية على امبراطورية «هسي ـ هسيا» أو «التانكوت» والتي يسميها رشيد الدين «تنكقوت». وكانت هذه الحملات في سنة : ٦٠١ هـ/١٢٠٤م ؛ ثم أتبعها بأخرى في شتاء عام ٦٠٣ هـ/ ١٢٠٦ م ـ ١٢٠٧م ؛ وبثالثة في سنة ٦٠٦ هـ/١٢٠٩ ـ ١٢١٠م. وفي آخر حملة قام بها الخان المغولي على «التانكوت»، استطاع المغول أن يجبروا حكومتها على أن تقبل صاغرة بأن تصبح دولة تابعة للدولة المغولية ، وخاضعة لسلطانها ، وأن تدفع لها ضريبة سنوية(٢) .

---

(١) رشيد الدين، جامع . ، جـ ١/ص : ٣٠٧.

(٢) لمعلومات اضافية عن مملكة «هسي ـ هسيا»، انظر: رشيد الدين ، جامع . ، جـ ١/ ص.ص: ١٠٢ ـ ١٠٥، ٣٠٦ ـ ٣٠٨ ؛ دوكلاس ، حياة جنكيز خان، ص.ص: ٥٤ ـ ٥٨ ؛ مارتن ، الحروب المغولية مع «هسي ـ هسيا» (١٢٠٥ ـ ١٢٢٧م) ١٩٤٢م، ص.ص: ١٩٥ ـ ٢٢٨ ؛ ووكر جنكيز خان ، ص.ص: ٣٩ ـ ٤٤ ؛ فوكس ، جنكيز خان ، ص : ١٤٣ ؛ ج. ساروندرز، تاريخ الفتوحات ..ص ٥٣ .

بعد حملات المغول المتتالية على امبراوطورية «هسي ـ هسيا»، نجد جنكيز خان يقوم بأكبر حملة عسكرية له خارج منغوليا ومناطقها المجاورة. ففي بداية ربيع سنة ٦٠٧ هـ/ ١٢١١م شرع هذا الخان العظيم في قيادة حملة عسكرية جبارة وجسورة ضد «امبراطورية الصين الشمالية ومنشوريا» في محاولة للاطاحة بسلالتها الذهبية الحاكمة. وفي خلال السنوات الخمس التالية، أي من فصل الربيع لسنة ٦٠٧ هـ الى أواخر فصل الصيف لسنة ٦١٢ هـ/ ١٢١١ ـ ١٢١٥م، خاضت الجيوش المغولية الغازية حروباً رحشية، وسريرة طاحنة، في هجوم وهجوم معاكس، ضد الجيوش النظامية الصينية. ورغم الكثرة العديدية التي كانت تتمتع بها الجيوش النظامية لحكومة الصين في بكين، ورغم تفوقها على الجيوش المغولية، التي غزتها في عقر دارها، من حيث وفرة الغدة والعتاد، فقد استطاعت جيوش جنكيز خان البدوية أن تهزم القوات الصينية، كما استطاعت هذه الجيوش الغازية ان تشق طريقها، عنوة واقتدارا، وتقتحم أسوار العاصمة الامبراطورية «بكين» في شهر صفر من عام ٦١٢ هـ /يونيه سنة ١٢١٥[1].

---

(١) عن الفتوحات المغولية لشمال الصين، انظر: رشيد الدين، جامع، جـ ١/ ص.ص: ٣٢٠ ـ ٣٣١ ؛ متوكلاس، حياة جنكيز خان، ص.ص: ٦٠ ـ ٧٥ ؛ مارتن، بروز، ص.ص: ١٧٠ ـ ١٧١ ؛ (وكان مارتن ينقل عن مصادر أصلية أولية صينية) ؛ منكس، رشيد الدين في معلوماته عن الصين، مجلة الجمعية الشرقية الامريكية، ١٩٧٥م ص.ص: ٩٥ ـ ٩٨ ؛ ڤلاديمير ستوف، حياة جنكيز خان، ص.ص: ٩٣ ـ ١٠٠، ووكر جنكيز خان، ص.ص: ٥٧ ـ ٧٠ (وقد كتب أسماء المدن الصينية المختلفة التي فتحها المغول في ص: ٥٨ في حاشية رقم ١ ؛ فأعطى أسماء المدن التي دمرت باسمائها الحالية) ؛ فوكس، جنكيز خان، ص.ص: ٧٤ ـ ٧٥ ؛ لمب، زحف البرابرة، لندن، ١٩٤١م، ص.ص: ٥٩ ـ ٦٠ ؛ فيلبس، المغول، لندن، ١٩٦٩م ص.ص: ٥٣ ـ ٥٨ ؛ ج. ساوندرز، تاريخ الفتوحات، ص: ٤٤ ؛ بروديي، الامبراطورية، ؛ ص.ص: ١١٦ ـ ١٢٣.

مملكة الأويغوريون، وخضوعها لسلطة المغول

الى الجهة الغربية من حدود أراضي الامبراطورية المغولية، التي كانت آخذة نحو البروز كقوة عالمية، كانت تقع ممتلكات وأراضي **«دولة الأويغوريون»**،ثم الى الغرب من هذه الدولة الأخيرة، كانت هناك **«الدولة القراخطائية»**.ويحدثنا رشيد الدين عن معنى كلمة **«أويغور»** فيقول بأنهاتعني: - **«هم أولئك الذين يتكاتفون ويساند ويساعد بعضهم بعضاً» : «بما پيوست ومدد ومعاونت كرد»**[١]. والاويغوريون يرجعون في أصلهم السلالي الى عنصر الجنس التركي. وقد كانوا يدينون بديانات مختلفة، لعل أهمها المانوية، والبوذية، والمسيحية - على المذهب النسطوري المنتشر في ربوع أواسط قارة آسيا.

وقد لعب الأويغوريون دوراً تاريخياً هاماً في الأحداث التاريخية لمنطقة شرق وأواسط قارة آسيا[٢]. وقد وصلت «الدولة الاويغورية» هذه قمة مجدها

---

(١) رشيد الدين، جامع . ، جـ ١/ ص : ٣٢ ؛ انظر ايضاً، السير كلوسون ، اسم اويگور، مجلة الجمعية الآسيوية الملكية ، ١٩٦٣م جـ٨/٣- ٤، ص.ص: ١٤٠ - ١٤٩؛ فرنادسكي ، ملاحظات على تاريخ الاويغوريين في أواخر العصور الوسطى ، مجلة الجمعية الشرقية الامريكية . ،١٩٣٦م جـ ٥٦ ، ص.ص: ٤٥٣ - ٤٦١ ؛ مينورسكي، رحلة تميم بن بحر الى الاويغوريين ، مجلة مدرسة الدراسات الافريقية والشرقية، ١٩٤٨م، جـ ١٢/ ٢، ص.ص: ٢٧٥ - ٣٠٥.

(٢) رشيد الدين، جامع . ، جـ ١/ص : ٣٢٠، انظر ايضاً: برتسكنيدر، بحوث في العصور الوسطى من مراجع اسيوية شرقية ، لندن، ١٩٦٧م، جـ ١/ ص.ص: ٣٧ - ٤٣، وهو هنا ينقل عن مصادر أولية صينية .

الحضاري، وقوتها العسكرية في حدود الفترة ما بين سنة ١٣٣ هـ/ ٧٧٠م وسنة ٢٣٦ هـ/ ٨٥٠م. كما كانت هذه الدولة قد نشرت نفوذها، وتوسعت في ممتلكاتها، فشملت مناطق أواسط آسيا والمناطق التي عرفت فيما بعد بـ: ما وراء النهر، في الغرب؛ كما كان لها علاقات سياسية، وارتباطات دبلماسية بأسرة «سُنْگ» الحاكمة في الصين .وكان حاكم «دولة الأويغوريين» يدعى «يدي توت» أو «بيدي قوت». وهي كلمات تعني سيد الدولة، أو صاحب الملكية المقدسة.

وعلى ما يبدو لنا فإن هذه الدولة كانت قد فقدت قوتها، وعظمتها بعد قرن من الزمن، وأصبحت اقل شأناً مما كانت عليه. فتفككت دولتهم الى عدة دول صغيرة، في أماكن مختلفة من أواسط آسيا. فنجد ـ مثلاً ـ أن قسماً من الأويغوريين يهاجر الى الجهة الغربية، ويكونون لأنفسهم دولة؛ متخذين من مدينة «بيش باليغ» أي المكان ذي المدن الخمس، عاصمة لهم، وتقع هذه المدينة الى الناحية الشمالية من «تؤين شن»، بالقرب من المدينة المعروفة اليوم بـ «أُرتشي».

وكما قلنا، فقد استمرت هذه «الدولة الأويغورية» ما يقرب من خمسة قرون (١٣٣ ـ ٦٠٧ هـ/ ٧٥٠ ـ ١٢١١م) عندما استسلم ملكهم الأخير «يدي قوت» الى حكم سيد المغول جنكيز خان في ربيع سنة ٦٠٧ هـ/ ١٢١١م[1].

وفي عشية بروز الدولة المغولية كقوة كبيرة في أواسط قارة آسيا، كان «الأو يغوريون» يعيشون ضمن الحدود التقريبية التالية: كانت جبال «ألتآي» العالية وأراضي دولة «النيمان» تحدهم من جهة الحدود الشمالية والشمالية الشرقية، كما كان «نهر تاريم» و «بحيرة لُبْ» تحدهم من الجنوب، ويحدهم من

---

(١) الجويني، جهانكشاي، جـ ١/ص ٤٧، برتسكنيدر، بحوث... جـ ١/ ص: ٢٤٨؛ اقبال، تاريخ..، جـ ١/ ص: ١٦.

الشـرق صحراء «جـوبي» و «دولة التنكّـوت» ويحدهم من الغـرب «دولـة القراخطائيين»[1].

ولو قارنا «دولة الأويغوريين» بغيرها من الدول المجاورة لوجدنا ان مجتمع هذه الدولة كان أكثر المجتمعات المجاورة له تحضراً ، وذا ثقافة وتعليم بدرجة طيبة . فقد كان «الأويغوريون» يفوقون اسيادهم المغول ، الذين أخضعوهم تحت نفوذهم وسلطانهم . وقد ذكر لنا الرحالة الغربي الراهب، بلانو كربيني ، معلومات دقيقة وصحيحة ، مؤداها أن المغول لم يكن لهم حتى أحرف أبجدية خاصة بهم ، لذلك نراهم قد تبنوا الأحرف الأبجدية «الأويغورية»[2].

وعندما جاءت «دولة القرخطائيين» الى الغرب، وأصبحت ذات قوة وشوكة ، وصارت تملك أراضي ما وراء النهر والتركستان، نجدها تنشر نفوذها على الأجزاء القريبة من أراضي «الـدولة الأويغـورية»؛ كـما نجدهـا تجبر «الأويغوريين» أن يدفعوا لهم ضريبة سنوية[3]. ولم تكتف «دولة القراخطائيين» بهذا ، بل نجدها تفرض سلطتها بالقوة على «الأويغوريين» عن طريق ممثل، أو حاكم عسكري كان يعيش في بلاط يدى قوت في عاصمته «بيش باليغ».

أما الأراضي «الأويغوريـة» الشرقيـة، فقد أصبحت خـاضعة لحكم امبراطورية «هسي ـ هسيا»(التانكّوت)، وكانوا يدفعون لهم صريبة كل سنة .

تذكر المصادر التي بين أيدينا أن الحاكم العسكري الذي يمثل السلطة «القراخطائية» في بلاط «الأويغوريين» الغربيين ، كان قد تمكن في مركزه ، تمكناً أصبح منه يعامل «الأويغوريين» معاملة جلفة ، طاغية، وظالمة متعسفة ؛ وشرع

---

(١) اقبال، تاريخ . ، جـ ١/ ص: ٧.

(٢) بلانوكربيني، تاريخ المغول . ، تحقيق، دوسون، ص: ٢١. انظر أيضاً : الجويني ، جهانكشاى، جـ ١/ ص: ٢٥.

(٣) الجويني، جهانكشاى. ، جـ ١/ ص.ص: ٣٢ ـ ٣٣، الترجمة الانجليزية، جـ ١/ ص.ص: ٤٤ ـ ٤٥.

يتعامل مع ملكهم «يدى قوت» ورجال بلاطه، واتباعه معاملة قاسية، فأذلهم واحتقرهم[1].

والذي يبدو لنا، ان معاملة الحاكم العسكري «القراخطائي» القاسية هذه، التي انتهجها ضد «الأويغوريين»، كانت قد بلغت الذروة عشية ظهور المغول على مسرح الأحداث في وسط قارة آسيا. لذلك نجد أن يدى قوت يصدر أوامره بالقبض على ممثل حكومة «القراخطائيين»، وكان شخص يدعى «شوكن» ويصدر حكمه عليه بالإعدام. ونجد أن الملك «الأويغوري» يصدر في نفس الوقت قراراً باعلانه الولاء والطاعة لحاكم المغول جنكيز خان. التي أخذت قوته ونفوذ سلطانه ينتشر على المنطقة انتشار السحب في السماء. وهنا أرسل السيد «الاويغوري» رسله السياسين الى الخان المغولي، معلناً انضوائه طائعاً مختاراً تحت نفوذه. وقد أقدم يدى قوت على سرعة الخضوع لجنكيز خان - على ما يبدو لنا - لسببين. أولهما: خوفه من هجوم كاسح يقوم به «القراخطائيون» انتقاماً لهدر كرامة دولتهم، ممثلة في قتل حاكمها العسكري «شوكن» في بلاط «بيش باليغ»، فقام بهذه الحركة ينشد حماية جنكيز خان له عندما أعلن طائعاً خضوعه لسلطة المغول. وثانيهما ان يدى قوت كان قد شاهد سقوط القبائل والدويلات المجاورة من هنا وهناك، واحدة بعد الأخرى، في يد قوات المغول الفتية؛ فرأى أنه من الأصلح له أن يعلن خضوعه لحكم المغول، ليحفظ بذلك بلاده، ومواطنيه من ويلات الحرب التي لا يمكن أن يكسبها.

وقد أرسل وفده الى جنكيز خان، مكوناً من ثلاثة أشخاص، هم «قتاليش قوتا»، و «عمر أغول»، ، وثالث اسمه«تاريای»[2]. الا أننا، عندما نقارن هذه الرواية التي يوردها لنا الجويني برواية أوردها رشيد الدين، نجد أن الأخير يذكر أن هذا الفريق من الرسل - الذين أرسلهم «يدى قوت» الى جنكيز

---

(١) المرجع السابق، جـ١/ ص.ص: ٣٢ - ٣٣ ؛ ووكر، جنكيز خان، ص: ٣٧.

(٢) الجويني، جهانكشاى، جـ ١/ ص: ٣٣ ؛ الترجمة الانجليزية، جـ ١/ ص: ٤٥ ؛ رشيد الدين، جامع . ، جـ١/ ص: ١٠٧ (حيث يضع الاسم الاخير من اعضاء الوفد «تاتاري»).

خان ـ كانت استجابة منه لوفد سابق كان قد أرسله خان المغول اليه يطلب منه الاستسلام لسلطانه ، وقبول الخضوع لحكومة المغول. لذلك نجد أن «يدى قوت» يتجرأ ، فيقبض على ممثل «القراخطائيين» ويحكم عليه بالاعدام ؛ وبعدها يرسل استجابته للدعوة التي تلقاها من جنكيز خان وخضع لسلطانه . على الرغم من ان كلاً من «يدي قوت» وجنكيز خان قد تبادلا الرسل اكثر من مرة ـ وعلى ما يبدو ـ فان رواية رشيد الدين تبدو لنا اكثر منطقية، وأقرب الى الصواب[1].

يقدر الجويني الوقت الذي أعلن يدى قوت انضوائه تحت حكم «الدولة المغولية»، في المدة التي تلت حملة جنكيز خان على الأراضي الصينية الشمالية ، بينما يروي لنا رشيد الدين أن «يدى قوت» استسلم طائعاً لحكم المغول في ربيع سنة ٦٠٥ هـ/ ١٢٠٩م[2].

والذي يبدو لنا أنه من المحتمل ان يكون «يدى قوت» كان قد اعلن ولاء «الأويغوريين» للمغول وقبوله بحكم جنكيز خان قبل أن يقود الأخير حملته الكبرى ضد سلالة «تشن»، الحاكمة في شمال الصين . فلربما أن «يدى قوت» قد رأى أنه لابد أن يعلن خضوعه لجنكيز خان ، وذلك بعد أن انتشرت الحملات والغزوات المغولية حتى غطت الأراضي الواقعة الى الغرب والجنوب الغربي من ممتلكات «الدولة المغولية» الناهضة ؛ حيث شملت حملاتهم العسكرية وفتوحاتهم أراضي «النيمان»، «وامبراطورية هسي ـ هسيا» «التانكَوت» خلال السنوات : من ٦٠٠ هـ/ ١٢٠٤ م الى سنة ٦٠٦ هـ/ ١٢١٠م، حيث قضت بصورة نهائية على «مملكتي النيمان»، وأخضعت «امبراطورية هسي ـ هسيا» لنفوذها ؛ فأصبحت تدفع الضريبة للمغول . لذلك فقد وجد «الأويغوريون»

---

(١) انظر رشيد الدين ، جامع ، جـ ١/ص : ٣٠٩ ؛ الجويني ، جهانكشاى ؛ جـ ١/ ص : ٣٣ الترجمة الانجليزية، جـ ١/ ص: ٤٥ ، والحاشية رقم ٦ ورقم ٧ ورقم ٨ ورقم ٩ في نفس الصفحة .

(٢) الجويني، جهانكشاى؛ جـ ١ ص: ٣٢ ، الترجمة الانجليزية ، جـ ١/ ص.ص: ٤٤ ـ ٤٥؛ رشيد، جامع ، جـ ١/ ص: ٣٠٩.

أنفسهم في حالة تنبيء بأنهم ربما سيكونون الهدف التالي لغزوات المغول الماحقة ؛ وخاصة عندما أصبحت أراضيهم معرضة لهجمات جيوش جنكيز خان . فلكي يحفظ بلاده من دمار الحروب ، ومواطنيه من نكباتها وبلائها ، ولكي يحمي نفسه من ذل الهزيمة واهانة الاسر ، اذ أن الشعب «الأويغوري» شعب يحب السلام ، فقد أقدم «يدي قوت» على الاستجابة للدعوة التي كانت قد جاءته من جنكيز خان ، وقبل الخضوع لسلطان ونفوذ حكومة المغول ، ناهيك عما كان يعانيه من ظلم وتعسف على يد حكومة «القراخطائيين» .

لم يصبح الرئيس «الأويغوري» مجرد فرد عادي من جملة الناس ، أو الحكام الذين خضعوا لسلطان المغول ، واتباع جنكيز خان ، بل كان تابعاً مخلصاً في ولائه لهذا القائد والفاتح العظيم . فقد زود سيده الجديد بما يحتاجه من المعلومات السرية ، التي كانت ذات أهمية خاصة ، تتعلق بالأوضاع الراهنة «لحكومة القراخطائيين» ـ اسياده السابقين. ولقد كان لهذه المعلومات السرية ، التي زود «يدي قوت» ، جنكيز خان بها أكبر الأثر في تخطيط وتنفيذ الفتوحات المغولية القادمة ، الحملة العسكرية التي قامت بها جيوش المغول ضد الأراضي الغربية فيما بعد[1] .

ويحدثنا الجويني أن جنكيز خان قد تكون لديه انطباع ذا أثر طيب جداً عن «الرئيس الأويغوري» ؛ وذلك لخدماته الممتازة التي كانت تستحق كل اطراء وثناء . فقد كان «يدى قوت» على الدوام ، هو السبّاق لقيادة المعارك ضد اعداء المغول ، ومنازلة خصوم سيده جنكيز خان . لذلك نرى هذا الرئيس يحتل منزلة رفيعة عند الحاكم المغولي . ولكي يعبر عن شعوره وانطباعه الطيب ، واعترافاً منه له بجميل خدماته فقد منحه جنكيز خان إحدى بناته لتكون زوجة له[2] . الا أن

---

(١) انظر عن هذا في رشيد الدين، جامع . ، جـ ١/ ص.ص: ٣٠٩ ـ ٣١٠ ؛ الجويني، جهانكشاى ، جـ ١/ ص.ص: ٣٢ ـ ٣٨ ؛ جون بلانو الكربيني، تاريخ المغول، ص.ص: ٢٠ ـ ٢١ ؛ ساووندرز، تاريخ الفتوحات، ص.ص: ٣١ ـ ٣٣.

(٢) انظر الجويني، جهانكشاى ، جـ ١/ ص.ص: ٣١ ـ ٣٣، الترجمة الانجليزية، ج ١/ ص: ٤٧ ، والحاشية رقم ١٧ ؛ رشيد الدين، جامع . ، جـ ١/ ص: ١٠٧.

الزواج لم يتم فقد توفيت البنت المخطوبة قبل الزفاف على «**الرئيس الأويغوري**»؛ وبعد وفاتها نجد جنكيز خان يعوضه بابنة ثانية له هي «**لاجي بيگي**» لتحل محل أختها المتوفاة . ومع هذا فلم يُقدَّر «للرئيس الأويغوري» أن يعيش طويلاً ليهنأ بزواجه من ابنة القائد العظيم ،فقد مات هو قبل ان تزف «**لاجي بيگي**» اليه[1].

نظراً لحسن العلاقات، والالفة والمحبة التي سادت بين جنكيز خان ـ الذي يقدر الرجال بخدماتهم ـ و «**يدى قوت**»، والتي كانت ناتجة عن ولاء واخلاص «**الرئيس الأويغوري**»تجاه سيده الخان المغولي ، فقد أصبح «**الأويغوريون**» يمثلون القوة الغالبة المسيطرة على جميع الشؤون الادارية، المدنية والحضارية للامبراطورية المغولية ، رغم انضوائهم تحت نفوذهم وخضعوا لسيادتهم[2]. فأصبحت بذلك الحضارة، والتقاليد والنظام الاداري ، والتعليم «**الأويغوري**» والأبجدية «**الأويغورية**» هي النظام السائد والمعمول به في الدولة المغولية المترامية الأطراف .

(١) رشيد الدين، جامع . ، جـ١/ ص .ص: ١٠٧ ـ ١٠٩.

(٢) الجويني ،جهانكشاى ، جـ ١/ ص.ص: ٣٣ ـ ٣٤، الترجمة الانجليزية ، ج١/ ص.ص: ٤٧ ـ ٤٨ ؛ انظر ايضاً: فوكس، حنكيزخان ، ص: ١٢٤.

الدولة القراخطائية

كانت أراضي «**الدولة القراخطائية**»، أو «**دولة الخطأ**» ، **أو** «**سي ليو**» (وهي ما تسميها مراجعنا العربية بـ «**الخطا**») تقع على الحدود الغربية من ممتلكات «**الدولة الأويغورية**». وقد عاشت «**دولة القراخطائيين**» **في هذه** المنطقة الغربية ما يقارب من قرن من الزمن ،أي ما بين سنة **٥١٩ هـ/ ١١٢٥م** وسنة **٦٠٨ هـ/ ١٢١١م**.

ان الموطن الأصلي «**للقراخطائيين**»، أو «**الكاثاي السود**»، هو : الأجزاء الجنوبية من «**منشوريا**». ففي وقت ما، في بداية القرن الثالث للجهرة النبوية الشريفة/ العاشر لميلاد السيد المسيح (ع) كان الـ «**كثي تان**» او «**الكاثاي**» يحكمون امبراطورية قوية ، واسعة النفوذ، مترامية الأطراف ومهيبة الجانب. فكانت أراضيها التي تحكمها تشمل مناطق وأقاليم «**منشوريا**» الحالية، «**ومنغوليا**»،وجميع الأجزاء الشمالية لأراضي الصين ، وبمعنى آخر ، كانت «**امبراطورية الكاثاي**» تمتد من جزر اليابان والمحيط الهادي شرقاً، الى « **جبال التاي**» غرباً، ومن «**بحيرة بيكال**» شمالاً الى الحدود الشمالية لامبراطورية «**سُنْـَّك الصينية**» جنوباً[1].

---

(١) انظر: جامع التواريخ لرشيد الدين ، جـ ١/ ص.ص: ٢٣٤ ـ ٢٣٥ ؛ التاريخ السري ، الترجمة الانجليزية ، ص : ٢٥٦ ؛ ثم: برتسكنيدر ، بحوث . ، جـ ١/ص.ص: ٢٠٨ ـ ٢٠٩ ؛ ويتفوكل، وفنك تشيا ـ شنگ، تاريخ المجتمع الصيني (ليو) (٩٠٧ ـ ١١٢٥)، فيلادلفيا، ١٩٤٩م حيث ترجم من مصادر صينية ؛ دورا نتوبلز ، البعثات البابوية ص: ٣٢ ؛ بارثولد، الدراسات الأربع ، جـ ١/ ص.ص: ٧٨ ـ ٨٠ .

كانت الأسرة الحاكمة لهذه الامبراطورية تدعى «**سلالة ليو**»؛ إلا أنه في حوالي عام ٥١٩ هـ/١١٢٥م أطيح بهذه الأسرة الحاكمة على يد سلالة جديدة جاءت بعدها ، وحكمت في «**منشوريا**»- وهو الموطن الأصلي لها - وبلاد الصين الشمالية . وقد عرفت في التاريخ باسم «**سلالة تشن**»، اي «**الأسرة الذهبية**». وقد نجح «**نوتشي تيقو**» وهو «**يه - لو تاتشي**» أحد الأمراء من الأسرة المهزومة ، أن ينجو من مقصلة قائد أسرة «**تشن**»، وأن يهرب الى الجهات الغربية من ممتلكات أسرته . وقد كانت ظروف وملابسات أحوال «**نوتشي**» هذا شبيهة بظروف عبد الرحمن الداخل الأموي ، وقد كان «**نوتشي تيقو**» هذا مصحوباً بحوالي ثمانين شخص ، وقيل ثمانين أسرة من أتباعه ومريديه[1].

وتقول الروايات التي بين ايدينا أن «**نوتشي**» سار في طريق هربه الى الغرب، حيث شق الأراضي المغولية؛ ومنها رحل الى ممتلكات قبائل «**القرقيز**»، ومن هناك سار عبر أراضي « **الدولة الأويغورية**» ، حتى وصلوا في سفرهم ، واستقرت رحلتهم بهم في أراضي التركستان في وسط قارة آسيا [2]. وتذكر الروايات التاريخية أن «**نوتشي**» هذا وجماعته ، أثناء سفرهم في اراضي «**القرقيز**» كانوا قد دخلوا في حروب ومناوشات عسكرية مع قبائل «**القرقيز**» البدوية، أجبروا على أثرها أن يتراجعوا الى مناطق نهر اميل ، حيث استقروا هناك لبعض الوقت ، وبنوا لهم مدينة هناك ، ما زالت آثارها - حسب رواية الجويني - قائمة حتى وقت هذا المؤرخ الفارسي[3].

وعلى الرغم من ان عدد أفراد جماعة وأتباع هذا الامير الهارب قد ازداد بصورة كبيرة عما كان عليه سابقاً ، حيث أصبح يربو على أربعين ألف نفر، الا ان «**نوتشي تيقو**» رحل من مكانه هذا؛ اما أن يكون غير قادر على أن يحافظ على

---

(١) لمعلومات عنه : انظر بويل، في ترجمته لجهانكشاى، جـ ١/ص: ٣٥٥ ، حاشية رقم ٤ ؛ برتسكنيدر، بحوث، جـ ١/ص: ٢١١ .

(٢) الجويني، جهانكشاى ، جـ ٢ / ص ص: ٨٦ - ٨٧ ؛ رشيد الدين، جامع ، جـ ١/ ص .ص: ٢٣٥ - ٢٣٦ .

(٣) الجويني ، جهانكشاى، جـ ٢ / ص : ٨٧، الترجمة الانجليزية، جـ ١/ ص : ٣٥٥ .

أرواح أفراد جماعته ، من أي هجوم قد تقوم به دولة أو قبيلة ما ، أو أنه كان يريد أن يبحث في المناطق الواقعة غرباً عن مكان أكثر خصوبة ، وأفضل من مكانه الذي كان يقيم به على ضفاف «نهر اميل». ومع هذا فيبدو لنا أن البديل الأخير كان هو الأكثر احتمالاً .

وقد قام «نوتشي» بقيادة اتباعه ومريديه وهاجر بهم الى المنطقة الواقعة حوالي «مدينة بلاساغون»، التي تقع على الضفة الغربية «لنهر تشو»، بالقرب من المدينة المعروفة في الوقت الحاضر بـ «فرونز»[1].

وفي مصادرنا العربية نجد ابن الأثير يستأثر بمعلومات عن هؤلاء القوم ؛ فيذكر - في رواية شديدة الاختصار والغموض - أن هذه العشيرة صادفت، في رحلتها المرتبكة ، قافلة تجارية عظيمة ، فأمر سيدهم بالقبض على القافلة وحبسها . وقد اشترط لاطلاقها أن يدلهم أصحاب القافلة على مكان مناسب لهم ، غني في مراعيه ليكفي دوابهم ومواشيهم، وفسيح جداً في مساحته، لكي يستوعب عددهم الهائل. وقد أرشدهم أصحاب القافلة على «منطقة بلاساغون» ذات المراعي الغنية، وذات الخصوبة ، والواسعة الأرجاء[2].

أما ما يتعلق برئيس هذه العشيرة المهاجرة ، الأمير « نوتشي تيقو » ، فيحدثنا عنه رشيد الدين ، ويقول بأنه كان رجلاً عاقلاً، حليماً ؛ ذا ارادة وعزيمة نافذتين ؛ وادارة حازمة ؛ يعرف كيف يدير شؤون قبيلته بكل حنكة ودراية . لذلك فقد جذبت هذه الصفات الحميدة الكثير من القبائل البدوية ، فانضمت تحت رئاسته راضية مختارة[3]. وقد شجعه ذلك لتوسيع سلطانه ورقعة الأراضي التي تحت نفوذه ، لتشمل بذلك جميع الأراضي التركستانية . وهنا أعلن نفسه خاناً أعظم على هاتيك البقاع، متخذاً لقب «كورخان». وقد شرح لنا رشيد

---

(١) يسمي ميرخواند (روضة الصفا ، جـ ٥/ ص : ٦٩) بلاساغون بـ : المدينة الجميلة او الطيبة ، وقد نقل عنه ، كَروسّت ، في كتابه «فاتح العالم» ص : ٢٠٦ ؛ لمعلومات اكثر عن هذه المدينة، انظر : الجويني، جهانكشاى ، جـ ١/ ص : ٥٨، حاشية رقم ٨

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٩/ص : ٣ .

(٣) رشيد الدين ، جامع ، جـ ١/ ص: ٢٣٦

الدين معنى هذا الاسم ، فقال بأنه يعني «**الملك العظيم**». أما الجويني فيقول بأن كلمة «**كَور خان**» تعني «**ملك الملوك**»، بينما نجد ابن الأثير يقول بأنها تعني «**أعظم الملوك**»، مع أن ابن الأثير في موضع آخر بنفس الصفحة يذكر بأن هذا الأمير كان أعوراً ؛ فلم نعثر في مصادرنا على ما يؤيد رأي ابن الأثير ، وربما خدعته كلمة «**كَور**» فكتبها «كور» وهذه الكلمة الأخيرة تعني في الفارسية «**أعور**» فكان هنا منشأ الالتباس عند ابن الأثير[1]. ويبدو لنا أن أقرب معنى لها هو ما أشار اليه رشيد الدين؛ ومع هذا فإن المعنى الدقيق لكلمة «**كَور**» غير معروف ، الا أنه يمكن تفسيرها بمعان عديدة، لا تخرج عن هذه الكلمات : الشجاع ، البطل ، المنتصر ، العظيم، العالمي . . الخ[2].

وقد مر بنا شخصيات كانت قد اتخذت من هذه الكلمة لقباً لها ، فقد تسمى «**جاموقة**» ـ رئيس قبيلة «**جاجيرات**» المغولية ، والمنافس الأول لجنكيز خان على رئاسة قبائل المغول ـ بهذا اللقب ، وانتحله مبارزة منه ومجارات في ذلك لخصمه ومنافسه جنكيز خان ، عندما تسمى بهذا الاسم « **جنكيز خان** » ونجد أيضا أن عم « **أونگ خان** » (رئيس قبيلة « **كيرايت** ») قد تلقب بـ « **كَورخان** » أيضاً .

بعد أن أعلن «**نوتشي تيقو**» رئيس «**القراخطائيين**»، نفسه خاناً أعظم ، نجده بذلك يؤسس سلالة حاكمة في «**بلاساغون**»، عرفت في التاريخ باسم «**الكَورخانيون**»، كما عرف الشعب الذي أدان لحكمه بـ «**القراخطائيون**» اي الخطا السود ، كما عرفوا أيضاً بـ «**سلالة سي ليو**» أي سلالة ليو الغربية ، فكلمة «**سي**» تعني الغرب، وكلمة «**ليو**» تعني أن رئيسهم يرجع في نسبه أصلاً الى أسرة ، أو «**سلالة ليو**»، والتي كانت تحكم امبراطورية «**ليو**» في أراضي «**منشوريا**» وشمال الصين، ومنغوليا[3].

---

(١) المرجع السابق . جـ ١/ ص ٢٣٦، (پاد شاه معظم»، الجويني جهانكشاى، جـ ٢/ ص : ١٦ ، ١١ «**خان خانات**» ؛ ابن الأثير، الكامل . ، جـ ٩/ ص : ٣ ؛ وقد ترجمه برتسكيدر (المستشرق الروسي) اسم كَورخان على أنه : الكسيح مقابل «أعور» عند ابن الأثير، وهذا بطبيعة الحال خطأ

(٢) انظر في هذا المقام : بويل في ترجمته لـ : جهانكشاى، جـ ١/ص. ٦٢، حاشية رقم ٤

(٣) انظر : برتسكيدر ، بحوث . ، جـ ١/ ص.ص: ٢٠٨ ـ ٢٠٩

من عاصمتهم، «بلاساغون» شن «القراخطائيون» حملاتهم العسكرية على المناطق المجاورة التي لم تكن خاضعة لهم بعد. ففتحوا البلاد، ونشروا نفوذهم وحكمهم على جميع المدن والقرى الريفية الواقعة في وادي «نهري تاريم ويلي». ثم اتجهوا غرباً وشمالاً، ففتحوا «كاشغر»، «وخوطان»، والمناطق التابعة لها؛ فضموها تحت حكمهم المباشر، كما أخضعوا «قبائل قُنقلي» البدوية التركية لنفوذهم. بعدها أرسل «كَورخان» حملة عسكرية، انتقامية، وتأديبية، ضد قبائل «القرقيز»، ليثأر منهم لقاء ما اقترفته أيديهم ضده؛ وما عاناه قومه منهم من حرب ومناوشات عسكرية أثناء رحلتهم الطويلة، التي هربوا فيها من موطنهم الأصلي «منشوريا» - كما مر بنا. أما هو فقد سار على رأس جيش عظيم باتجاه الغرب، متوجهاً ناحية «بيش - باليغ» - عاصمة الاويغوريين - فأخضعها لحكمه. ومنها بعث حملة أخرى ضد «منطقة فرغانة»، فانتشرت بذلك غزوات «القراخطائيين» الفاتحة حتى شملت كل أجزاء اقليم بلاد التركستان[1].

أما مسألة فتح البلاد الاسلامية الواسعة الأرجاء في اراضي ما وراء النهر، وخضوعها لنفوذ «الكَورخانيين»، فكما هو معروف عن الأوضاع المتردية لأحوال بعض الدول الاسلامية، التي تنشأ من وقت لآخر (نجد نماذج كثيرة لها في وقتنا الحاضر) فقد ساعدهم على ذلك ما كانت «أسرة الافرسيابيين» الحاكمة (نيابة عن السلطان سنجر السلجوقي) عليه من أوضاع منهارة ومتردية تنذر بالزوال. فقد كانت هذه الأسرة المسلمة الحاكمة لأراضي ما وراء النهر ضعيفة، ومنهارة في شتى أحوالها وشؤونها الداخلية. وقد كانت أراضيهم عرضة لهجمات القبائل التركية الشمالية البدوية المستمرة، وخاصة من قبيلة «قُنقلي»، التي كانت تسكن البراري والسهول الواقعة الى الشمال والشمال الشرقي من «بحر أورال». لذلك نجد أن الحكام المسلمين في ما وراء النهر يلجأون الى «القراخطائيين» يلتمسون حمايتهم ضد هجمات البدو الشمالية، مثلهم في ذلك كمثل المستجير من الرمضاء بالنار. فقد اكتشف «الافراسيابيون»، مع الأسف، ولسوء حظهم، بعد فوات الأوان، أنهم بعملهم هذا قد أتاحوا الفرصة لعدو لدود، أكثر

(١) الجويني، جهانكشاي، جـ ٢/ ص: ٨٨.

خطراً وأشد شوكة ، من قبائل البدو الشمالية، أن يجثم على أرضهم . وقد أحس محمد خان الحاكم آنذاك ،بفداحة الخطب ، وبخطر «**القراخطائيين**» الداهم، وأنهم بدأوا يخططون للانقضاض عليه، والتهام أراضيه، وضمها الى ممتلكاتهم. وهنا أرسل الى السلطان المسلم القائم في ذلك الوقت ، وهو سنجر السلجوقي، يستنجد به على «الكَورخانيين»، فلبى السلطان سنجر استنجاد نائبه على اقليم ما وراء النهر..

فاد سنجر حملته العسكرية، وكانت حملة جبارة كثيرة العدد ، ووافرة العدة والعتاد ، وعبر بها نهر جيحون ؛ ليقابل بها حشود «**القراخطائيين**». وفي يوم من أيام شهر صفر من عام **٥٣٦** هـ/ سبتمبر سنة **١١٤١** م تقابل الخصمان (المسلمون ، بقيادة سلطانهم سنجر السلجوقي، و «**القراخطائيون**» بقيادة خانهم «**كَور**»)في مكان يعرف بـ «**قطوان**»، الذي يقع على بعد ستة فراسخ فقط من مدينة سمرقند الاسلامية، عاصمة أراضي المسلمين في ما رواء النهر .

كانت معركة «**قطوان**» من أشد المعارك التي خاضتها الجيوش الاسلامية، وأعنفها ، وذات نتائج مؤلمة وعواقب وخيمة بالنسبة للمسلمين عموماً والسلطان سنجر على وجه الخصوص . فقد دارت الدائرة على المسلمين ، فهزمهم «**القراخطائيون**» هزيمة ساحقة ؛ أذلتهم على يد أعدائهم. ولم تكن هزيمة المسلمين مذلة فقط للسلطان سنجر ، وضربة قاصمة ، هدت من مركزه كسلطان معتبر من سلاطين المسلمين العظام ـ وخاصة عندما أسرت حتى زوجته ، بل وكانت وصمة عار مني بها المسلمون، فقدوا على أثرها جميع أراضي ما وراء النهر ، وفقدوا بذلك استقلالهم ، وخضعوا لسلطة أجنبية لأول مرة في تاريخهم الاسلامي ، وأصبحوا تحت حكم «**أسرة الكَورخانيين**»[١] .

وقد ظلت هذه الأراضي الاسلامية، الواقعة الى الشرق من نهر جيحون ،

---

(١) ابن الأثير، الكامل . ، جـ٩/ ص٤٠ ؛ عروضي، نظام الدين احمد بن عمر بن علي ، المقالات الاربع ، الترجمة الانجليزية ، بر اون ، لندن ١٩٠٠م، ص : ٣٨ ؛ الطبعة الفارسية ، تحقيق محمد القزويني و م. معين ، طهران، ٣٣٣ هـ .ش. ١٩٥٤ م.

تحت حكم «القراخطائيين» حتى أوائل القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، عندما استعادها السلطان المسلم محمد خوارزم شاه .

يروي لنا ابن الأثير عن هذه المعركة، وعن أسباب هجوم «القراخطائيين» ضد بلاد ما وراء النهر ـ التي كانت تتمتع بالحكم الذاتي الاستقلالي، ويحكمها «الافراسيابيون» نيابة عن السلطان سنجر ـ فيقول بأن ذلك كان استجابة لتحريض وتشجيع «الشاه الخوارزمي أتسيز»، لينتقم لمقتل ولده ، الذي قتل على يد السلطان سنجر السلجوقي[1] .

على الرغم من أن رواية ابن الأثير هذه تبدو ممكنة ، ومحتملة الوقوع ، اذ ليس من المستبعد أن يقدم الشاه الخوارزمي على عمل كهذا ، الا أنه مع هذا فلا يمكننا الأخذ بهذه الرواية ، لأن أراضي وممتلكات الشاه الخوارزمي نفسها أصبحت الهدف الثاني ، بعد اقليم ما وراء النهر ، لهجمات «القراخطائيين» . حيث تعرضت مملكة الشاه «أتسيز» لغارات عسكرية قامت بها قوات «كورخان» ، بقيادة الرئيس العام لقواته المسمى «أربوز، أو اربوز» . ففي هجوم كاسح قام به هذا القائد على أراضي الشاه ، استطاع أن يدمر وينهب قسماً كبيراً من الأقسام الشرقية لممتلكات الشاه ، وكما نتج عن هذه الغارات العديد من الضحايا من سكان أراضي الخوارزميين . ونتيجة لهذه الغارات داخل أراضيه ، وليتفادى تمادي العدو اكثر في تدمير أراضيه، وليضمن انسحاب القوات التازية من مملكته نجد أن «أتسيز» يرسل وفداً دبلماسياً الى «كورخان» معلناً خضوعه للشروط التي يمليها عليه «خان القراخطائيين» .

كانت نتيجة هذه المباحثات السلمية أن أصبح الحاكم الخوارزمي خاضعاً كلياً لسلطات «كورخان»، وقبل أن يكون واحداً من اتباعه ، يأتمر بأمره، ويدفع له ضريبة سنوية . وقد وافق الفريقان على تحديد هذه الضريبة السنوية التي فرضها «كورخان» على الشاه الخوارزمي بمبلغ يقدر بحوالي ثلاثين ألف دينار

---

(1) ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٩/ص ٤

ذهباً[1]. ثم ان «**القراخطائيين**» كانوا ينتهجون سياسة توسعية لا تحتاج لتحريض أجنبي من قبل الشاه «أتسيز» أو غيره .

في سنة ٥٤٠ هـ/ ١١٤٤ م توفي «**كورخان**» «**نوتشي تيقو**» ، أو «**يه - لو تا - شي**») المؤسس الأول لسلالة «**سي ليو**» الحاكمة في الغرب. وقد حمل لقبه «كورخان» كل الحكام الذين جاؤا من بعده وتناوبوا على عرش الشعب «**القراخطائي**»، الى أن انقرضت هذه السلالة، ودالت «**دولة القراخطائيين**» بصورة نهائية في سنة ٦٠٨ هـ/ ١٢١١م، عندما أطاح بها «**كوتشلوك خان النيماني**»،وبآخر ملوكهم، و اغتصب عرشه ، واحتل أراضيه، كما سيرد معنا ، ان شاء الله ، في الصفحات التالية .

---

(١) الجويني، جهانكشاى. ، جـ ٢/ ص.ص: ٨٨ - ٨٩ ، الترجمة الانجليزية ، جـ ١/ ص ٣٥٦ ، رشيد الدين، جامع . ، جـ ١/ ص: ٣٣٥ ، **المخطوطة العربية**، ورقة رقم : ١٨٢ ب.

سياسة حكومة القراخطائين تجاه المسلمين في أراضيهم

أما من ناحية السياسة التي كان أعضاء «أسرة ليو الغربية» ينتهجونها تجاه الشعوب التي تحكمها، فقد كانت سياسة متزنة ؛ تنم عن بعد نظر ، وسماحة طيبة ، وتسامح ديني مع كافة الطوائف الخاضعة لحكمهم . فرأى «الكَورخانيون» أنه من الأصلح لهم عدم التدخل في شؤون الناس عامة ، والدينية على وجه الخصوص. فقد كانوا يحكمون طوائف متعددة المشارب ، مختلفة الأديان، وذات أصول ثقافية وحضارية متباينة ، فعلى سبيل المثال نجد أن الأديان التي كان الشعب «القراخطائي»، أو الناس الذين خضعوا لحكم «القراخطائين»، يدين بها كانت تتمثل في الأديان : البوذية، والمانوية ، والمسيحية ـ على المذهب النسطوري ـ والديانة الاسلامية . كما كانت الديانة التي كان يدين بها الحكام أنفسهم هي الديانة الوذية . ورغم هذا ، فقد كانوا يكنون كل احترام وتقدير للديانات الأخرى ، ولأصحابها ؛ وممن تمتع بهذا الاحترام والتقدير السكان المسلمون ودينهم الاسلامي . فلم يحاولوا التدخل في معتقداتهم الدينية ، ولا في شؤون حياتهم اليومية الخاصة ، فنعموا بحرية تامة .

ومقابل ذلك نجد ان المسلمين كانوا يكنون احتراماً وتقديراً جليلاً لحكامهم من «الكَورخانيين» وان كانوا بوذيين . ونجد صدى هذه الحقيقة في الكتب والمراجع الاسلامية التاريخية والأدبية ، على السواء . فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن «نظام الدين العروضي»، في مؤلفه «تشهار مقاله» أي «المقالات الأربع» يمتدح «الخان القراخطائي»، «كَورخان»، ويصفه بأنه ذلك الحاكم العادل ، الذي لا تجد لعدالته حداً ولا نهاية، وان أوامره مطاعة ، فلم تجد من

يعارضها أو يناقشها ؛ وحقيقة فإن هاتين الصفتين يكمن الجوهر الحقيقي للصفة الملكية[1].

وقد اكتفى الحكام الكَورخانيون في تنفيذ سلطاتهم على مختلف المدن الاسلامية منها على وجه الخصوص بحاميات عسكرية صغيرة تقيم في المدن الكبيرة فقط ، كما قنعوا أن يدفع لهم الأهالي ضريبة رمزية على كل أسرة ، تقدر بحوالي دينار واحد على كل أعضاء الأسرة في السنة الواحدة[2]. ولقد كان المسلمون وحكامهم من المسلمين الخاضعين« للكَورخانيين »يشتركون في حروبهم حتى ضد السلاطين من المسلمين غربي نهر جيمون .

(1) عروضي ، المقالات الأربع ، الترجمة الانجليزية . ، ص.ص: ٣٨ ـ ٣٩ . انظر ايضاً رشيد الدين، جامع . ، جـ ١/ ص.ص: ٢٣٦ ـ ٢٣٧.

(2) رشيد الدين ، جامع . ، جـ ١/ ص.ص: ٢٣٥ ـ ٢٣٦ ، المخطوطة العربية، ورقة ١٨١ ب ؛ ابن الأثير ، الكامل، جـ ٩/ ص : ٣ ؛ الجويني ، جهانكشاى، جـ ٢/ ص.ص. ٧٨ ـ ٧٩ ؛ برتسكنيدر ، بحوث . ، جـ ١/ ص: ٢٣١ .

انحلال وزوال الدولة القراخطائية

في أواخر القرن السادس وأوائل السابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ، نجد أن «دولة القراخطائيين» بدأت تضعف ؛ فأخذت عوامل الانهيار تسير بها نحو الزوال . ولقد زاد سوءً صراعها المرير والطويل ، الذي كان ينشب بينها وبين السلاطين المسلمين ـ الذين توارثوا ذلك الصراع ، أسرة مسلمة بعد أخرى ـ وذلك للسيطرة على بلاد ما وراء النهر والمناطق المجاورة لها . وقد بدأ السلاجقة هذا النزاع المسلح مع «القراخطائيين»، وورثهم في ذلك السلاطين الغوريون ، ثم جاء بعدهم السلاطين الخوارزميون ، ولم تنته تلك الحروب الطويلة الا أيام السلطان الخوارزمي محمد بن تكش في العقد الأول من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي . ولولا تعاون الحكام المسلمين وانخداعهم بكلام السلطان محمد خوارزم شاه المعسول ، لما استطاع الخوارزميون أن يضموا اليهم أراضي ما وراء النهر ؛ فقد ثار ضدهم المسلمون وندموا على ثورتهم التي لا مبرر لها ضد «الكورخانيين»[1].

والذي يبدو لنا أن تلك الحروب، وثورة المسلمين ـ بقيادة حاكم سمرقند المسمى بـ « **سلطان السلاطين** » وتعاون خوارزم شاه معهم ، قد أنهك «**القراخطائيين**» . **هذا بالاضافة الى هجمات القبائل** البدوية التي كانت تجوب المناطق الفسيحة الأرجاء الواقعة الى الحدود الشمالية من أراضي «القراخطائيين» . وتبدو مظاهر الضعف على «**دولة القراخطائيين**» عندما فشل «**كورخان**» في صد تيارات

---

(١) تكلمنا بالتفصيل عن هذا الموضوع في الفصل الثالث ، الفقرة «ب» من كتابنا «اوضاع الدول الاسلامية في المشرق الاسلامي».

هجرة القبائل الى أراضيها من جهة حدودها الشرقية، والشمالية الشرقية ، وقد كانت هذه القبائل، وعلى رأسها «**قبائل النيمان**»، قد اتخذت من أراضي «**القراخطائيين**» مكاناً تلتجىء اليه من هجمات المغول ، التي كانت تغزوهم بانتظام ، قبل وبعد غزوة جنكيز خان لأراضي «**مملكة تشن في الصين الشمالية**».

لقد أغرى هذا الضعف ، وذلك الانحلال في «**الدولة القراخطائية**»، ذلك الأمير «**النيماني كوتشلوك خان**»، الهارب من سيف جنكيز خان ؛ فقد كان «**كوتشلوك خان**» ذا أطماع سياسية، وتواقاً الى الملك بشكل جعل مبدأه «**الغاية تبرر الوسيلة**». لذلك نجده يطمع في اغتصاب عرش «**القراخطائيين**» بوسيلة تنم عن الخسة والدناءة ، ونكران المعروف والجميل . فعلى الرغم من أن «**كَورخان**» ، كان قد آواه وحماه أثناء هربه من مقصلة المغول التي كانت تطارده، وزوجه من ابنته، نجد أن «**كوتشلوك خان**» يعمل بشتى الوسائل ويغتصب عرش آخر ملوك «**الكَورخانيين**». اذ أنه بينما كان «**كَورخان**»، ملك «**القراخطائيين**» «**تشي - لو - كو**» والذي حكم بين سنة ٥٧٤ هـ / ١١٧٨م وسنة ٦٠٨ هـ/ ١٢١١م، عائداً من آخر معركة مع المسلمين ، بقيادة محمد خوارزم شاه وحلفائه من المسلمين من حكام ما وراء النهر ، هاجمه «**كوتشلوك خان**» بغتة ، لم يستطع «**كَورخان**» أن يدافع عن نفسه . فأخذ أسيراً على يد «**كوتشلوك خان**» وحجر عليه ، واحتل عرشه ، وحكم «**القراخطائيين**» بدلاً منه . وبعد سنتين عاشها في الأسر، في يوم من شهور عام ٦١٠ هـ/ ١٢١٣م مات «**كَورخان**»، في أسره ، وبموت «**تشي - لو - كو**» سنة ٦١٠ هـ/ ١٢١٣م انتهت دولة «**القراخطائيين**» كقوة مستقلة ، حكمت قرابة قرن من الزمن ، كما انتهت معها «**أسرة سي - ليو**» الحاكمة في الغرب[1].

---

(١) رشيد الدين، جامع . ، جـ ١/ ص : ٣٢٧ ؛ الجويني، جهانگشای، جـ ٢/ ص.ص: ٩٢ - ٩٣. الترجمة الانجليزية، جـ ١/ص.ص: ٣٦٠ - ٣٦١ ؛ انظر أيضاً حاشية رقم ١٨ .

كوتشلوك خان واحتلاله عرش الكَورخانيين

أما مسألة مجيء «**كوتشلوك خان النيماني**» ، وكيفية تمكنه من «**كَورخان**» وعرشه ، وتاريخ حكمه للشعوب التي كانت قبله خاضعة لحكم «**الكَورخانيين**»، فقد رأينا سابقاً كيف أن «**كوتشلوك خان**» قد مني بهزيمة ماحقة مع عمه وأحلافه، على سفوح «**جبال التآى**»، ولاذ بالهرب من السيف المغولي الذي كان يطارده . وبعدها هرب بجلده باتجاه الغرب، وسلك في رحلته الهاربة الطريق الى مدينة «**بيش باليغ**» ومنها أخذ الطريق الى داخل أراضي «**القراخطائيين**»، حيث تجول هائماً على وجهه لعدة أيام دون طعام أو ما يقوِّت به نفسه . وكان قد تركه جميع أتباعه ، ومريدوه من قبيلته ، الذين كانوا برفقته، وتفرقوا ايدي سبا ، حسب قول الجويني في هذا الصدد[1].

يعطينا الجويني روايتين مختلفتين عن كيفية وصول «**كوتشلوك خان**» الى بلاط «**القراخطائيين**» واتصاله بالخان الحاكم ، «**كَورخان**». وتقول احدى هاتين الروايتين أن «**كوتشلوك خان**» ذهب عن قصد الى «**كَورخان**» في بلاطه مباشرة ؛ والرواية الثانية تقول بأن مجموعة من حرس الحدود العسكريين قبضوا عليه ، وساروا به الى ملكهم «**كَورخان**»[2].

مهما كانت حقيقة أمر وصول «**كوتشلوك خان**» الى عاصمة «**القراخطائيين**»، بطريقة أو بأخرى، فان الأمير «**النيماني**» الهارب استطاع أن يصل سالماً الى بلاط «**كَورخان**». وتذكر الروايات التي بين أيدينا أن الأخير

---

(١) الجويني، جهانشكاي: جـ ١/ ص: ٤٦ ، الترجمة الانجليزية، جـ ١/ ص: ٦٢ .

(٢) المرجع السابق ، جـ ١/ ص: ٤٦ .

رحب به أجمل ترحيب ، وأكـرمه غاية الاكرام؛ وقبل أن ينزل عنده مكرماً معززاً . وفيها بعد نجد «الخان القراخطائي» يقدم ابنته الى «الخان النيماني» اللاجىء لتكون زوجة له[1].

لم نُعط تاريخاً معيناً لوصول الأمير أو «الخان النيماني» الى بلاط «كَورخان». الا أنه بتتبع الروايات ، والأحداث التاريخية يمكن أن نقول بأن «كوتشلوك خان» ربما كان قد وصل الى العاصمة «القراخطائية» في وقت ما في أحد شهور سنة ٦٠٤ هـ/ ١٢٠٧م. وفي هذه السنة بالذات يروي لنا ابن الأثير أن «كَورخان» كان قد فقد بعض أراضيه الاسلامية في مملكة ما وراء النهر والتي احتلها السلطان محمد خوارزم شاه بمساعدة حكامها المسلمين[2]

وهنا نجد أن «كَورخان» قد أصبح في موقف ضعيف جداً عجز منه أنْ يعالج المصائب الداخلية لدولته ، وخاصة المشاكل التي أثارها عليه بعض ولاته من المسلمين المتمثل في تمردهم على سطته . لذلك فيمكن أن نستنتج الأسباب الكامنة وراء ترحيب «كَورخان» بملك «النيمان» وتكريمه اياه ؛ وفوق هذا يقدم ابنته لتكون زوجة «لكو تشلوك»«خان». فالذي يظهر لنا أن «كَورخان» كان قد وجد في ضيفه حليفاً يمكن ان يساعده في محنته التي أثارها عليه ولاته من المسلمين في أراضي ما وراء النهر ؛ وذلك باستجلاب قومه الذين تشتت شملهم ، من جراء حروبهم المتواصلة مع جنكيز خان وقومه من المغول . ولكي يظهر ثقته وحبه، وصدقه في تكريم حليفه الجديد نجد أن «كَورخان» يعبر عن ذلك بتزويجه من ابنته. ومع هذا، فالذي يبدو لنا أن هذه السياسة التي اتبعها «كَورخان» تجاه ضيفه وحليفه الجديد لم تعط ثمارها المرجوة . ففي هذا الوقت كانت حروب «كَورخان» ضد المسلمين على أشدها ؛ ورغم هذه الحقيقة فلم نعثر في مصادرنا على أي خبر يذكر أن «كوتشلوك خان» قد شارك ولي نعمته ،

---

(١) رشيد الدين ، جامع . ، جـ ١/ ص.ص: ٣٣٤ ـ ٣٣٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل جـ ٩/ ص: ٢٩١ ؛ خواند أمير (في حبيب السير، جـ ٢/ ص: ٦٤٣) يضع ذلك سنة ٦٠٠ هـ/ ١٢٠٣ ـ ١٢٠٤).

وأبا زوجته وحاميه ، «كَورخان»، أو قدم له يد المساعدة في هذه الحروب التي كانت دائرة بينه وبين المسلمين بقيادة السلطان محمد خوارزم شاه للسيطرة على اقليم وأراضي ما وراء النهر . بل على العكس من ذلك، فيحدثنا كل من رشيد الدين والجويني، أن «كوتشلوك خان» كان قد رأى بأم عينيه ما كان يعانيه «كَورخان» من ضعف وما وصلت اليه دولته من تفكك وانهيار . نخطط أن يطوح بولي نعمته ؛ ويستولي على عرشه، ويحكم البلاد «القراخطائية»[1].

والذي نراه، هو أن نجاح الثورات التمردية الاسلامية، التي قام بها بعض الحكام المسلمين في هذه الأجزاء من ممتلكات «الكَورخانيين»، والذين ساندهم في ذلك السلطان محمد ، ليخدم أغراضه الخاصة ، شجعت «الخان النيماني» لكي يقوم بتخطيط وتنفيذ مشروعه الدنيء ضد من أنعم عليه . فتقدم الى « كَورخان » وطلب منه أن يسمح له بالعودة الى المناطق التي كان قومه قد تبعثروا فيها ، بحجة لَمْ شعثهم مرة أخرى تحت رئاسته ، ثم بعد ذلك العودة بهم جميعاً ليساعد «القراخطائيين» ضد الثوار المسلمين

وهنا نجح «كوتشلوك خان» في لعبته الخادعة ، فانخدع «كَورخان»، وسمح له بالذهاب، كما طلب ، الى قومه المتفرقين في المقاطعات الواقعة حوالي «نهر إميل». وما أن سمعت «قبائل النيمان» بخبر عودة سيدهم الهارب ، حتى تجمعوا حوله من كل حدب وصوب . فاستطاع «كوتشلوك خان» أن يتمكن من تكوين قوة لنفسه في المناطق الواقعة الى الشرق من أراضي التركستان، متخذاً في ذلك من غياب جنكيز خان ، والمغول ـ الذين كانوا في ذروة فتوحاتهم ضد «مملكة تشن الصينية الشمالية» ـ فرصة له ليبدأ من جديد في تكوين مملكة له . وقد نجح «النيمان» في الغارات التي شنوها على مناطق شرقي تركستان ، ومناطق «نهر إميل»؛ فشجع نجاحهم ذلك العديد من القبائل البدوية ، فانضمت تحت لواء «كوتشلوك خان». بعدها نجده يتوجه بهم في هجوم ضد أراضي « مملكة كَورخان » نفسها . الا أن الأخير استطاع أن يهزم جموع

---

(١) رشيد الدين : جامع . المخطوطة العربية، ورقة . ٣٨٢ ب ؛ الجويني، جهانكشاى ، جـ ١/ ص: ٤٦.

« النيمان » ، ويجبرهم على التراجع الى منطقة « نهر إميل » .

الا أنه مع هذا فلم يقلع «كوتشلوك خان» عن مخططه العدائي للاستيلاء على كرسي «مملكة القراخطائيين» ؛ حيث كان على معرفة تامة بمداخل البلاد ومخارجها . وهنا أعاد تنظيم جموعه من جديد، وتقدم نحو الغرب باتجاه أراضي «القراخطائيين». وقد نجح في مباغتة «كَورخان» وهو في نفر قليل من أتباعه ؛ بعد أن تفرق عنه جيشه، بعد معركة مع السلطان محمد خوارزم شاه ، عائدين الى بيوتهم ؛ فهزم مرافقيه وأخذ «كَور خان» أسيراً ، كما سبق وأشرنا الى ذلك أعلاه[1].

وهكذا سلك «كوتشلوك خان» ذلك المسلك الغادر ، فأخذ من ثقة ذلك الرجل ، الذي أنعم عليه ، وآواه ، أداة للاطاحة به ، واحتلال عرشه ؛ وذلك عندما ذهب تحت حجة أنه سيعود برجاله وقبائل «النيمان» لنصرته، فعاد لا لينصره ، بل ليطوح به ويحتل مملكته ، متنكراً لكل القيم والأخلاق .

---

(١) رشيد الدين، جامع . ، جـ ١/ ص.ص: ٣٠٨ ـ ٣١٠ ، ٣٣٧ ؛ الجويني، جهانكشاى، جـ ١/ص: ٤٨ .

سياسة كوتشلوك خان تجاه المسلمين ونهاية حكمه

خلال السنوات التي حكم فيها «**كوتشلوك خان**»، كمغتصب لعرش «**الكَورخانيين**»، والتي استمرت حوالي ثماني سنوات (٦٠٨ - ٦١٥ هـ/ ١٢١١ - ١٢١٨م) قام «**الخان النيماني**» بمضايقة، واضطهاد، وتعذيب، ومحاكمة الشعب «**القراخطائي**»، المسلمين منهم على وجه التخصيص. فقد كان يضمر لهم روحاً مليئة بالحقد الدفين، والكره العميق. وقد يوعز ذلك الكره الذي كان «**كوتشلوك خان**» يكنه تجاه المسلمين، الى أنهم كانوا يمثلون أغلبية كبيرة بين سكان أراضي «**القراخطائيين**»، التي اغتصب عرشها من حاكمها الأصلي، بطريقة غادرة؛ كما يمكن أن يقال أن أولئك المسلمين كانوا ينظرون الى حاكمهم الجديد نظرة فيها احتقار وازدراء لكونه، ارتد عن ديانته السماوية الأصلية (المسيحية النسطورية) الى البوذية لأغراض شخصية، وتحقيق مطامع ذاتية.

لقد عبر المسلمون عن كرههم الذي يكنونه تجاه «**كوتشلوك خان**» في ثوراتهم العسكرية المسلحة ضد حكمه الطاغي الظالم. فقد قاد السكان المسلمون في مدينتي «**كاشغر**» و «**خوطان**» الثورات الاسلامية ضد حكمه التعسفي. الا أن ثورتهم هذه أخمدت بوحشية وقسوة متناهيتين؛ وعوقب قادتها أشد عقاب؛ ونكل بهم وقتلوا. ولقد أصبح «**كوتشلوك خان**» حاكماً وحشياً؛ مضطهداً للمسلمين ودينهم الاسلامي. اذ أنه - كما قلنا - قبل أن يأتي الى أراضي «**القراخطائيين**» ويغتصب عرش «**الكَورخانيين**»، كان «**كوتشلوك خان**» يدين بالديانة المسيحية، وينتهج المذهب النسطوري، مثله في ذلك مثل أي فرد «**نيماني**». ولكنه بعد أن اعتلى عرش «**الكَورخانيين**» نجده يتزوج بامرأة كان قد

خطبها قبله أبو زوجته ، «كَورخان»، قبل الاطاحة به . وكانت تدين بالديانة البوذية . وبعد أن تزوج بها «كوتشلوك خان» نراها تؤثر عليه ؛ فيغير معتقداته الدينية من المسيحية الى البوذية[1]. وربما كان ارتداده عن دينه ونبذ المسيحية واعتناق البوذية سياسة أراد بها التقرب الى الشعب «القراخطائي البوذي»، والذي كان يحتل أعضاؤه مناصب راقية في حكومة «الكَورخانيين»، فأراد بذلك ارضائهم ، ليسكتوا عنه ولا يسببوا له مشاكل، لاغتصابه عرش سيدهم السابق .

وقد انتهج سياسة وحشية ، وقاسية تجاه الاسلام والمسلمين، فأخذ يلاحق قادتهم وعلماءهم بالقتل ، والتعذيب . ففي مدينة «خوطان» الاسلامية، حكم بالاعدام على علم من أعلامها ، وعالم من علمائها المسلمين، الشيخ الفاضل والامام الديني الكبير علاء الدين محمد الخوطاني .

ويروي لنا المؤرخ الفارسي، ميرخواند ، أن هذا الشيخ لم يكن الوحيد الذي قتل ، بل كان يتصدر قائمة من العلماء المسلمين الذين قتلهم «كوتشلوك خان»، أو أمر باعدامهم ، والذين حدد عددهم هذا المؤرخ بـ «ثلاثة آلاف من أصحاب العمائم»[2].

لم تقف سياسة كوتشلوك خان التعسفية والاضطهادية ضد المسلمين عند هذا الحد، بل نجده يعمد الى اغلاق مدارسهم، ومساجدهم؛ وتحويلها الى مدارس مسيحية وبوذية ، ومعابد لهاتين الديانتين . ثم نجده يذهب الى أبعد من هذا، فيجبر المسلمين بين أمرين ، اما أن ينبذوا عقيدتهم الدينية ويعتنقوا معتقده البوذي، أو التدين بالديانة المسيحية؛ أو بين الاعدام شنقاً . ثم نراه يحكمهم بحاميات عسكرية قوية كان قد وضعها في كل مدينة من المدن الاسلامية، ثم يقوم باصدار أوامره بأن يتفرق أفراد وأعضاء هذه الكتائب

---

(١) الجويني، جهانكشاي . ، جـ ٢/ص: ٩٣ ، الترجمة الانجليزية، جـ ١/ص: ٣٦٤ ، انظر ايضاً : برتسكنيدر ، بحوث . ، جـ ١/ص: ٢٣١ .

(٢) مير خواند ، روضة الصفاء . ، جـ ٥/ ص.ص: ٧٤ ـ ٧٥.

العسكرية فيسكنون في كل بيت مسلم ؛ يعيشون مع الأسرة الاسلامية وبناتهم وزوجاتهم ، فقاد ذلك أن استبد أولئك الجنود ، فارتكبوا من الأعمال الدنيئة والفواحش ما تقشعر منه الأبدان . ثم يزداد «كوتشلوك خان» في طغيانه وجبروته ، فيرغمهم لسلطته بالموت جوعاً . فقد عمد بإرسال جنده على المحصولات الزراعية وقت حصادها ، فيشعلون فيها النيران ، التي أتت على كل خضراء ويابسة[1] .

لم تكن هذه الأعمال العسكرية التي قام بها «كوتشلوك خان»، وتبوئه عرش « الكَور خانيين » في « بلاساغون » في الغرب غير معروفة لجنكيز خان ، الذي كان ما يزال في قمة الأحداث التي كانت جارية وقتها على يديه في أراضي الصين الشمالية . فالذي يظهر لنا أن نشاطات «كوتشلوك خان» في «مملكة القراخطائيين»، كانت أحد الأسباب التي جعلت جنكيز خان يوقف حملاته العسكرية داخل أراضي امبراطورية تشن ، والتي لم تكن قد انتهت بعد، ويعجل بالعودة عن الصين الى مقر حكومته في منغوليا .

فالذي نراه أنه قد أزعجه ، وأخافه ما قام به عدوه اللدود السابق « الخان النيماني» الهارب من سيفه ، من الاطاحة بحكومة «الكَورخانيين»، واستيلائه على مملكتهم الغنية الواسعة الارجاء؛ حيث كان قد تمكن من احكام قبضته على أراضي واسعة تمتد من مناطق «نهر إميل» شرقاً الى «نهر سيحون» غرباً ، كما أخذ ينازع السلطان محمد خوارزم شاه على أراضي ما وراء النهر .

ويروي لنا المؤرخ المغولي والمستشرق الانجليزي ج. ج. ساووندرز أن لجوء المسلمين المضطهدين الى جنكيز خان ، وطلبهم اياه انقاذهم مما كانوا يعانونه من الاضطهاد والحكم الطغياني على يد حكومة «كوتشلوك خان»، أعطى المغول وخانهم ذريعة لكي يبرروا تدخلهم العسكري في المنطقة التي كانت تحت

---

(١) الجويني ، جهانكشاى، جـ ١/ص. ص : ٤٨ ـ ٤٩ ، الترجمة الانجليزية، جـ١/ ٦٤ ـ ٦٥ ؛ رشيد الدين، جامع . ، جـ ١/ ص ص. ٣٣٧ ـ ٣٣٨ ، المخطوطة العربية ورقة : ١٨٤ ب ـ ١٨٥ ب ؛ ميرخواند ، روضة . ، جـ ٥/ ص: ٧٣ ـ ٧٦ ؛ برتسكنيدر ، بحوث ، جـ ١/ص.ص: ٢٣١ ـ ٢٣٢ ، وغيره .

حكم «**كوتشلوك خان**»[1].

على الرغم من أن ما أورده ساووندرز قد يكون ممكناً ، الا أن المغول ، وعلى رأسهم جنكيز خان ، لم يكونوا يحتاجوا ، أو لينتظروا ذريعة، أو حجة لهم ، لكي يقومون بغزو بلد ما ، أو قبيلة من القبائل ، في أي مكان ؛ وكائن من كان . لأن الخان المغولي رشحيه كانوا ـ وكما سيرد معنا في الفصل القادم ـ مقتنعين كل الاقتنـاع ، الذي لا يقبـل الشك في مـا كانـوا يعتقدونـه في امبراطوريتهم العالمية المنتظرة ، والتي كانوا يسعون جاهدين الى تحقيقها ؛ هذا بالاضافة الى ما كانوا يكسبونه في غزواتهم من أسلاب وغنائم. ثم أن هناك حقيقة ثالثة ، وهي تكاد تفوق الحقيقتين السالفتين ، وهي أن «**كوتشلوك خان**» كان العدو الأول الذي كان جنكيز خان يتوق الى القبض عليه لانهاء أمره . ومع هذا فلا يمكن أن ننكر الدور العظيم البارز الذي قدمه المسلمون المضطهدون ، والمظلومون، لمساعدة المغول الغازين لأراضي «**كوتشلوك خان**» الجديدة . ففي حقيقة الأمر كانت المساعدات الاسلامية، التي قدمها المسلمون للمغول هي التي **مهدت الطريق أمامهم لاحتلال وأخذ الأراضي« القراخطائية**» .لذلك فاننا نوعز تلك السرعة المذهلة ، والسهولة المتناهية ، التي انهار فيها حكم« **كوتشلوك خان**»وما تبعه من القضاء النهائي عليه ، الى مساعدة المسلمين وتعاونهم مع المغول الفاتحين . فقد حصل هذا عندما ارسل الفاتح المغولي جنكيز خان، «**جبه نويان**»، الذي كان واحداً من أبرز وأبرع جنرالاته الثلاثة الكبار ، ضـد «**النيمان**» وخانهم .

وكان «**كوتشلوك خان**» آنذاك متخذاً من مدينة «**كاشغر**» مقراً ومسكناً له . وفي رواية أوردها لنا وصاف الحضرة أن «**جبه نويان**» كان مصحوباً بجيش قوامه ما يقرب من عشرة آلاف مقاتل ؛ كما كان يرافقه في غزوته هذه كتيبة «**أويغورية**» بقيادة رئيسها «**يدى قوت**»[2]. الا أنه عند مقارنة هذه الرواية التي

---

(١) ساووندرز، تاريخ الفتوحات المغولية ، ص : ٥٥ . ويبدو أن المؤرخ ناقض نفسه في كتاب له آخر «المسلمون والمغول» ص : ٤٢ ، انظر أيضاً الصفحات التالية (أوائل الفصل القادم) الثاني ، من هذا الكتاب

(٢) وصاف الحضرة ، تاريخ وصاف ، ص : ٣١١ .

أوردها «وصاف الحضرة» بما قاله رشيد الدين عن هذه الحادثة ، فاننا نجد الأخير يذكر أن «جبه نويان» كان على رأس جيش ضخم جداً يقدر بحوالي عشرين ألف رجل[1]. وهذا ما نميل الى ترجيحه .

ويمكننا أن نستنج من روايتي الجويني ورشيد الدين أنه لم تجر ، في حقيقة الأمر ، أية معركة بين القوات المغولية وعدوهم القديم الهارب : «كوتشلوك خان». اذ أنه ما أن أخذ الفريقان يستعدان لخوض معركة حتى لاذ «الخان النيماني» بالهرب[2]. وفي الحال قام «جبه نويان» بارسال كتيبة عسكرية لتتعقبه. ومع هذا فلم تكن هذه القوة المغولية هي التي ألقت القبض عليه ، بل قام بهذه المهمة، نيابة عنهم ، مجموعة من المسلمين الذين كانوا يجوبون المنطقة بحثاً عن الصيد . فقبضوا على حاكمهم الظالم في أحد «جبال منطقة بدخشان» - حسب رواية الجويني - فقتلوه ، وحزوا رأسه وسلموه الى المغول الذين كانوا قد ارسلوا لتعقبه .

وهكذا، وبعد أن قبض على «كوتشلوك خان»، وتم اعدامه انتهت «سلالة النيمان الحاكمة»؛ ونتيجة لذلك فقد دخلت جميع أراضي «القراخطائين» سلمياً تحت أيدي وسلطة المغول بهذه السهولة ، وأصبحت جزءً من امبراطوريتهم. وباستيلاء المغول على ممتلكات «الكورخانيين» السابقين، نجد أن جنكيز خان قد أصبح جاراً للسلطان محمد الخوارزمي[3] .

---

(١) رشيد الدين ؛ جامع ، جـ ١ / ص : ٣٣٨ ؛ جويني ؛ جهانكشاي ، جـ ١/ص . ص . ٤٩ - ٥٠ ، الترجمة الانجليزية ؛ جـ ١ ص : ٦٠ ؛ ساووندرز ، تاريخ الفتوحات . ، ص : ٥٥ .

(٢) جويني ، جهانكشاي ، جـ ١/ص : ٥٠ ؛ رشيد الدين ، جامع . ، جـ ١/ص : ٣٣٨ .

(٣) الجويني ، جهانكشاي ، جـ ١ / ص : ٦٦ - ٦٨ ؛ رشيد الدين ، جامع . ، جـ ١/ص . ص ٣٣٧ - ٣٣٨ ؛ المخطوطة العربية ، ورقة أ ١٨٦ أ ؛ وصاف ، تاريخ . ، ص . ص : ٣١١ - ٣١٢ ؛ ميرخواند ، روضة الصفا . ، جـ ٥/ص . ص : ٧٥ - ٧٨ ؛ خواند امير ؛ حبيب السير جـ ٣/ ص . ص : ٢٦ - ٢٧ .

الفصل الثاني

فتوحات المغول لأراضي الخوارزم شاهيين وتراث جنكيزخان



دور المسلمين في بناء امبراطورية المغول

بحث جنكيز خان ، ونقب بشغف بالغ ، عن الرجال الموهوبين والعارفين بالشؤون الادارية من شتى الجنسيات ومختلف الحضارات ؛ فبوأهم أعلى المناصب الادارية وأرقاها ، وأكثرها اعتباراً في دولته ؛ لكي يقومون بتدبير شؤون امبراطوريته التي أخذت تتسع وتتضخم يوماً بعد يوم . فلقد كانت نظرته هذه علامة من علامات عبقريته الفطرية ، والذكاء الخارق ، والدهاء العظيم ، الذي منحها الله تعالى لهذا الخان المغولي . حيث عرف مدى افتقار ، وعوز ، وحاجة مجتمعه البدوي الى رجال من هذا النوع ؛ كما عرف كيف كان من الضرورة له بمكان بحيث يأخذ ـ ولو كان ذلك بصورة كبيرة جداً ـ من الأمم المجاورة ، التي أخضعها تحت نفوذه وسلطانه ، رغم انها كانت تفوق مجتمعه البدوي البدائي في مضمار الحضارة والتقدم .

كان ذلك الوزير الموهوب ، والاداري العظيم المستشار الصيني «تشتو تسئي» ؛ كما كان السكرتير الأول ، والمعلم الكبير للأمراء الصغار في البلاط الامبراطوري «تتا ـ تتا ـ تنكتا» الأويغوري ؛ ثم كان الرؤساء والوزراء الخوارزميون العظام «محمود يلواتش وابنه مسعود» ، كل هؤلاء كانوا قلة بين مجموعة كبيرة من الرجال الإداريين ، من ذوي الخبرات العالية في الشؤون الادارية الذين استعان بهم جنكيز خان في ادارة امبراطوريته الفتية الناشئة .

فاذا كانت امبراطورية المغول قد اعتمدت ، في تسيير دفة شؤونها الادارية على شخصيات تنتمي الى حضارات مختلفة «صينية ، وأويغورية ، ومسلمة» ـ فيبدو لنا ، دون أي ريب أو شك ، ان تلك العمليات العسكرية المغولية المذهلة ، والتي حققت نجاحاً سريعاً ومذهلاً ، لم يسبق له مثيلاً في التاريخ ، كانت

معتمدة بالدرجة الأولى على المعلومات السرية التي زودهم بها عملاؤهم وجواسيسهم الخاصون عن تلك البلاد التي وقعت تحت وطأة الغزوات أو الفتوحات المغولية .

أما فيما يتعلق بالمعلومات السرية التي تلقاها جنكيز خان عن أحداث ومجريات الشؤون الداخلية في الدولة الخوارزم شاهية ، أيام سلطانها محمد بن نكش ، فقد كان الخان المغولي مطلعاً اطلاعاً جيداً وواسعاً عما كان يحدث داخل أراضي السلطان محمد . حيث كان يعرف جنكيز خان عن هذا السلطان المسلم الكثير ؛ ويعرف عن قوته الظاهرية ، ومكانته الداخلية المهزوزة المتداعية ؛ كما كان عارفاً بالطرق التي كانت تؤدي الى أراضي السلطان، وكأنه سارها بنفسه . فلقد حصل الخان المغولي على تلك المعلومات السرية من خلال عملائه وجواسيسه الذين تزيو بزي التجار المسالمين وانتحلوا نحلتهم ومارسوا مهنتهم . ولقد كان معظم هؤلاء التجار مسلمين ، انخرطوا في سلك خدمات ادارية وارشادية ، تحت نفوذ المغول منذ سنوات طويلة خلت ، قبل أن يشن جنكيز خان غاراته ، ويقود حملته العسكرية المشهورة ضد الأراضي الغربية بوجه عام وأراضي الدولة الخوارزمية بشكل خاص. كان معظم هؤلاء المسلمين، الذين انضموا الى خدمة المغول ، تجاراً ؛ أو كانوا يمارسون مهنة التجارة سابقاً . فقد كانت تتم معظم تجارة الأجزاء الشمالية والوسطى لقارة آسيا عن طريقهم . كما كانوا يعتمدون أساساً في نجاح واستمرار تجارتهم على استتباب الأمن والاستقرار على طول طرق القوافل . وبصفتهم تجار ناجحون، فقد كانوا رجالاً ذوي خبرة ، وباع طويل في كيفية ادارة شؤون الدولة .

لقد اطلع وجرب الخان المغولي كيف يتعامل مع هذه الفصيلة ، أو العينة ، من الرجال منذ زمن طويل ؛ كما تعلّم كيف يقدر أهميتهم، ويجل خدماتهم ، في سبيل خدمة اغراض دولته الناهضة . وفيما يبدو لنا أن جنكيز خان عرف أن المسلمين ربما كانوا هم الناس الوحيدين ، الذين يعرفون الطرق والممرات المؤدية الى كل قطر من الأقطار .

ولعل أول رواية نطلع عليها ، والتي تذكر بداية تعامل جنكيز خان مع المسلمين، هي التي أوردتها لنا مصادرنا الأولية التي تسنى لنا الاطلاع عليها . فتذكر هذه الرواية انه عندما هُزِمَ جنكيْزْ خان ، على يد «**اونك خان**» رئيس قبيلة «**كيرايت**»، في المناوشات التي جرت بينهما في أوائل خريف عام **٥٩٩ هـ/١٢٠٣م** هجره كل أتباعه ومريديه ؛ ولم يبـق معه من كل قومه سوى تسعة عشر نفراً فقط . وفي تقرير ورد في تاريخ «**يوان شيه**» (وهو التاريخ الذي كتب عن الأسرة المغولية التي حكمت في الصين بعد أن أطيح بامبراطورية سلالة «**تشن**»)؛ وهذه الرواية نقل عنها المستشرق الكبير الاستاذ «**ف.و. كليفز**»، الذي كان ذا اطلاع واسع في تاريخ ولغة الصين ، وأحد المتخصصين في هذه الفترة ؛ حيث تقول الرواية أن أولَ أولئك الرجال التسعة عشر الأوفياء في ولائهم لجنكيز خان ، كان رجلاً مسلماً . وكان اسم هذا الرجل «**تشَي ـ بَ ـ اره هو ـ تشى**» أي «**جعفر الخواجه**» أو «**الخواجه جعفر**». ففي ترجمة هذا الرجل المسلم ، والتي جاءت في التقرير الذي ورد في«**يوان شيه**» نجد انه قد ذكر أول الرجال ، حتى قبل «**سوبتاى بهادر**» ذلك البطل ، والقائد العسكري الفذ الأمين ، الذي نسجت حول بطولته واخلاصه لجنكيز خان الاساطير.

كان الرجل المسلم الثاني ، الذي تذكر الروايات بانه انخرط في سلك الخدمة لادارة دولة جنكيز خان منذ الأوقات العصيبة تلك التي مرت به ـ عقب هزيمته على يد قبيلة «**كرايت**» تاجراً اسمه «**أسان سُرتُقتا ـ يي**» (هذا في رواية صاحب التاريخ السري ـ الترجمة الفارسية) أو «**أسَمْ**» (في رواية التاريخ السري ـ الترجمة الانجليزية) أو «**هَـ ـ سَنْ ـ نَ**» (حسب ترجمته في التقرير الذي ورد في تاريخ «**يوان شيه**» أو «**حسن حاجي السُقْنَاقي**» (حسب روايتي الجويني ورشيد الدين). ومن الروايات التي كتبت عن هذا التاجر المسلم «**حسن حاجي**» علمنا انه كان يمتهن التجارة في جلود السنجاب والسمور ، وفي الكباش المخصاة ، بصورة رئيسية . فقد روى انه في هذه الفترة، التي تعتبر من أحلك فترات حياة جنكيز خان ، انضم هذا التاجر الى جنكيز خان ، وأصبح واحداً من أولئك التسعة عشر الأوفياء للخان المغولي . حيث روى انه كان قد جلب

خرافاً مخصاة قدر عددها بألف كبش ، جاء ليستبدل بها فرو السنجاب والسمور ، فانضم الى الخان ومعه كباشه . وعلى ذلك فيمكننا القول أن الدور الذي لعبه هذا التاجر المسلم في مساعدة جنكيز خان في هذه الفترة المظلمة من أوقات الضيق التي مرت بالخان المغولي، كان ذا أثر عظيم في مساعدة أهداف جنكيز خان . اذ اننا نجد انه بعد أن انضم حسن حاجي الى جنكيز خان ، إن الخان المغولي يرتفع عدد اتباعه، بين عشية وضحاها ، وبصورة مفاجئة ، من تسعة عشر الى رقم يتراوح بين الفين وستمائة رجل (حسب رواية صاحب التاريخ السري) وأربعة آلاف وستمائة رجل (حسب رواية رشيد الدين). لذلك يمكن ايعاز ذلك الى هذا التاجر المسلم ؛ اذ اننا نرى ان ذلك الألف من الخراف كان قد جذب انظار اتباع جنكيز خان ، الذين خسروا الحرب مع **«أونك خان»** وفارقوا رئيسهم نتيجة لهذا ، فلما رأوا ان جنكيز خان أصبح غنياً ، بعد أن انضم ذلك التاجر المسلم اليه ، نجدهم يعودون فيلتحقون مرة أخرى بلواء سيدهم جنكيز خان .

هذه الامكانية التي نقول بها ربما تساعد الاستاذ **«ف. و. كليفز»** في حل الحيرة والدهشة التي هو عليها عن تلك القوة التي أصبحت تحت قيادة جنكيز خان بين عشية وضحاها ، عندما وجده على رأس قوة تقدر بحوالي أربعة آلاف وستمائة رجل كما سبق القول .

أما الرجل المسلم الثالث ، والذي تقول مصادرنا بانه كان أحد أولئك التسعة عشر من أصحاب جنكيز خان ، فقد كان رجلاً اسمه **«دانشمند حاجب»**، حيث انه عُدَّ واحداً من أولئك التسعة عشر رجل الذين تقول عنهم التقارير ان جنكيز خان عمل معهم ما عرف في التاريخ بـ **«معاهدة بلگونه»** أو **«بيعة بلگونه»**. فقد قيل ان جنكيز خان، بعد أن هزمه **«أونك خان»** وهجره أصحابه ولم يبق معه منهم الا أولئك التسعة عشر ، أعطاهم في هذه المعاهدة ، أو البيعة ، مواثيقه وأيمانه المغلظة قائلاً : «أيها الرجال ، انني اذا حققت ذلك الأمر العظيم ، (وهو تأسيس الامبراطورية) فسوف أكون معكم في السراء والضراء . وان خنت هذا الموثق ، ورجعت عنه فانني أدعو على نفسي بأن

أصبح كهذا الماء العكر، ذي الرائحة الكريهة»[1].

حسن حاجي، وعلي خواجه، كانا أيضاً من جملة المسلمين الذين انخرطوا في سلك خدمة الدولة التي أنشأها جنكيز خان. ففيما يتعلق بالأول، يروي لنا كل من رشيد الدين والجويني، بأنه كان تاجراً ـ كما سلف القول عنه آنفا ـ فانضم الى جنكيز خان، وأصبح واحداً من أتباع المغول، في وقت مبكر جداً؛ اي من أيام «معاهدة بلگونة»، والتي قيل بانها عقدت في خريف عام ٥٩٩ هـ/١٢٠٣م. كان حسن التاجر هذا من أهل مدينة «سُقناق» التي تقع على الضفاف الشرقية من نهر سيحون. وقد استمر في تقديم خدماته للمغول وخانهم؛ حتى اننا نجده أحد أصحاب الأمير «جوتشي خان»، الابن الأكبر لجنكيز خان، الذين كان يثق بهم؛ كما كان واحداً من كبار أفراد جيشه الغازي لأراضي المسلمين في اقليم ما وراء النهر، حيث نجد الامير المغولي يرسله ليقود طلائع الجيوش المغولية التي كانت تغزو أراضي السلطان[2]. كما اننا نجده يرسل في بعثات شبه سياسية، لدعوة بني قومه ودينه الى الاستسلام للمغول الغازين لأراضيهم؛ كما تقول عنه التقارير بانه قد عين للقيام بهذا العمل «... نظراً لخبرته واطلاعه ومعرفته وقرابته بالبلاد وأهلها...»[3].

أما ما يتعلق بالرجل الثاني، علي خواجه، فيروي لنا الجويني أنه كان أحد كبار وأعيان رجالات مدينة بخارا؛ اما رشيد الدين فيمسيه «واحداً من أبناء

---

(١) لمعلومات أوفر عن كل ما سبق، انظر: التاريخ السري، الترجمة الفارسية، جـ ١/ ص ١١١، والترجمة الانجليزية ص.ص: ٢٧٠ ـ ٢٧١؛ ف.و. كليفز، تاريخية معاهدة بلگونة، مجلة هارفرد للدراسات الاسيوية، ١٩٥٥، جـ ١٨/ ص.ص: ٣٥٧ ـ ٤٢١ (ص. ص: ٣٧٦، حاشية رقم ١٠٩، وص ٣٩٦، وحاشية رقم ٢٣٠، ص.ص: ٤٠٢ ـ ٤٠٣، حيث نقل عن مصادر أولية صينية وغيرها أمثال: التاريخ السري؛ ويوان شيه؛ وشنگ ـ ووتشن ـ تشنگلو؛ ڤلاديمير ستوف، حياة جنكيز خان، ص ٩٤؛ ساووندرز، المسلمون والمغول، تحقيق رايس، ص ٤٦.

(٢) الجويني جهانكشاى، جـ ١/ ٩٧ الترجمة الانجليزية، جـ١/ ص.ص: ٨٦ ـ ٨٧، ثم الحاشية رقم ٢؛ رشيد الدين، جامع.، جـ ١/٣٥٥. انظر ايضاً بارثولد، تركستان.، ص ١٧٩.

(٣) الجويني، جهانكشاى، جـ ١/ص. ٦٧، الترجمة الانجليزية، جـ ١/ص ٨٧؛ رشيد الدين، جامع.، جـ ١/ ص ٣٥٤.

بخارا»[1]. كان قد انتمى بخدماته الى المغول منذ وقت مبكر جداً، قبل أن يظهر المغول على مسرح أحداث التاريخ العالمي، وانخرط في سلك خدمة جنكيز خان قبل أن يحتل هذا القائد العظيم مركز الخان على عرش المغول. ونتيجة لخدماته الطويلة، واخلاصه في ولائه لخدمة المغول نجد الأمير «جوتشي خان» يعينه حاكماً عاماً لمدينة جَنْد، وذلك بعد أن فتحها، واخذها من تحت حكم السلطان محمد الخوارزمي[2].

لذلك نجد أن هؤلاء الناس وما شاكلهم، أصبحوا يكوِّنون شبكة تجسس على نطاق واسع وعلى مستوى رفيع من التنظيم، زودت جنكيز خان بما يحتاجه من خدمات في منتهى الدقة والكفاءة، عن الأوضاع في داخل أراضي السلطان محمد. كما كان أولئك التجار، أو من تزيا بزيهم، يحملون مسؤولية مباشرة عن نشر دعاية واسعة النطاق بين أوساط الشعب داخل أراضي السلطان محمد في المدن الخوارزمية، عن قوة المغول الجبارة التي ستغزوهم في عقر دارهم، وأنه لا قبل لهم بمواجهتها. وعلى هذا الأساس يمكننا القول بأن تلك الخطط العسكرية الاستراتيجية، التي انتهجها، وسار على منوالها جنكيز خان في تسيير جيوشه الغازية ضد أراضي السلطان محمد، وتنفيذها بطريقة ألمعية، وبشكل يدعو الى الدهشة والى الاعجاب بذلك التخطيط البارع، يبرهن لنا الدور البارز والعظيم الذي لعبه المسلمون في هذا الغزو المغولي بشكل خاص. فمعرفة جنكيز خان الواسعة والدقيقة عن المدن، والقرى، والأماكن، والقلاع المحصّنة، والطرقات، والممرات الجبلية، والمعابر المائية على الأنهار، كل ذلك لم يكن ليأتي جنكيز خان عفواً، أو محض صدفة، أو مجرد مسرحية لعب فيها الحظ دوراً كبيراً.

---

(1) الجويني جهانكشاى، جـ ١/ ص ٦٩ «آزقردان بخارا»؛ رشيد الدين، جامع، جـ ١/ ص ٣٥٥، «آزفرزندان بخارا»؛ يقول الاستاذ ج. آ. بويل، (في ترجمته لـ: جهانكشاى، جـ ١/ ص ٧٠، حاشية رقم ١، ان قردوان تقرأ «قزدوان»، لذلك فينسب علي خواجه الى هذه المدينة، ويقول بانها هي المدينة الحالية «كَرذهوان» الواقعة في ولاية «أزبكستان».

(2) الجويني، جهانكشاى، جـ ١/ ص. ٦٩؛ رشيد الدين، جامع، جـ ١/ ص. ص: ٣٥٥ - ٣٥٦.

ب ـ المغول يهاجمون اراضي المسلمين في الشرق

أولاً : استعداد حملة المغول قبل شن هجومهم على أراضي السلطان محمد

لم يكن استعدادات المغول لأية حملة عسكرية، يقومون بها ضد أي قطر أو بلد أو قبيلة، الا طبقاً لما جاء في قانون جنكيز خان العظيم المسمى بـ «ياسا». فقد ورد في هذا القانون انه عند الاستعداد لأية حملة عسكرية، فأنه يؤخذ المقياس على ما يشعر به رجل جائع وظمآن؛ وعلى هذا الأساس يؤخذ في الاعتبار أن كل رجل مشترك في الحملة له نفس الظروف، فيعتبر قائد هذا الجيش رجلاً جائعاً عطشاناً، ليقوم بتهجيز الجيش أفضل جهاز، ويتزود بأحسن زاد؛ لئلا يشعر الرجال المحاربون بجوع، أو بعطش. ومثل ذلك تقاس ظروف دوابهم التي تحملهم لئلا تموت. ومعنى ذلك ان أية حملة عسكرية يجب أن تكون استعداداتها منسجمة تماماً مع قوة أضعف رجل محارب مشترك في تلك الحملة، واعتبار أسوأ الأحوال التي ربما سيعانيها الرجال[1].

فعلى هذا الأساس شرع جنيكز خان في تنفيذ وتهيئة حملته. وعندما أصبحت قواته مجهزة أحسن جهاز ومزودة بأفضل زاد، طبقاً لما ورد في «ياسا» جنكيز خان، أصبح المغول جاهزين لشن هجومهم ضد الأقطار «الغربية»، فسار جنكيز خان على رأس جيوشه ضد أراضي السلطان محمد، وقبل أن تبدأ الحملة مسيرتها بعث جنكيز خان فريقاً من المهندسين الصينيين، يقدر عددهم بحوالي خمسة عشر الف رجل، برئاسة رئيسهم المهندس «تشانْك جونك» لكي يقومون بتمهيد الطريق لمرور معدات القوات المغولية الحربية الثقيلة ـ التي كانت

---

(١) رشيد الدين، جامع . ، جـ ١/ ص ٤٣٧ ، قارن ذلك بما قاله : ق . أ. ريازانوفسكي ، أسس . ، ص: ٨٨ ، انظر ايضاً ما قلناه في الفصل الرابع ، فقرة «أسس كتابنا: «أوضاع الدول الاسلامية في المشرق الاسلامي».

تُحَمَّلُ على عدد هائل من العربات الخاصة ؛ ولكي يقومون ببناء قناطر ومعابر على الأنهار التي ستعبرها تلك القوات على طول الطريق أثناء سيرهم في حملتهم هذه .

ثانياً : سير الحملة

في ربيع الأول سنة ٦١٦ هـ/ مايو عام ١٢١٩ ، بدأ جنكيز خان في تسيير حملته العسكرية ضد أراضي السلطان محمد ؛ وقد بدأ مسيرته من ضفاف نهر «تولا» وسار باتجاه نهر «إرد». وصلت قوات المغول الى ضفاف «نهر إرتيش» في جمادى الأولى /يوليو من نفس العام ، حيث أقام جنكيز خان مخيماته ، لأول تجمع عسكري له ، أثناء سيره في هذه الحملة . وفي هذا المكان، وعلى ضفاف «نهر إرتيش»، قضى جنكيز خان أشهر صيف ذلك العام . بعد راحة طويلة دامت خلال أشهر الصيف، سارت القوات المغولية، باتجاه أراضي التركستان الوسطى ، فكانت مسيرتهم باتجاه الجنوب الغربي، عبر سهول «سنگاريا» الفسيحة . وقد عبرت القوات المغولية الأراضي المسماة بـ «سمير يتشي» أي أراضي السبعة الأنهر ، من خلال الممر المسمى بـ «بوابة سَنكَاريا» والتي حدد موقعها الى الشمال من «نثوراِبي» أي«بحيرة إبي». وتقول الروايات التي بين أيدينا أن جنكيز خان سار على نفس الطريق التجاري التي كانت القوافل التجارية تسلكها، وهي الطريق التي تمر عبرها في هذه الايام طريق السكة الحديدية «لمقاطعة تركسيب»[1].

عندما وصل المغول الى هذه المقاطعة قام الحكام المسلمون في المناطق المجاورة باستقبال القوات المغولية الزاحفة ، والترحيب بقائدها العظيم . ولعل أهم هؤلاء الحكام المسلمون هم « سُنقاق تكّين بن بُزقر » الذي كان الحاكم لمنطقة « الماليغ » أي « بستان التفاح » ؛ و « أرسلان خان » ملك « قياليغ » والمناطق المجاورة لها[2] . كما تقول الروايات أن « يدى قوت » « ملك الأويغوريين » ورجاله قد

(١) ووكر ، جنكيز خان، ص ٨٦.

(٢) تكتب «سوقناق تكّين» بطرق مختلفة. حول هذا الموضوع : انظر: رشيد الدين ، جامع ، جـ ١/ ص: ٣٥٥ ؛ الجويني، جهانكشاى ، جـ ١/ ص ٦٣، الترجمة الانجليزية، جـ ١/ ص ٨٢ ؛ بارثولد، تركستان، ص. ٤٠٣ . وقد تبنيت ما ذهب اليه الاستاذ/ ج. أ. بويل .

جاءوا أيضاً من « پيش - باليغ » الى أراضي التركستان الوسطى وانضموا الى القوات المغولية[1] .

أقام جنكيز خان مخيماً لتجمعاته العسكرية الثاني والأخير، قبل أن يشن هجومه العام على أراضي السلطان محمد، في أراضي «ارسلان خان» ملك «قياليغ». وفي أواخر فصل الخريف من سنة التنين - المرافق شهور خريف عام ٦١٦ هـ/ ١٢١٩، استأنف المغول مسيرتهم عبر أراضي الأنهر السبعة «سمير يتشي» أو «؛ جلي - سو» باتجاه أراضي تركستان الغربية. وفي حدود نهاية عام ٦١٦ هـ/ ١٢١٩م تقول الروايات الموثوقة ان القوات المغولية وصلت منطقة أترار؛ وهنا قام جنكيز خان بتقسيم جيوشه الى أقسام أربعة ففصل كل واحد عن الآخر[2].

القسم الأول : وضعت القوات المغولية، المكونة للقسم الأول، تحت قيادة اثنين من أبناء جنكيز خان الكبار هما «أُكتاي» و «تشغتاي»؛ وأمرا بأن يسيرا بقواتهما ضد مدينة «أترار». وقد عززت هذه الكتيبة العسكرية بالقوات «الأويغورية» تحت رئاسة سيدهم «يدي قوت». أما تعداد هذا القسم، من جيش المغول الغازي، فقد مرت عليها مراجعنا الرئيسية دون ذكر رقم معين لأفرادها؛ ومع هذا فان رشيد الدين يقدر ذلك بـ «چند نفر تومان» أي بضع عشرات من الألوف من الرجال[3]. ويمكن أن نقول بأن تعداد هذا القسم يتراوح بين ثلاثين الى أربعين ألف رجل، بما فيهم رجال «يدي قوت» من الأويغوريين».

القسم الثاني : أمر جنكيز خان أن يرأس هذا القسم ابنه الأكبر الأمير

---

(١) الجويني، جهانكشاى، جـ ١/ ص.ص: ٦٣ - ٦٤ ، الترجمة الانجليزية، جـ ١/ ٨٢ ؛ رشيد الدين، جامع . ، جـ ١/ ص. ٣٥٣

(٢) الجوزجاني، طبقات. ، جـ ٢/ ص ١٠٤، الترجمة الانجليزية، جـ ٢/ ص.ص: ٩٦٨ - ٩٦٩ ؛ الجويني جهانكشاى، جـ ١/ ص ٦٣ ، الترجمة الانجليزية ، جـ ١/ ص.ص: ٨١ - ٨٢ ؛ رشيد الدين ، جامع . ، جـ ١/ ص ٣٥٣ ؛ بارتولد، تركستان ص ٤٠٣ .

(٣) رشيد الدين، جامع . ، جـ ١/ ص ٣٥٣ .

«جوتشي خان»، الا أننا لم نعط رقماً معيناً لعدد هذا الجيش المغولي ، رغم أن الجويني يقدر عدده بما يقارب تعداد جيش القسم الأول، كما أعطيت لنا من قبل رشيد الدين «باچند تومان» أي بضع عشرات من الألوف[1]. والذي يبدو لنا أن القوات التي وضعت تحت قيادة «جوتشي خان» والتي كان سابقاً قد قادها ضد بقايا قبائل «المركيت» الغازين الى أراضي «القبتشاق» منذ سنة خلت ـ والتي قدرت بحوالي «تومانين» أي عشرين ألف رجل ـ قد عززت بعناصر جديدة . وهذه العناصر الجديدة تقدر بحوالي عشرة آلاف رجل ، نظراً للظروف الراهنة الجديدة المتعلقة بغزو أراضي السلطان محمد . وقد أخذ هذا القسم طريق سيره باتجاه الشمال الغربي الى المناطق السفلية لنهر سيحون، متجهين نحو وادي سُقْنَاق ، ومدينة جَنْد الخوارزمية .

القسم الثالث : وضعت رئاسة هذا القسم من جيوش المغول الغازية تحت قيادة ثلاثة من القادة المغوليين، هم : «آلاق نويان» و «سُقُتو» و «ثغاي»[2] وقد أمر الخان هذه الكتيبة من جيشه بأن توجه هجومها ضد مدينتي «بَنَاكَث» و «خُجَنْد» والمناطق الواقعة في وسط وجنوب نهر سيحون. وقد أعطانا رشيد الدين رقماً محدداً لعدد هذا القسم من جيش المغول الزاحف ضد أراضي السلطان ، فيذكر انه كان مكوناً من خمسة آلاف رجل[3].

ومع هذا ، فان الذي يظهر لنا هو أن هذا الرقم يبدو قليلاً جداً ؛ اذ ان النظام العشري ـ الذي كانت تقوم عليه تقسيمات المغول لجيوشهم ، والتي قيل أن جنكيز خان هو الذي أوجدها وأعلنها فأصبحت جزءً من قوانينه ـ تحتم عدداً أكبر . فان أي فرد من أفراد الجيش العسكريين يصل الى رتبة «نويان» أو «نُيان» والتي تعني «قائد» يجب أن يكون تحت رئاسته ، أو قيادته بمعنى أدق ، «تومان»، واحد، أي عشرة آلاف رجل . لذلك، نرى انه من غير المحتمل أن يسير ثلاثة من

---

(١) الجويني ، جهانكشاي ، جـ ١/ ص ٦٢ ، الترجمة الانجليزية، جـ ١/ ص ٨٣ ؛ انظر ايضاً الحاشية رقم ٥.

(٢) رشيد الدين ، جامع . ، جـ ١/ ٣٥٦ .

(٣) المرجع السابق ، جـ ١/ ص . ٣٥٦.

كبار الضباط في الجيش المغولي، كان واحداً منهم برتبة «نويان» على رأس حملة تعدادها خمسة آلاف رجل فقط . كما أن هناك حقيقة أخرى ، هي أن هذا القسم من جيش المغول الزاحف، كان قد أمر - كما رأينا - بأن يتوجه الى عدة مدن ، من جملتها مدينة «خُجَنْد». ولو رجعنا الى نوعية الحامية العسكرية الخوارزمية ، التي كلفها السلطان محمد بأن تحرس هذه المدينة ، لوجدناها تحت قيادة «تيمور ملك»، ذلك الرجل الشجاع الجسور ، الذي لا يشق له غبار . فقد كان يعتبر من أبرز وأحسن رجال السلطان محمد العسكريين . فقد أجمعت الروايات الموالية للمغول والمعارضة ، ان «تيمور ملك» هذا استطاع أن يدافع عن قلعته في «خُجَنْد» ضد هجمات المغول منذ مسير هذه الحملة ضده حتى بعد أن سقطت بخارا وسمرقند في أيدي المغول . وبعد أن فتحت أترار ، وبخارا ، وسمرقند ، وجند ، وبناكت ، تجد المغول يعززون قواتهم ضد «تيمور ملك» فتربو على سبعين ألف رجل ، من مختلف الكتائب المغولية الأخرى . ناهيك عن حلفاء المغول من المسلمين وغيرهم[1]. وهذه براهين تدل على قوة «تيمور ملك»، وعلى حجم قواته العسكرية، وعلى حصانة موقعه ؛ اذاً لا يمكن أن يكون جنكيز خان غير عارف بكل ما يتعلق بهذا القائد الخوارزمي العظيم ، فلا بد أن يكون جواسيسه المخلصون من المسلمين قد أخبروه بحقيقة خصمه وقوته في «خُجَنْد» ، فأرسل ضده قوة كبيرة تتناسب معها .

القسم الرابع : كان القسم الرابع يتكون من الأغلبية الساحقة لجيوش المغول الزاحفة ضد أراضي السلطان محمد، اذ انه كان بمثابة القسم الرئيسي بين مجموعة الكتائب المغولية . وقد أخذ جنكيز خان قيادة هذا القسم بنفسه؛ كما استصحب معه ابنه الرابع «تولي خان» أصغر ابنائه الكبار من زوجته الكبيرة «بُورْتِه». والذي يظهر أن جنكيز خان لم يشترك في العمليات العسكرية التي خاضها المغول ضد مدينة «أترار»،كما يقول كل من النسوى والجوزجاني، بل أخذ طريقه الى الجنوب الغربي مباشرة باتجاه مدينة بخارا[2] .

---

(١) الجويني، جهانكشاي، جـ ١/ ص. ٧١ ؛ رشيد الدين، جامع . ، جـ ١/ ص. ٣٧٥.

(٢) النسوي ، سيرة . ، ص.ص: ٩١ - ٩٢ ، ١٠٠ وحاشية رقم ٦ ص: ٩١ ؛ الجوزجاني ، طبقات، جـ ٢/ ص.ص: ١٠٥ - ١٠٦ ، الترجمة الانجليزية، جـ ٢/ ص. ٩٧، وحاشية رقم ٢ ؛ بارتولد ، تركستان ، ص. ٤٠٦ .

ان هذه التقسيمات المغولية التكتيكية ترينا ، دونما شك ، كيف أن جنكيز خان كان مطلعاً اطلاعاً واسعاً ، وعالماً تماماً بكل ما كان يحدث داخل أراضي خصمه . كما كان عارفاً بكل ما قد فعله السلطان محمد عندما جزأ جيشه وفرقه على أمهات المدن في أراضيه . كان السلطان محمد قد بعثر جيوشه ، التي كانت ذات عناصر ومشارب متباينة ، بين مختلف المدن الرئيسية في اقليم ما وراء النهر ، على طول حدوده الشرقية ، لتقوم بمواجهة المغول في أول حملة يهجمون فيها على أراضيه . وكان جيشه مفرقاً بين المدن الواقعة بين مدينة جَنْدْ في الشمال وبين مدينة بخارا وسمرقند في الجنوب . لذلك نجد أن جنكيز خان يقوم بتقسيم قواته الغازية على غرار ذلك التقسيم الذي قام به السلطان محمد لجنوده . فجواسيس المغول اعلموا جنكيز خان ان هناك حامية قوية ، قوامها جنود من الأتراك ، تتمركز داخل تحصيناتها بمدينة «أُترار» .

وقد أُخْتُلِفَ في تقدير حجم هذه القوة داخل مدينة «أُترار» ، فالنسوي يذكر عددها حوالي عشرين ألف رجل ؛ بينما نجد الجويني ، يبالغ كثيراً ، فيذكر أن عدد افراد هذه الحامية كان حوالي ستين ألف رجل[1] . وكان قائد هذه الحامية الخوارزمية «ينالتشق» ذلك الحاكم التركي الأصل الذي اتهم بقتل ما يسميه المؤرخون «تجار جنكيز خان»[2] . لذلك نرى أن جنكيز خان يرسل اثنين

---

(١) النسوي ، سيرة ... ، ص . ٨٥ ؛ الجويني ، جهانكشاس ، جـ ١ / ص . ٦٤ .

(٢) ينانتشق ، أو ينالجق ، هو أسمه ، ولقبه غايرخان ، «الملك العظيم» . انظر : الجويني الترجمة الانجليزيه جـ ١ / ص . ٧٩ ، وحاشية ٤ و ٦ . لمعلومات ضافية بشكل متوسع ، انظر ما سبق وقلناه في هذا الصدد في كتابنا : « أوضاع الدول الاسلامية في المشرق الاسلامي » في الفصل الرابع ، الفقرة (أ) .

من ابنائه ضد هذه المدينة وحاكمها، وعزز قواتها بالقوات «**الأويغورية**»، بقيادة رئيسهم«**يدي قوت**».

أما فيما يتعلق بمدينة سمرقند، عاصمة السلطان محمد الجديدة، فقد أعلم جنكيز خان بأن الغالبية العظمى من جيش الخوارزميين تقوم على حراستها. وقد اختلفت المصادر التي بين أيدينا في تقدير عدد وحجم هذه القوات التي اسندت اليها مهام الدفاع عن سمرقند. فابن الأثير يقدر عددها بحوالي خمسين الف رجل، والنسوي يقدر ذلك بأربعين ألف، بينما نجد الجوزجاني يحددها بحوالي ستين ألف رجل، في حين أن الجويني، كعادته، يضع عددها بشكل غير متكافيء، مائة وعشرة آلاف رجل، بما في ذلك ما يسميه المؤرخ بـ «**ستين ألف رجل من الأتراك**»[1]. ويبدو لنا أن رشيد الدين قد نقل هذه المعلومات من الجويني كما هي، دون التعليق عليها[2].

مهما كانت حقيقة الأمر، فالذي يبدو لنا هو أن النسوي، المؤرخ والكاتب، كان في مركز أفضل من غيره لمعرفة حقيقة الأمر، اذ كان هو المؤرخ الوحيد الذي كان ذا علاقة بالسلطة الخوارزمية، كما كان هو الأقرب الى الأحداث التي كانت تجري آنذاك أيام الغزو المغولي. وفي الحقيقة فقد اشترك النسوي في الحرب ضد القوات المغولية الغازية، لذلك فان ما أورده هذا المؤرخ في هذا الشأن، يبدو لنا هو الأقرب الى الصواب، أكثر من غيره من المؤرخين الآخرين[3].

لقد كانت مدينة سمرقند تعتبر المفتاح لكل المدن الاسلامية الواقعة داخل أراضي السلطان محمد في اقليم ما وراء النهر. لذلك نجد أن جنكيز خان لا يقصدها مباشرة بل يذهب أولاً الى مدينة بخارا، الواقعة الى الغرب من سمرقند، التي كانت أقل دفاعاً وأقل تحصيناً من اختها عاصمة السلطان

---

(١) جهانكشاي، جـ ١/ ص. ٩١ ؛ ابن الأثير، الكامل . ، جـ ٩/ ص. ٣٣٢ ؛ النسوي، سيرة . ، ص. ٢٩ ؛ جوزجاني، الطبقات، جـ ٢/ ص ١٠٧

(٢) رشيد الدين، جامع . ، جـ ١/ ٣٦٢.

(٣) عن هذا الموضوع، انظر، النسوي، سيرة . ، ص.ص: ١٢٣ ـ ١٢٥.

الجديدة . كانت هذه الحركة الاستراتيجية من جنكيز خان على عكس ما كان متوقعاً، وعلى عكس ما خططه السلطان محمد ؛ فقد ظن أن المغول سيبدأون بمدينة سمرقند، التي كانت تعتبر المدينة الأقوى دفاعاً وتحصيناً من بخارا. ولعل أحد التفسيرات التي يمكن أن نعلل فيها حركة جنكيز خان هذه ، هو ما كان الخان ينويه من اعطاء نفسه وقتاً أكثر وليسمح فيه لبقية الأقسام من كتائب قواته لتنتهي من المهمات التي أسندت اليها ، لتلحق به جميعها على ابواب سمرقند ، لتشارك في حصار وأخذ عاصمة السلطان . هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فيبدو أن جنكيز خان كان قد خطط مع قادة الاقسام الأخرى ، بأن تكون المنطقة الفسيحة المحيطة بمدينة سمرقند مكاناً لتجمع المغول الأول ، بعد أن يخضعوا لسلطتهم منطقة وأراضي ما وراء النهر . فرأى انه لا بد من أن يقوم بالزحف أولاً على بخارا ، فأخذها . كما كان قبل أن يحتل مدينة بخارا قد أخذ المدن الواقعة في طريقه ، مثل « زرنوق » و « نور » و « دبوس » مع جميع المناطق المحيطة بها[1] .

بعد أن احتلت الجيوش المغولية مدينة بخارا، غادرها جنكيز خان محترقة وفي حالة من الدمار الشامل، وسار منها الى جهة الشرق قاصداً اختها في النكبة سمرقند ، لم يكن القسم الأول من الجيوش المغولية بأقل نجاحاً، في عملياته العسكرية ضد «مدينة أترار»، من ذلك النجاح الذي حققه جنكيز خان ضد بخارا والمدن والأرياف التابعة لها . كما انهت القوات المغولية الأخرى المشاركة في القسم الثالث، واجباتها التي أسندت اليها بنجاح باهر لا يقل في اهميته عما كانت به الأقسام الأخرى . بعدها سارت الى الجنوب الغربي ، فالتحقت ، مع القسم الأول ، بقوات القسم الرابع ، فضربت حصارها على مدينة سمرقند العظيمة فأحاطت بها من جميع جهاتها . بعد قتال، في هجوم وهجوم مضاد ،

---

(١) زرنوق، في جامع التواريخ لرشيد الدين ، جـ ١/ ص. ٣٥٩ «زريرق». «دُبوس أو دابوسية» تقع على الطريق العام بين بخارا وسمرقند . عن هذا ، انظر : بارتولد، تركستان، ص ٤٠٧، وحاشية رقم ٣ في ص. ص: ٤٠٨ ـ ٤٠٩ ؛ بويل، ترجمة جهانكشاي، جـ ١/ ص. ٩٨ ، وحاشية ٤ ؛ وحاشية رقم ١١ ، ص. ١٠٢ .

استسلمت المدينة في النهاية للقوات المغولية، في العاشر من محرم سنة ٦١٧ هـ/١٩ مارس عام ١٢٢٠م[1].

بعد سقوط عاصمة السلطان محمد، سمرقند، وهروب الشاه الخوارزمي من وجه القوات المغولية ، أصبحت أراضي الاسرة الخوارزمية مفتوحة على مصراعيها دون حام ضد قوات جنكيز خان، التي أصبحت حرة تسير عبرها طولاً وعرضاً ، دون أن تجد معارضاً لها . لذلك فلا عجب أن نجد المدن والمقاطعات تتساقط واحدة تلو الأخرى ، في أيدي القوات المغولية المنتصرة الزاحفة . وما أن قارب فصل ربيع ذلك العام حتى أكمل المغول فتحهم لجميع أراضي السلطان محمد في اقليم ما وراء النهر ، من مدينة جَنْد في الشمال الى بخارا وسمرقند في الجنوب ، فبناكت وخُجَنْد في الوسط .

---

(١) هذا حسب رواية الجوزجاني، طبقات . ، جـ ٢/ ص ١٠٦ ـ ١٠٧ ؛ الترجمة الانجليزية ، جـ ٢/ ص .ص: ٩٧٨ ـ ٩٨٠ ؛ وابن الأثير الكامل . ، جـ ٩/ ص.ص: ٣٣٢ ـ ٣٣٣، يضع ذلك في شهر محرم (مارس) ؛ بينما الجويني ، جهانكشاي، جـ ١/ ص. ٩٦ ، يضعها في ربيع الآول سنة ٦١٨ هـ ؛ وهذه غلطة واضحة بدلاً من سنة ٦١٧ هـ . وقد اشار الى ذلك الاستاذ بويل. وقد ارتكب نفس الخطأ رشيد الدين، جامع . ، جـ ١/ ص ٣١٢ نقلاً عن الجويني ؛ فقال ان ذلك كان في أوائل سنة ٦١٨ هـ/ ١٢٢١ م.

أعلم جنكيز خان بخبر هروب السلطان محمد وهو ما زال في مدينة سمرقند ؛ كما أعلم أن السلطان في هربه كان قد عبر نهر جيحون حديثاً ، وأنه لم يكن مصحوباً باية قوة عسكرية . لذلك فقد ارسل جنكيز خان على الفور ثلاثة من كبار قواده العسكريين ، ليقوموا بتعقب السلطان محمد والقبض عليه حياً أو ميتاً . وكان هؤلاء القادة الذين أرسلوا خلف السلطان الهارب ، هم : « سوبتاي بهادر» و «جبه نويان» (هذان القائدان من أكبر القادة العسكريين الذين يحتلون قمة الهرم في النظام العسكري لجنكيز خان) كما عززهما بقائد ثالث هو الجنرال «تقتشار»[1].

كان كل واحد من أولئك القادة الثلاثة على رأس جيش يتكون من عشرة آلاف رجل . الا ان الجوزجاني، في روايته حول هذا الموضوع ، يذكر ان جملة تعداد هذا الجيش الذي ارسل لتعقب السلطان الخوارزمي كان ستين ألف رجل[2]. وفيما يتعلق بهذه النقطة بالذات ، فأننا نجد المستشرق «راڤرتي»(مُحَقِّقُ ومُتَرْجِمُ طبقات ناصري الى اللغة الانجليزية) يعلق على ذلك بالقول، بأن هذا الرقم الذي قال به الجوزجاني قليل جداً . أما الرقم «ثلاثين ألف» فهو خاطيء ولا يمكن الأخذ به[3]. ومع هذا فاننا نميل الى أن ثلاثين ألف رجل هو الرقم الأقرب الى الحقيقة، لأن كل واحد من الثلاثة كان برتبة قائد؛ لذلك فهو رئيس

---

(١) تقتشار ، تغا تشار ، تغارجار أو توقوجار، هي الطرق المختلفة لكتابة هذا الاسم ، انظر : ج.أ. بويل ، ترجمة ، جهانكشاي ، جـ ١/ص. ١٧٤، حاشية رقم ١١ .

(٢) الجوزجاني، طبقات . ، جـ ٢/ ص ١٠٨ .

(٣) المرجع السابق، الترجمة الانجليزية، جـ ٢/ص ٩٨٧ ـ ٩٨٨ ، والحاشية رقم : ٣ .

لكتيبة قوامها تومان واحد ، أي عشرة آلاف رجل ، وهذا ابسط ما يمكن أن نقدمه برهاناً على وجهة النظر التي نميل اليها .

كانت أوامر جنكيز خان، التي أملاها الى أولئك القادة الثلاثة ، تقضي بألا يتعرضوا لمضايقة أي بشر ، وألّا يتوقفوا لأي سبب كان ؛ والا يحاصروا موقعاً ، ولا يفتحوا مدينة ، أو قلعة، اثناء تعقبهم للسلطان . فواجبهم الأول والوحيد هو ملاحقة السلطان الخوارزمي ، والقبض عليه ، قبل أن تتجمع حوله قواته المتناثرة هنا وهناك لقتالهم « . . . **فاذا تجمعت قوات السلطان واتحدت ؛ وحاولت ان تقاتلكم فلا بد أن تخبرونا (اي الخان) بذلك ، لكي نستطيع ان نقوم بارسال تعزيزات اليكم ؛اماإذا كان السلطان ضعيفاً منهكاً- كما هومعروف جيداً عنه ـ فيجب عليكم أن تواصلوا سيركم لملاحقته »**[1] .

لم يسر أولئك القادة الى المهمة التي انتدبهم اليها الخان في وقت واحد ، بل أرسل أولاً قائده العظيم «جبه نويان»؛ بينما نجد أن القائدين الآخرين أرسلا بعده على فترات متقطعة ، فكان «سوبتاي بهادر» هو الذي ارسل ثانياً بعد مغادرة «جبه نويان» بفترة قصيرة؛ بينما أرسل «تقتشار» اخيراً ـ بعد مرور فترة من الوقت ـ على اثرهما .

تقول الروايات التي بين أيدينا ان القائد الأخير لم يطع أوامر جنكيز خان بحذافيرها ، بالا يقدم على ازعاج السكان الذين يتطرق اليهم اثناء سير حملته التعزيزية ، ونتيجة لذلك نجد ان الخان يشجب «تقتشار»، ويؤنبه، لعدم اطاعته الأوامر الخانية الصارمة والمحددة . ولذلك فقد طلب منه أن يتوقف حيث كان قد وصل (وكان قد وصل الى اقليم خراسان). فلم يكن لـ «تقتشار» دور في تعقب السلطان محمد، كما كان للقائدين الآخرين «جبه نويان» و «سوبتاي بهادر» . وقد شرحنا مسألة هرب السلطان، اسبابها وحيثياتها في

ـ (١) رشيد الدين، جامع . ، المخطوطة العربية ، الورقة ، ١٩٨ أ وب ؛ انظر ايضاً الطبعة الفارسية، جـ ١/ ص. ٣٦٥

الفصل الرابع في الفقرة ب ، من كتابنا «**أوضاع الدول الاسلامية في المشرق الاسلامي**».

الا اننا نرى أن أوامر جنكيز خان الى «تقتشار»، بعدم المواصلة في المهمة التي أرسل من أجلها (تعقب السلطان محمد) مع القائدين الآخرين، وأن يتوقف في خراسان، كانت، لأسباب أخرى غير تلك التي ذكرتها لنا المصادر، من انه كان قد أوقف لعدم التمشي بأوامر جنكيز خان . فانه في هذه الأثناء كان أبناء السلطان محمد، جلال الدين واخوية أوزلاغ شاه وآق‌شـاه، كانوا قد هجروا عاصمة الخوارزميين «جرجانية» على أثر توجه المغول لغزوها ، فهربوا الى خراسان، ومنها ليأخذوا طريقهم الى الأراضي الغورية . وهنا أصدر جنكيز خان أوامره الى «تقتشار» بأن يتوقف حيث كان في خراسان، وليقيم مراكز مراقبة على طول حدود اقليم خراسان الشمالية ليترصد أبناء السلطان الهاربين ، ويوقع بهم . وقد نجحت هذه القوات في الايقاع باثنين من ابناء السلطان، «أوزلاغ شاه، وآق شاه»، ففي معركة يائسة، خاضها الاخوان مع فرقة مراقبةمغولية، قُتِلَ الأخوان‌على‌ايدي قوات« تقتشار » .أما جلال الدين - فكما شرحنا ذلك بالتفصيل في الفصل الخامس - من كتابنا «**أوضوع الدول الاسلامية في المشرق الاسلامي**» فقد قام هو بمباغتةقوة مغولية، وبدد شملها وغنم ما معها، وشق طريقه من اقليم خراسان ؛ ثم وصل الى مدينة غزنه في الأراضي الغورية بسلام ، رغم الاحتياطات الشديدة، ومراكز المراقبة العديدة التي قامت قوات «تقتشار» باقامتها للايقاع بجلال الدين .

وهكذا استطاعت قوات تقتشار أن تحمي خطوط الرجعة للقائدين الاخرين «جبه نويان» و «سوبتاي بهادر» اللذان استطاعا أن يخترقا أراضي الدولة الخوارزمية من القلب، وينفذا الى الغرب منها ، دون أن يجدا من يضايقهما أو أن [illegible] . فاستطاعا أن يتعقبا أثر السلطان محمد، من الأجزاء الشرقية من مملكته الواسعة في أراضي ما وراء النهر ، حتى حافة حدود سلطنته الغربية في همدان . وقد أثار هذان القائدان الفوضى والاضطراب داخل أراضي الخوارزميين، كما نشرا الرعب والهلع بين أوساط المسلمين على طول البلاد

الخوارزمية وعرضها[١].

ولكي يطمئن جنكيز خان على نجاح قائديه العظيمين نراه يرسل حملة عسكرية أخرى تعزيزية لهما، الى الأراضي الخوارزمية، وان كانت قد أرسلت تلك الحملة التعزيزية في جهة مختلفة، اذ لا تبدو لأول وهلة أن لها علاقة بمهمة القائدين «جبه وسوبتا» حيث ارسلت هذه الحملة عن قصد لتنشر الفوضى والاضطرابات بصورة أكثر داخل جهات أخرى من أراضي السلطان محمد، كما كانت تخدم غرضاً آخر، وهو ان تكون قائدة لطلائع جيش الخان الرئيسي الذي كان تحت قيادته الشخصية. وعن هذه الحملة الطلائعية لجنكيز خان والتعزيزية لـ «جبه وسوبتاي» تقول الروايات التاريخية انها كانت تتكون فقط من ستة آلاف رجل، تحت قيادة حاكم مسلم هو «ارسلان خان» حاكم «قياليغ»، حيث ارسلت ضد اقليم «طخارستان» الى الجنوب الغربي من ممتلكات الخوارزميين. وما أن وصل قائد هذه الكتيبة المغولي المسلم الى المنطقة حتى شرع في تهيئة اسباب الحصار ضد قلعة «ولخ» الحصينة، وقد اشتغلت قواته في حصارها الى أن وصل سيده المغولي الى المنطقة، ودمرها جميعها تدميراً شاملاً. وكانت عمليات المغول العسكرية ضد اقليم «طخارستان» في خلال الأشهر الأولى من سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١م[٢].

---

(١) عن ذلك، انظر: ابن الأثير، الكامل. ، جـ ٩/ ص.ص: ٣٣٣ - ٣٣٤ ؛ النسوي، سيرة. ، ص.ص: ١٠٤ - ١٠٨ ؛ جوزجاني، طبقات. ، جـ ٢/ ص.ص: ١٠٨ - ١٠٩ ؛ الجويني، جهانكشاي. ، جـ ١/ ص.ص: ١١٢ - ١١٦ ؛ رشيد الدين، جامع. ، جـ ١/ص.ص: ٣٦٤ - ٣٧٠.

(٢) الجوزجاني، طبقات. ، جـ ٢/ ص. ١١٢.

حصار وأخذ جرجانية

لم يكن جنكيز خان غير عالم بأهمية وقوة عاصمة اسرة الخوارزم شاهيين القديمة الرسمية «جرجانية». لذلك نراه يوليها اهتماماً خاصاً عندما نجده يرسل اليها ثلاثة من ابنائه ، «جوتشي، وتشغتاي ، واكتاي» على رأس قوات عظيمة لفتحها . ولو أمعنا النظر الى هذا القسم من قوات المغول الغازية وتصورنا وضعه العسكري لوجدنا له دوراً لا يقل في اهميته عن الدور الرئيسي الذي انتدبت قواته من أجل القيام به . فانه بالاضافة الى هدفه الرئيسي من أخذ العاصمة الخوارزمية ، واحتلال اقليم خوارزم ، نجد هذه القوات تقوم بدور الحماية الواقية لقوات القسم الأول من الشمال، والتي ارسلت لتتعقب السلطان محمد . فالذي يظهر لنا أن جنكيز خان ربما خشي ان تقوم قوات خوارزمية من الشمال وتنظم الى السلطان الهارب ؛ وبذلك تتمكن من قطع خطوط الرجعة على قائديه الشجاعين . لذلك نرى أن الخان بهذه الاستراتيجية العسكرية ، اراد أن يزيل اي شك في نجاح وسلامة قائديه الكبيرين ، كما أراد أن يضيع على السلطان الهارب اية امكانية قد تلوح له لكي ينجح في هربه ، أو أن يحاول لم شعث قوة تحت لوائه[1].

سار إبنان من أولاد جنكيز خان «تشغتاي واكتاي» الى مهمتهما ضد مدينة «جرجانية» من مضارب خيام والدهما، التي كانت مقامة في ضواحي سمرقند . وقد اختلفت مراجعنا في تحديد عدد جنود هذه القوة ؛ فيقدرها النسوي بحوالي مائة وعشرة آلاف رجل، بينما نجد رشيد الدين يجعل عدد القوات التي هاجمت

(١) النسوي ، سيرة . ، ص. ١٧٠ ؛ رشيد الدين ، جامع . ، جـ ١/ ص. ٣٧٣.

العاصمة الخوارزمية جميعها بحوالي خمسين ألف رجل[1]. اما فيما يخص الابن الثالث لجنكيز خان «جوتشي» فلم تذكر المصادر انه ذهب الى والده ، لا ليساعده في فتح سمرقند ، ولا حضر التجمع الأول لقوات المغول ، بعد أن فتحت أراضي اقليم ما وراء النهر . فبعد أن نجح «جوتشي» قائد القسم الثاني من القوات المغولية الزاحفة ضد أراضي ما وراء النهر ، والذي أرسل ليخضع «سُقْنَاق وجَنْد» والمدن الأخرى الواقعة على طريقه في منحدر نهر سيحون ، نراه يظل بعيداً عن والده في مدينة جند . وهنا جاءته أوامر والده بأن يسيرَ من هناك بقواته ، وينضم الى أخويه الصغيرين القادمين من الجنوب باتجاه جرجانية بقصد فتحها . ومع هذا فاننا نجد رواية الجويني في هذا الصدد تخالف ما أوردته مصادرنا الأخرى (النسوي والجوزجاني ورشيد الدين) حيث لم يذكر الجويني ان « جوتشي خان »كان قد شارك مع أخويه الآخرين في عمليات المغول العسكرية ضد جرجانية[2]. فيذكر أن جنكيز خان أمر أبنه الاكبر «جوتشي» ان يرسل قوات تعزيزية فقط لأخويه من مدينة جند ، آخر ضحية من ضحايا جيشه الذي قاده خلال المرحلة الأولى من الغزو المغولي ضد أراضي الخوارزميين والتي جرت في ما وراء النهر[3].

إن حصار واحتلال مدينة «جرجانية» قد كلف الخان المغولي عشرات الألوف من جنده ؛ خلافاً لبقية المدن الخوارزمية . ويمكننا ايعاز ذلك بصورة رئيسية الى أسباب كثيرة لعل منها : (أ) الروح القتالية، والوقفة الشجاعة ، والبطولات التي ابداها سكان، ومدافعو هذه المدينة في قتالهم ضد المغول ؛ حيث قاد المقاومة ضد الغزاة المغول الغالبية العظمى من القوات التركية في الجيش الخوارزمي بقيادة «توچي البهلوان» الذي كان قد أُعلن سابقاً حاكماً للمدينة ، بعد رحيل ابناء السلطان محمد عنها ؛ وهناك حقيقة وهي أن هذه

---

(١) النسوي ، سيرة . ، ص : ١٧٠ ؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ ١/ص: ٣٧٣

(٢) النسوي، سيره . ، ص ١٧١ ؛ جوزجاني ، طبقات . ، جـ ٢/ ص ١٤٩ ؛ رشيد الدين، جامع . ، جـ ١/ ص ٣٢١.

(٣) الجويني، جهانگشاي، جـ ١/ ص ٩٧ ، الترجمة الانجليزية، جـ ١/ ص: ١٢٤. انظر أيضاً الحاشية رقم ٤.

القوات كانت تدافع بكل ولاء واخلاص ؛ اذ كانت تدين بالولاء لـ «**تركان خاتون**» ولا تعترف بسلطة ولدها السلطان محمد الا بصورة ثانوية، كما شرحنا ذلك بالتفصيل في الفصل الرابع (فقرة ب من كتابنا) «**أوضاع الدول الاسلامية في المشرق الاسلامي**» ؛ (ب) قوة قلاع وتحصينات المدينة ؛ ثم (جـ) تطور العلاقات السيئة التي سادت بين «**جونشي**» وأخيه الأصغر «**تشغتاي**». حيث برز التوتر في العلاقات بين الأخوين بشكل واضح ابان حصار المدينة . وقد كان لتنافسهما ، واختلاف رأييهما آثار سيئة ، انعكست على عمليات الحصار ؛ فقد عطلت احتلال المدينة ، كما تسببت في الخسائر الفادحة التي تكبدها المغول في صفوف قواتهم .

ما أن سمع جنكيز خان بهذه الاخبار السيئة عن أولاده ، حتى ارسل رسالة بأوامر مستعجلة لهم تقضي بأن يضع الأخوان نفسيهما تحت قيادة وأوامر ولده الثالث «**أكتاي**» . وعلى النقيض من هذه الرواية ، فان رشيد الدين يروي لنا رواية أخرى ، تبدو لنا غير صحيحة، يذكر فيها أن النزاع قد نشب بين ابناء جنكيز خان الثلاثة الذين عينهم والدهم أصلاً لقيادة الحملة هذه ، «التي وجهت ضد «**جرجانية**» . ولهذا فقد وصل رسول الى مخيم والدهم، الذي كان وقتها محاصراً لقلعة «**الطاليقان**» ، وأطلعه على صورة الواقع المرير ، عن الوضع المتدهور على جبهة الحرب الشمالية في «جرجانية». ثم يردف رشيد الدين قائلاً ، بان جنكيز خان أصبح في وضع متميز من الغيظ والغضب ؛ فأرسل على الفور ابنه الأصغر «**تولوي**» «**تولى**» ليكون قائداً عاماً لجميع العمليات العسكرية الموجهة ضد اقليم خوارزم وعاصمته بشكل خاص ؛ كما أصدر الخان تعليماته الى ابنائه الآخرين الثلاثة بأن يضعوا أنفسهم تحت قيادته ، وان يطيعوا أوامره . ويضيف هذا المؤرخ أن «**تولى**» بحنكته الذكية ، وسياسته الراقية ، وحسن تدبيره ، استطاع أن يعيد النظام «**ياسا**» الى مختلف صفوف الجيش المغولي ، وأن يحل الخلافات القائمة بين اخوته ؛ ثم بعد ذلك يستأنف عمليات الحصار ؛ فاستطاع أن يحتل المدينة، كما يقول رشيد الدين ، في خلال سبعة أيام[1] .

---

(1) رشيد الدين، جامع ، جـ ١/ ص. ٣٧٣، المخطوطة العربية، ورقة ٢٠٦ أوب ؛ نصيح =

والذي يبدو لنا ، في هذا الخصوص ، هو أن هذه الرواية لرشيد الدين غير صحيحة، لأنه اراد أن يعطي ميزة خاصة الى الابن الاصغر لجنكيز خان «تولي خان» أكثر من غيره من اخوته الكبار الآخرين . فالمؤرخ قد تربى في كنف ، وخدم سلالة «ايلخان» الذين ينحدرون أصلاً من تولي خان . فمن المعروف أن «تولي خان» في هذه الفترة بالذات كان منهمكاً في قيادة حرب المغول الغاضب المدمر ضد اقليم خراسان، الذي نكب بالفزر المغولي ـ الذي هب عليه وكأنه اعصار من نار ، لا تبقي ولا تذر . لذلك فان هذا الامير الصغير لم يشترك في العمليات العسكرية ، ضد ولاية اقليم خوارزم ، ولا في احتلال اي جزء من أجزائها .

وحسب رواية النسوي ، التي يعتبرها المستشرق الروسي بارثولد أكثر الروايات تصديقاً ، فقد بدأ حصار مدينة «جرجانية» في شهر ذي القعدة من عام ٦١٧ هـ/ يناير سنة ١٢٢١م، وأخذت المدينة في شهر صفر من عام ٦١٨ هـ/ ابرايل سنة ١٢٢١م[١]. وعلى هذا ، فقد استمر الحصار قرابة أربعة أشهر ، والتي تطابق ما أورده الجوزجاني في روايته[٢]. أما ابن الأثير، فيقول ان الحصار استمر خمسة أشهر؛ بينما يضع رشيد الدين مدة الحصار جميعها سبعة أشهر[٣].

بعد حصار طويل مرير وشاق ، استطاعت القوات المغولية أن تشق طريقها ، وان تقتحم المدينة عنوة واقتداراً ،بعدها بدأ القتال بوحشية متناهية ، وبشكل مرعب ورهيب ؛ حيث تجمع الروايات على القول بأن قتالاً ضارياً ومرعباً كان يحصل في كل ركن وجزء من المدينة وأن المغول احتلوا العاصمة الخوارزمية ، شارعاً شارعاً، واخذوها حياً حياً . ثم بعدها اقدم المغول على كسر القناطر والسدود ، فأغرقت مياهها المحجوزة وراء هذه المدينة المنكودة .

= مجمل . ، جـ ٢/ ص . ٢٩١ ، وآخرون حيث يبدو أنهم نقلوا هذه الرواية التي أوردها رشيد الدين .

(١) النسوي ، سيرة . ، ص: ١٧٠ بارثولد، تركستان . ، ص. ٢٣٧.

(٢) جوزجاني، طبقات . ، جـ ٢/ ص. ١٤٩.

(٣) ابن الأثير ، الكامل . ، جـ ٩/ ٣٤٣ ؛ رشيد الدين، جامع . ، المخطوطة العربية الورقات ٢٠٥ ب و ٢٠٦ أ.

ونتيجة لذلك ، فان من نجا من سكانها من المقصلة المغولية قد غرق في المياه ، أو لاقى حتفه بين انقاض المدينة .وهكذا قاسى سكان المدينة، التي كانت قاعدة السلالة الخوارزمية، أكثر من غيرهم من سكان المدن الأخرى الخوارزمية ، التي نكبت بالغزو المغولي ؛ فمن نجا من القتل لم ينج من الغرق . فعم الخراب ، ولم ينج احد[1].

(١) عن هذا الموضوع: أنظر نفس المراجع الثلاثة السابقة، والترجمة الانجليزية لطبقات ناصري، جـ ٢/ ص.ص: ١٠٩٦ - ١١٠١ ؛ وكذلك النسخه الفارسية المطبوعة من جامع التواريخ ، جـ ١/ص.ص: ٣٧١ - ٣٧٤.

عمليات جنكيز خان العسكرية خلال المرحلة الثانية من غزوه لأراضي السلطان محمد

بعد راحة دامت طوال أشهر ربيع سنة ٦١٧ هـ/ ١٢٢١ م، توجه جنكيز خان من ضواحي مدينة سمرقند باتجاه مروج منطقة «نخشب» الخضراء. وفي هذه المروج قضى المغول وخانهم أشهر صيف ذلك العام، حيث «... استراح الجنود من عناء الحروب، كما كانت هذه الفترة راحة أيضاً لخيولهم حتى تسمن وتستعيد قوتها..». بعدها رحل جنكيز خان واخذ طريقه باتجاه نهر جيحون، سائراً في وجهته الى الجنوب الغربي، قاصداً مدينة «ترمذ»[١].

كانت هذه المدينة تقع على الحافة الشرقية من نهر جيحون، فهاجمها المغول واحتلوها؛ فنهبت المدينة وقتل الكثير من سكانها. ويروي لنا الجوزجاني ان جنكيز خان بعث ابنه الأصغر «تولى» في حملة عسكرية ضد أقليم خراسان في وقت ما خلال الأشهر الأخيرة من عام ٦١٧ هـ/١٢٢١م، قبل أن يعبر هو نهر جيحون، وأن الخان لم يعبر هذا النهر الا في ربيع الأول، من سنة ٦٠٨ هـ/ مايو عام ١٢٢١م عن طريق معبر «ترمذ» المائي[٢]. بينما نجد رواية الجويني، تذكر أن جنكيز خان لم يرسل ولده «تولى» بجيشه ضد اقليم خراسان الا بعد أن اخذوا مدينة «بلخ» الواقعة بعيداً من النهر، الى الجنوب الغربي[٣]. لذلك فمن هذا التقرير نفهم أن «تولى خان» كان قد عبر النهر سوية مع والده، كما شارك في قتال وأخذ مدينة «بلخ». رشيد الدين وغيره من المؤرخين الفرس،

---

(١) الجوزجاني، طبقات..، جـ ٢/ ص ١١٢، الترجمة الانجليزية، جـ ٢/ ص. ١٠٠٤؛ الجويني، جهانكشاي، جـ ١/ ص. ١٠٢أ، الترجمة الانجليزية، جـ ١/ ص. ١٢٩.

(٢) الجوزجاني، طبقات..، جـ ٢/ص.ص: ١١٤ - ١٢٠.

(٣) الجويني، جهانكشاي، جـ ١/ ص ١٠٤.

يذكرون أن جنكيز خان عبر نهر جيحون في وقت مبكر بثلاثة أشهر ، عن ذلك الذي أورده الجوزجاني ، في شهر ذي الحجة من عام ٦١٧ هـ/ فبراير سنة ١٢٢١ م[1] .

في خلال المرحلة الثانية من مراحل الغزو المغولي لأراضي السلطان محمد (اذا اعتبرنا عملياتهم العسكرية ضد بخارا، وسمرقند ، وأترار وغيرها من مدن وأراضي ما وراء النهر تمثل المرحلة الأولى) كان المؤرخ الجوزجاني من ضمن السكان الذين حاصرهم المغول في قلعة «طولق» الواقعة الى الشمال الغربي من مدينة «فيروز ـ كوه»، وفي هذه الأثناء كان عبور جنكيز خان جيحون الى المنطقة الغربية من هذا النهر[2]. وبناءً على ذلك، فاننا نرى بأن الجوزجاني كان في مركز أفضل من غيره ، ليكتب حقيقة ما كان يجري فعلاً . وعلى هذا فرواية الجوزجاني تبدو لنا هي الأقرب الى الصواب .

في هذه المرحلة، بعد أن عبر جنكيز خان نهر جيحون، أصبحت صورة الغزو المغولي أمامنا واضحة تماماً ؛ ففي هذا الوقت كانت القوات المغولية، في غزوها الغاصب المدمر ، قد غطت جميع أراضي السلطان محمد، من اقاليم ولاية خوارزم في الشمال، الى اقليم خراسان في الوسط ، ثم الى الطاليقان وغزنة في الجنوب ؛ ناهيك عن ذكر حقيقة عمليات القائدين المغولين العسكرية «جبه وسوبتاي» التي كانت قد وصلت الى همدان ، والمناطق الواقعة الى أقصى الحدود الغربية من ممتلكات السلطان . فأخذت الكتائب العسكرية ، بأقسامها المختلفة، تشق طريقها الى الأعماق الداخلية لممتكات السلالة الخوارزمية . فقد نجحت كتائب القوات الغازية الشمالية في أخذ ولاية خوارزم ؛ بعدها نجد أن اثنين من ابناء الخان «أكتاي وتشغتاي» يتجهان الى الجنوب في طريقهما الى والدهما ، لوضع نفسيهما تحت طلبه . بينما نرى ابن الخان الأصغر «تولى» يشنها حرباً شعواء، بالحديد والنار ، ضد السكان الآمنين في اقليم خراسان . فبعد

(١) رشيد الدين، جامع . ، جـ ١/ ص. ٣٢٥

(٢) الجوزجاني ، طبقات . ، جـ ٢/ ص. ١١٣.

مذبحة السكان في مدينة ترمذ، وبعد استسلام مدينة «بلخ» والتي سيذبح سكانها فيها بعد ـ بعد ثورة قاموا بها ضد القوات المغولية الغازية ـ سار الى مدينة «مرو» وبقية المدن الخرسانية وجعلها أثراً بعد عين .

أما جنكيز خان نفسه فقد أخذ طريقه الى منطقة الطاليقان ، حيث وضع قلعة «نصرت ـ كره» المشهورة تحت حصار تام من جميع الجهات . وبعد أن انضم اليه ابناء القادمان من الشمال نجدهما يساعدان والدهما، الذي استطاع أن يقتحم القلعة ويدمرها. بعدها سار الى الجنوب، ليشتبك في معركة غير متكافئة ضد جلال الدين الخوارزمي، الذي سماه الجويني المتمرد[1]. وقد مني هذا الأمير الخوارزمي ـ كما سبق الإشارة الى ذلك في الفصل الخامس من كتابنا **«أوضاع الدول الاسلامية في المشرق الاسلامي»** بهزيمة ساحقة، لم ينج من الاسر على يد خصمه الا بعد ان قذف بنفسه في نهر السند العظيم .

بعد هذه الهزيمة ، التي مني بها جلال الدين على يد خصمه جنكيز خان على ضفاف نهر السند ، وبعد هروب الأمير الخوارزمي الى الأراضي الهندية، وبعد وفاة السلطان محمد ، أصبحت جميع أراضي الدولة الخوارزمية وممتلكاتها جزءً من أراضي وممتلكات امبراطورية جنكيز خان الواسعة، بحكم الغزو والفتح . لذلك فان أية عمليات عسكرية عدوانية، قد يقوم بها أي عضو من أفراد اسرة السلطان في المستقبل، سوف ينظر اليها على انها تمرد ضد سلطة المغول القائمة في البلاد . ونتيجة لذلك فان معركة نهر السند كانت نقطة النهاية ، على الأقل كما رآها جنكيز خان في الوقت الحاضر ـ في هذه الحملة العسكرية ضد الأراضي والأقطار الغربية . لذلك فقد قرر الخان أن يعود الى وطنه في منغوليا .

---

(١) الجويني، جهانكشاي ، جـ١/ ص. ١٠٣، الترجمة الانجليزية ، جـ ١/ ص. ١٣٠.

عودة جنكيز خان ، وعملياته العسكرية، ووفاته

كان السبب الرئيسي لعودة جنكيز خان الى وطنه (حسب رواية الجوزجاني) أن «... رسلاً سريعة غير متوقعة قد وصلته من طمغاج (كاثاي أو منشوريا) وتنگت (تنگقوت وهم أهل التبت) واعطوه اخبارية أن جميع اراضي تشن وطمغاج وتنگت قد أصبحت في حالة ثورة تمردية وعصيانية؛ وأنه نظراً لتلك المسافات الشاسعة التي تفصل بين جنكيز خان وبين ما كان يحدث في تلك الممالك، فقد أصبحت تلك الأقطار على وشك الخروج من تحت يد الحكام المغول القائمين عليها هناك»[1]. ونجد ان نفس الاسباب، التي أوردها الجوزجاني لعودة جنكيز خان لوطنه ، قد ورد ذكرها في روايتي الجويني ورشيد الدين[2].

لقد ذكرنا سابقاً أن جنكيز خان وجد أنه لابد أن يوقف فتوحاته داخل الأراضي الصينية الشمالية التي لم تكن قد انتهت بعد ، وذلك بسبب الأخبار التي وصلته عن نشاطات «كوتشلوك خان النيماني»؛ والتي أقلقت الخان أشد القلق ، فاضطر الى العودة من الصين . ولكنه قبل أن يعود ترك جنكيز خان قائده العسكري المخلص «موقولي» لكي يواصل الحرب والفتوحات التي بدأها جنكيز خان ضد أراضي «تشن» في الأراضي المنشورية والصينية . وعلى الرغم من أن المغول كانوا قد أجبروا الصينيين الشماليين لقبول شروطهم ، الا أنه ـ كما يبدو لنا ـ قد انهمك قائدهم المغولي في حروب مستمرة لقمع ثورات الصينيين

(١) الجوزجاني ، طبقات . ، جـ ٢/ ص.ص: ١٤٦ ـ ١٤٧ ، الترجمة الانجليزية، جـ ٢/ ص.ص: ١٠٨٣ ـ ١٠٨٤ .

(٢) الجويني، جهانكشاي، جـ ١/ ص. ١١٠ ، الترجمة الانجليزية، جـ ١٣٩/١، رشيد الدين ، جامع . ، جـ ١/ص. ٣٧٨.

المتواصلة ضد الحكم المغولي ، هذه الثورات العصيانية الصينية ، والتي يبدو انها اصبحت فوق طاقة ومقدرة «موقولي». وكما سنرى أصبحت مسألة اخماد هذه الثورات ثم القضاء النهائي على سلالة «تشن» في الصين أول عمل يقوم به «**أكتاي خان**» عندما جاء الى العرش المغولي[1].

هذا من ناحية الثورات داخل الصين ، ولكننا في حقيقة الأمر نجد أن هناك سبباً آخر لعودة جنكيز خان ، فقد تحدت دولة «**هسي - هسيا**» أو «**التنكوت**» سلطانه في ، شبه ثورة عصيانية، عندما رفضت الانصياع وتلبية أوامر الخان ليمده مَلِكُهَا - بصفته كان حاكماً خاضعاً تحت سلطة ونفوذ المغول، ورضي أن يدفع لهم الضريبة السنوية - بقوات اضافية ليستعين بها في حملته العسكرية ضد الأقطار الغربية ، وأراضي السلطات الخوارزمية. اذ تقول التقارير في هذا الخصوص ، ان جنكيز خان عندما ارسل يطالبهم بمدد عسكري لهذا الغرض ، أجابه ملك التنكوت بالقول، بان جنكيز خان لا يستحق مركزه الخاني اذا لم يستطع ان يذهب بنفسه ضد الأقطار الغربية ويحتلها. ويقال بانه عندما سمع جنكيز خان هذه الاجابة المهينة اراد أن يحوِّل حملته العسكرية ، التي اعتزم القيام بها ضد الخوارزميين والأراضي الغربية ، ويوجهها ضدهم . الا انه في النهاية رأى انه من الأفضل أن يبدأ بتنفيذ ما سبق وعزم عليه . لقد كان رفض سلطانه من قبل أراضي وممالك كالصين ومنشوريا أصبحت عاملاً مقلقاً لراحة الخان ؛ كما زاد من قلقه ما سبق وفعله ملك التنكوت، وتحديه المزعوم الذي كان ضعيفاً واهياً . وفوق هذا كله، يبدو لنا أن جنكيز خان أصبح قانعاً - في الوقت الراهن على الأقل - بالنجاح العظيم الذي حققه ، وبالاراضي التي فتحها وضمها الى امبراطوريته ، والتي أصبحت حدودها ، بعد هذه الحملة ، هي : ضفاف نهر السند في الجنوب الغربي ، وأراضي الخلافة العباسية غرباً ، وأراضي الدويلات الروسية والقبتشاق الى الشمال، والشمال الغربي .

في خريف عام ٦١٩ هـ/ ١٢٢٢م عبر جنكيز خان نهر جيحون مرة أخرى متجهاً في طريق العودة الى بلاده، بعد أن ولى «تشن تيمور» الخطائي كل

[1] رشيد الدين، جامع . ، جـ١/ ص.ص: ٣٣٣ - ٣٣٤.

ما يتعلق بالشؤون الادارية في الاراضي الايرانية، وفي صيف سنة ٦٢١ هـ/١٢٢٤م، وصل جنكيز خان الى مكانه الأول الذي اقام به أول تجمع عسكري له على الضفاف العليا لنهر «ارتيش» قبل خمس سنوات خلت (أي سنة ٦١٦ - ٦٢١ هـ/ ١٢١٩ - ١٢٢٤م)[1].

في خلال السنة التي تلت، أي سنة ١٢٢٥/٦٢٢، قام جنكيز خان بالتجول في الأراضي التي عرفت باقليم أو مملكة «النيمان». وفيها قام بهجوم على بعض القبائل التي كانت تقطن الغابات والأدغال المسماة «الغابات السود». وفي ربيع السنة التي تلت نجد أن الخان يقوم بتجهيز جيوشه، ويقودها في حملة تأديبية ضد مملكة «التنكّوت» المتمردة. فمات بعد سنة (وهو في قمة الأحداث العسكرية منهمك في حربه ضدّهم) في رمضان، سنة ٦٢٤ هـ/ اغسطس، عام ١٢٢٧م، في مكان في أعلى نهر «وى» بالقرب من نقطة التقاء حدود المقاطعتين الحديثتين «سو»و «شن سو»[2].

كان جنكيز خان يبلغ من العمر قرابة أربع وسبعين سنة أو خمس وسبعين سنة. الا أن رشيد الدين يقول: «.. انه يبلغ من العمر اثنتين وسبعين سنة، حسب السنوات الطويلة أو ثلاث وسبعين سنة حسب السنوات القصار..»[3] ومع ذلك فان الجوزجاني من ناحية أخرى يقول بان الخان عندما كان في خراسان في سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١م، كان يبلغ من العمر قرابة خمساً وخمسين سنة (هذا حسب الرواية التي وردت في الطبعة التي حققتها حبيبي، أما في الطبعة الإنجليزية التي قام بترجمتها « رافرتي » نجدها كتبت خمساً وستين سنة وليس

---

(١) عن رحلة جنكيز خان وعودته الى وطنه منغوليا، أنظر: الجوزجاني، طبقات..، جـ ٢/ص.ص: ١٤٤ - ١٤٨، الترجمة الانجليزية، جـ٢/ص.ص: ١٠٧٧ - ١٠٧٨ ؛ رشيد الدين، جامع..، جـ ١/ص.ص: ٣٧٨ - ٣٧٩ ؛ وحول حاكم المغول في إيران، بعد عودتهم الى منغوليا أنظر: الفصل الرابع، فقرة (أ)، من هذا الكتاب.

(٢) هذا حسب ما أورده المستشرق : ر. فوكس ، جنكيز خان،ص: ٢٤٠ ؛ ولمعلومات أكثر حول هذا الموضوع أنظر : الجويني ، جهانكشاي، جـ١/ ص: ١٤٤، الترجمة الانجليزية، جـ١/ ص: ١٨٣ ؛ رشيد الدين، جامع..، جـ١/ ص ص: ٣٨٦ - ٣٨٧ ، المخطوطة العربية، الورقات ٢٢٧ ب - ٢٢٩ أ.

(٣) لعله في ذلك كان يقصد السنوات القمرية والشمسية ، رشيد الدين، جامع..، المخطوطة العربية، ورقة ٢٤٥ أ.

خمساً وخمسين سنة كما هو في الطبعة الفارسية)[1] . والمستشرق « رافرتي » يقول بأن عمر جنكيز خان كان . . . « ٧٥ سنة وشهر واحد وعشرة أيام بالضبط . . »[2] .

ويرى المستشرق الانجليزي . «ج. أ. بويل»، معتمداً في ذلك على مراجع أولية في هذا الموضوع «مثل التان تبتشي» ان الخان المغولي مات بمرض حمى التيفوس . وتبدو الرواية مطابقة تقريباً لما ورد في رواية الجويني، والتي تقول بأن الخان قد غلبه مرض لم يكن بالامكان شفائه منه ، بسبب المناخ الذي كان غير صحياً[3].

ومع كل هذه الروايات، فقد يكون هناك احتمال ليس ضعيفاً من أن جنكيز خان ربما يكون قد قتل أثناء حرب المغول الذي أعلنه الخان ضد «التنگوت». ففي هذا الوقت كانت امبراطورية «هسي - هسيا» تملك في يدها زمام حكم سكان مناطق التبت الجبلية الحصينة. حيث قاوموا العدو الغازي لأراضيهم بكل عزيمة وتصميم وشجاعة ، أثارت حماس واعجاب الأمم المجاورة الأخرى ، حيث برهنوا على انهم أمة محاربة تفوق في هذا الشأن جميع الأمم التي تعرضت للغزو المغولي ، فقد كانت خسائر المغول فادحة، وزاد من فداحة الخطب عليهم موت الخان العظيم نفسه . ووفاة واحد من أقرب الاصدقاء للخان «بوكورتشي »؛ وربما انها قتلا ، فقد كان ذلك فاجعة طمت ما قبلها . كانت هذه الحرب ، التي شنها جنكيز خان سنة ٦٢٢ هـ/ ١٢٢٥م ومات دونها ، سجالاً بين المغول و «التنگوت» طوال السنوات السبع التالية ، ولم تنته الا في أيام حكم «أُكتاي قاآن» في سنة ٦٢٩ هـ/ ١٢٣٢م[4].

دفن جنكز خان

أبقي موت الخان العظيم مسألة سرية ، لا يعلمها الا النزر اليسير من

---

(١) الجوزجاني، طبقات . ، جـ ٢/ ص. ١٤٤، الترجمة الانجليزية، جـ٢/ص. ١٠٧٧.

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحات.

(٣) بويل ، (جهانكشاي) الترجمة الانجليزية، جـ ١/ ص. ١٨٠، حاشية ٣.

(٤) عن هذا الموضوع ، أنظر رشيد الدين، جامع . ، جـ١/ ص.ص: ٤٥٥ - ٤١٠ ؛ مارتن ، نهوض . ، حيث نقل عن مصادر صينية ، فقد خصص فصلاً كاملاً عن حرب المغول ضد «هسي - هسيا» ص.ص: ٢٨٣ - ٣٢٥.

أبنائه ؛ وأفراد قلائل من المقربين الى الأسرة الحاكمة ، وأولئك الذين كانوا ملازمين للخان على وجه الخصوص، حتى تصل عربة الجنازة الى المنطقة التي حدد موقعها بين النهرين «كِرُولِنْ» الى الشرق و «أُنَنْ» الى الغرب، والتي كانت هي الوطن الأصلي للخان المتوفي . عند وصولهم الى الشمال من صحراء جوبي أخذت القافلة التي تحمل الجنازة طريقها الى مخيم يقع على ضفاف نهر «كِرُولِنْ» حيث تم أعلان وفاة الخان على الملاء . وقد قام بمراسم تجهيز الجنازة ودفنها «سوبتاي» قائد الخان الوفي العظيم[1].

أما المكان الذي دفن فيه الخان فإن رشيد الدين يروي لنا قصة ، ربما تكون صحيحة، مؤداها، أن جنكيز خان ، أثناء سني حياته الأولى، ذهب يوماً للصيد ، فرأى شجرة عالية وحيدة في مكان خاص . فجذبته ظلالها الوارفة ؛ فذهب وجلس تحتها ، واستراح ساعة من الزمن ؛ فكان لهذه الشجرة انطباع طيب لدى الخان . لذلك فقد أصدر أمره بأن يكون قبره تحت هذه الشجرة لأن ذلك المكان هو الأصلح لموارات جثمانه[2].

ويروى بأن ذلك المكان الذي دفن فيه الخان كان على سفوح جبل «بُرقون قَلْدُون» أي «جرف بوذا» في جبال« كنتي » العظيمة الواقعة الى شمال شرق منغوليا ، أي الى الشرق من المدينة الحالية «أُلَنْ بُتر» . ومع هذا، فان موقع المكان الذي قبر فيه الخان على هذا الجبل غير معروف على وجه التحديد[3].

---

(١) يقول البعض بأن «بيسلوكن بهارد» هو الذي قام بذلك. لمعلومات أوفر عن هذا الموضوع : أنظر، مارتن، نهوض: ، حيث ينقل عن «التان تبتشي» الكاتب المغولي الذي عاش في القرن العاشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، و « ستتك ميثبن» وما كتب عن «سوبتاي» ص.ص: ٣٠٤ ـ ٣٠٦.

(٢) رشيد الدين ، جامع التواريخ، جـ١/ص: ٣٨٧.

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة ؛ دوكلاس، حياة ص.ص: ١٠٤ ـ ١٠٥ ؛ ب. فلاديمير ستوف ، حياة . ، ص : ١٤٥ ؛ مارتن، نهوض . ، ص: ٣٠٦ ، وحاشية ٤٦ ؛ بويل ، مكان دفن «أكتاي خان » العظيم، مجلة «أكتا اوريتاليا» ١٩١٨ ، جـ ٣٢/ص. ٤٥ ـ ٥٠ ؛ ر. فوكس ، جنكيز خان ، ص: ٢٤١، حاشية ١ ؛ ميتشلي، البحث عن ماركو پولو في منغوليا . ، الترجمة الانجيزية ص.ص: ٣٩ ـ ٤٠ ؛ بويل، مناظر واماكن ذات العلاقة بالأمبراطورية المغولية، الحلقة الثانية للاجتماع الدولي للمؤرخين المتخصصين في التاريخ المغولي، اولن بتر ، ١٩٧٢ ، ص.ص: ٧٥ ـ ٧٩ .

تقسيم ميراث جنكيز خان وخلافة العرش المغولي

قبيل أن يموت ، كان جنكيز خان قد أوصى لابنه «أكتاي خان» ابنه الثالث من زوجته الكبيرة «برته» بعرش المغول بعد وفاته. كما قام الخان قبل وفاته أيضاً بتقسيم أمبراطوريته المترامية الأطراف، وجيشه العظيم بين أبنائه وجميع أعضاء اسرته الآخرين . وقد أعطانا المؤرخ الكبير، رشيد الدين ، تقريراً مفصلاً عن عدد أقسام، وكيفية توزيع ثروة، وأمبراطورية وجيش جنكيز خان المتوفي بين اسرته[1].

وحول هذه المسألة بالذات يقول ب.ى. ڤلاديمير ستوڤ ان جنكيز خان اعتبر الإمبراطورية المغولية الواسعة، التي أسسها، ملكاً خاصاً له ولعائلته جميعاً ؛ وأنه يجب أن يكون رئيسها رجلاً واحداً ، ذلك هو الخان . فالامبراطورية يجب أن تبقى واحدة ؛ كما يجب أن يكون على رأسها أمبراطور واحد . وهنا يقول جنكيز خان : «ليكن واحد من أبنائي وريثاً لجيشي ومكانتي السامية . فكلماتي غير قابلة للتغيير ، وسوف لن أسمح لأحد أن ينتهك حرمتها بمخالفتها[2] . »

وفي حقيقة الأمر ، فإن نفس الشعب المغولي اعتبر ملكاً لجنكيز خان واسرته ، حيث قسموا بين أعضاء هذه الأسرة ، كما قام الخان بتقسيم امبراطوريته بين أبنائه

(١) رشيد الدين، جامع . ، جـ ١/ ص.ص: ٤٠٦ - ٤١٦.

(٢) ب.ى. ڤلاديمير ستوڤ ، حياة . ، ص. ١٤٧، نظرية الاقطاع البدوية لدى المغول التي تبناها المؤرخون الروس أمثال : كِركَف، بارثولد ؛ وڤلاديمير ستوڤ ، قد هاجمها : د. كريدر هجوماً حاداً (في مجلة : الدراسات المقارنة في المجتمع والتاريخ، مجلة دولية تصدر كل ربع سنه، جـ ١/ ١٩٥٨ - ١٩٥٩م، ص.ص: ٧٦ - ٩٩) بعنوان الاقطاعية وحكومة التتر في القرون الوسطى ، انظر أيضاً : ج.ج. ساووندرز ، المسلمون والمغول،ص. ٦٣/ حاشية ٢٢ .

الأربعة الذين جاءوا من زوجته « برته » بصورة عامة أعطى ابنه الأكبر «جوتشي خان» الأراضي التي تمتد من الضفاف الغربية لنهر «أرتيش» الى نهر« إتل» أي نهر «الفلكًا» ؛ أي أن «يورت» أي أراضي «جوتشي خان» الأميرية كانت تشمل (حسب وصية جنكيز خان) الأراضي البلغارية، وتمتد الى الجهات الغربية لتشمل جميع الأراضي التي تستطيع الخيول المغولية أن تطأها بحوافرها . وعلى هذا الأساس ، فقد أصبح نصيب ابنه الأكبر من أمبراطوريته ، ولايات «تركي وأُرَنْـگ»؛ الحالية، وخوارزم ، مع جميع المناطق الواقعة الى الجهات الغربية من الأراضي المغولية[1].

أما الابن الثاني لجنكيز خان، «تشغتاي» فقد أعطي الأراضي «الأويغورية» «تثيم شن» والأراضي «القراخطائية» (وهي جيمع المناطق المحيطة «ببحيرة بلكاش»)، ووادي نهر «تاريم» ووادي نهر «تشو» و «طراز»)، وأراضي ما وراء النهر ، بما في ذلك بخارا، وسمرقند ، مع جميع المدن والأرياف التابعة لها . وتقول التقارير التاريخية في هذا الصدد أن هذا الأمير جعل مسكنه في المنطقة المجاورة ل : « بالماليغ » في مكان يعرف ب « قُيَسْ »[2] .

وفيما يتعلق بالابن الثالث لجنكيز خان «أَكَتاي» فقد أوصى له والده بالعرش المغولي ؛ ولربما أن يكون جنكيز خان قد جعله المرجع الأعلى لجميع إخوته الكبار والصغار عنه ، من أيام الأزمة التي نشبت بين الأخوة أثناء حملتهم العسكرية ضد أقليم خوارزم وابان حصارهم لمدينة «جرجانية» ؛ كما أعطى «أَكَتاي» أراضيه الأميرية الخاصة به ، فكانت تشمل الأراضي الواقعة في منطقة نهر «إميل»والأراضي المغولية الواقعة في منطقة نهر «ارتيش الأسود» «قرا ـ ارتيش»، والتي تقع الى الغرب من الأراضي المغولية وجنوب «تشُكَتشك» بالأضافةالى«أُرَنْـگ » و «خُبوك» الواقعة في المنطقة المعروفة اليوم ب«سِنْكينْـگ الشمالية».

(١) عن نهر «أتيل» انظر: بويل، في ترجمته لجهانكشاي، جـ ١/ص. ٢٩٧، حاشية رقم ٤.

(٢) هذا حسب ما قاله بويل ، في المرجع السابق ، جـ١/ص : ٤٣ . أما في النسخة الفارسية (جـ١/ص : ٣١) فقد كتبت «قوناس، أو قوناق». انظر حاشية رقم ١٢ في نفس الصفحة .

أما الابن الرابع «تولي خان» فقد اعطي ـ حسب ما تصفه رواية الجويني ـ تلك الأراضي المجاورة لممتلكات «أكتاي»؛ والتي تحتل أراضي الأمبراطورية الوسطى، كالمركز الذي يحتل وسط الدائرة. وبصفته الابن الأصغر في العائلة من الأبناء الكبار لجنكيز خان فإن «تولي» أصبح يعرف بلقب خاص بمن في هذه المرتبة وهو «وجكين» والتي تعني سيد النار والمنزل»، «خداوند آتش ويورت» حيث كانت أراضيه الأميرية هي الأراضي الأصلية للمغول وسيظل بها، ولذلك فقد ورث موطن الآباء والأجداد الأصلي «يورت»؛ كما ورث رئاسة الـ «ألس» أي مضارب الخيام والناس الذين يعيشون بها[1] كما أن «تولي خان» عرف بلقبه «ألغ نويان» أي القائد العظيم، وربما كانت تسميته بهذا اللقب، لأن الأغلبية الساحقة من الجيش المغولي أعطي له عندما جرت القسمة بين الأخوة حسب ما أوصى به جنكيز خان[2].

وبالاضافة الى الأبناء الأربعة هؤلاء، نجد أن كل عضو من أعضاء أسرة الخان المتوفى، الآخرين قد أعطي نصيبه من أراضي، وجيش، ومؤن، وفي هذا الشان يذكر الجويني في رواية له، تبدو لنا مبالغ فيها كثيراً، أن عدد أفراد أسرة الخان كانوا يربون على عشرة آلاف نفس[3].

---

(١) «يورت»، و«أولس» -كلمتان مغوليتان؛ وتعني الأولى الأراضي التابعة لرئيس عشيرة، أو أمير قوم، والثانية تعني الناس، أو السكان الذين يعيشون في الـ«يورت»، انظر: خلفاء جنكيز خان، لرشيد الدين الترجمة الانجليزية التي قام بها الاستاذ ج. أ. بويل، نيويورك، ١٩٧١م، ص: ٣٤١.

(٢) الجويني، جهانكشاى، جـ ١/ ص: ٣١ ـ ٣٢، الترجمة الانجليزية، جـ ١/ ص: ٤٢ ـ ٤٣؛ التاريخ السري، الترجمة الفارسية، جـ ١/ص: ١٧ وحاشية رقم ١؛ رشيد الدين، جامع، جـ ١/ ص.ص: ٤٠٨ ـ ٤١٦؛ بويل، حول العناوين التي منحت لبعض الأمراء في كتاب الجويني، مجلة هارفرد للدراسات الاسيوية، ١٩٥٦، جـ١/١٧، قسم ٣ و ٤ص.ص١٤٦ ـ ١٥٤؛ فلاديمير ستوف، حياة جنكيز خان، ص ص: ١٤٦ ـ ١٤٨؛ مارتن نهوض، ص: ٣١٢.

(٣) الجويني، جهانكشاى، جـ ١/ ص. ٣٢، الترجمة الانجليزية، جـ ١/ص. ٤٣.

تتويج «أكتاي» خان أعلى للمغول بلقب «قا آن»

كان قد مضى ما يقرب من سنتين قبل أن يتوج خان جديد على العرش المغولي. اذ لم يتم التتويج الا في فصل الربيع من سنة ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩م حيث توج «أكتاي» خاناً جديداً على العرش المغولي، ووريثاً للفاتح العظيم[١]. فبعد أجتماع عام عقده كبار أعضاء اسرة جنكيز خان، نصب الابن الثالث للخان «أكتاي» على العرش. وقد حضر من أراضي الـ «قبتشاق» هُرْدُو«أو ورده» أو «أرده» و «باتو»، على رأس وفد عائلة «جوتشي خان»؛ وترأس «تشغتاي» الوفد القادم من أراضيه الأميرية؛ كما قدم كل من «أكتاي» و «تولى» كرئيسين لوفدي عائلتيهما.

عقد الاجتماع العام الكبير على ضفاف نهر «كِرُولِنْ» والذي كان جزءً من أراضي «تولى»الأميرية؛ اذ أنه - من وجهة النظر التقليدية العامة - هو الحامي والمدافع عن أرض الأباء والأجداد. ونتيجة لذلك فقد أصبح «تولى» هو الرجل المضيف لأخويه الكبيرين ولبقية الأعضاء المجتمعين في هذا الاحتفال. وتقول الروايات أن اجتماعهم ذلك استمر مدة أربعين يوماً، في أكل وشراب؛ ومشاورات ومداولات، حول تعيين الخان. وفي اليوم الحادي والأربعين، الموافق ليوم من أيام شهر ربيع الأول، سنة ٦٢٦ هـ/ مارس ١٢٢٩م، تم تتويج خان جديد، حيث اخذ «أكتاي» ووضع على العرش، وحمل لقباً جديداً هو «قا آن». بعد ذلك يروي لنا الجويني ورشيد الدين أن «القا آن» الجديد المتوج أمر بأن ينتخب مجموعة من البنات العذارى - يقدر عددهن بأربعين - من

(١) ممكن كتابة اسم الخان الجديد: أكتي، أكيتي، أكداي، أكتاى، أكتاي، أكوتاي أو أوجوداي.

ذوات الحسن والجمال ، ومن ذوات محتد كريم ممن ينتسب الى عوائل الرؤساء والقادة، ممن كان ملازماً لخدمة الخان، وهن في أجمل ما يكن ، لابسات أنواعاً شتى من الحلي ، وأفخر اللباس ، ويؤخذ مجموعة مختارة من أفخر الجياد لتقتل مع البنات الأربعين ولتلحق أرواحهن بروح جنكيز خان لخدمته في مماته[1].

(٢) حول تتويج «أكتاي»: انظر الجويني ، جهانكشاي، جـ ١/ ص.ص: ١٤١ - ١٤٩، الترجمة الانجليزية جـ ١/ص.ص: ١٧٨ - ١٧٩ ؛ رشيد الدين، جامع ، ، جـ ١/ ص .ص: ٤٥٢ - ٤٥٤ ، الترجمة الانجليزية (خلفاء جنكيز خان) ص.ص: ٢٩ ٣٢ ، بويل، تقديم الخيل فداء بين المغول، في القرنين ١٣ و ١٤ ، المجلة الأسيوية المركزية١٩٦٥، ١٠، ٣ - ٤،ص.ص: ١٤٥ - ١٥٠ وحاشية رقم ٦ .

الفتوحات المغولية أيام «أكتاي قاآن»

في الوقت الذي توفي فيه جنكيز خان، كان ما يزال هناك العديد من الفتوحات العظيمة في شتى نواحي الامبراطورية بدأها جنكيز خان ومات وتركها وراءه قبل أن يتمها. وهذه الفتوحات كانت: (أ) هزيمة الأمير الخوارزمي جلال الدين، والقضاء عليه بصورة نهائية؛ ثم تكملة الحملة العسكرية التي قام بها «جبه نويان وسوبتاي» في الغرب؛ وضد الدويلات الروسية؛ (ب) كما كانت هناك مسألة تكملة العمليات العسكرية التي قام بها ذلك القائدان العظيمان «موقولي وساموقا» داخل أراضي الصين الشمالية، وتدمير أسرة «تشن» الحاكمة، والقضاء عليها بصفة نهائية. ثم (جـ) القضاء المبرم على العدو اللدود «هسي ـ هسيا»أو «التنكوت» ذلك العمل الذي بدأه الخان قبيل وفاته[1].

القضاء على جلال الدين آخر حكام الأسرة الخوارزمية

في الوقت الذي توج «أكتاي قا آن» على العرش المغولي بصورة رسمية، كخلف لجنكيز خان، كان جلال الدين قد عاد من الأراضي الهندية، وجعل من نفسه حاكماً على أراضي في آذربيجان، وفارس، وكرمان. وقد وصف الجويني ـ بصفته مؤرخ كان تحت ظل المغول ـ نشاطات جلال الدين العسكرية

(١) عن فتوحات القائدين الجسورين «موقولي وساموقا» داخل الصين، انظر رشيد الدين، جامع . . جـ ١/ ص. ٣٣٠ ـ ٣٣٤؛ وركر جنكيز خان ص.ص: ٦٧ ـ ٧٠. أعطانا مارتن (نهوض جنكيز خان . . ص.ص: ٢٣٩ ـ ٢٨٢) تفاصيل عن فتوحاتهم، نقلاً عن مصادر صينية أولية. حتى وفاة «موقولي» في سنة ٦٢٠ هـ/ ١٢٢٣م.

في هذه البقعة بأنه «.. قد أشعل نار الفتنة، وأحدث الاضطرابات في المنطقة..». فسببت قلقاً عظيماً لدى القاآن(1). لذلك فقد أرسل قائده العسكري «تشر ماغون نويان» على رأس جيش يبلغ عدده حوالي ثلاثين ألف رجل.

سار هذا القائد من منغوليا باتجاه الغرب؛ فوصل خراسان في شتاء عام ٦٢٧ هـ ـ ١٢٢٩ ـ ١٢٠٠ م. وقد كانت أوامر «القاآن» الى الحاكم المغولي الاداري في إيران «تشن تيمور» تقضي بأن يلتحق بـ «تشرماغون نويان» ليضع نفسه، وامكانيات ادارته تحت طلبه. كان القائد المغولي مطلعاً، وعارفاً تماماً بآخر مكان كان فيه جلال الدين، لذلك فقد أخذ طريقه رأساً الى آذربيجان؛ كما كان القائد المغولي قد أعلم بالهزيمة التي مني بها الخوارزميون على أيدي إخوانهم المسلمين؛ الذين هم سلطان الروم، وحكام سوريا وأرمينيا الأيوبيين.

مليء جلال الدين رعباً وهلعاً باستئناف المغول لغاراتهم المخيفة، فلاذ بالهرب بعد أن هجره حتى جنده، وفارقوا خدمته. فلم يتجاسر أن يقابل المغول على ميدان المعركة، لأن جيشه أصبح مشلولاً تماماً، خاصة بعد الهزيمة التي تكبدها في المعركة التي خاضها بالقرب من «آرزنجان» منذ شهور قلائل مضت. لذلك فقد استطاع المغول، وبكل سهولة، أن يضعوا نهاية لآخر حكام سلالة الخوارزم شاهيين؛ وأن يحتلوا جميع أراضيهم بصورة نهائية. وكنتيجة حتمية لهذا، فقد دفع المغول حدود أراضيهم بشكل أبعد الى الغرب؛ وأصبح «القاآن» في منغوليا جاراً لخليفة بغداد، ولسلطان الروم، وللأيوبيين، ولبقية الحكام المسلمين في المنطقة ـ أمثال: بدر الدين لؤلؤ، حاكم الموصل، ومظفر الدين كوكبري، حاكم اربل ـ كل أولئك سيصبحون فيها بعد غنيمة سهلة، ولقمة سائغة للمغول، واحداً بعد الآخر(2).

---

(1) الجويني، جهانكشاى، جـ ١/ ص ١٤٩، الترجمة الانجليزية، جـ ١/ ١٩٠.
(2) عن هذا الموضوع انظر، الفصل الثالث (الفقرة ٢) من هذا الكتاب.

أكتاي قاآن يدعو الى «قورلتاي» ويخطط غزو غرب آسيا وشرق أوروبا

في الوقت الذي سارت فيه حملة المغول ضد جلال الدين خوارزم شاه، بقيادة **«تشر ماغون نويان»** كان قد سار **«القاآن»** على رأس حملة عظيمة جداً بقصد استكمال ذلك العمل الذي بدأه جنكيز خان، وواصله من بعده القائدان **«موقولى وساموقا»** في سبيل اخضاع أراضي الصين الشمالية. وقد استطاعت القوات المغولية أن تقضي نهائياً على سلالة اسرة **«تشن»**. بعد ذلك واصل المغول زحفهم جنوباً ضد أراضي الصين الجنوبية في محاولة للقضاء على الأسرة الحاكمة هناك من سلالة **«سنك»**[1].

بعد أن سقطت مدينة **«كثي فنك»** العاصمة للامبراطورية الجنوبية لسلالة «تشن» ، بعث **«أكتاي قاآن»** رسلاً الى كل ركن من أركان امبراطوريته الواسعة ليدعوا جميع كبار اقربائه الى الحضور في اجتماع استشاري عام ، أو **«قورلتاي»**. فقد كان الى جانب الاحتفالات التي أقيمت لمناسبة النصر النهائي على سلالة «تشن»، فإنه كان لهذا الإجتماع هدف أساسي، وهو وضع مخطط شامل للقيام بحملة عسكرية ضد الغرب. حيث كان المغول قد وصلوا في فتوحاتهم الى البحر على حدود العالم شرقاً ، بينما يقع الى الغرب من ممتلكات **«باتو»** الأميرية العديد من الأقطار التي ما زالت لم تفتح بعد.

---

(١) عن غزوات المغول هذه في الصين ، انظر الجويني، جهانكشاي ، جـ١/ ص. ٢١٥ ، الترجمة ، الانجليزية، جـ ١/ ص.ص: ١٩١ - ١٩٥ ؛ رشيد الدين، جامع . ، جـ١/ ص.ص: ٤٥٥ - ٤٦١، الترجمة الانجليزية (خلفاء.) ص. ص ٣٢ - ٣٩ ، ٥٥، ٢٧٠ - ٢٧٣ ، والحاشية رقم : ٧٩ ، كليفز ، ترجمة حياة بيان البرون في يوان شي، مجلة هارفرد للدراسات الأسيوية ١٩٥٦ م، جـ ١٩ ، ٣-٤، ص.ص: ١٨٥ - ٣٠٣

ومن رواية الجويني نستنتج أن ذلك الاجتماع العام عقد في فصل ربيع سنة ٦٣٢ هـ/ ١٢٣٥م: «.. **في وقت أصبحت الدنيا فيه شبيهة بحديقة ارم..»** «**دروقتى كه دنيا باغ ارم بود**».[1]وفي هذا الأجتماع بالذات أخذت خطط فتح الأراضي الروسية، والأقطار الأوروبية أطارها الأول العام. والذي يبدو أن الرأس المخطط لذلك الفتح العظيم المنتظر هو قائد جنكيز خان الكبير «**سوبتاي**»، ذي الخبرة والتجربة العسكريتين؛ بالاضافة الى كونه قد عرف وجرّب حرب الروس، من خلال تجربته معهم أثناء قتاله إياهم، ذلك القتال الذي كان إمتداداً لغزوته المشهورة مع «**جبه نويان**» ضد السلطان محمد في محاولة للقبض عليه.

حضر هذا الاجتماع جميع أعضاء أسرة جنكيز خان الكبار، وعلى رأسهم، «**باتو**»، كما حضره أيضاً كبار القادة العسكريين، والضباط، برئاسة «**سوبتاي**». كان هذا الغزو العسكري المغولي،المنتظر القيام به،ضد الغرب يهم «**باتو**»أكثر من أي فرد آخر حضر هذا الإجتماع؛وربما كان يبلغ في أهميته لـ «**باتو**» أكثر مما يهم «**القاآن**» نفسه. والسبب في ذلك أن الأراضي الأميرية التي أعطيت للابن الأكبر «**جوتشي**» حسب وصية جنكيز خان عند توزيع أمبراطوريته على أبنائه، كانت تمتد من نهر «**أرتيش**» الى نهر «**الفلكا (إتيل)**»؛ ومنها تمتد الى الأراضي الغربية بقدر ما تستطيع الخيول المغولية أن تطأها بحوافرها. ولذلك، فإن «**باتو**»، وهو الوريث بعد أبيه «**جوتشي**» الى جانب كونه أكبر عضو من أعضاء الجيل الجديد، قد أعطيت له القيادة العليا في هذه الحملة؛ كما وضع ذلك القائد الكبير الموهوب «**سوبتاي**» تحت طلبه.

يروي لنا الجويني، ونقل عنه رشيد الدين، أن «**أكتاي قاآن**» نفسه أراد أن يسير الى الغرب كقائد للجيش المغولي. ومع هذا فإن «**منكو**» الذي كان أكبر أولاد «تولى خان» اعترض على ذلك؛ فرغم أنه كان في المراحل الأولى من

---

(١) الجويني، جهانكشاى، جـ ١/ ص: ١٥٥، وحاشية ١، الترجمة الانجليزية، جـ ١/ ص.ص: ١٩٦ - ١٩٧، وحاشية ١؛ رشيد الدين، جامع..، جـ ١/ص.ص ٤٧٢ - ٤٧٣، الترجمة الانجليزية (خلفاء..) ص: ٥٤.

الشباب ، فإن « منكّو خان » كان يعد من صفوف الكبار نظراً لنبله ، ووقاره ، وحكنته . وقد علّق على ما جاء في مقالة « القاآن » ورغبته في قيادة الجيش المغولي بنفسه ، قائلاً : كلنا جميعاً، أخوة وأبناء ، نقف على أهبة الاستعداد للطاعة، وتنفيذ أمركم مهما كان ، ولقد نصبنا اعيننا وأصغينا بأذاننا لتنفيذ شتى الأوامر، ولازالة جميع الصعاب، ولكي نكون حاضرين لطاعة ما يؤمر به علينا ؛ بينما يقوم «القاآن» بامتاع نفسه بالمناظر وبوسائل التسليات؛ والتلذذ بمتعة كل رغبة يريدها، وليرح «القاآن» نفسه من عناء السفر ومشاقة، واحتمال الأخطار . والا فما هي الفائدة من وراء كل هؤلاء الأقارب ، وهذه الجيوش التي لا تحصى ؟ ثم يضيف كلا المؤرخين قائلين بأن كل الأمراء، والضباط قد استثارتهم تلك الكلمات الملهمة التي قالها «منكّو خان» ؛ فأخذ الأمراء الآخرون منها نموذجاً يسيرون على نهجها[1] .

والذي يبدو لنا أن كلا المؤرخين كانايريدانأن يعطيا مفخرة وميزة أكبر وأهمية أعظم لـ «منكّو» لأنه أكبر أولاد «تولى خان» (الذي ينحدر منه أباء وأجداد ولي نعمة هذين المؤرخين)؛ كما أنه ربما تكون هذه اشارة من المؤرخين الى «منكّو» على أنه الوريث الشرعي للعرش المغولي . هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فاننا يمكن أن نقول أن «القاآن» لا يمكن أن يقول ذلك لأن نشاطاته العسكرية لم تكن مرضية على الاطلاق؛ لأنه لم يكن صالحاً أبداً لهذا العمل العظيم، نظراً لاعتلال صحته . فقد كاد أن يموت في أراضي الصين ، وهذا هو السبب الذي أجبره على أن يعود الى منغوليا، حتى قبل أن تنتهي حملته التي قادها بنفسه ضد الأراضي الصينية، ولم يتمها الا القادة العسكريون من بعده بقيادة أخيه الأصغر «تولى خان» الذي توفي أثناء الحملة . ثم بالاضافة الى ذلك، فإن «أكتاي قاآن» كان مهتماً اهتماماً كبيراً ببناء عاصمته «قرا - قروم» والتي أخذ على عاتقه مؤونة الاشراف عليها بنفسه .

---

(١) الجويني ، جهانكشاي ، جـ ١/ ص ص: ١٥٦ ، ١٥٧ ، الترجمة الانجليزية: جـ ١/ ص.ص: ١٩٨ - ١٩٩ ، رشيد الدين، جامع . ، جـ ١/ ص: ٤٧٣ ، الترجمة الانجليزية (خلفاء . .)ص.ص: ٥٤ - ٥٥ .

المشتركون في هذه الحملة ، ومسيرتها الى الغرب

شارك في هذه الحملة العسكرية المغولية الضخمة ضد أراضي غرب آسيا وشرق أوروبا العديد من الأمراء الصغار ، من جميع العوائل الأربع الرئيسية بوجه الخصوص ، عائلة **«جوتشي خان»** وعائلة **«تشغتاي خان»** وعائلة **«أكتاي قاآن»** ومن عائلة **«تولي خان»**؛ فكان **«باتو»** على رأس من شارك من عائلة **«جوتشي»** كما كان القائد العام لجميع شؤون هذه الحملة ؛ ثم قاد **«بوري وبايدر»** ممثلي أسرة **«تشغتاي»**؛ كما ترأس **«كويوك وقادان»**المشتركين من أسرة **«أكتاي قاآن»**؛ أما عائلة **«تولي خان »** فقد قام كل من **«منكو وبورتشك»** بتمثيلها في هذه الحملة[1] .

وفي سنة القرد، والتي تصادف جمادى الثانية، من عام **٦٣٣** هـ/ فبراير ـ مارس، لسنة ١٢٣٦م؛ أي بداية فصل الربيع، بدأت القوات المغولية مسيرتها نحو الغرب . كانت مضارب خيام الأمير **«باتو بن جوتشي خان»** مقامة على ضفاف نهر الفلكا العظيم **«إتل أو إتيل»** والتي فيها رحب الجيوش المغولية في ضيافته . وفي خريف ذلك العام نفسه وصلت بالجيوش الزاحفة الى أراضي **«دولة البلغار»**، التي تقع في المنطقة الوسطى من نهر **«الفلكا»**، ومع هذا، فلم

---

(١) ذكر الجويني اسماء الأمراء المشاركين في هذه الحملة في جهانكشاي، جـ ١/ ص : ٢٢٤ ، الترجمة الانجليزية ، جـ ١/ ٢٦٩ ؛ ورشيد الدين جامع . ، جـ ١/ ص ٤٧٤ ، الترجمة الانجليزية (خلفاء.) ص: ٥٦. لم يظهر اسماء الأمراء المشتركين من عائلة «تشغتاي» في الجزء المترجم الى الانجليزية من المرجع الأخير، بينما نجدها في ترجمة سابقة ظهرت في مجلة «كوكاسيكا» اي القوقاز جـ ٣/ «عاصمة آلان» مكس وحملات المغول ،«مجلة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية، جـ ٢/١٤ ، ص.ص: ٢٢١ ـ ٢٣٨ ، بقلم المستشرق/ ف، مينورسكي.

يبدأ المغول غزوهم ضد الأراضي الغربية في غرب قارة آسيا الا في فصل الشتاء القارص .

الأقطار التي وقعت عرضة للغزو المغولي

كانت البلاد التي وقعت في طريق الغزاة المغول ، وعانت من شدة وطأة غزوهم المدمر هي : الآسي[1]، والبلغار[2]، والقبتشاق (أو دشتي - قبتشاق)[3]، وأوروس[4]، ومگس[5]، وچجر[6]، وبولار، وباشغيرد[7]، وپلند (پولندا) وسيلسيا ، ومراڤيا وهنگاري (هنغاريا أو المجر)[8].

وفي خلال شتاء عام ٦٣٤ هـ/ ١٢٣٦م - ١٢٣٧م، وخريف سنة ٦٣٥ هـ/ ١٢٣٧م قام كل من القائد الكبير «سوبتاي» والأمير «منكو» كل على حده ، بهجوم واسع النطاق ومتتالي على دولتي «آلاس والبلغار»؛ بعد هذا الغزو المغولي الغاضب خضعت تلك الدولتان للسلطة المغولية المنتصرة[9]. بعدها عبرت

---

(١) آس ، أو آسي ، أو آلانز ، كانت ما يعرف اليوم بـ: أسيتس، انظر مجلة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية ، جـ ١٤/ ٢ ، ١٩٥٢م ص: ١٢١.

(٢) هي مملكة البلغار .

(٣) هي مناطق القبتشاق ، انظر رشيد الدين، جامع .، جـ ١/ ص. ٤٧٥ ؛ مينورسكي ، مقالته «تشنشاق» مجلة مدرسة الدراسات .، ص. ٢٢٥ ؛ بويل ، في الترجمة الانجليزية لجامع التواريخ، (خلفاء.)، ص: ٥٦ .

(٤) أنظر : مينورسكي، مجلة مدرسة الدراسات . ، ص: ٢٢٧ ؛ بويل ، في الترجمة الانجليزية (خلفاء) ص: ٥٦ ، وهي روسيا .

(٥) مگس : هي عاصمة الآنز ، دمرها المغول ، سنة ٦٣٧ هـ/ ١٢٣٩م؛ انظر مينوركسي، مجلة مدرسة الدراسات، ص: ٢٣٧.

(٦) كانت جزءً من مملكة هنكاري ، انظر بويل، ترجمته لجامع . ، (خلفاء.) ص: ٧٠ حاشية رقم : ٣٣٧

(٧) هي مملكة الهنگاريين ، انظر المراجع السابق ، ص : ٥٦ ، حاشية : ٢٢٢.

(٨) لمعلومات أوفر عن هذه الأقطار، انظر رشيد الدين، جامع . ، جـ ١/ ص.ص: ٤٧٤ - ٤٧٥ ، الترجمة الانجليزية ص: ٥٦ ، حاشية نفس الصفحة ؛ ثم الجويني ، وبرتسكنيدر ، ومينورسكي.

(٩) الجويني، جهانكشاي، جـ ١/ ص : ٢٢٤ ، و جـ ٣/ ص.ص: ٩ - ١١، الترجمة الانجليزية ، جـ ١/ ص.ص: ٢٦٨ - ٢٦٩ ، وجـ ٢/ ص.ص: ٥٥٣ - ٥٥٤ ؛ رشيد الدين، جامع. ، جـ ١/ ص.ص: ٤٧٤-٤٧٥ ، الترجمة الانجليزية ص.ص: ٥٧-٥٨-٥٩ ؛ حدود العالم، تحقيق مينورسكي؛ ص.ص: ٦٢ ، ٤٦٠ - ٤٦١ ؛ برتسكنيدر ،بحوث. ،جـ ١/ ص.ص: ٣٠٨ - ٣١٢ ، حيث ترجم الفصل الثالث من «يوان شيه».

القوات المغولية «نهر القلكا» في فصل شتاء ذلك العام (٦٣٥ هـ/١٢٣٧م) على المياه المتجمدة الى الأراضي الروسيةفي الشمال. وخلال فصل الشتاء هذا، استسلمت الأراضي الروسية للغزو المغولي الغاضب المدمر. وقد عانت شعوبها من ويلات هذا الغزو الذي وصل في زحفه جهة الشمال الى ضواحي مدينة «نُفْگُرُدْ» المدينة الروسية التجارية الواقعة على بحر البلطيق. ولم تنجو هذه المدينة من الدمار الذي نكب أخواتها من المدن الروسية الأخرى في الجنوب سوى فصل الربيع، الذي جاء بدفئه، فأذاب الثلوج؛ فهدد المغول الغزاة لهذه الأراضي بالغرق، اذ أصبحت مناطق شمال روسيا مستنقعات ضحلة عائقة؛ فانسحب المغول بسرعة مذهلة الى الجنوب[1].

وفي خلال فصل الخريف التالي، من نفس العام، قام بعض الأمراء الصغار، مثل «منكو» و «كويوك»، و «قادان»، وآخرون، بهجوم ضد بقايا السكان من «الآنز، وتشركس، والكرميين». اما «باتو» نفسه فقد قاد هجومه ضد «القبتشاق» المسيحيين[2]. وفيما يخص المدينتين الروسيتين العظيمتين «كييف» وڤلاديمير» فقد هاجمتها القوات المغولية في فصل خريف عام ٦٣٧ هـ/ ١٢٤٠م؛ فنهبتها ودمرتها، وجعلت من السكان عبرة لغيرهم، حتى أن المغول الجأوهم الى كنائسهم فانهارت على رؤوسهم، فأصابهم على يد المغول ما أصاب السكان المسلمين في إيران عامة، وأقليم خراسان خاصة[3].

---

(١) عن فتوحات المغول هذه، انظر: رشيد الدين، جامع . ، جـ ١/ ص: ٤٧٦، الترجمة الانجليزية ص.ص: ٥٩ - ٦٠؛ بيزلي، تاريخ نُفگرود، ترجمه من الروسية، مايكل، و، ت. فوبرز، لندن، ١٩١٤، جـ ٢٥/ ص.ص: ٨١ - ٨٥؛ مينورسكي، مجلة مدرسة الدراسات. ، ص: ٢٢٦؛ ساووندرز، تاريخ الفتوحات . ، ص.ص: ٨٢ - ٨٣؛ ڤرندسكي، المغول وروسيا، جـ ٣/ ص.ص: ٥٠ - ٥١.

(٢) الجويني، جهانكشاي، جـ١/ ص: ٢٢٥، الترجمة الانجليزية، جـ ١/ص: ٢٧٠؛ رشيد الدين، جامع . ، جـ١/ ص.ص: ٤٧٦ - ٤٧٧، الترجمة الانجليزية، ص.ص: ٦٠ - ٦١؛ مينورسكي؛ مجلة مدرسة الدراسات، ص: ٢٢٥؛ جون الكربيني، تاريخ المغول، تحقيق، دوسون، ص: ٢٩؛ برتسكنيدر، بحوث . ، جـ ١/ ص.ص: ٣١٤ - ٣١٥؛ ساووندرز، تاريخ الفتوحات، ص: ٨٢؛ يردن، الامبراطورية. ، ص.ص: ٢٤٩ - ٢٥٠.

(٣) رشيد الدين، جامع . ، جـ ١/ص ص: ٤٨٢ - ٤٨٣، الترجمة الانجليزية، ص: ٦٩، مينورسكي، مجلة مدرسة الدراسات. ، ص: ٢٢٧، برتسكنيدر، بحوث . ، جـ١/ ص: ٣١٨، ساووندرز، تاريخ الفتوحات . ، ص: ٨٤.

في أواسط عام ٦٣٨ هـ/ ابريل سنة ١٢٤١م، تجمعت القوات المغولية الى الشمال الشرقي من «جبال كريثيا» العالية ، وفي هذا التجمع قام قادة الجيش بعمل الترتيبات النهائية للهجوم على دولة «هنكَاريا» القوية ، ودول شرق أوروبا بوجه عام . وقد تقسمت القوات المغولية الى أقسام ثلاثة رئيسية . قسم سار ضد الجيوش البِّلندية ، ومنها سار الى سيليسيا؛ والقسمان الآخران اتجها ضد دولة «هنكَاريا». ففي اليوم الرابع من رمضان، عام ٦٣٨ هـ/ ١٨ من شهر مارس ، سنة ١٢٤١م، خاضت قوات القسم الأول من القوات المغولية الغازية، معركة ضارية وحاسمة بالقرب من مدينة «سزيدلُو، سيدلُو» أو «أبلي» ضد القوات البُولندية . وقد تمكن المغول من سحق الجيش البولندي ، وأحراز نصر حاسم، لم تقم لقوات عدوهم بعدها قائمة . أما مصير القائد البولندي، الأمير «بُلِسْلَق» فمختلف فيه ؛ فروايات تقول بأنه قتل ، وأخرى تذكر بأنه لم يقتل في ميدان المعركة، بل استطاع أن يهرب الى أقليم «مُرافيا»[1].

انشطرت هذه الكتيبة المغولية الى قسمين، حيث سار قسم منها الى الجنوب والتحقت بالقوات الغازية لدولة « هنكَاريا » ؛ بينما شق القسم الثاني طريقه باتجاه الغرب . وقد أحرز هذا القسم الأخير ، من القوات المغولية ، نصراً عظيماً، بعد ثلاثة أسابيع فقط من معركة الرابع من رمضان ضد البولنديين ؛ حيث تجمعت القوات الأوروبية، تحت قيادة«ديوك هنري» حاكم «سيلسيا»، ومعه حلفاؤه من الألمان ، وقوات المنظمتين الدينيتين «قوات المعبد وقوات المستشفى»، وقوات من بقايا الجيش البولندي؛ وهي البقية الباقية من معركة «سزيدلو» الذين لجأوا الى حاكم «سيلسيا». وقد جرت هذه المعركة في اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان عام ٦٣٨ هـ/ التاسع من ابريل سنة ١٢٤١م على أرض «وُهلستت»، وعلى ضواحي مدينة «ليكَنِتز»، حيث مني «السيليسيون»وحلفاؤهم بهزيمة نكراء ، كانت بمثابة كارثة لهم ؛ خاصة بعد أن

---

(١) رشيد الدين، جامع . ، جـ ١/ ص: ٤٨٣ ، الترجمة الانجليزية، ص: ٧٠، وحاشية: ٣٢٩ ؛ دوبريديا، خريطة فنلند وعلاقة التتر ، تحقيق وترجمة ـ كاترين ودار تود ويزارة جامعة ديلي ١٩٩٨م، ص.ص: ٨٠ ـ ٨٣، وحاشية ٥ ص: ٨١ ؛ مينورسكي، مجلة مدرسة الدراسات . ، ص: ٢٣١، حاشية ٢٢ ؛ برتسكنيدر ، بحوث . ، جـ ١/ ص: ٢٣١ ؛ ساووندرز . تاريخ الفتوحات ، ص. ٨٥.

حاول حاكمهم «ديوك هنري» الهرب ؛ فلحق به المغول ، وقبضوا عليه ، ومثلوا به حتى الموت[1] .

أما القسمان الآخران ، من أقسام القوات المغولية الغازية لقارة اوروبا ، واللذان كانا بقيادة «باتو» و«سوبتاي» الكبير ، فقد سارا في هجوم مباشر ضد أراضي هنكَاريا . دخل «باتو» الى هذا البلد بقواته من مكان يعرف بـ «البوابة الروسية» ؛ وهو ممر ضيق يقع على جبال «كرپثيا» ؛ بينما جعل «سوبتاي» دخوله من مكان يعرف بـ «ممر مهديا»، الواقع في مقاطعة «تمسڤار»[2] .

شقت قوات المغول هذه طريقها عبر الأراضي الهنكَارية باتجاه «كِرُنْ» عاصمة الملك «بيلا الرابع» وكأنها اعصار من نار، تدمر ، وتنهب، وتحرق كل ما يقع أمامها ، من هذه البلاد المنكودة . لقد كانت معركة «سيو» أو«مُهي»ومعركة « لِكَنتز »متواقتتين تقريباً ؛ حيث وقعتا في وقت واحد ولم يفصل بينهما سوى يومان فقط ؛ حيث خاضت القوات المغولية ، التي كانت بقيادة «باتو» و «سوبتاي» متحدتين معركة ضد جيوش الدولة الهنكَارية في اليوم الثامن والعشرين من شهر رمضان، عام ٦٣٨هـ/ الحادي عشر من شهر ابريل سنة ١٢٤١م . حيث منيت قوات الملك «بيلا» بهزيمة صاحقة، «تساقطت جيوشه يميناً ويساراً كأن رجالها أوراق (الشجر في) الشتاء . .»، أصبح الملك بعدها لاجئاً هارباً ، يطارده المغول، كما يطارد الصياد صيدة له[3] .

(١) حول هذا الموضوع، أنظر : خريطة ڤلند وعلاقة التتر ، ص.ص: ٨٠ ـ ٨٣ ؛ رشيد الدين، جامع .، جـ ١/ص: ٤٨٣، الترجمة الانجليزية، ص.ص: ٦٩ ـ ٧٠ ؛ مينورسكي ، مجلة مدرسة الدراسات .، ص . ص : ٢٢٧ ، ٢٣١ ؛ برتسكنيدر ، بحوث .، ص .ص : ٣٢٠ ـ ٣٢٢ ؛ ساووندروز ، تاريخ الفتوحات .، ص : ٨٥ ؛ هارت ، قادة عظام .، ص . ص : ٢٢ ـ ٢٤ .

(٢) برتسكنيدر، بحوث. ، جـ١/ص: ٣٢٤ ؛ ساووندرز ، تاريخ الفتوحات . ، ص ٨٦.

(٣) حول عمليات المغول العسكرية في هنكَاريا ، انظر خارطة ڤنلند وعلاقة التتر ، ص ٨٢ ؛ الجويني، جهانكشاي، جـ١/ ص.ص: ٢٢٥ ـ ٢٢٦ ، الترجمة الانجليزية جـ١، ص.ص: ٢٧١ ـ ٢٧٢ ، رشيد الدين، جامع . ، جـ ١/ ص.ص: ٤٧٤ ـ ٤٧٥ ، ٤٨٣ ، الترجمة الانجليزية، ص.ص: ٥٦ـ ٥٧ ، ٦٩ ـ ٧٠ ؛ مينورسكي، مجلة مدرسة الدراسات .، ص.ص: ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ـ ٢٢٧ ؛ جون الكربيني ، تاريخ المغول ، ص: ٣ ؛ برتسكنيدر ، بحوث . ، جـ ١/ص.ص: ٣٢٣ ـ ٣٢٦ ، ٣٢٨ ـ ٣٣٢ ؛ ساووندرز ، تاريخ الفتوحات. ، ص.ص: ٨٥ ـ ٨٦ ؛ مينورسكي، المغول وروسيا، جـ٣/ص.ص: ٥٥ ـ ٥٧ هارت ، قادة عظام . ، ص.ص: ٢٦ ـ ٢٧ ؛ رتشويلتز ، الرسل البابوية ،ص. ٧٨ .

بعد راحة طويلة، استمرت قرابة ستة أشهر، استأنف الجيش المغولي حملته العسكرية ، التي كان قد خطط القيام بها ضد بقية الأقطار الاوروبية ، في شتاء عام ٦٣٩ هـ/١٢٤١م. الا أنه مع هذا أنقذت الشعوب والدول الأوروبية(التي هزها وأصعقها الغزو المغولي ، فأذهلها ذهولاً كادت أن تفقد معه صوابها) من الدمار الشامل المحقق عندما انسحب المغول الى الشرق ، وبصورة مفاجئة وغير متوقعة . «. . . **فلو لم يكن موت أكتاي سبب عودة باتو وقواده ، فان باريس وروما سوف تشتركا ـ دون شك أو ريب ـ مع موسكو وكييف في الكارثة المحتومة التي نكبتا بها. . .**»[1].

كان سبب انسحاب القوات المغولية المفاجيء من مواقعها الزاحفة ضد الأقطار والشعوب الأوروبيه هو موت «**أكتاي قاآن**» والذي وصلت أخبار وفاته الى قواده في الغرب عن طريق ناقلي الأخبار ، الذين جاؤا خصيصاً لهذا الغرض . حيث كان قد مات منذ مدة تقرب من سنة ، في اليوم الخامس من شهر جمادى الثانية، لعام ٦٣٩ هـ/ ١٢٤١م (حسب رواية الجويني) أو خلال شهور سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م (حسب رواية رشيد الدين)[2]. لذلك، فقد كان على جميع القوات العسكرية المغولية أن توقف عملياتها الحربية حيثما كانت ، لأنه يجب على جميع الأمراء ، الكبار منهم بصورة خاصة ، من أعضاء أسرة جنكيز خان أن يكونوا حاضرين بأنفسهم في الإجتماع العام «قورلتاي» الذي سيعقد لانتخاب خان جديد ، خلفاً للخان الأكبر المتوفى . ومن فشل ولم يحضر هذا الاجتماع، فان ذلك يعتبر انتهاكاً لـ : «ياسا» الفاتح العظيم المقدسة ، ويعاقب من خالفها بعقوبة الموت .

---

(١) يابا الله ، تاريخ يابا الله ، ترجمة من السريانية الى الانجليزية «مونتگومري» ١٩٦٦م ص: ٣ ؛ ماثيوبا ريس ، تاريخ انجليترا ، ترجمه من اللاتينية : جايلز، لندن ١٩٦٨م ، جـ١/ص: ١٣١ .

(٢) الجويني جهانكشاي، جـ ١/ ص: ١٥٨، الترجمة الانجليزية جـ ١/ ص:٢٠٠ ؛ رشيد الدين ، جامع . ، جـ ١/ ص: ٤٨٠ ، الترجمة الانجليزية، ص : ٦٦، حاشية: ٢٩٧.

كويوك يتولى العرش المغولي

لم يتم تتويج «**كويوك بن أكتاي قاآن**» الأكبر على العرش المغولي الا في احتفال عيد القديس «**بَرثُلُمُو**» الموافق لليوم التاسع من شهر ربيع الثاني سنة ٦٤٤هـ/ ٢٤ أغسطس عام ١٢٤٦م[1]. كان ترشيح وتعيين «**كويوك**» كخان للمغول نتيجة لتأثير والدته «**تركن خاتون**» التي تولت الوصاية على العرش المغولي خلال سنوات فترة خلو العرش من خان ، عقب وفاة زوجها «**أكتاي**». فعلى الرغم من عدم الفة الشعب لـ: «**كويوك خان**» وخاصة بين أبناء وأحفاد جنكيز خان، الا أن والدته عملت كل ما في وسعها لمساعدة ابنها ، ففي خلال السنوات الخمس التي تولت الوصاية على العرش فيها ، استطاعت أن تؤلف جبهة قوية مساندة لولدها في تحقيق هدفه[2]. وقد أزاحت الوزير الصيني المخلص والوفي «**تشنوبتي**» الذي شغل منصب الوزارة لكل من جنكيز خان وولده«**أكتاي**» لأنه كان غير مناصر لها ، ويحمل نوايا غير مؤيدة تجاه مشروعها هذا ؛ وقد عينت مكانه رجل أعمال مسلم يسمى بـ : «**عبد الرحمن**». وقد ناصر «**تركن خاتون**» في مشروعها هذا «**تشغتاي**» الابن الثاني والوحيد الذي كان ما يزال حياً من أبناء جنكيز خان؛ الا أنه مات بعد زمن قليل من وفاة أخيه ، أي

---

(١) عن هذا الموضوع، انظر : جون الكربيني ، تاريخ المغول ، ص.ص: ٦١ ـ ٦٣ ؛ الجويني ، جهانكشاي ، جـ ١/ ص.ص: ٣٠٣ وبعدها، الترجمة الانجليزية، جـ ١/ ص: ٢٤٨ وبعدها. (رشيد الدين، جامع جـ١ص: ٥٦٩ ، الترجمة الانجليزية ص :١٨) حيث يذكر بان تتويج « كويوك » كان في ربيع الثاني من السنة الماضية ، الا انه من الصعب ان يكون ذلك في فصل الربيع .

(٢) رشيد الدين ، جامع . ، جـ ١/ ص: ٥٥٦ ؛ وبناكتي ، تاريخ . ، ص: ٣٩٣ ، يذكران بانها لم تحكم كوصية سوى ثلاث سنوات . عن هذا انظر : الجويني؛ جهانكشاي . ، جـ ١/ ص. ص: ١٩٥ - ٢٠١، الترجمة الانجليزية، جـ١ ص.ص: ٢٣٩ ـ ٢٤٤.

سنة ٦٣٩ هـ/ ١٢٤٢م، قبل أن يتم تتويج «كويوك» خاناً على العرش[1]. لذلك فقد كانت وفاته ضربة كبيرة وجهت ضد سياسة الخاتون ، حيث كان مسانداً قوياً لما كانت تهدف اليه الوصية على العرش .

كان هذا الشعور الودي من قبل «تشغتاي» تجاه اسرة «أكتاي قاآن» سبباً لأن تصبح هاتان العائلتان من أسرة جنكيز خان كتلة واحدة، متعاونة ومتحدة ضد الفرعين الآخرين ـ أسرتا «جوتشي وتولي» ـ وهما الأكبر والأصغر من أبناء جنكيز خان الكبار .

حضر تقريباً جميع الأمراء الذين دعوا لحضور ذلك الاجتماع العام «قورلتاى» وحفل تتويج «كويوك» على العرش المغولي؛ إلا أن عضواً مهماً واحداً لم يحضر، هو «باتو» العظيم ابن جوتشي خان»، فعلى الرغم من أن «باتو» كان قد أرسل ممثلين من أراضيه الأميرية لحضور ذلك الاجتماع، فانه لم يكن راضياً ولا مستحسناً لأن يتولى «كويوك» العرش . لذلك لم ير من الأصلح له أن يتكبد مشاق السفر ، من ضفاف نهر الفلكًا» الكبير الى منغوليا لكي يحضر تتويج رجل يكرهه، كرهاً لا يطاق. لذلك فقد تعلل» باتو »بوعكةصحية ألمت به، بسبب الألم الذي كان يعاني منه في احدى رجليه ، عطّله عن السفر . وقد أوعز المؤرخون ذلك العداء المشترك بين الأميرين «باتووكويوك» الى نزاع كان قد نشب بينهما أثناء الغزو المغولي ضد الغرب . وكان سبب ذلك النزاع ما كان يظهره «كويوك» من عظمة وكبرياء وتعجرف في معاملته مع قائد الحملة العام«باتو»[2].

بعد أن انتهت احتفلات التتويج التقليدية، والتي نصب «كويوك خاناً» على العرش المغولي ، سار الخان الجديد على رأس حملة باتجاه الغرب . فيروي

---

(١) حسب رواية الجويني ، جهانكشاي . ، جـ١/ ص.ص: ٢٢٧ ـ ٢٢٨ ؛ عاش «تشغتاي» بعد أخيه مدة قصيرة فقط . أما رشيد الدين ، جامع . ، جـ١/ ٥٤٤ ، الترجمة الانجليزية، ص ١٤٩ ، حاشية ١٧ ، من جهة ثانية فيذكران تشغتاي مات قبل أكتاي قاآن بـ ٧ أشهر في سنة ٦٣٨ هـ/ ١٢٤٠م.

(٢) الجويني، جهانكشاي. ، جـ ١/ ص: ٢٠٥، الترجمة الانجليزية، جـ ١/ ص: ٢٤٩ : رشيد الدين جامع التواريخ ، جـ ١/ ص: ٥٦٨، الترجمة الانجليزية ، ص: ١٨٠ . انظر أيضاً سبولر، تاريخ المغول ، ص.ص: ٥٢ ـ ٥٣ ، حيث ينقل عن مصادر مغولية .

لنا كل من رشيد الدين والجويني أن «كويوك» أرسل أحد قادته العسكريين «إلجكتاي» على رأس حملة ضد الأقطار الغربية . وطلب منه أن يبدأ أولاً بـ «الاسماعيلية» وهو نفسه كان سيلحق به فيما بعد . الا أن الخان مات في الطريق الى هناك . وفي رواية أخرى لنفس المؤرخين أن الخان أخذ طريقه الى الغرب قاصداً منطقة نهر «إميل» ظاهرياً للراحة والاستجمام ، نظراً لاعتلال صحته المتدهورة[1]. الا أن رشيد الدين يضيف على ذلك قوله بأن «كويوك خان» كان يضمر حقداً دفيناً تجاه «باتو» الذي كان في طريقه لمقابلة «كويوك» بناءً على أوامر الأخير. ومع هذا ، فقد أعلم «باتو» بغرض الخان الضغين تجاهه، وأنه أراده بسوء [2]. ولم تتم المقابلة بينهما نظراً لوفاة «كويوك» في مكان يعرف بـ «قُمْ - سِنْكَر» يقع على بعد مسيرة أسبوع من مدينة «پيش - باليغ»[3].

توفي «كويوك خان» في وقت ما في أواخر سنة ٦٤٥ هـ/ أو أوائل السنة التالية ٦٤٦ هـ/ الموافق لشهر مارس - ابريل - عام ١٢٤٨م[4].

---

(١) الجويني، جهانكشاي، جـ ١/ ص: ٢١٢، الترجمة الانجليزية ، جـ ١/ ص.ص: ٢٥٩ - ٢٥٧ ؛ رشيد الدين ، جامع . ، جـ ١/ ص:٢٥٧، الترجمة الانجليزية، ص: ١٨٣.

(٢) رشيد الدين، جامع . ، جـ ١/ص: ٥٧١ ، الترجمة الانجليزية، ص: ١٨٥.

(٣) لمعلومات أوفر عن هذا المكان، انظر : بويل (في ترجمته «الجهانكشاي» جـ ١/ ص: ٢٦١ ، حاشية رقم: ٤٢.

(٤) الجويني، جهانكشاي، جـ ١/ ص: ٢١٥، الترجمة الانجليزية، جـ١/ ص: ٢٦١، والحاشية رقم: ٤٣ ، حيث ينقل المترجم عن مؤرخ فرنسي نقل بدوره عن «يوان شيه» ؛ رشيد الدين ، جامع . ، جـ ١/ص : ٥٧١ . الترجمة الانجليزية ، ص : ١٨٥ ، وحاشية رقم : ٢٨ .

باتو يعين منكّو خاناً أكبر على العرش المغولي

تقول الروايات التي بين أيدينا بأنه بعد أن توفي الخان ، فان «باتو» بصفته الرجل الآسن من بين أعضاء الأسرة الحاكمة ، طلب من «**أغول ـ غايميش**» ـ أرملة الخان المتوفي ـ لتقوم بادارة شؤون الأمبراطورية بنفسها ، حتى يتم التقرير بشأن انتخاب خان جديد يتولى العرش الشاغر[1]. فان كان «**باتو**» فعلاً قد قام بما تقوله هذه الروايات ، فانه في الحقيقة لم يخرج عن عرف وتقاليد المغول ، التي تعارفوا عليها ، وأصبحت جزءً من قانونهم ؛ حيث يشترط أن تقوم الأرملة الكبرى (وهي زوجة الخان الأولى ، فان تكن ماتت فالتي تليها وهكذا) ، من زوجات الخان المتوفى بتدبير شؤون المغول الادراية . ومع ذلك ، فالذي يظهر لنا مهماً في هذه الرواية هو التأكيد لسيادة «**باتو**» على جميع الأمراء من الفروع الأخرى من عائلة جنكيز خان .

لم يتم تتويج «**منكّو**» وهو ابن «**تولى**» الأكبر بصورة رسمية ، كخان أعظم للمغول ، الا في اليوم التاسع من شهر ربيع الثاني من عام ٦٤٩ هـ/ الموافق لليوم الأول من يوليه سنة ١٢٥١م. اذ أن الفترة التي تلت وفاة «**كويوك خان**» وحتى مجيء «**منكّو قاآن**» الى العرش، وهي فترة وصاية أرملة الخان المتوفى «**أغول ـ غايميش**» تميزت بصراع مرير داخلي؛ في نزاع دام بين أعضاء أسرة جنكيز خان، بفروعها الرئيسية الأربعة، حول أحقية ولاية العرش. فقد انقسم أعضاء هذه الاسر الأربع الى قسمين بصفة عامة . فمن ناحية نجد أن أسرتي

---

(١) عن هذه المرأة ، أنظر: رشيد الدين ، جامع . ، جـ ١/ ص: ٥٨٠ . وقد تبنينا ما ذهب اليه الاستاذ بويل (جهانكشاي.) جـ ١/ ص : ٢٦٢ ، حاشية (١)؛ قارنها مع الطبعة الفارسية، جـ ١/ ص: ٢١٧ ، ويسميها الراهب الرحالة «وليم الربركي» في رحلته ص : ٢٠٣ بـ «تشُمس».

«أكّتاي وتشغتاي» قد تكتلتا وأصبح أعضاؤها فريقاً واحداً مناهضاً للفريق الآخر من أعضاء أسرتي «تولى، وجوتشي» من ناحية ثانية . كان الفريق الأول يرغب أن يبقى على ولائه لوصية جنكيز خان، ونزولاً عند ارادته ، والتي تقول بألا يلي العرش المغولي أي أمير سوى أولئك الذين ينحدرون من أسرة «أكّتاي قاآن». أما المجموعة الثانية فترى رأياً محدداً مغايراً لذلك ، والذي يقضي بأن يتولى العرش المغولي شخص من أعضاء الأسرة صاحبة الحق الشرعي ، حسب ما تمليه تقاليد وعادات الآباء والأجداد المغوليين ؛ وهذا يعني بأن يلي منصب الخانية واحد من نسل أصغر أولاد جنكيز خان الذين أنجبتهم زوجته الكبرى «بُرْتِهْ»[1].

ومع هذا وذاك، فانه مهما كانت وصية جنكيز خان المقدسة، مهما كانت تقاليد الآباء والأجداد ، فقد أصبح الأمر كله منوطاً بصفة مطلقة في يدي «باتو» بصفته أكبر عضو ينتسب الى ذرية الفاتح العظيم . وهذه مسألة أصبح يعترف بها بقية الأمراء المنحدرين من الأسر الأربع الرئيسية[2].

كانت العلاقة بين «باتو»و« منكّو» ممتازة . فقد كان الاخير يقدر الأول لكبره وما يتمتع به من مميزات العظمة، والرئاسة. لذلك فلا غرو أن نجد اختيار «باتو» يقع على «منكّو»، أكبر أبناء «تولى» ليتولى منصب الخانية . فقد كان «تولى» من وجهة نظر العرف والتقاليد المغولية هو «سيد النار والبيت»[3].

---

(١) انظر الجويني، جهانكشاي، جـ ١/ ص.ص: ٢١٧ - ٢٢١، و جـ ٣/ ص.ص: ٣٥ - ٤٠ ؛ رشيد الدين جامع .، جـ ١/ ص.ص: ٣٨٠ - ٣٨١.

(٢) الجويني، جهانكشاي .، جـ ٣/ص: ١٦، الترجمة الانجليزية، جـ ٢/ ص.ص: ٥٥٧ - ٥٥٨ ؛ رشيد الدين، جامع.، جـ ١/ ص : ٥٨١ ، الترجمة الانجليزية، ص: ٢٠٠ ؛ الراهب وليم، رحلة .، ص : ١٤٧، جون الكربيني، تاريخ المغول، ص: ٥٥ .

(٣) حول تتويج «منكّو قاآن» أنظر، الجويني، جهانكشاي، جـ ٣/ص: ٢٢٩ ، الترجمة الانجليزية جـ ٢/ ص: ٥٦٧ ؛ رشيد الدين، جامع .، جـ ١/ ص: ٥٨٥ ، الترجمة الانجليزية ، ص: ٢٠٥ (يضع هذا المؤرخ التتويج قبل ذلك بثلاثة أشهر، في ذي الحجة عام ٦٤٨ هـ/ فبراير - مارس - ١٢٥١م. وينطبق ذلك على : مير خواند، وخواند أمير ؛ أما بناكتي تاريخ .، ص: ٢٤٠) فيقول أنه كان في ذي القعدة. وهذا التاريخ ذهب اليه المستشرق رافرتي (الترجمة الانجليزية لـ : طبقات ناصري) جـ ٢/ ص.ص: ١١٨٠ - ١١٨١، حاشية: ١.

بعد أن انتهت الاحتفالات الرسمية بتتويج **«منكو قاآن»** على العرش المغولي قام الخان الأعظم الجديد بعقد سلسلة من المحاكمات ضد كل أولئك الذين وقفوا ضده ، وعارضوه أن يكون خاناً . فقد أتهموا بتدبير مؤامرة لاغتياله . وفي هذا الشأن يروي لنا الرحالة الأوروبي **«القس وليم»**، أن المتهمين عذبوا حتى بشهب النيران ، ليجبروا على الاعتراف ؛ والذي تم بعده الاعدام[1]. وقد انتهت المحاكمات باعتراف المتهمين من الأسرتين الخاسرتين ، أسرتا **«أكتاي وتشغتاي»** فأرسلوا الى المقصلة ، حيث قتلوا جميعاً . وقد شملت تلك المحاكمات حتى النساء من أسرة **«كويوك خان»** بما في ذلك زوجته الكبرى ، التي كانت وصية على العرش خلال فترة خلوه من الخان ، فاعدمن كغيرهن من المتهمين .

لقد اختلفت الروايات التي بين أيدينا في تعداد أولئك الذين قتلوا بأمر **«منكو قاآن»** والذي كان بكل تأكيد بموافقة ولي نعمته **«باتو»** . فرشيد الدين يذكر أن عددهم كان سبعة وسبعين ؛ بينما يذكر الرحالة **«وليم»** بأنهم كانوا أكثر من ثلاثمائة رجل ، أما الجوزجاني فيبالغ (على ما يبدو لنا) كثيراً، حيث يقول، بأنهم كانوا عشرة آلاف من المغول ، ذوي الرتب العالية ، المشهورين من كبار القادة في الجيش، كلهم ذهبوا الى النار في معركة (حسب ادعاء المؤرخ) جرت بين الفريقين المتصارعين؛ ويضيف الجوزجاني ـ طبعاً خطأً ـ بأن **«باتو»** لعب دوراً بارزاً في هذه المعركة المزعومة[2].

وللاحقة خصومه (يبدو لنا أن **«باتو»** كان قد وافق مسبقاً على مشروع **«منكو قاآن»**) إذ قام الخان الأعظم الجديد ليس فقط بمحاكمة وتعذيب وأخيراً قتل معارضيه من أعضاء الأسرتين الخاسرتين **«أكتاي وتشغتاي»** بل وأن يقوم

---

(١) وليم الربركي، رحلته ، ص: ١٤٨ ؛ رشيد الدين، جامع . ، جـ ١/ ص.ص: ٥٨٩ـ ٥٩٠، الترجمة الانجليزية، (خلفاء جنكيز خان) ص.ص: ٢١١ ـ ٢١٢.

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ ١/ص: ٥٩١، الترجمة الانجليزية ، (خلفاء جنكيز خان) ص: ٢١٢ ؛ وليم الروبركي، رحلته ، ص: ١٤٨. الجوزجاني، طبقات ناصري، جـ ٢/ ص.ص: ١٧٩ ـ ١٨٠، الطبعة الانجليزية، جـ ٢/ ص: ١١٨٦.

بامتصاص أراضيهم الأميرية، التي سبق ومنحهم اياها جنكيز خان، وضمها الى ممتلكاته الخاصة به . والذي يظهر من هذه السياسة العدوانية ؛ التي انتهجها «منكو قاآن» أنها كانت تهدف الى تدمير معارضيه، والقضاء عليهم بصورة تامة ، وليمد حدوده لتتصل مع حدود ممتلكات «باتو» صانع الملوك[1] .

(١) عن هذا الموضوع، انظر : الجويني، جهانكشاي، جـ ٣/ ص.ص: ٤٨ ـ ٦٠ ، الترجمة الانجليزية جـ ٢/ص . : ٥٨٠ ـ ٥٩٠ ؛ رشيد الدين ، جامع ، جـ ١/ ص . : ٥٨٧ ـ ٥٩٣ ، الترجمة الانكليزية ، (خلفاء .) ص . ص : ٢١١ ـ ٢١٦ ؛ بناكتي ، تاريخ بناكتي ، جـ ٢/ ص . ص: ٤٠٢ ـ ٤١٤ ؛ الجوزجاني ، طبقات ناصري ، جـ ٢ / ص. ص : ١٧٩ ـ ١٨٠ ، الترجمة الانجليزية ، جـ ٢/ ص .ص : ١١٨٣ ـ ١١٨٧؛ انظر أيضاً، بارتولد ، تركستان . ، ص. ص : ٤٧٨ ـ ٤٨٠ ؛ ساووندرز ، تاريخ الفتوحات المغولية ، ص . ص: ٩٩ ـ ١٠٠ .

الفصل الثالث

أوضاع الخلافة العبّاسيّة عشية حملة هولاكو

١ ـ الادّعاء القائل بتآمر الخليفة الناصر مع المغول ضدّ السلطان محمّد الخوارزمي

٢ ـ غزوات المغول التمهيديّة ضدّ أراضي الخلافة العبّاسيّة

٣ ـ فترة حكم الخليفة المستعصم

الفصل الثالث

أوضاع الخلافة العباسية عشية حملة هولاكو

١ - الادعاء القائل بتآمر الخليفة الناصر مع المغول ضد السلطان محمد الخوارزمي

يكاد يكون من الحقائق الثابتة ، التي لا تقبل النقاش أن الخليفة الناصر هو الذي دعا جنكيزخان لغزو أراضي الخوارزم شاهيين . وللتثبت من حقيقة هذا الادعاء أو عدمها ، رأيت أنه لا بد لنا من دراسة منشأ هذا الادعاء ؛ ثم كيف راج وأصبح متدارجاً على أفواه الناس ؛ ومن ثم أصبح مدوناً في مصادرنا الأولية وكأنه من الحقائق الثابتة التي لم تعد تقبل النقاش، او المعارضة. من بين المراجع الإسلامية ، التي بين أيدينا ، نجد أن ابن الأثير هو المؤرخ العربي الأول الذي يذكر أول اتصال بين الخليفة العباسي في بغداد والمغول . ومع هذا فقد جانب ابن الأثير الصواب ؛ وكتب شائعات لا تستند على حقيقة . فمن ما قاله ابن الأثير نستطيع أن نفهم أن الخليفة الناصر هو الذي قام باستدعاء ما يسميه هذا المؤرخ بـ « التتر » للقيام بغزو أراضي المسلمين ، يعني أراضي السلطان محمد الخوارزمي . وفي هذا الخصوص يقول ابن الأثير : **« . . وكان سبب ما ينسبه العجم اليه (يعني الى الخليفة الناصر) صحيحاً من أنه هو الذي أطمع التتر في البلاد، وراسلهم في ذلك فهو الطامة الكبرى التي يصغر عندها كل ذنب عظيم »**[1]

والذي يبدو لنا ان ابن الأثير قد عني بما يسميه « التتر » تلك القبائل من اتباع الحاكم النيماني، « كوتشلوك خان » و « القراخطائيين » ، الذين خضعوا لنفوذه . فهذه الرواية ، على ما يظهر لنا ، هي تسجيل من ابن الأثير لتلك الاتهامات التي كان

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، جـ / ٩ / ص ٣٦١ .

يقولها الحاكم الخوارزمي جلال الدين ، من أن الخليفة الناصر هو المسؤول عن تدمير والده ، عندما أغرى « الكفار » ليغزوا أراضي والده . وقد قام جلال الدين بالاشارة الى هذه الاتهامات ضد الناصر في مراسلاته التي تبادلها مع الأمير الأيوبي ، المعظم عيسى ، وطلب منه مناصرته في هجوم مشترك ضد الخليفة الناصر . وقد تداول الناس هذه الاتهامات في البلاط الأيوبي ، وانكشف فحوى تلك الرسالة الى العامة من الناس في سوريا .

وبما أن ابن الأثير كان مؤرخاً معاصراً للخليفة الناصر ، فلربما كان متحاملاً ضد الناصر ؛ لما روى عنه من معاملته القاسية للشعب ؛ وظلمه له ، وفشله الذريع ، أو بالأحرى تقاعسه عن أداء واجباته ومسؤولياته كخليفة بشكل مشرِّف . فقد كانت واجباته أن يقف مدافعاً ضد المنتهكين لأرض وحريات المسلمين من « **الكرج** » أولاً ، ثم « **المغول** » ثانياً . لذلك فقد يكون هذا المؤرخ شك في نية الناصر ، فصدق الشائعات ؛ وحاول أن ينسب اليه ما سبق واتهمه به جلال الدين ، وهم ما يسميهم المؤرخ بـ « العجم » ، دور الخائن المتآمر ضد المسلمين .

فالذي يظهر لنا أن ابن الأثير لم يكن يعرف عن حقيقة ما كان يحصل في ذلك الوقت في داخل الأراضي المغولية ؛ ولا عن آمال جنكيزخان ، التي لم تكن تعرف لها حداً أو نهاية ؛ والذي كان يسعى دائماً ويتوق لاخضاع العالم تحت سيطرته . ومع هذا فاننا نجد أن ابن الأثير يناقض نفسه فيما بعد ؛ حيث يقول في مكان آخر من مؤلفه (الكامل في التاريخ) بأن الأسباب التي أدت الى الغزو المغولي للبلاد كان لأغراض توسعية . ورواية ابن الأثير هذه التناقضية هي ما رواه هذا المؤرخ من أن تاجراً من أهل الري كان قد استسلم الى المغول ، ودخل في طاعتهم ؛ وذهب معهم الى « تبريز في آذربيجان » أثناء غزوهم لها . فكتب هذا التاجر ، الذي لم يذكر المؤرخ اسمه ، خطاباً الى احد اصدقائه بالموصل ، حيث كان يعيش ابن الأثير . وقد ذكر هذا التاجر في خطابه بأن الغرض الرئيسي للغزو المغولي ، الذي كان قد شمل بحملاته جميع أراضي المنطقة ، هو لفتح جميع البلاد ـ بما في ذلك أراضي الخليفة الناصر نفسها ـ

واخضاعها تحت سلطة خانهم[1] .

هذا ، وبالاضافة الى ما ذكرناه اعلاه ، فان ابن الأثير لم يكن يعرف الفرق بين أولئك الناس من اتباع « **كوتشلوك خان النيماني** » ، وبين المغول ، لأنه يسميهم جميعاً بـ « التتر » . إلا انه مع هذا ، فان ابن الأثير لم يكن الوحيد في مفهومه هذا ، فهناك مؤرخون حديثون يشاطرون مؤرخنا هذا المفهوم الخاطيء حول « **المغول والنيمان** »[2] .

وهناك مؤرخ سوري معاصر ، عاش جزءً كبيراً من حياته في مدينة دمشق ، هو سبط بن الجوزي ، فكان من المحتم على هذا المؤرخ السوري ان يسمع تلك الأقاويل التي دارت في بلاط الأمير الأيوبي ، المعظم عيسى ، بدمشق . وحسب ما يفهم من رواية سبط بن الجوزي ، وما قاله حول الادعاء بتآمر الناصر مع المغول ، فان معلوماته عن جميع السكان الذين كانوا يعيشون في ما وراء نهر جيحون (أو جكسرتيز أو سيرداريا) كانت غير واضحة ، وفوق هذا لم تكن صحيحة .

وعن طريقة المؤرخ في اتهام الناصر بالتآمر مع المغول يقول بأنه في سنة ٦١٥ هـ (١٢١٨ م) كاتب القُمّي،وزير الناصر،الخطا الذين كانوا مع خوارزم شاه بأن يغزو بلاد خوارزم شاه ، لأن الأخير أراد أن يغزو الخلافة ، فتفرق عسكره . ثم يردف سبط بن الجوزي القول بأن « التتر » ظهروا على الخطا بعد سنين وصاروا تبعاً لهم وأخذوا البلاد[3] .

وهناك مؤرخ سوري آخر ، هو أبو شامه ، الذي كان أيضاً معاصراً لهذه الأحداث ، كما نقل عن ما سبق وكتبه سبط بن الجوزي ، حيث يقول بأن جلال الدين كتب الى الأمير الأيوبي المعظم عيسى كتاباً ناشده فيه مساعدته ضد الخليفة الناصر ، الذي اتهمه بأنه هو الذي قام باستدعاء « الكفار » ليأتوا ، فسببوا

---

(١) ابن الاثير ، الكامل .، جـ ٩ / ص : ٣٨٦ .

(٢) انظر على سبيل المثال ، القزاز ، الحياة السياسية .، ص : ٢٢٥ ، ٢٣١ ، ٢٣٤

(٣) سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ، ٨ / ج ٢ ص : ٥٩٩ انظر ايضاً : ابو شامة ، تراجم رجال القرنين .، ص : ٦٦٠ .

دمار والده ، السلطان محمد . ثم يضيف أبو شامه القول بأن جلال الدين ذكر أنه كان قد وجد كتب الناصر إلى من يسميهم المؤرخ بـ « الخطا » - وقد عنى المؤرخ في هذا « القراخطائيين » - وتواقيعه لهم بالبلاد والخيل والخلع[1] .

من هذه الرواية يظهر لنا هنا عدة تساؤلات منها : في أي مكان كان جلال الدين قد وجد تلك الكتب المزعومة ؟ . هل وجدها جلال الدين في خزينة السلاطين الغوريين ، جميعاً مع تلك الخطابات التي يزعم أن الخليفة الناصر كان قد أرسلها اليهم يستحثهم ويحرضهم على الهجوم على أراضي السلطان الخوارزمي[2] ؟ فان كان الأمر كذلك ، فانه يبدو لنا من غير المحتمل ، إن لم يكن من المستحيل ، أن يقوم الناصر باعلام السلاطين الغوريين عن أمر هذه الخطابات ، التي يزعم بأنه أرسلها الى « القراخطائيين » ؛ لأن العداء والحروب كانت مستمرة بينهم . فان استجاب« القراخطائيون »لكتب الناصر ، وقاموا بهجوم ضد أراضي السلطان محمد ، كما يدعيه جلال الدين (حسب ما يرويه عنه هؤلاء المؤرخون) فان السلاطين الغوريين سوف يعترضون بشدة ؛ ويشجبون عمل الناصر الغير اسلامي ، على رؤوس الاشهاد . لأنه متى جاء « القراخطائيون » وهاجموا أو احتلوا جزءً من أراضي الخوارزميين فسوف يكوِّنون بذلك خطراً كبيراً محدقاً بالسلطات الغورية في غزنة . فانه مهما كانت الروح العدائية والحرب التي كانت قائمة آنذاك بين السلاطين الغوريين وبين السلطان محمد ، فان الغوريين سوف لن يتسامحوا في مسألة خيانة الناصر للمسلمين وأراضيهم . فقد اشتهر السلاطين الغوريون كثيراً بشدة تمسكهم بالاسلام ؛ كما عرف عنهم وعن حروبهم المقدسة ، ضد اعداء الاسلام ، الشيء الكثير .

بناءً على ذلك ، فان الذي يبدو لنا هو أن هذه الكتب المزعومة لم يكن لها

---

(١) ابو شامة ، تراجم رجال القرنين ، ص : ١٤٤ . ايضاً : سبط بن الجوزي ، مرآة . ، ٨ / جـ ٢ / ص: ٦٣٤ .

(٢) سبق لنا وناقشنا هذه النقطة بشكل مفصل في كتابنا « أوضاع الدول الاسلامية في المشرق الاسلامي » في آخر الفقرة « أي » . فليرجع القارىء الكريم الى ذلك الكتاب ، للحصول على معلومات أوفر .

وجود أصلاً ؛ وانما مجرد ادعاءات اختلقها جلال الدين ، نظراً لعدائه وكرهه للخليفة الناصر ، ذلك العداء المتوارث من عهد أبيه وجده من قبله ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ، ليبرر جلال الدين هجومه ، الذي لم يكن له أي مبرر ، أو أي استفزاز ، على السكان الآمنين داخل أراضي العراق الريفية ؛ ويبرر انتهاكه لحرمة ممتلكات الخلافة العباسية .

هذا من ناحية جلال الدين ، أما ما يتعلق بالأمير الأيوبي ، المعظم عيسى ، فالذي يظهر أن هذا الأمير قام بالترويج كثيراً ، وعلى نطاق واسع ، لهذه الاتهامات التي ذكرها جلال الدين ضد الخليفة الناصر ، وذلك ليبرر حلفه مع الحاكم الخوارزمي ضد أخويه الآخرين ، الأشرف موسى والكامل محمد ، ذلك الحلف الذي لم يكن الخليفة الناصر راضياً عنه .

ومع كل ذلك ، فاذا قلنا بامكانية وجود مثل هذه المراسلات المزعومة ، فانه حينئذ ، وحسب ما روى ، لا بد أن تكون قد ارسلت إلى « القراخطائيين » ، وليس الى المغول ؛ والفرق بين هذين الصنفين من الناس واضح ومعروف جيداً . ولكنه في هذا الوقت بالذات كان « القراخطائيون » قد اختفوا من الوجود ، كقوة مستقلة وذات سيادة ، على يدي « كوتشلوك خان ـ الحاكم النيماني »ـ الذي اغتصب عرشهم واحتل قسماً كبيراً من أراضيهم ، بينما أخذ القسم الآخر منها السلطان محمد . وبناءً على ذلك فان كان هناك أي نوع من المراسلات السرية ، وهذا يبدو لنا غير محتمل ، فانها قد تكون مع « الخان النيماني كوتشلوك خان »، المغتصب للعرش « الكورخاني » ، بعد أن أطاح بولي نعمته ـ «كورخان ـ ملك القراخطائيين »، واحتل مكانه ، وأصبح خاناً جديداً بدلاً منه . ومع هذا فان خطابات الناصر المزعومة تصبح بذلك بعيدة عن الموضوع ، وليست ذات صلة به ، لا من قريب ولا من بعيد ؛ فكما قلنا ، أن المغول شيء و « النيمان وكوتشلوك خان » شيء آخر .

أما الحرب التي نشبت بين السلطان محمد و « كوتشلوك خان » فقد كانت صراعاً بين الحاكمين لا بد منها ؛ وذلك للسيطرة على أراضي ما وراء النهر ـ

بعد نهاية أمر « **الكورخانيين** » ؛ سواء أكانت استجابة من « **كوتشلوك خان** » لمراسلات الناصر له ، أو لم تكن . ثم أن هناك حقيقة اخرى ، وهي أن الصراع بين السلطان و« **كوتشلوك خان** » كان قد بدأ قبل أن يقوم السلطان محمد بحملته العسكرية ضد أراضي غرب ايران في سنة ٦١٤ هـ/١٢١٨ م ؛ حيث استعاد سلطاته عليها ؛ وأثناء هذه الحملة هدد بأنه كان سيغزو ممتلكات الناصر .

وفوق هذا وذاك ، فان هناك حقيقة واحدة دامغة وهي أن السلطان محمد كان هو الأول الذي اعلنها حرباً ضد المغول ؛ وذلك عندما هاجم قوات لهم ، كانت في حملة عسكرية الى الجهات الغربية من أراضيهم في وسط آسيا ضد ، بقايا قبيلة المركيت في خلال صيف عام ٦١٥ هـ / ١٢١٧ م .

بعد هجوم المغول على أراضي السلطان محمد ، وبعد أن أصبح هو نفسه هارباً من وجه المغول ، الذين كانوا يسعون وراءه بالحاح في محاولة للقبض عليه ، تقول الروايات مجمعة على أنه كان ينوي أن يهرب الى بغداد لينشد الأمن بالتجائه داخل عاصمة الناصر . فلو قلنا بصحة الشائعات القائلة بأن الخليفة الناصر هو الذي قام باستدعاء المغول ، ليغزوا أراضي السلطان الخوارزمي ، وأن يجلبوا عليه الدمار ، فانه لا يمكن أن يقصد السلطان الهرب الى بغداد ؛ أو حتى أن يقبل فكرة الذهاب الى الناصر . ولم يعدل السلطان عن رغبته في الذهاب الى العاصمة العباسية ، وهو في طريقه متوجهاً اليها ، ويقلع عن هذا المشروع ، إلا بعد أن هجره مرشدوه ، على أثر خلاف نشأ بينه وبينهم . بعدها أصبح قلقاً على سلامة وأمن رحلته الى بغداد ؛ إذ خشي أن يذهب مرشدوه ، الذين هجروا الخدمة معه ، الى المغول ويعلمونهم بمكان وجهته . وفعلاً فلم تكن مخاوف السلطان بدون مبرر ؛ فقد ذهبوا الى المغول واخبروهم بمكانه وبالمكان الذي كان ينوي الهرب اليه ، فلاحقوه حتى همدان ، مما اضطر أن

---

(١)حول هذه المسألة نظر ما قلناه في كتابنا « أوضاع الدول الاسلامية في المشرق الاسلامي » في الفصل الثالث .

يلغي مشروع التجائه داخل اسوار عاصمة الخليفة الناصر[١] .

نقل المؤرخون المتأخرون ، عموماً والمؤرخون المسلمون الفرس على وجه الخصوص ، الذين جاءوا فيما بعد ، عن تلك المصادر التي ذكرناها ـ وخاصة عن كتاب « **الكامل في التاريخ** » لابن الأثير . فكان كل واحد منهم يأتي بعد الآخر ثم ينقل عنه ؛ وهكذا كل عن سابقه ، ثم يضيف الى الرواية الأصلية رواية جديدة من عنده ، أو يغير في اسلوبها أو في مفهومها ؛ حتى أخذت تلك الرواية المزعومة شكلها النهائي ؛ وأصبحت اسطورة بعد ثلاثة قرون من الزمن تقريباً ، أي في بداية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، في كتاب « **روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء** » للمؤرخ المسلم الفارسي ميراخواند . وقد وضع المؤرخ المذكور هذه الرواية ، التي تناقلها المؤرخون ، واحد بعد الآخر ، حتى أصبحت وكأنها حقيقة لا لبس فيها ولا شك ، تحت العنوان التالي :

« ذكر فرستادن ناصر خليفة قاصديرا بديار مغولستان وترغيب وتحريض نمودن جنكيز خان برقصد ديار اسلام وقطع وقمع سلطان » .

أي « ذكر ارسال الخليفة الناصر رسول الى الديار المغولية وذلك لترغيب ولتحريض جنكيز خان على أن يقصد أراضي الاسلام وليقطع وليقمع السلطان[٢] . »

ثم يسهب ميرخواند في شرحه لهذه الرواية ، التي لا تقوم على أي أساس ، ولا على أي دليل ، فيقول بأن الناصر ، عندما عرف أن السلطان كان قد عين خليفة منافساً للناصر (علاء الملك الترمذي) ، كما زعم ، أراد أن يثأر وينتقم لنفسه من السلطان وذلك بوضع نهايةله . إلا أنه لم يكن في وضع يمكنه من أن يقوم بهذا العمل هو بنفسه ، فانتظر حتى سمع بظهور قوة جنكيز خان ،

---

(١) انظر الجويني ، جهانكشاي ، جـ ٢ / ص : ١١٥ . وعن هذا الموضوع ، انظر ما قلناه في الفصل الرابع الفقرة (ب) من كتابنا « أوضاع الدول الاسلامية في المشرق الاسلامي »

(٢) ميرخواند ، روضة الصفا ، جـ ٤ / ص : ٧٨

وشهرته التي كان يتمتع بها . وهنا قرر الخليفة أن يرسل رسوله الخاص الى « محمود يلواتش » (كان واحداً من كبار الموظفين الرسميين لدى الخان المغولي من المسلمين) لكي يسعى بدور الوسيط له ليسهِّل مهمة رسول الخليفة حتى يستقبله الخان بنفسه . إلا أنه مع هذا قام المقربون الى الخليفة الناصر وذكّروه بأن هذا العمل من جانبه (أي دعوة الكفار لغزو أراضي المسلمين) يتناف مع مبادىء الاسلام . ولكن الخليفة ، ليبرر ما كان يسعى اليه ، قال بأن مسألة غزو أراضي السلطان محمد وفتحها سوف تستغرق من المغول خمسين سنة . لذلك فقد قرر الخليفة أن يرسل الى الخان ليشجعه ويحرضه على غزو أراضي السلطان الخوارزمي . ولكن ظهر أمام الخليفة عقبة أخرى جديدة وهي أن طريق رسوله الى أراضي الخان تقع عبر ممتلكات السلطان ، وسوف يكون من الخطورة بمكان أن يزود ذلك الرسول برسالة مكتوبة الى الخان ؛ إذ ربما تقع في أيدي الأعداء (يعني تقع في يد السلطان محمد) . وهنا بدرت الى الخليفة فكرة ذكية ، وهي أن يؤتى بالشخص المراد ارساله فيحلق شعر رأسه ، ثم ينقش مضمون الرسالة على جمجمته بقطعة من حديد محمي ، ثم يذر عليها بصباغ نيلي ، ثم يترك الرسول حتى ينبت شعر رأسه ويطلق الى وجهته . وبعد أن تمت هذه العملية بنجاح أرسل الرسول ليؤدي رسالته .

يواصل ميراخواند شرحه ، المسهب عن هذه الاسطورة ، فيقول بأن الرسول (الذي لم يذكر له اسماً) واصل سفره يطوي المسافات الشاسعة ، مواصلاً ليله بنهاره ، حتى وصل الى « محمود يلواتش » وأطلعه على مهمته ، وفحوى رسالته . وهنا أرسل بدوره الى الخان يعلمه بوصول ، ما يسميه المؤرخ بـ « رسول دار السلام بغداد » . وعندما علم جنكيزخان بحقيقة رسالة الخليفة وصدق الرسول ، فكر في ما دعاه اليه الخليفة الناصر طويلاً ، لأنه كان لا يريد ان ينتهك حرمة اتفاقية السلام التي كان قد عقدها مع السلطان ؛ رغم انه في أعماق قلبه كان يريد ويتوق راغباً في ان يمتلك أراضي السلطان ، نزولاً عند رغبة الخليفة . كانت هذه الرغبة الملحة ، في الهجوم على أراضي السلطان وامتلاكها ، تنمو بالتدريج ، يوماً بعد يوم لدى الخان حتى سنحت له الفرصة

عندما قُتِلَ تجارُه وسفراؤه . ولذلك فقد أقدم الخان على هدم ما يسميه المؤرخ بـ « بناء ذلك القصر الشامخ » والذي يعني به مملكة السلطان محمد[1] .

وكان قد جاء قبل ميراخواند مؤرخ فارسي هو حافظ آبرو ، الذي مات سنة ٨٣٤ هـ /١٤٣٠ م ، فذهب الى ابعد من ما ذهب اليه مير خواند ، فاعتبر جنكيزخان واحداً من أتباع الخليفة الناصر . فيقول بأن الخليفة أمر جنكيزخان ان يقوم بطرد السلطان ، وأن يحتل مكانه ، ويضم أراضيه تحت حكمه[2] . وقد نقل هذه الرواية (التي تزعم بتآمر الخليفة الناصر مع المغول والتي انتشرت في مراجعنا الاسلامية وقال بها مؤرخونا القديمون) وأخذها على أنها حقيقة مؤرخون ينتمون الى جنسيات متعددة[3] .

وقد روى لنا كل من المستشرق الروسي بارثولد ، وبرودين ، ما شاع في الاوساط الاوروبية المسيحية ، وما تناقلته كتبهم في هذا الخصوص ؛ فقد وجدت هذه الاسطورة صداها هناك . الا ان الروايات المسيحية في هذا الشأن هي بمثابة قصة أسطورية أكثر منها واقعية .

أما ما جاء في المصادر الغربية في هذا الخصوص فهو ، أن هذه الروايات تتكلم عن بعثة مشتركة الى ما تسميه تلك المصادر بـ « ملك الشرق داود ، او دايفيد » الذي كان مسيحياً مخلصاً لديانته . وقد كان الخليفة الناصر ـ كما تقول عنه الروايات الغربية ـ على استعداد بأن يجعل من نفسه حليفاً مع

---

(١) المرجع السابق ، جـ ٤/ص ص : ٧٨ ـ ٨٠ .

(٢) حافظ ابرو ، زبدة التواريخ ، مخطوطة ، الورقات : ٩٦٧ أ ـ ٩٦٨ أ ، انظر أيضاً نسخة ابن طباطبائي في مكتبة مجلس الشورى الوطني الايراني ، الورقة : ٥٢ أ .

٣() سبولر ، تاريخ المغول في ايران ، ترجمه من الالمانية الى الفارسية د/ميرآفتاب ، طهران ، ١٣٥١ هـ ش/١٩٧٢ م ص : ٢٤ ؛ اقبال ، تاريخ . ، جـ ١/ص : ١٢ . انظر ما قاله اقبال في مقالاته ، ص ص : ٩٨ ـ ٢٢٠ ؛ حافظ حمدي ، الدولة الخوارزمية . ، ص : ٤١ ، بُول ، تاريخ مختصر ايران ، ترجمه من الألمانية الى الفارسية د/ر . ز . شفق ، طهران ١٣٤٩ هـ ش ، ص : ٦٧ ؛ مشكوتي ، من السُلاجقة الى الصفويين ، ص : ١٣٧ ؛ رازي ، تاريخ . ، ص . ص : ٣٠٥ ـ ٣٠٦ ؛ جعفر خصباك ، مجلة كلية الآداب والعلوم ببغداد ، ١٩٥٨ ، جـ ٣/ص : ١١٧ ؛ لمبتون ، البناء الداخلي للامبراطورية السلجوقية في تاريخ كمبردج لايران ، كمبردج ، ١٩٦٨ م ، جـ ٥/ص : ٢٠٢ .

« عزرائيل » او مع « الشيطان » في سبيل التخلص من السلطان الخوارزمي . فذهب الى البطريارق النسطوري للمسيحيين في بغداد ؛ وطلب منه أن يتوسط لدى ما تسميه تلك المصادر بـ « الملك داود » ليغريه بان يقوم بغزو أراضي السلطان ؛ فوافق البطريارق ، كما تقول القصة ـ على مشروع الناصر ، فأرسل القائدان الدينيان (المسلم الناصر والمسيحي البطريارق) وفداً مشتركاً الى الملك المسيحي ذلك ، يحثونه على القدوم الى أراضي السلطان الخوارزمي ليدمرها ويقتل سلطانها[1] .

سيرد معنا في الفصل الرابع من هذا الكتاب ـ ان شاء الله ـ انه خلال حصار المغول لبغداد ، وقبل سقوط المدينة في ايدي المغول ، سنرى ان هناك روايات تذكر بأن الخليفة المستعصم ذهب الى البطريارق النسطوري المسيحي ، في عاصمة الخلافة وسأله أن يذهب الى هولاكو خان ؛ وان يقوم بدور الوسيط لعله يقبل الصلح . فعلى الرغم من أن هولاكو خان لم يكن نفسه مسيحياً ، فإنه كان معروفاً بميوله ، وبتعاطفه مع الناس الذين كانوا يدينون بهذه الديانة . وهذا التعاطف ربما كان منشأه نتيجة لتأثير زوجته الكبيرة « دوقوز خاتون » التي كانت تدين بالديانة المسيحية . فالذي يبدو لنا ، أنه من المحتمل جداً أن تكون سفارة البطريارق المسيحي هذه ، ايام الخليفة المستعصم ، كانت هي الأساس الذي بنيت عليه تلك القصة الاسطورية ، التي تتعلق بالسفارة المشتركة التي يقال بأن الخليفة الناصر والبطريارق المسيحي في بغداد قاما بإرسالها ؛ ولكنها كانت في شكل مختلف ؛ وفي ظروف وملابسات مختلفة ؛ وقام بها أشخاص مختلفون .

فلو فرضنا أنه كان هناك أي سفارة قام الناصر بارسالها الى المغول ، أو بمعنى اصح الى «كوتشلوك خان » بالتعاون مع البطريارق المسيحي كوسيط ، فان ابن الأثير ـ الذي شجب اعمال الخليفة الناصر التعسفية والطغيانية الظالمة لشعبه ـ والنسوي ، نفسيهما ، سيشنعان به لتورطه في مثل هذه المسألة الخطيرة .

(۱) و . بارثولد تركستان ، ص : ۳۷۰ ، وحاشية رقم : ۳ ؛ م . بروديين . الامبراطورية المغولية . الترجمة الانجليزية ، ص . ص : ۱۵۰ ـ ۱۵۳ .

ثم أنه لم يشر الى هذه المسألة (مسألة اشتراك الناصر مع البطريارق في وفد الى ذلك الملك المسيحي) لا سبط بن الجوزي ، ولا أبو شامة . كما لم يذكر ذلك اي من المؤرخين الذين جاءوا بعدهما ، مثل : ابن واصل ، واليونيني ، وابن الطقطقا ، والمؤرخ الاخير كان مسلماً شيعياً ، فلو حصل من الناصر أمر مثل هذا فإنه سيذكر ذلك دون شك . وفوق ذلك كله ، فإن مصادرنا الاسلامية الفارسية ، والتي عرف أغلبها ـ ان لم تكن جميعها ـ بالتحامل الشديد على الخليفة العباسي الناصر ، لم تذكر ذلك . ثم يمكن ان نضيف حقيقة أخرى ، وهي أنه لو حصل من الخليفة ما اتهم به ، فان المؤرخ المسيحي المعاصر ، ابن العبري ، سيذكر بالتأكيد ، خاصة فيما يتعلق بالدور المزعوم الذي يدعى ان البطريارق المسيحي في بغداد قام به .

والذي يظهر لنا أن المؤرخين السابقين ، ومن سار على نهجهم من المؤرخين المحدثين ، ربما كانوا قد نظروا الى تصرفات الخليفة السلبية ، والموقف اللامبالي ، تجاه الغزو المغولي لاراضي السلطان محمد ، وعدم مساعدته له ضد العدو الغازي ، على أنها أدلة ربما تدين الناصربتآمره مع الغزاة .

ولكننا مع هذا لو رجعنا الى سياسة هذا الخليفة تجاه القوى المعتدية الاخرى ، مثل « **الكرج** »و « **الصليبيين** » ،لوجدناها لا تختلف ، بأي حال من الأحوال ، عن نظرته وتصرفاته ومواقفه عندما غزا المغول أراضي الخوارزميين . فقد تجاهل كل واجباته الدينية ، وتنكر لها ؛ اذ لم يقم بما كان يحتمه عليه منصبه ، كقائد ديني لجميع المسلمين ، فإنه طوال الست والاربعين سنة ، التي قضاها متربعاً على عرش الخلافة ، لم يذكر لنا بأنه قد قدم مساعدة ، بأي شكل من الأشكال ، وتحت أي ظرف من الظروف ، الى الحكام الايوبيين في حروبهم المريرة والطاحنة ضد القوى الغربية المعتدية على أراضيهم منذ أيام صلاح الدين الايوبي.

اذاً ، بناءً على هذه السياسة التي انتهجها الخليفة الناصر لنفسه ، فانه يبدو لنا من غير المحتمل ان نتوقعه ان يقدم مساعدة للسلطان ضد المغول ؛ وخاصة إذا ما تذكرنا سياسة السلطان المعادية تجاه الخليفة ، وما أشيع عنه من

أنه كان يريد أن يغزو بغداد منذ سنتين فقط ؛ بالإضافة الى سوء التفاهم ، والتوتر السياسي الذي ساد علاقتهما ، بسبب تـدخل الخليفـة الناصر المستمر في اوضاع إقليم بلاد الجبل الداخلية ، ومطالبة السلطان محمد الملحة في السلطنة في بغداد .

يروي لنا المؤرخ الفارسي ، ابن بي بي ، الذي كتب كتاباً عن تاريخ آل سلجوق في الروم ،ان وفداً سياسياً ـ مرسل من قبل الخليفة الناصر ـ كان قد وصل الى بلاط السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباذ ، سلطان سلاجقة آسيا الصغرى .وكان يرأس هذا الوفد السياسي محيي الدين بن الجوزي ، الذي قام بتقديم توسلات سيده (الخليفة) الى السلطان ، طالباً منه ان يرسل له الفي فارس ، ليساعدوه ضد الغزو المغولي . ويظهر لنا من رواية ابن بي بي واضحاً ان الخليفة الناصر ، عند سماعه بمجيء المغول ، وكأنهم بركان ثائر ، أرسل الى سلطان الروم يستنجده لمساعدته ضد المغول قبل ان يقتربوا من غربي إيران ؛ وقبل أن ينهار حكم السلطان محمد نهائياً على أراضيه السلطانية [1] .

وعندما وصل المغول الى اربل ، وهددوا دقوقا ، التي كانت تقع داخل أراضي الناصر ، ارسل قوات الـى مظفـر الدين كوكبري ، حاكم اربل ؛ كما قام الخليفة أيضاً بارسال الوفود ورسائل توسلية الى الحكام الايوبيين ، يطلب منهم المساعدة العسكرية في الدفاع عن أراضيه ضد الغزو المغولي المنتظر .

لهذا ، فاننا نجد انه من غير الممكن ان يقوم الخليفة الناصر بتعبئة قواته ـ حسب طاقته ـ او ان يتوسل صاغراً الى حكام هم أقل مركزاً منه ـ على الأقل من الناحية الدينية والتاريخية في نظره هو ـ او أن يقوم بالاستعداد للدفاع عن نفسه ضد هجوم المغول ، اذا قبلنا الشائعات التي تقول بتآمره مع المغول ودعوته لهم بغزو أراضي السلطان الخوارزمي .

بناءً على ما سبق وذكرناه من الأدلة ، يمكن ان نختم هذه الفقرة من هذا الفصل بالقول : بأنه لم يكن للخليفة الناصر ، ولا البطريارق النسطوري

---

(١) ابن بي بي ، تاريخ . ، أو اخبار سلاجقة الروم ، ص ص : ١٠٦ ـ ١١١

المسيحي في بغداد أية علاقة ، لا من قريب ولا من بعيد ، بالغزو المغولي . فمن الحقائق المعروفة أصبح واضحاً لنا أن الناصر - من جانبه - لم يكن له أية صلة ، بأي شكل من الأشكال ، ولا على أي مستوى من المستويات ، بجنكيزخان أو بالمغول . كما أنه لم يكن له أية علاقة بالحرب التي نشبت بين السلطان محمد و« **كورخان** » - ملك « **القراخطائيين** » ؛ ولا بالحرب التي قامت بين الحاكم النيماني - « **كوتشلوك خان** » - فيما بعد وبين السلطان الخوارزمي على أراضي ما وراء النهر ؛ وأن ذلك كان تسجيلاً لشائعات ليس لها أي سند تاريخي .

الفصل الثالث

٢ـ غزوات المغول التمهيدية ضد أراضي الخلافة العباسية

بعد وفاة السلطان محمد خوارزم شاه ، وبعد انهيار سلطته بصورة نهائية ، بدأ المغول غزواتهم الطويلة المدمرة والمنهكة ضد الجبهات الغربية ؛ حيث استمرت لأكثر من خمس وثلاثين سنة ، ثم بلغت هذه الغزوات أوجها في حملة هولاكو خان العسكرية في سنة ٦٥٥ ـ ٦٥٦ هـ (١٢٥٧ ـ ١٢٥٨ م) .

جاء أول تهديد مغولي ضد أراضي الخليفة العباسي في سنة ٦١٨ هـ (١٢٢١ م) ؛ أثناء حملة المغول العسكرية الممثلة في الفوج ، أو الكتيبة الاولى ، من جيشهم الزاحف ، ابان المرحلة الثانية من حملتهم المدمرة ضد أراضي الخوارزم شاهيين ، والتي كانت بقيادة القائدين الكبيرين « **جبه نويان** » و « **سوبتاي بهادر** » ؛ وذلك أثناء تعقبهم للسلطان محمد ، عندما هرب من وجه المغول . وقد وقع هذا التهديد ضد أراضي الخلافة العباسية أثناء غزوهم الثاني ضد أراضي اقليم بلاد الجبل ، بعد عودتهم من الأراضي الروسية والكرجية ؛ حيث قام فوج صغير من قوات ذلك القائدين ضد أراضي الخليفة . إذ قامت بتوجيه غارتها من مراغة الى الجنوب الغربي باتجاه إربل ؛ ومن ثم اتجهت الى الشمال الشرقي من أراضي العراق . وقد أصيب سكان المنطقة بالهلع والرعب ، لدرجة ان سكان اراضي منطقة الموصل قرروا أن يهجروا منازلهم . وأن يهربوا ، خوفاً من تلك القوة المغولية الصغيرة .

أصعق الخليفة الناصر من الخوف ، عند سماعه ان المغول كانوا متجهين نحو أراضيه ؛ فشرع في تحصين بغداد ، كما أمر الناس بالتوجه الى المساجد للصلاة والقنوت في العبادة ، أو الدعاء على المغول ، وان يصرف الله عنهم

الغزاة الكفار ويدمرهم[١]. كما قام الخليفة الناصر بالتوسل الى الحكام المسلمين في المنطقة (حاكم اربل والموصل ؛ والى الايوبيين في سوريا) بأن يقوموا بمساعدته ضد الغزاة ، الذين كانوا متجهين في هجومهم نحو دقوقا . وكان الخليفة الناصر قبل ذلك قد قام بالتوسل الى علاء الدين كيقباذ ، سلطان سلاجقة بلاد الروم ، ليمده بألفي رجل .

حشد الخليفة جميع قواته ، التي استطاع أن يجيشها وأرسلها تحت قيادة أكبر قائد عسكري في أراضي مملكته ، جلال الدين قشتيمور ، حيث قدر عددها بحوالي ثمانمائة رجل . وربما كان هذا العدد كل ما كان الخليفة العباسي يستطيع أن يجنده لأية معركة يريد الدخول فيها وخوض معامعها . وقد وضعت قيادة الجيوش الاسلامية المتحالفة تحت قيادة مظفر الدين كوكبري ، حاكم اربل . ومع هذا فقد كانت هذه القوات المسلحة تنقصها الشجاعة الكافية للتقدم ضد العدو المغولي ؛ او حتى لترهبهم أثناء عودتهم من اراضي الخليفة . لذلك نجد ان هذه الفصيلة من القوات المغولية استطاعت ان تغزو أراضي حاكم اربل ، وأراضي الخلافة وتصل حتى حدود دقوقا ، ثم تعود محملة بالاسلاب والغنائم ، ودون أن تفقد رجلاً واحداً . وفيما يخص جيش الخلافة والقوات الاسلامية الاخرى التي تجمعت تحت قيادة حاكم اربل ، يروى ان مظفر الدين قال للخليفة : « ان العدو قوي وليس لي من العسكر ما ألقاه به ، فان اجتمع معي عشرة الاف فارس استنقذت ما أخذ من البلاد فأمرني بالمسير ووعدني بوصول العسكر ، فلما سرت لم يحضر عندي غير عدد لم يبلغ ثمانمائة طواشي ، فأقمت ، وما رأيت المخاطرة بنفسي وبالمسلمين »[٢] .

عندما سمع المغول بتجمع القوات الاسلامية عند دقوقا ، انسحبت قواتهم ، واتجهت شرقاً . وفي طريقها حاصرت مدينة همدان ؛ بعد حصار لم يدم طويلاً

---

(١) ابو شامة ، تراجم . ، ص : ١٢٨ . انظر أيضاً : الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد ، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، مخطوطة ايا صوفيا رقم : ٣٠٠٥ - ٣٠١٦ ، المجلدات : ١٨ و ١٩ و ٢٠ برقم : ٣٠١١ - ٣٠١٣ ، جـ ١٨ /ورقة : ٢٤٧ ب .

(٢) ابن الأثير الكامل . ، جـ ٩/ص ص : ٣٣٧ - ٣٣٨ .

استطاعوا أن يشقوا طريقهم الى المدينة . حيث وضعوا السيف في سكانها ؛ فنهبوا ممتلكاتهم ، ودمروا مدينتهم ، وارتكبوا من الأعمال ما تقشعر لها الأبدان ، بعدها غادروا المدينة المنكوبة في حالة من الدمار[1] .

في هذه الأثناء كان مظفر الدين كوكبري وجيشه مقيماً في مكانه بدقوقا ؛ حيث ظل ، كما قال هو ،ولم يجرؤ ان يخاطر بنفسه في قتال كتيبة صغيرة لا يزيد عددها عن نصف ما كان لدى مظفر الدين من القوات . وعند سماعهم بعودة المغول باتجاه الشرق ، قوضت القوات الاسلامية في دقوقا خيماتها ، وانفض تجمعهم وذهب كل واحد الى وجهته الخاصة دون ان يضرب ضربة واحدة .

أما بالنسبة لما يخص الخليفة الناصر ، فقد رأى ، من خلال منظاره القصير والحقير ، ان مسؤولياته كانت محدودة ضمن أراضي الخلافة الخاصة ؛ يعني الأراضي الواقعة ضمن حدود اقليمي العراق وخوزستان . لذلك نجد أنه ما ان طلب قائد قواته ، قشتيمور ، الاذن له بالعودة الى بغداد ، حتى اذن له الخليفة بالعودة ، وعاد القائد «الميمون !» الى بغداد ، حيث استقبل استقبالاً حافلاً[2] . على الرغم من أن المغول عاودوا هجومهم على مدينة همدان ، وعلى الأراضي المجاورة لها ، مرة ثانية في سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م ، واعملوا معول الدمار والخراب في طول هذه البلاد وعرضها ، فانه لا الخليفة العباسي الناصر ، ولا أي حاكم من الحكام المسلمين المجاورين الاخرين ، حاول ان يقدم يد المساعدة لاخوانهم المسلمين ، المنكوبين بالغزو المغولي على اراضيهم بايران . وفي الحقيقة ، على ما يبدو لنا ، انه لم يوجد ولا مسلم كان يعتبر أن من واجبه ان يقف الى جانب اخوانه المسلمين الذين كانوا يعيشون خارج ولايتهم ، او منطقة نفوذ حكمهم ؛ كما هو واقعنا الان منذ ما يقرب من ثمانية قرون خلت . وهذا دليل واحد مبسط على انه لا وجود لما يسمى بوحدة المسلمين المزعومة . وعلى هذا الأساس ، فإنني لا أجد ما يمكن أن يكون مستغرباً ان نجد أن أعداداً

---

(١) المرجع نفسه ، ص : ٣٣٨ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل . ، ص . ص : ٣٣٨ ـ ٣٣٩ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب . ، جـ ٤/ص . ص : ٤٨ ـ ٥٠ ؛ ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة . ، ص . ص : ٢٧ ـ ٣١ .

هائلة من المسلمين ـ في الاراضي الايرانية ، ومن اراضي المسلمين الشرقية ـ يشتركون عملياً مع المغول في تدمير بغداد ؛ ثم في المذابح والشناعات التي ارتكبت ضد اخوانهم المسلمين في اراضي العراق وأرمينيا ، وبلاد الشام ، فيما بعد ؛ اي في السنوات الثلاث التالية : ٦٥٦هـ ـ ٦٥٨ هـ / ١٢٥٨ م ـ ١٢٦٠ م .[1]

في عام ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م ظهر المغول مرة اخرى على مسرح الأحداث في المنطقة وبدأوا بتهديدهم لها وذلك انه بعد ان توج « **أكتاي قا آن** » على عرش الخانات المغولي ؛ عين القائد العسكري « **تشرماغون نويان** » ليكون حاكماً وقائداً عسكرياً « **بُشْقاق** » على الاراضي المغولية الواقعة على الحافة الغربية من اراضي امبراطوريتهم . كما انه جاء الى المنطقة على رأس حملة عسكرية ، قوامها ثلاثين ألف رجل ، موجهة ضد جلال الدين الخوارزمي ، للقضاء عليه بصورة نهائية . وقد استطاع « **تشرماغون** » وبسهولة متناهية ، ان يضع نهاية لحكم آخر حاكم من حكام السلالة الخوارزمية في المنطقة في عام ٦٢٨هـ / ١٢٣١ م . اذ انه على الرغم من التوسلات والطلبات الملحة التي تقدم بها جلال الدين الخوارزمي الى جميع الحكام المسلمين في المنطقة (وهم الخليفة المستنصر ، والحكام الايوبيون ، وسلطان السلاجقة في أراضي الروم) فقد ذهبت صيحاته المستغيثة ادراج الرياح ، دون ان يسمعها أي من أولئك الحكام[2] .

وبعد القضاء على جلال الدين الخوارزمي واحتلال اراضيه ، لتصبح جزءً من ممتلكات الامبراطورية المغولية ، نجدهم يتوسعون في غاراتهم ؛ وكما سبق لتشمل الأجزاء الشرقية من اراضي الخليفة ، وممتلكات بدر الدين لؤلؤ ، وجميع أراضي الجزيرة ، دون أن تجد من يردعها ، من أية قوة من قوات المسلمين .

كان الغرض من الغارات المغولية التي شنوها على أراضي الخليفة وعلى

(١) حول هذا الموضوع : انظر ما قلته في الفصل الخامس من هذا الكتاب ، حيث شرحنا هذه المسألة بالتفصيل ، في كل الفصل المذكور .

(٢) عن هذه المسألة انظر آخر الفصل الخامس من هذا الكتاب وكذلك أواخر الفصل الخامس من كتابنا « اوضاع الدول الإسلامية في المشرق الاسلامي حيث أوضحنا هذه النقطة بالتفصيل .

الأراضي المجاورة قبل مجيء هولاكو، هو النهب والسلب وجمع الاسلاب والغنائم، اكثر من كونه فتحاً لاراضي جديدة، لان المبادرة في التخطيط لفتح اراضي جديدة ومسألة ضمها الى اراضي الدولة، لا بد ان يقرره القادة المغول في «قرا - قروم» في اجتماع عام «قورلتاي» لكبار الامراء والقادة المغول.

كان اول هجوم قامت به القوات المغولية، التي جاءت الى المنطقة برئاسة «**تشرماغون نويان**» ضد أراضي الخلافة العباسية في شهر ذي الحجة من عام ٦٢٨ هـ / سبتمبر سنة ١٢٣١م حيث قادوا هجومهم أولاً ضد اربل، لأنه ربما كان لموقعها الذي كان قريباً من اماكن مخيماتهم في مقاطعتي بلاد الجبل وآذربيجان، ولان موقعها كان ايضاً يكوِّنُ عائقاً في طريقهم الى اراضي الخلافة والجزيرة. وفي هذا الهجوم، ضد اربل، قام المغول بنهب البلاد وبقتل العديد من سكانها؛ ورغم أن حاكم أراضي الموصل، بدر الدين لؤلؤ، قد أرسل الى مظفر الدين كوكبري تعزيزات عسكرية لمساعدته، الا انها لم تجد فتيلاً، حيث تمكن المغول في هذه الغزوة من قتل عدد كبير من المسلمين، ومن جمع قدر عظيم من الاسلاب والغنائم؛ والعودة سالمين، قبل ان تتجمع قوات المسلمين وتهاجمهم.

وفي أثناء تراجعهم، اكتشف المغول انه لم يكن هناك اية قوة تلاحقهم، وحينئذٍ غيروا طريقهم المخطط فعاودوا هجومهم ضد أراضي الناصر، جاعلين من دقوقا والقرى القريبة منها هدفاً لهذا الهجوم؛ فقتلوا، ودمروا، ونهبوا، وعادوا الى مخيماتهم سالمين؛ وهم محملون بالغنائم[1].

ثم نجد ان المغول يوسعون هجماتهم في نفس ذلك العام، الى مناطق غربية أبعد، حتى وصلوا الى نهر الفرات؛ حيث هاجموا ونهبوا «**آرزان**»، و «**ميّا فارقين**»، و «**آمد**»، و «**ماردين**»، و «**نصيبين**»، و «**الخابور**»؛ وهكذا شمل هجومهم المدمر جميع اراضي مقاطعة الجزيرة تقريباً[2].

(١) انظر المرجع نفسه، جـ ٩/ص. ص: ٣٨٦ - ٣٨٧؛ ابن واصل، مفرج الكروب؛ جـ ٤/ص ص: ٣٢٤ - ٣٢٩؛ ابن الفوطي، الحوادث.، ص. ص: ٢٧ - ٣٠. الجوزجاني، طبقات.، جـ ٢/ص: ١٥٨، الترجمة الانجليزية، جـ ٢/ص. ص: ١١١٧ - ١١١٨.

(٢) انظر في هذا تعليق ابن الأثير، الكامل.، جـ ٩، ص ٣٨٦.

في عام ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م قامت قوات مغولية اخرى بالهجوم على اربل ، وهزمت جيش الخلافة في بغداد ؛ حيث كانت اربل قد انضمت الى اراضي الخليفة بعد وفاة حاكمها مظفر الدين كوكبري قبل ثلاث سنوات . من اربل سارت القوة المغولية باتجاه اراضي الموصل ؛ وهنا قام الخليفة في ذلك الوقت - المستنصر - باصدار أوامره بتجهيز قوات عسكرية وسرعة ارسالها ضد الغزاة . ومع هذا فقد كان ينقص الخليفة العدد اللازم من الجيش النظامي ؛ لذلك نجده يقوم بتوجيه دعوة عامة الى البدو في صحرائهم ؛ والى اصحاب الحرف ، في أماكن اعمالهم ؛ والى المزارعين ، في حقولهم ، بأن يغادر كل واحد مهنته ويتجه الى بغداد ، لكي يستطيع المستنصر تكوين جيش لازم للدفاع عن اراضيه . بعد ان تجمعت تلك القوات في بغداد قامت الخلافة العباسية بتوزيع بعض النقود والأسلحة على المتطوعين منهم ، واسندت قيادتهم الى جمال الدين قشتيمور ، أحد مماليك الخليفة .

سارت هذه القوات التي تجمعت من هنا وهناك لتحارب المغول الغزاة . ومع هذا ، فلم تجر أية معركة ، لانه ما ان وصلت قوات الخليفة الى « دربند » حتى وصلتهم اخبار مفادها ان العدو كان قد عاد الى قواعده العسكرية في آذربيجان . فأمر قائد قوات الخليفة جيشه بأن يتفرق ويعود كل الى مقر مهنته ، وعاد هو الى بغداد[1] .

في السنة التالية ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م سار فوج من المغول بحملة عسكرية ضد مدينة اربل نفسها ، وضربوا عليها الحصار . وقد استطاعت القوات الغازية ان تشق طريقها عنوة الى داخل المدينة ، وان تكتسح القوات المدافعة في هجوم كاسح ، وعلى أثر ذلك قام المغول بذبح سكانها ، ونهب ممتلكاتهم ، وبحرق منازلهم . وحول هذه المسألة ، يروي لنا رشيد الدين ان السكان الذين نجوا من مقصلة المغول لاذوا بالفرار ، إلى قلعة المدينة ليحتموا داخل أسوارها ، إلا ان الموت دب فيهم ؛ فأخذوا يموتون بأعداد هائلة ، بحيث أصبح مستحيلاً

(١) ابن الفوطي ، الحوادث ، ص . ص : ٨٤ - ٨٥ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص : ٢٤٩ .

على الأحياء القيام بغسل وتكفين ودفن الأموات ؛ لذلك فقد أجبر الأحياء على أن يقدموا على حرق الجثث داخل القلمة[1].

بعد ثلاثة أيام من وصول أخبار سقوط مدينة اربل ، في ايدي الغزاة المغول وما فعلوه ضد سكانها ، نجد الخليفة المستنصر يرسل جيشاً مكوناً من ثلاثة آلاف رجل ، تحت قيادة واحد من مماليك الخلافة اسمه « شمس الدين ارسلان تكين » ليقوم بطرد المغول من الاقليم . وقد جهز المستنصر كل ما يملكه من قوات ـ وكان في أمس الحاجة الى الرجال ـ في سبيل طرد الغزاة من أراضيه . لذلك نجده يرسل عدداً من المماليك ـ بقيادة مجاهد الدين ايبك الدوادار الصغير ليقوم بتعزيز القوات التي أرسلت بقيادة شمس الدين ؛ ثم يعزز تلك القوات أيضاً بمجموعة اخرى من كبار امرائه ومماليك خلافة بني العباس ، برئاسة اقبال الشرابي ، الذي كان واحداً من كبار موظفي بلاط الخلافة . ولكي يعالج هذه المشكلة ، والتي يبدو لنا انها اصبحت فوق طاقة الخليفة واكثر مما يتحمل ، قام المستنصر بتأجيل الحج الى مكة المكرمة في ذلك العام ، وذلك ليصرف المبالغ التي خصصت لهذا الغرض في سبيل هذه الحرب ضد تلك القوة الصغيرة من عصابات المغول الناهبة . ثم قام باصدار اوامره بالعمل على ترميم أسوار بغداد ، وحفر الخنادق المحيطة بالعاصمة ، وان تنصب المنجنيقات وآلات الحرب الدفاعية الاخرى على أسوار المدينة[2] .

على الرغم من الرواية التي اوردها أبو شامة عن هذه الحرب ، والقائلة أن جيش الخلافة في بغداد حاز انتصاراً على المغول ، الا أن ما أورده هذا المؤرخ السوري غير صحيح ؛ لأن المغول كانوا قد هجروا المدينة المنكوبة محترقة ، قبل أن تصلهم قوات الخليفة . وعن هذه الحادثة يروي لنا سبط ابن الجوزي أن

---

(١) رشيد الدين ، جامع . ، جـ ١/ص : ٥٧٥ ، الترجمة الانجليزية (خلفاء جنكيز خان)) ص : ١٩٠ .

(٢) المرجع السابق ، جـ ١/ص : ٥٧٨ ، الترجمة الانجليزية (خلفاء) ص : ١٩ . انظر ايضاً : ابن العبري ، تاريخ . ، ص : ٢٥٠ ، ابو شامة ، تراجم . ، ص : ١٦٥ ؛ سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان . ، ٨ ، جـ ٢/ص : ٦٩٩ .

المغول تركوا المدينة وهم محملون بالغنائم ، التي ناءت بها كواهلهم وظهور دوابهم[1] .

عندما سمع الشرابي بأن المغول قد رجعوا ، عاد هو بجيش الخلافة الى بغداد ، وعلى العكس مما اورده لنا أبو شامة ، دون أن يضرب ضربة واحدة ضد الغزاة المغول ؛ وربما حتى دون ان يكلف نفسه عناء مواصلة المشوار ليصل الى المدينة المدمرة ، ويتفقد أحوالها ، وبعض شؤون أهلها او أن يواسي المصابين منهم بتلك النكبة التي لم تكن الوحيدة .

وحول حملة المغول هذه يورد المؤرخ العراقي ، ابن الفوطي ، رواية مفادها ان بدر الدين لؤلؤ حاكم أراضي بلاد الموصل ، كان قد زود العدو بذخائر ومؤن خلال حملتهم هذه ضد اربل[2] . والذي يظهر لنا انه بعد ان تعرضت أراضي حاكم الموصل لهجوم المغول المتكرر ، والذي كان شبه مستمر ـ يقع من وقت الى آخر ـ وربما في السنة الواحدة اكثر من مرة ، وبعد ان فشل الخليفة في تقديم أي مساعدة له خلال السنوات الماضية ضد الغزاة ، وأنه أصبح عاجزاً كل العجز أن يحمي أراضيه ، قام بدر الدين لؤلؤ بالتوصل الى نوع من التفاهم السلمي مع المغول . اذ ربما انه قام بالاتصال بالحاكم العسكري المغولي « تشرماغون » واتفق معه على أن يدفع له ضريبة ؛ وذلك لكي يتفادى غزوات المغول المدمرة ضد أراضيه . ونتيجة لذلك نجد أنه من تلك السنة وما بعدها أصبح حاكم الموصل واحداً من الحكام التابعين للمغول ؛ وكنتيجة حتمية ، تمليها هذه التبعية ، فقد كان لزاماً عليه أن يستجيب لدعوة أسياده ، بتقديم مساعدة عسكرية وغيرها مساهمة منه لهم في أية عملية عسكرية يقومون بها ؛ فإنه في هذه الناحية الاخيرة يكمن جوهر التبعية للمغول .

لم يمض الا شهر واحد بعد عودة جيش الخليفة المستنصر الى بغداد ، بعد أن ذهب ليطرد المغول من مدينة اربل ، عندما قام فوج ، من عصابات المغول

---

(١) سبط ابن الجزي ، مرآة . ، ٨ جـ ٢/ص : ٦٩٩ .

(٢) ابن الفوطي ، الحوادث . ، ص . ص : ٩٨ ـ ٩٩ .

مرة اخرى ، بالهجوم على اراضي اربل في شهر صفر ، من عام ٦٣٥ هـ اكتوبر سنة ١٢٣٧ م؛ الا انهم قبل أن يصلوا المدينة نفسها نجدهم يغيرون وجهة هجومهم ، ويقومون به في اعماق أراضي الخليفة .

وهنا يروي لنا ابن الفوطي أن سكان دقوقا والقرى الواقعة في الأرياف المجاورة أصابهم الرعب من المغول ، فهاجروا من مناطق سكناهم ولجأوا الى العاصمة العباسية . لذلك فقد نتج عن نزوح سكان تلك المناطق الى بغداد تزاحم السكان وتكدسهم داخل العاصمة بشكل مزعج ، فارتفعت بذلك أجور السكن أضعافاً ، وأصبح الناس يعيشون في خوف مستمر[1] .

في هذا الهجوم بالذات ، وصل المغول الى مدينة سامراء ، ونهبوها ؛ وبعد أن جمعوا ما يكفيهم من الغنائم في الوقت الراهن على الأقل ـ غادروها دون أن يجدوا ما يعترضهم[2] . الا أنه أثناء عودة المغول ، قام الشرابي ـ الذي أصبح القائد العام لقوات الخليفة ـ بالخروج على أثرهم ، وملاحقتهم فاستطاعت قواته أن تقتل نفراً أو نفرين من المغول . ومع هذا فلم يتجاسر الشرابي أن يتوغل أبعد في ملاحقتهم ، فآثر العودة بسلام الى بغداد ؛ حيث أستقبل استقبالاً حافلاً ، كما يستقبل الفاتحون ، وكأنه وضع ، ولآخر مرة ، حداً للغزو المغولي[3] .

لم تمض أربعة أشهر على آخر غزوة للمغول ، ضد أراضي الخلافة العباسية ، حتى قامت مجموعة أخرى منهم بتوجيه حملة أخرى ضد ممتلكات الخليفة المستنصر ، الا انهم في هذه المرة كانوا باعداد متزايدة ، تقدر بحوالي خمسة آلاف رجل . وعندما سمع الخليفة بهذه الغارة نجده مرة أخرى يقوم بتوجيه دعوة عامة هذه المرة الى الحكام المسلمين المجاورين له، لتقديم يد المساعدة ضد الغزاة . واستجابة لتوسلات الخليفة فقد أرسل الحكام الايوبيون في سوريا وحاكم شهرزور ـ ارسلان شاه ، قوات لتساعده في محنته تلك ؛ حيث

---

(١) المرجع السابق ص : ١٠٩ .
(٢) ابن العبري ، تاريخ ، ص : ٢٥١ .
(٣) ابن الفوطي ، الحوادث . . ص : ١٠٩ .

قدر عدد الكتائب التي وصلت منهم الى بغداد بحوالي الف وستمائة رجل . كما قام المستنصر ، كما هي عادته ، بالاستنجاد بأهل القرى والمزارعين والبدو وأصحاب الحرف، فاستطاع بذلك أن يكون جيشاً مختلطاً، من فئات وطبقات مختلفة ، قدر بحوالي سبعة آلاف رجل . في شهر رجب من عام ٦٣٥ هـ/ فبراير سنة ١٢٣٧ م سار الشرابي ، والذي أسندت اليه قيادة جيش الخلافة وحلفائها هذه المرة ، من بغداد ليقابل المغول[١] .

تقابل الخصمان على أرض خانقين ، والتي تقع على بعد حوالي خمسة وعشرين ميلاً الى الشمال من بغداد . وكما يروي لنا النويري صادقاً ، فقد كانت هذه الموقعة أول قتال ينشب بين جيش الخليفة والمغول وجهاً لوجه على ميدان المعركة[٢] . وقد كانت حصيلة هذه المعركة هزيمة ساحقة ، وكارثة وجهتها قوات المغول الخمسة آلاف ضد السبعة آلاف من قوات الخلافة العباسية وحلفائها. وعلى أثر هذه الهزيمة المخزية تشتت القوات المهزومة في حالة من الفوضى ، والاضطراب ، ولاذت بالهرب باتجاه بغداد ؛ بعد أن تكبدت خسائر فادحة في الأنفس والعتاد . أما المغول المنتصرون فقد اقتنعوا بما حققته قواتهم في هذه المعركة من النصر المبين وما غنمته ، حيث عادوا أدراجهم الى قواعدهم العسكرية[٣] .

في خلال السبع سنوات والنصف التي تلت ، أي من شهر رجب عام ٦٣٥ هـ حتى شهر محرم من عام ٦٤٣ هـ / فبراير سنة ١٢٣٧م الى يونيه سنة ١٢٤٥ م ، لم نجد أي ذكر في مصادرنا أن قوات المغول المرابطة في الغرب قامت بأي انتهاك لأراضي الخليفة ، فعلى الرغم من امكانية ايعاز فترة الهدوء هذه ، والتي دامت طوال تلك السنوات على غير ما هو متوقع ، الى انشغال المغول بحملتهم

---

(١) النويري ، نهاية الارب . ، مخطوطة ، جـ ٢١/ورقة : ٩٨ آ ، يذكر أن جيش الخلافة قاده « بكلك الناصري » وهو أحد مماليك الناصر .

(٢) المرجع نفسه ، جـ ٢١ ، ورقة : ٩٨ أ

(٣) المرجع نفسه ، نفس الصفحة والجزء . انظر أيضا : ابن العبري ، تاريخ . ، ص : ٢٥١ ؛ ابن الفوطي ، الحوادث ، ص . ص : ١١٢ - ١١٣ .

العسكرية العظيمة التي قاموا بها في هذه الفترة بالذات ضد دول شرق أوربا ، الا انه يبدو لنا أكثر إحتمالاً ـ لتفسير فترة الهدوء هذه ـ بما يمكن ان يكون قد قام به الخليفة المستنصر من استرضاء القائد المغولي في المنطقة ؛ لأن « **تشرماغون نويان** » لم يشارك في تلك الحملة المغولية العسكرية الاوروبية الكبيرة ، كما لم يؤمر بمغادرة المنطقة ، أو بأن يرسل قوات من قبله لتشارك في حرب المغول تلك ضد أوروبا ، وهذا يعني بالضرورة ، أنه بقي مع قواته حيث كان مرابطاً ، في مناطق غرب إيران ؛ وبالاضافة الى ذلك ، نجد أن هناك روايات تذكر بأن سفارات ورسل قد تبودلوا بين الخليفة المستنصر والقائد « **تشرماغون نويان** » .

على الرغم من أن ابن الفوطي يذكر أن رسولاً من « **تشرماغون نويان** » كان قد وصل الى بغداد في ربيع الثاني سنة ٦٣٦ هـ / نوفمبر عام ١٢٣٨ م ، الا أن ما يبدو لنا أكثر احتمالاً هو أن المستنصر كان قد أخذ زمام المبادرة هو أولاً ؛ فهو الذي كان في المركز الضعيف ، وتقرب الى الحاكم « **بُسْقَاقْ** » المغولي[1] . فقد يكون الخليفة قد تقدم وأبدى استعداده بأن يدخل في نوع من التفاهم مع القائد المغولي ، لكي يمنع قواته من انتهاك أراضي الخليفة العباسي ؛ وأن توقف حملاتها التي لا تكاد تنقطع عن مملكته .

مهما كان الامر ، فقد بقي رسول « **تشرماغون** » والذي لم يذكر اسمه لنا ، أياماً قلائل في بغداد ؛ بعدها نجده يرجع الى سيده مصحوباً بـ « **العدل جعفر بن محمد بن عباس البطائحي** » ناظر التركات ، موفداً من الخليفة ؛ وربما كان يحمل معه أموالاً ، كضريبة يسترضي بها القائد المغولي[2] .

لم يعطنا ابن الفوطي أية معلومات إضافية عن سفارة **البطائحي** هذه ؛ الا أنه يمكن أن يكون قد قابل الحاكم العسكري المغولي في مكان ما قرب « **مدينة قزوين** » ، حيث كان مقره ؛ وتوصل معه الى نوع من التقارب والتفاهم نيابة عن الخليفة ؛ لأنه ـ وكما يظهر لنا ـ من غير الممكن اقناع القوات المغولية بترك

---

(١) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ، ص ص : ١١٣ ـ ١١٤

(٢) المرجع نفسه ، ص = ١١٤ .

اقليم العراق الغني بخيراته لمدة سبع سنوات ونصف دون غزوه، أو الغارة على سكانه، للنهب والسلب من خيراته، لو لم يقم الخليفة المستنصر بدفع اموال ضخمة كضريبة، الى القائد العسكري المغولي، والى كبار ضباط قواته العسكرية، الذين كانوا يجوبون برجالهم الأراضي الواقعة الى الحدود الشرقية من اقليم العراق. ولذلك فلا يمكننا تصديق ما أورده الجوزجاني حول عمليات جيش الخليفة المستنصر العسكرية، ضد القوات المغولية، من أن قوات حكومة بغداد كانت دوماً هي المنتصرة في جميع حروبها مع العدو الغازي، لأن أقوال الجوزجاني هذه منافية للحقيقة؛ ولما كان يقع بالفعل[1].

وفي عام ٦٤٢ هـ/ سنة ١٢٤٤ م نجد أن المغول يستأنفون نشاطاتهم العسكرية المدمرة، ضد جميع الأراضي التي تقع الى الجنوب الغربي من قواعدهم، الواقعة الى الشمال الغربي من ايران. قادوا أول هجومهم ضد أراضي إقليم الجزيرة. وتقول الروايات بأن شهاب الدين غازي، الحاكم الأيوبي لـ «ميَّافارقين»، عند سماعه بهجوم المغول هذا، لاذ بالهرب من أمام العدو حتى قبل أن يصل الى أراضيه. وبذلك تمكن المغول، وبكل سهولة، أن يدمروا وينهبوا «ديار بكر»، وأن يدخلوا «حرّان»، و «الرها»، وأن يجبروا «ماردين» على الاستسلام لهم[2].

وفي السنة التالية، في شهر محرم من عام ٦٤٣ هـ/يونيه، سنة ١٢٤٥ م وصلت الاخبار الى العاصمة العباسية من اربل، مفادها أن قوات مغولية قوية قوامها حوالي ستة عشرة ألف رجل في طريقها باتجاه جبل جِمْرِين[3]. وهنا يذكر رشيد الدين أن هذه القوات المغولية الناهبة انشطرت الى قسمين رئيسين. حيث سار القسم الأول باتجاه خانقين، وهاجم قبائل التركمان الايوائية، وهم

(١) الجوزجاني، طبقات، جـ ٢/ص: ٢٥٨، الترجمة الانجليزية، جـ ٢/ص. ص: ١١١٧ - ١١١٨

(٢) المرجع السابق، جـ ٢/ص: ١٩٣.

(٣) رشيد الدين (جامع.، جـ ١/ص: ٦٠٦) يضع هذه القوات بحوالي: خمسة عشر الف رجل؛ انظر أيضاً ابن الفوطي، الحوادث الجامعة.، ص: ١٩٩، والحاشية رقم: ٢.

أتباع سليمان شاه ؛ ومن هناك اتخذت طريقها متجهة الى مدينة باعقوبا . اما القسم الثاني ، فقد سار الى شهرزور ، وهي أراضي نور الدين زنجي . وقد أعملت هذه الفرقة نصيبها من اعمال الدمار ، ونشر الخراب ، وقتل السكان الامنين ، ونشر الرعب والخوف ، بحيث شمل كل المنطقة . وعندما لم يجد الناس حامياً لهم من غزوات المغول الفتاكة ، لاذوا بالهرب يلتمسون ملجأً لهم داخل بغداد نفسها[1] .

ولكي يدافع عن أراضيه ضد الغزوات المغولية المتكررة على شكل شبه متواصل ، نجد المستعصم ، الذي جاء الى عرش الخلافة الهزيل بعد موت والده المستنصر ، سار على نفس السبيل الذي نهجه والده من قبله . فقد اعتمد بصورة رئيسية على المواطنين في مواجهة العدو ، والتصدي لهجماته ، التي كانت تنتهك أراضيه . اذ ما أن سمع المستعصم بغزوة المغول تلك حتى أمر باقامة المنجنيقات على أسوار بغداد ؛ كما نادى في دعوة عامة ، البدو والمزارعين وفي الحقيقة ، طلب من جميع فئات الناس ، الاشتراك في الحرب . وبعد أن تجمعت لديه بعض القوات قامت الخلافة بتوزيع مال وسلاح عليهم . وطلب الخليفة من الشرابي وبعض الشخصيات البارزة الاخرى في حكومته ، مثل الدوادار الصغير ، والدوادار الكبير ، أن يقوموا بأخذ القيادة والسير ضد المغول . وتقول الروايات أن الشرابي سار ضد العدو على رأس هذه القوات التي تجمعت لدى الخلافة ، والتي وضحها رشيد الدين بأنها تتكون من « **بندگان وأعراب** » اي من البدو والأعراب[2] . تقابل الخصمان في ميدان القتال ، ربما كانت المرة الثانية تتقابل قوات الخلافة العباسية مع المغول في معركة وجهاً لوجه . وكان القتال في شكل مناوشات استمرت خلال ذلك اليوم ، وعند مجيء الليل ظلت قوات الخليفة في مواقعها استعداداً لاستئناف القتال في اليوم التالي . الا أنه في الصباح اكتشف قادة المستعصم بأن المغول قد هجروا مواقعهم وذهبوا . وللخوف الذي

(١) رشيد الدين جامع، جـ ١/ص . ص : ٦٠٦ ـ ٦٠٧ الترجمة الانجليزية ، (خلفاء) ص ص : ٢٣٢ ـ ٢٣٣ ؛ ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ، ص : ١٩٩ .

(٢) رشيد الدين ، جامع ، جـ ١/ص : ٦٠٦ .

أصاب قوات الشرابي ورفاقه ، من مغبة ملاحقة المغول ، الذين ربما كانوا لهم في كمين ، لم يجرأوا أن يغادروا مكانهم لملاحقة العدو أو البحث عن مكانه . وأخيراً قرروا العودة الى بغداد،وكفى الله المؤمنين شر القتال ، على حد تعبير ابن الفوطي في كتابه « الحوادث الجامعة »[1] .

قبل ان يصل جيش الخليفة ذلك الى بغداد ، جاءت أخبار مفادها أن فرقة من المغول وسعت في نطاق هجومها ذلك ، حتى شملت مذابحهم ونهبهم في داخل أراضي الخلافة ، حتى نهر دجيل غرباً . وهنا تقوم الخلافة بإرسال جيش مكون من ثلاثة آلاف رجل ، لطرد العدو من المنطقة . ويذكر رشيد الدين أن هذا الجيش كان بقيادة الشرابي نفسه ، الا أن قوة المغول هذه استطاعت أن تسلب وتنهب وتقتل ، وتعود ، محملة بشتى أنواع الأسلاب والغنائم ،سالمة الى قواعدها في آذربيجان ، دون أن يأذيها أو يضايقها الشرابي وقواته[2] .

وعن هذه الحملة المغولية يذكر ابن العبري أن القوات المغولية كانت تريد أن تغزو بغداد نفسها ، إلا أنها فشلت في ذلك[3] .

على انه مهما كان الحافز للمغول في هذا الوقت ، فالذي نراه أن هجماتهم العنيفة تلك جاءت كنتيجة للأسلوب القاسي الذي انتهجه لنفسه القائد والحاكم العسكري المغولي الجديد « بايجونويان » في تعامله مع الخليفة العباسي . حيث أننا نجد أنه في سنة ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢م قام المغول في « قرا ـ قروم» بتعيين « بايجونويان » ليخلف « تشرماغون » كقائد وحاكم عسكري « بُسْقَاق » لقواتهم المتمركزة على الحدود الغربية لامبراطوريتهم . وقد كان هذا التعيين لقائد جديد ، ومجيئه الى المنطقة متواقتاً مع وفاة الخليفة المستنصر وتولي ابنه المستعصم كرسي الخلافة من بعده . لذلك ، فالذي يبدو لنا أن هذا القائد

---

(١) ابن الفوطي ، الحوادث ، ص . ص : ١٩٩ ـ ٢٠٠ .

(٢) رشيد الدين ، جامع ، جـ ١ ص . ص : ٦٠٦ ـ ٦٠٧ ؛ انظر أيضاً : ابن الفوطي ، الحوادث . ، ص . ص . ١٩٩ ـ ٢٠٠ .

(٣) ابن العبري ، تاريخ ، ص : ٢٥٥

المغولي الجديد رأى أنه بموت المستنصر ومجيئه هو خلفاً لـ « تشرماغون » جعل الاتفاقية التي كانت سارية بين المستنصر و « تشرماغون » لم تعد ذات قيمة وانه قد بطل مفعولها .

ولكن ما الذي جعل القائد الجديد يظل طوال السنين الأولى من توليه منصب قائد المغول في الغرب يحجم عن غزو أراضي الخلافة ؟ فلو رجعنا وبحثنا عن الأسباب لوجدنا أن « بايجونويان » قد انشغل في عمليات عسكرية لتثبيت مركزه اولاً في غرب إيران . كما نجده في خلال السنين تلك من رئاسته لمنصبه الجديد ، يشن حرباً شعواء ضد أراضي سلاجقة الروم في آسيا الصغرى ، ويجبر سلطانها غياث الدين كيقباذ ، الى الاستسلام الفعلي للسلطة المغولية ، حيث كانت هذه السلطنة الاسلامية قد خضعت تحت السلطة المغولية ، بشكل نظري فقط ، أيام السلطان السابق علاء الدين كيقباذ عندما أرسل رسالة استسلامية الى « اكّتاي قا آن »[1] .

لذلك نرى أن حرب المغول ضد آسيا الصغرى كانت قد ابقت « بايجونويان » وجيشه بعيداً عن أراضي المستعصم طوال تلك المدة ، منذ جاء الى المنطقة . هذا، ومن جانب آخر يظهر أن الخليفة المستعصم يمكن أن يكون قد حاول أن يتبع نفس سياسة والده الاستسلامية ، وأن يحاول أن يتوصل الى نوع من الاتفاق مع القائد المغولي ؛ إلا أن هذا المسؤول المغولي الذي لم يكن ليرضى بأنصاف الحلول ، يظهر أنه أجبر المستعصم الضعيف أن يشحذ السلام من العاصمة المغولية «قرا ـ قروم» وليس بالاسلوب الذي اتبعه والده مع « تشرماغون » . لهذا فقد وجد الخليفة نفسه أمام اختيار واحد ، وذلك أن يقوم بإرسال ممثل عنه ، يلتمس السلام من بلاط الخان المغولي في منغوليا .

وفي هذا الخصوص تتكلم بعض مصادرنا الأولية (« جون بلانو الكربيني ») الذي كان حاضراً في بلاط « كويوك خان » ، والجويني ، وابن

---

(١) ابن العبري ، تاريخ ، ص : ٢٤٩ .

العبري) مجتمعة عن وفد أرسله خليفة بغداد الى بلاط المغول[١] . فيذكرون أن سفير الخليفة كان من بين الوفود التي كانت قد أرسلت لتقديم فروض الطاعة ، والاستسلام للسلطة المغولية ، نيابة عن سادتهم . وكان ممثل الخليفة العباسي في بغداد هو القاضي فخر الدين ، حيث كان قد أرسل ليلتمس السلام من الخان المغولي ، ويسترضيه بما كان يحمله معه من هدايا وتحف ثمينة اليه . وتذكر الروايات حول هذا الموضوع بان رسول الخليفة قد اشتكى من الغزوات المغولية المستمرة ضد أراضي بلاده .[٢] .

كان المغول ، وعلى رأسهم الخانات أنفسهم ، يفسرون كل سفارة كانت تأتي الى « قرا - قروم » على أنها استسلام عن طواعية واختيار لسلطان الخان ؛ وعلى أنها تأكيد للولاء الذي يكنه أولئك الحكام ، الذين قاموا بارسال هذه الوفود السياسية . كما كان الخانات المغول يعتبرون الهدايا والتحف التي يقوم اعضاء الوفود بتقديمها الى الخان على أنها جزءٌ من الضرائب المفروضة على أسيادهم للمغول .

لذلك فإن أي رسول كان يأتي الى البلاط المغولي بدون هدايا ، وتقاديم للخان فإنه بعمله ذلك يضع نفسه في موضع مهين ؛ كما أنه يخاطر ببلاده لتصبح هدفاً للغزو المغولي . كما أن أي سفير أو رسول يحضر الى « قرا - قروم » بدون هدايا وتقاديم للخان ، فإن الاخير لم يكن ليسمح له بالدخول الى ديوانه ؛ أو أن يستقبلهم بالاحترام اللازم والمطلوب لكل سفير أو رسول[٣] .

وحول هذه المناسبة بالذات يروي لنا « جون بلانو الكربيني » أن جميع الوفود التي كانت حاضرة في البلاط المغولي آنذاك ركعوا جميعهم امام « كويوك خان » كعلامة الاستسلام المطلق . لم يستثنى من ذلك الواجب سوى « جون » وصديقه « بندكت البولندي » لأنهما لم يكونا من التابعين أو الرعايا للخان[٤] .

---

(١) جون الكربيني تاريخ المغول ، ص : ٢٦٢ ؛ الجويني ، جهانكشاي ، جـ ١/ص ٢١٢ ؛ ابن العبري ، تاريخ . ، ص : ٢٥٧ .

(٢) الجويني جهانكشاي ، جـ ١/ص : ٢٠٥ ، الترجمة الانجليزية ، جـ ١/ص : ٢٥٠

(٣) عن هذا الموضوع ، انظر : جون الكربيني ، تاريخ . ، ص . ص : ٥٤ - ٦٦ ؛ ورواية « الأخ بندكت البولندي » تحقيق دوسون ، ص . ص : ٧٩ - ٨٠ .

(٤) جون الكربيني ، تاريخ . ، ص : ٦٣ .

ومما يمكن استخلاصه ، من روايات المؤرخين ، في هذا الشأن ، فان القاضي الذي ذهب رسولاً من الخليفة ، قد شارك في الاحتفالات الرسمية التي اقيمت لتتويج الخان ؛ كما قام بتقديم الهدايا والتحف الثمينة المرسلة له من الخليفة . ونتيجة لذلك نجد أن الخان يستقبل القاضي بكل تقدير واحترام ، وذلك في مجلس الخان الرسمي ؛ كما أعطاه ضماناً رسمياً بحق المرور والسير آمناً في الاراضي المغولية ، ومرسوماً بلاغياً من الخان « **پيزا ويارليغ** » .

الا أنه في أثناء اقامة القاضي في « **قرا - قروم** » وصل الى الخان أخبار من الغرب أرسلها « **شيرامون بن تشرماغون** » (القائد السابق للقوات المغولية في الغرب) والذي يبدو أن « **شيرامون** » هذا كان أحد كبار الضباط المساعدين للقائد الحالي « **بايجونويان** » . وتفيد تلك الأخبار الخان عن عدم إخلاص خليفة بغداد في ولائه له . وفي الحال أصدر الخان أوامره بالقبض على رسول المستعصم وتجريده من الضمانات ، والبلاغ الرسمي ، التي منحها الخان له تكريماً وتشريفاً له ؛ كما أهين ، وشجب على ملأ من الناس . وقد أمر الخان القاضي بالانصراف ، بعد أن زوده برسالة غاضبة تهديدية الى المستعصم[1] .

والذي يظهر لنا انه من المحتمل أن جنود المغول المرابطين على الحدود الغربية ، عندما عرفوا أن الخليفة قد أرسل قاضيه الى خانهم في « **قرا - قروم** » احجموا عن غزو وانتهاك أراضيه ، فتركوا المستعصم يعيش في سلام ، وان كان لفترة قصيرة مؤقتة ، لمدة أربع سنوات تقريباً ، أي من سنة ٦٤٣ هـ الى ٦٤٧ هـ / ١٢٤٥ - ١٢٤٩ م . اذ لم يرد أي ذكر لغزوات مغولية ضد أراضي الخليفة طوال السنوات الاربع المذكورة .

ما أن سمع المغول بان القاضي ، الذي لم نعرف عن عودته شيئاً ، قد فشل في مهمته حتى استأنفوا غاراتهم المدمرة ضد أراضي حكومة بغداد . ففي

(١) الجويني جهانكشاي ، جـ ١/ص . ص : ٢١٢ - ٢١٣ ، الترجمة الانجليزية ، جـ ١/ص : ٢٥٨ ؛ رشيد الدين ، جامع التواريخ ، جـ ١/ص . ص : ٥٦٨ - ٥٧٠ ، الترجمة الانجليزية (خلفاء جنكيزخان) ص : ١٨١ ؛ جون الكريبيني ، تاريخ المغول . ، ص : ٦٢ ؛ ابن العبري تاريخ ، ص : ٢٥٧ .

سنة ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م جاءت الاخبار الى بغداد أن المغول قد هاجموا ونهبوا خانقين ، وتقدموا لنهب وتدمير المناطق الريفية المحيطة بها . استطاع الغزاة أن يذبحوا عدداً كبيراً من السكان ؛ وقد فر الكثير من الناس الى بغداد ، طلباً للحماية داخل أسوارها ، والتوسل الى ديوان الخليفة ومحاولة مساعدتهم ، ورد عادية المغول . وهنا تقدم المستعصم الى كبار ضباطه من المماليك ، وطلبهم أن يخرجوا لطرد المغول من العراق . ولكي يتجهزوا لحملة الخليفة الدفاعية هذه ، فقد خرج القادة العسكريون بقواتهم وخيموا خارج أسوار العاصمة . وتقول التقارير التي بين أيدينا أن السكان داخل بغداد ظلوا مرابطين، ليل نهار ، في الدكاكين والشوارع والطرقات ، استعداداً وتحسباً لهجوم المغول على المدينة نفسها .

كانت القوات ، التي خيمت خارج أسوار المدينة ، استعداداً للقيام بحملتهم لطرد المغول من العراق كما زعم قادتها ، تحت قيادة شرف الدين اقبال الشرابي ، الذي أرسل النجابة الى المناطق المنكوبة لجلب معلومات عن أماكن تواجد المغول . وبعد عدة أيام عاد النجابة بأنباء مفادها أن المغول قد رجعوا الى آذربيجان ، بعد أن قتلوا أعداداً كبيرة من سكان دقوقا ؛ واخذوا معهم عدداً من الأسرى ، وبعد أن انتهكوا أعراض الشباب من الرجال ، وارتكبوا من النساء الفواحش . وما أن سمع الشرابي بهذه الاخبار بعودة المغول الى قواعدهم حتى أمر جيشه بتقويض خيامهم ، والعودة الى المدينة . وهكذا عاد الشرابي ودخل المدينة ، حتى دون أن يحاول الدهاب الى المناطق المنكوبة ، لمواساة المصابين أو المساعدة في دمل جراح أهلها ، التي ادمتها الغزوات المغولية بين حين وآخر ؛ كما لم يحاول ملاحقة الغزاة ، أو أن تقوم بعض قواته بالمرابطة على حدود أراضي الخلافة للتصدي لهجمات مغولية أخرى .[1] .

اما فيما يخص العلاقات السياسية بين الخلافة في بغداد وخانات المغول في « قرا ـ قروم » في هذه السنوات التي نتكلم عنها ، فإن ابن الفوطي يروي لنا في

---

(١) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة . ، ص . ص : ٢٤١ ـ ٢٤٢

تاريخه أنه في سنة ٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م ذهب تاجر ، اسمه مقلد بن احمد الخردادي ، الى خراسان ، وهناك تفاوض بشأن خطة للسلام مع من سماهم المؤلف بـ « **ملوك المغول** » . ويذهب ابن الفوطي الى القول بأن رجل الاعمال هذا ذهب أيضاً الى « **السلطان كويوك خان** » في محاولة للتفاوض معه ، والوصول الى تسوية سلمية بين الخان وخليفة بغداد . وقد عاد التاجر الى بغداد ، قادماً من العاصمة المغولية وبصحبته سفير مرسل من قبل السلطان « **كويوك خان** » . ثم عادا بعد ذلك الى الخان ومعهما هدايا وتحف ثمينة له[١] .

رغم رواية ابن الفوطي هذه ، فانها لمفارقة تاريخية خاطئة أن نقول بما قاله ابن الفوطي ، من أن الخردادي ، رسول المستعصم ، قد قابل « **كويوك خان** » في سنة ٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م ؛ لان هذا الخان كان قد مات منذ ثلاث سنوات مضت ، أي في سنة ٦٤٦ هـ/١٢٤٨ م ؛ وأن « **منكوقا آن** » كان قد توج خاناً في منصب الخانية المغولي الكبير قبل سنة تقريباً .

ومع هذا فيمكن القول أن هذا الرسول ـ الخردادي ـ الذي ذكره ابن الفوطي ، ربما كان هو نفس الرجل الذي رآه « **القس وليم الربركي** » في « **قرا ـ قروم** » ، عندما كان هذا المبعوث الاوروبي حاضراً في بلاط « **منكوقا آن** » في سنة ٦٥٢ هـ/ ١٢٥٤ م ؛ والذي أورد لنا ذكره في كتابه الذي كتبه عن رحلته الى منغوليا . فيروي لنا « **القس وليم الربركي** » انه في أثناء آخر مقابلة له مع « **منكوقا ان** » في ربيع الاول سنة ٦٥٢ هـ / مايو ـ يونية عام ١٢٥٤ م شاهد رسول الخليفة . وهنا يقول « **القس** » : ـ « **في ذلك الوقت رأيت رسول خليفة بغداد هناك ، وكان هو نفسه قد حُمِلَ الى بلاط الخان في محفة بين بغلين ، وقد قاد هذا العمل البعض الى القول ان الخان وافق على أن يسالمهم ، شريطة ان يقوموا بتزويده بجيش مكون من عشرة آلاف فارس . كما ذهب آخرون الى القول بأن « منكو » اعلن انه لن يعمل معهم سلاماً ما لم يقوموا بهدم وبتدمير تحصيناتهم ؛ الا**

---

(١) المرجع السابق ، ص : ٢٥٩

أن الرسول جاوبه قائلاً : « عندما تقوم بسحب جميع حوافر خيولكم ، سوف نقوم بتدمير تحصيناتنا »[1] .

يتحدث ابن الفوطي عن هذا التاجر ، الخردادي ، فيقول بأنه كان يملك ثروة طائلة ؛ فقد أعطى ابنة عمه مائة ألف دينار صداقاً لها . ثم يضيف المؤرخ قائلاً بأنه لم يسبق أبداً لأي فرد أن سمع بأن مبلغاً هائلاً كهذا قدم كصداق من أي انسان ، سوى من الخلفاء والملوك .[2] .

هذا الغنـــى المفرط الذي كان يتمتع به الخردادي ، ربما يفسر لنا حقيقة حمل رسول المستعصم الى بلاط « القا آن »في محفة ، هذا احتمال . كما أن هناك احتمال آخر وهو أنه ربما كان الخردادي مريضاً جداً ، ولم يكن ليطيق السير عندما أخذ في حالة وحمل بها الى بلاط الخان ؛ لان ابن الفوطي يروي لنا أن الخردادي مات في نفس تلك السنة أي في سنة ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ م[3] .

ويمكن تفسير مسألة سعي الخردادي ومحاولة ايجاد سلام بين الخليفة والخان ، كما يقول ابن الفوطي ، هو أن الخليفة نفسه هو الذي أرسله . لأنه كما رأينا سابقاً ، قد أهين قاضيه ورسوله الذي أرسله الى « كويوك خان » كما تلقى هو نفسه رسالة غاضبة من الخان ؛ حيث تهدده وتوعده فيها بنتائج وعواقب وخيمة . وقد نتج عن ذلك استئناف المغول لغاراتهم المدمرة ضد أراضيهم . لذلك قام المستعصم بايفاد الخردادي الى الخان المغولي الذي قابل « القا آن الجديد منكَو » .

ومع هذا ، وكما روى لنا « القس وليم الربركي »، فان « منكَوقا آن » رفض أن يسحب قواته التي كانت ترابط جاثمة على حافة الحدود الشرقية من اراضي الخلافة العباسية ، لأنه لا يمكن أن يتوصل الخان الى سلام مع أي شعب من الشعوب ما لم يخضع خضوعاً تاماً لسلطاته المطلقة . ثم نجد أن « القا آن » ، بالاضافة الى ذلك ، يطالب الخليفة بأن يقوم بتدمير تحصيناته ،

---

(١) وليم الربركي ، رحلة ، تحقيق دوسون ، ص ص ٢٠١ ـ ٢٠٢

(٢) ابن الفوطي ، الحوادث . ، ص : ٢٥٩ .

(٣) ابن الفوطي ، الحوادث . ، ٢٥٩ .

والتي كانت تعني بالضرورة أسوار بغداد . حيث كان « **القا آن** » علىٰ علم تام بان مثل تلك التحصينات قد تعيق وتعطل قواته ، التي كانت تحت قيادة أخيه الأصغر (هولاكو خان) من أن تحتل المدينة العظيمة بسرعة ؛ ودون ان تكلف المغول خسارة في الأرواح . فالمغول، كما يقول عنهم الرحالة « **القس الاوروبي** » المعاصر : « **أبداً لا يأخذون أي بلد بالقوة إنهم استطاعوا أخذه بالمكر والخداع ؛ وانه عندما يتوصل الرجال معهم الى سلام ، فإنه تحت ستار ذلك السلام يقومون بتدميرهم** »(١)

ولقد كان هذا هو مفهوم المغول لمعنى السلام لديهم . ثم نجد أن « **القا آن** » يأمر الخليفة بأن يقدم له ، او بالأحرى لأخيه ، كتيبة عسكرية لتلتحق بالقوات المغولية ، وتنضم الى صفوفها ، ضد قلاع طائفة الاسماعيلية القوية ؛ فان تقديم قوات ، من قبل أي حاكم الى المغول ، تعني التبعية لهم . لذلك فقد كان الخان المغولي يرى أن الخليفة واحد منهم . وكما سيرد معنا في الفصل الرابع من هذا الكتاب باذن الله ، سنرى أن هذين الشرطين (تدمير تحصينات واسوار بغداد وارسال مساعدة عسكرية للمغول) هما الشرطان الأساسيان اللذان أرسلهما هولاكو خان الى الخليفة المستعصم ، مطالباً اياه بتنفيذها لكي يتأكد من ولائه لسلطات المغول في « **قرا ـ قروم** » .(٢)

تركت القوات المغولية المرابطة في الغرب بقيادة « **بايجونويان** » المنطقة تعيش في سلام مرة اخرى لمدة تقرب من ثلاث سنوات . الا انه في سنة ٦٥٠ هـ / **١٢٥٢** م نجدهم يشقون طريقهم الى الغرب من أراضي إقليم بلاد الجبل ، ويهاجمون الأكراد . كما قامت قوة مغولية اخرى بالهجوم على اراضي اقليم بلاد الجزيرة ؛ فقتلوا ، ودمروا ، ونهبوا . وفي أثناء رحلة العودة الى قواعدهم ، باغتوا قافلة تجارية قادمة من آسيا الصغرى ، في طريقها الى بغداد ، في كمين نصبوه لها ؛ فقام المغول بقتل أصحابها الى آخر رجل منهم ، وتملكوا جميع ما كانوا يملكون في تلك القافلة .

(١) وليم الربركي ، رحلة . ، تحقيق دوسون ، ص . ص : ١٨٧ ـ ١٨٨ .

(٢) عن هذا الموضوع انظر آخر الفقرة (١ من قسم أ) من الفصل الرابع من هذا الكتاب.

وتذكر الروايات أن نائب الخليفة على اربل ، ابن الصلايا ، قد اسرع باخبار حكومته في بغداد بهذه الغارة المغولية في مبدأ أمرها ؛ إلا أنه لم يرد أي ذكر يفيد أن المستعصم ، أو أي واحد من ضباط حكومته ، قام بأي عمل ؛ أو حاول أن يعمل شيئاً ما ضد غزوة المغول هذه . فأصبحت خلافة بني العباس كالشاة التي احاطت به الذئاب ، لا تدري ماذا تفعل ، فتشنجت من الهلع .[1] .

وعلى ما يظهر لنا ، فقد كانت هذه الحملة المغولية آخر غارة يقومون بها ضد أراضي حكومة بغداد والجزيرة ، قبيل مجيء هولاكو خان الى المنطقة في سنة ٦٥٥ - ٦٥٦ هـ / ١٢٥٧ - ١٢٥٨ م .

---

(١) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة . ، ص . ص : ٢٦٠ - ٢٦١

الفصل الثالث

٣ ـ فترة حكم الخليفة المستعصم

خلف المستعصم والده المستنصر، بعد وفاة الأخير في سنة ٦٤٠ هـ/ ١٢٤٢م، وقد كان سقوط الأسرة العباسية نهائياً في عهده؛ حيث كان ذلك في سنة ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م. وقد وصفت مراجعنا المستعصم بأنه ضعيف، غير كفء لمنصب الخلافة، مستضعف؛ وغير خبير بمهام الأمور، فلم يعرف عنه، أبداً، ما يدل على حسن ادارة لدولته، طوال فترة الست عشرة سنة التي قضاها في منصب الخلافة. وقد وصفه ابن الطقطقا بما يلي: **«كان المستعصم رجلاً خيرا متديناً لين الجانب سهل العريكة عفيف اللسان، حمل كتاب الله تعالى وكتب خطاً مليحاً، وكان سهل الأخلاق، وكان خفيف الوطأة، الا انه كان مستضعف الرأي ضعيف البطش قليل الخبرة بأمور المملكة مطموعاً فيه غير مهيب النفوس ولا مطلع على حقائق الأمور. وكان زمانه ينقضي أكثر بسماع الأغاني والتفرج على المساخرة، وفي بعض الأوقات يجلس بخزانة الكتب جلوساً ليس فيه كبير فائدة . . . .»**[(١)].

لم يكن وصف المستعصم بتلك الأوصاف، وخاصة حبه للموسيقى وولعه بجمع المغنين والمغنيات، والراقصين والراقصات، مقصوراً على مراجعنا الاسلامية فحسب، بل أن شغفه وحبه الشديد لهذه الأشياء قد وجد له صدى حتى في المراجع الصينية، التي روت فيما روته عن هذا الخليفة ـ أن سماعه للموسيقى كان يخفف الام صداع رأسه[(٢)].

---

(١) ابن الطقطقا، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، بيروت ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦م ص: ٣٣٣، الترجمة الانجليزية لـ «س. أي، وتنك»، لندن، ١٩٤٧، ص: ٣١٩.

(٢) ترجمة حياة كُوكِش، ترجمها الى الانجليزية بريتسكنيدر، بحوث . ، جـ ١/ ص: ١٤٠.

ونجد للمستعصم وصفاً من هذا القبيل في كتابات مؤرخين آخرين عرب ، وغير عرب[1]. ومع ذلك ؛ كانت الظروف الراهنة والمحيطة بالخلافة العباسية آنذاك قد جعلت الخليفة عاجزاً كل العجز حينما جاء الى كرسي الخلافة خلفاً لوالده . فقد اختير المستعصم ، بصورة متعمدة، من بين أضعف شخصيات أفراد البيت العباسي ؛ وذلك لكي يتمكن رجال، وحاشية بلاط الخلافة في الاستمرار في هيمنتهم،وتحكمهم في جميع الشؤون المتعلقة بالدولة .

كانت الكيفية التي اختير فيها المستعصم والطريقة التي نصب بموجبها على الخلافة ترينا بوضوح تام كيف كانت قوة الحاشية، ومدى سيطرة رجال البلاط على كافة مقدرات الحكم . إذ أنه بعد أن توفي الخليفة المستنصر ـ والذي لم تعرف أسرته عن وفاته شيئاً إلا بعد مضي ما يقرب من ثمان وأربعين ساعة ـ جاء شرف الدين إقبال الشرابي ، وكان يعتبر أكبر رجل في البلاط ، الى المستعصم بصفة سرية وهو في بيته ، واطلعه على وفاة والده ؛ كما قدم اليه التعازي . ثم طلب منه أن يقبل أن يكون خليفة ، فقبل المستعصم ذلك المنصب . الا أن أقرباءه رفضوا الانصياع بقبوله أن يكون خليفة ؛ وذلك لمعرفتهم التامة بضعف شخصيته ، وبعدم لياقته ؛ وأنه لم يكن كفوءً للمنصب الذي اسنده اليه الشرابي. كما رفضوا أن يبايعوا له بالخلافة. وتحت ضغوط رجال البلاط أخذ كل فرد ، تقريباً من أفراد البيت العباسي ، بمفرده الى حضرة المستعصم لكي يبايع، والادعاء له أن البقية قد بايعوا له بالخلافة. وقد أخذ كل

(١) ابن العبري تاريخ . ، ص: ٢٥٤ ؛ أبو الفدا ، المختصر . ، جـ ٣/ ص: ١٩٣ ؛ العمري ، ابن فضل الله شهاب الدين يحيى ، مسالك الابصار في ممالك الامصار ، مخطوطة رقم : ٣٤١٥ . ، ٣٤٣٩ ، أيا صوفيا، مكتبة السليمانية باسطانبول، جـ ١١/ ورقة : ١٤٥ ب ؛ الذهبي، تاريخ . ، مخطوطة، جـ ٢٠/ ورقات : ٢١٠٠ ب ـ ٢١١أ ، دول الاسلام ، حيدر آباد ، ١٣٣٧ هـ ، جـ ٣/ ص.ص: ١١١ ـ ١١٩ ؛ ابن حماد، قوت الأرواح وياقوت الارباح مخطوطة رقم: ٢٢٠٢ (أسعد) السليمانية، اسطانبول، ورقة : ٩٥ ب ؛ النويري، نهاية الأرب . ، جـ ٢١/ ورقة : ٩٨ ب ؛ ابن شاكر محمد الكتبي، فوات الوفيات، القاهرة، ١٩٥١م، جـ ١/ ص: ٤٩٠ ؛ الاربلي ، عبد الرحمن، خلاصة الذهب المسبوك ، مختصر من سير الملوك، بغداد ، ١٩٧١م، ص: ٢٩١ ؛ ابن الفوطي، الحوادث . ، ص.ص: ١٥٩ ـ ١٦٠ ؛ اليونيني، قطب الدين محمد بن أحمد ، ذيل مرآة الزمان ، تحقيق دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد ، ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٤م، جـ١/ ص: ١٥٥ .

من رفض أن يبايع الى سجن خاص ، فحبسوا ومنعوا من الشراب والطعام حتى شارفوا على الهلاك . وأخيراً خضعوا لأوامر رجال البلاط، وعلى رأسهم الشرابي، فبايعوا مكرهين[1].

كانت فترة حكم الخليفة المستعصم نهاية لفترة طويلة ، كانت السلطة الحقيقية خلالها في أيدي رجال الحاشية والبلاط . الا أن الحالة ازدادت سوءً أيام هذا الخليفة بحكم ضعفه، وعدم كفاءته للمنصب الخطير الذي تربع عليه ؛ حيث كان الأمر خطيراً جداً لكون مجيئه الى عرش الخلافة متواقتاً مع المشاكل، والأزمات المستعصية ، التي سببها الغزو المغولي الشامل ضد أراضي جنوب شرقي آسيا . هذا بالاضافة الى ما كانت الخلافة تعانيه من مشاكل داخلية اجتماعية ـ بعضها يكاد يكون مستعصية الحل ، مثل القتال الطائفي والمذهبي ؛ الى جانب معاناة الخلافة من مصاعب أخرى : اقتصادية، وادارية وعسكرية .

وفيما يلي استعراض مركز، ومختصر جداً لبعض هذه المشاكل، لنطلع سوية على مدى ما وصلت اليه شؤون هذه الخلافة المتداعية من سوء، وأن زوال خلافة بني العباس على أيدي المغول ، أو ربما كان على يد أي غاز آخر ، لم يكن الا تحصيل حاصل .

---

(١) ابن الفوطي، الحوادث .، ص.ص: ١٥٥ ـ ١٦٠، ٣٠٨ ؛ الاربلي، خلاصة . ، ص: ٢٩٠ ؛ النخجواني، هندوشاه النخجواني بن سنجر بن عبد الله صاحب الكيرواني ، تجارب السلف ، تحقيق عباس إقبال ، طهران، ١٣١٣هـ ش، ص.ص: ٣٥٤ ـ ٣٥٥.

الصراع الطائفي والمذهبي

على الرغم من أن المجتمع البغدادي كان مكوناً من أناس ينتمون الى أتباع الديانات السماوية الثلاث الرئيسية : الإسلام، والمسيحية، واليهودية، فاننا نجد أنه لا المسيحيين ولا أتباع الديانة اليهودية هم الذين تسببوا في اثارة المشاكل، أو الصعاب ، أمام السلطة الحاكمة ؛ أو أنهم كانوا في يوم من الأيام عامل خطر ضد أمن الدولة أو سلطتها . ولقد جاءت مشاكل الدولة على الأصح من المسلمين أنفسهم ، فقد اثاروا الاضطرابات، واختلال الأمن والنظام داخل مدينة بغداد ؛ حتى جاء يوم خشي كل فرد على نفسه وأهله وممتلكاته .

والإسلام، كما نعلم، ينتمي اليه طوائف متعددة ذات نحل ومشارب مختلفة في الفروع ، إذ كان أتباع المذهب السني ، والذي كان يتفرع الى مذاهب أربعة أخرى (الحنبلي، والحنفي والشافعي والمالكي) وأتباع المذهب الشيعي بصورة عامة هم الغالبية الكبرى ، وأصحاب الغلبة والسيطرة في المجتمع البغدادي .

وعلى الرغم من أن سكان المدينة كانوا مختلطين بشكل عام ، ومنتشرين في طول العاصمة العباسية وعرضها ، الا أننا مع ذلك نجد أن بعض المناطق السكنية فيها قد أصبحت أماكن تجمع ينتمي سكانها الى فئة خاصة من أتباع مذهب معين من تلك المذاهب الاسلامية المختلفة . فأتباع المذهب السني كانوا يتمركزون بصورة رئيسية في الأحياء السكنية التالية : في حي باب الأزج ، وفي حي السلطان ، وفي حي مشهد أبي حنيفة ، والواقعة في الجزء الشرقي من المدينة ـ وفي حي الحربية الواقع في الجزء الغربي منها ـ وفي حي باب البصرة ، وفي حي قُطُفْتَا. أما أتباع المذهب الشيعي فقد كان بعضهم يسكن في أحياء

خاصة بهم: لعل أهمها : حي الكرخ ، وحي المختارة، وحي الخضرية وحي موسى الكاظم ، وفي أحياء أخرى صغيرة منتشرة هنا وهناك داخل بغداد(١).

لقد كانت التوترات والخلافات تنشب بين طوائف أتباع المذهب السني أنفسهم، فكانت هذه الخلافات تتطور أحياناً الى قتال عنيف بينهم ، في داخل العاصمة بغداد. كما كان يقع في خارجها أيضاً . الا أنه مع هذا ، كان القتال، والخلافات والنزاعات التي لم تكد تنقطع إلا لتبدأ مرة أخرى من جديد ، أعنف من ذي قبل ، بين أتباع المذهب الشيعي، واخوانهم أتباع المذهب السني ؛ فكانت الحوادث من هذا القبيل تحصل في بغداد يومياً(٢).

وصل ذلك الصراع قمته ايام خلافة المستعصم ، كما عم ضرره وانتشر بلاؤه حتى شمل أتباع كل مذهب في داخل بلاط الخلافة ذاته ؛ فانقسم كبار موظفي الدولة تبعاً لذلك ، الى مجموعة سنية ، يتزعمها مجاهد الدين أيبك الدوادار الصغير ـ والذي أصبح قائداً عاماً للمماليك الذين كانوا يكونون الأغلبية الساحقة في جيش الخلافة في بغداد طوال السنوات الأخيرة من عمرها ، والى مجموعة أتباع المذهب الشيعي تحت زعامة الوزير مؤيد الدين أبي طالب محمد بن أحمد بن العلقمي(٣).

لقد اقتصرت على إيراد حادثة أو حادثتين من هذا النوع ، من النزاع الطائفي، لنلقي بعض الضوء على الواقع المحزن والأليم ؛ وعلى الوضع المضطرب الذي كانت تعيشه بغداد ، ويجد صداه في بقية أراضي الخلافة أيام هذا الخليفة الضعيف . فانه بعد أن تولى المستعصم منصب الخلافة بوقت قصير في سنة ٦٤٠ هـ/١٢٤٢م، اندلع النزاع مرة أخرى بين حيين من الأحياء، التي يسكنها أتباع المذهب السني ، حي سوق النظامية وحي باب البصرة ، من

(١) ابن الأثير، الكامل. ، جـ ٩/ ص: ١٧٢؛ سبط بن الجوزي، مرآة. ، ٨ ، جـ ٢/ ص: ٣٠٩ ؛ ابن الساعي، المختصر. ، جـ ٩/ ص.ص: ١٤٦ ـ ١٤٩ ؛ ابن الفوطي ، الحوادث . ، ص.ص: ٣١، ٢٩٨ ، ٢٩٩، ٣١٤.

(٢) حول هذا الموضوع، انظر : ابن الأثير، الكامل . ، جـ ٩/ ص.ص: ٩٢ ، ١١٤، ١٧٤، ٢٥٠ ، في داخل وخارج بغداد على السواء .

(٣) حول هذا الشأن : أنظر التفاصيل في الفصل الخامس من هذا البحث .

ناحية، وبين سكان حي المأمونية (أو الميمونية) وهم أهل الشيعة من جانب آخر. وقد نتج عن هذا الصراع والقتال الدامي نهب الدكاكين والمحال التجارية، وتكبد الطرفان عدداً من القتلى والجرحى. بعدها ازدادت الاضطرابات تدريجياً، فانتشرت حالة الفوضى والاضطراب نتيجة فقدان الأمن، وقلة وضعف جهاز الحكم، الذي لم يستطع معه فرض القانون والنظام.

ولقد أصبحت المشكلة أكثر تعقيداً عندما تدخل جنود رسميون، أرسلوا من قبل الجهاز الحاكم، ليوقفوا القتال، فانحازوا مع اهل السنة ضد أتباع المذهب الشيعي.

ربما كان القتال الطائفي، الذي نشب في سنة ٦٥٣ هـ - ٦٥٤ هـ/ ١٢٥٥ - ١٢٥٦م أكبر نزاع مسلح - أدمى القلوب - شاهدته مدينة بغداد، بين هاتين الطائفتين المتحاربتين. فالمؤرخ ابن الفوطي يروي لنا، في كتابه «الحوادث الجامعة» والذي يعتبر سجلاً يومياً لحوادث بغداد خلال سنواتها الأخيرة كعاصمة للعباسيين - أنه اندلع في هذه السنة قتال، كالمعتاد، بين سكان حي باب البصرة - وهو حي يسكنه أناس من أتباع المذهب السني - وبين سكان حي الكرخ - والذي كان سكانه من أتباع المذهب الشيعي.

لقد ازداد القتال حدة، واشتعل أوار الفتنة عندما أرسلت الدولة مجموعة من العسكر، أو بالأحرى؛ أرسل الدوادار الصغير مجموعة من أتباعه المماليك، ليحولوا دون وقوع سفك دماء أكثر. الا أن أولئك المماليك، وكما هي عادتهم، تحيزوا، سعياً وراء مصالحهم الشخصية، فأخذوا جانب أهل السنة ضد طائفة المذهب الشيعي، وكنتيجة لهذا القتال، الذي اشترك فيه عسكر يمثل السلطة القائمة، فقد أسفر عن أعداد كبيرة من القتلى والجرحى؛ ويضيف ابن الفوطي قائلاً بأن القتال كان ينشب بين حين وآخر طوال أشهر تلك السنة بين أتباع هذين المذهبين المتنافسين، في مختلف أحيائهم المتناثرة في طول المدينة وعرضها[1]. ثم يضيف المؤرخ نفسه قائلاً بأن رجلاً (لم يسمه لنا)

---

(١) ابن الفوطي، الحوادث..، ص. ص: ٢٩٤ - ٢٩٥، ٢٩٨ - ٢٩٩، ٣٠٣ - ٣٠٤.

من سكان حي الكرخ الشيعي قتل رجلاً آخر من سكان حي قُطَفْتَا السني ، نتيجة لثأرات طائفية قديمة بينهم . ولكي تمنع الدولة من نشوب القتال بين سكان المنطقتين المتنازعتين ، قامت بارسال جنود من قبلها للمحافظة على الأمن ، وفرض النظام داخل الحيين ، في هذه المدينة المضطربة . الا أن مجموعة كبيرة من عامة الشعب ، ورعاعه التحقوا باولئك العسكر فعمدوا قاصدين سكان حي الكرخ الشيعي، فنهبوا المنازل ؛ وهتكوا أعراض النساء ؛ وارتكبوا في حق أهل هذا الحي شناعات ، وكبائر تقشعر لها الأبدان لو كانت ضد أعداء خارجين، فما بالك وقد ارتكبها مسلمون ضد إخوان لهم مسلمين[1].

(١) المرجع نفسه ، ص.ص: ٣١٤ - ٣١٥. انظر ايضاً : الجوزجاني، طبقات . ، جـ ٢/ص: ١٩١ ، الترجمة الانجليزية جـ ٢/ ص: ١٢٣٢ ؛ ابن كثير، ابوالفدا، اسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، بيروت ١٩٦٧م، جـ ١٣/ ، ص: ٢٠١ ؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، العبر، وديوان المبتدأ والخبر . ، بيروت ١٩٥٧ م، جـ٣/ ٥ ، ص: ١١٠٥ ؛ العمري ، مسالك ، مخطوطة، جـ ١١/ ، ورقة، ٥٣ ب - ٥٥ ب ؛ رشيد الدين، جامع التواريخ ، جـ ٢/ص.ص: ٦٩٨ - ٦٩٩ ، الترجمة العربية، لنشأت وآخرين ، بيروت، ١٩٦١م، جـ ٢/ص.ص: ٢٦٢ - ٢٦٤ ؛ ميرخواند ، روضة . ، جـ ٥/ ص.ص: ٢٣٦ ٢٣٧ . لعدم مقدرة الدولة على القبض على زمام الأمور. انظر ابن الفوطي، الحوادث . ، ص.ص: ٢١٨ ، ٣٠٤، ٣١٨.

المشاكل الاقتصادية

لقد مرت فترة حكم بني العباس على كوارث اقتصادية كانت تجتازها الدولة ، وان كان ذلك بصعوبة بالغة ؛ الا أن الحالة بلغت أوجها أيام حكم الخليفة المستعصم. ولعل إيراد مثال واحد لهذه الكوارث يكفي للاستدلال الى ما نحن بصدده ؛ إذ أن حكم هذا الخليفة شاهد أعنف الكوارث الطبيعية، لم تعرف الخلافة العباسية أشد ضرراً منها في طوال تاريخها، وخاصة في السنوات الست الأخيرة من عمر هذه الأسرة ؛ بحيث أصبح من المتعذر على الدولة أن تقوم بعلاجها. فكانت هذه الكوارث تسبب دماراً للمحاصيل الزراعية . وكنتيجة حتمية كان يقع نقص في تموينات المواد الغذائية، فترتفع الأسعار بصورة غير مقبولة[1].

كما أن كثرة الأمطار ، والمصحوبة في كثير من الأحيان بِبَرَد ، يتلف الزراعة ، ويأتي على منتوجات الفواكه والخضار ؛ وقد كانت هذه الأمطار تستمر أحياناً لمدة أيام دون توقف . فتنتج عنها كثرة الفيضانات، التي كانت تحصل في كل موسم فصلي تقريباً. ورغم أن هذه الفيضانات كانت تحصل في أيام الخلفاء السابقين، في فترات من السنوات الماضية ، الا أن اهمال نظام الري والصرف الزراعيين، وانهيار سد العظيم وسد نمرود ـ الواقعة على نهري العظيم ودجلة ـ في سنوات الخلافة الأخيرة ، جعل الحالة أكثر سوءً ،وأبعد أضراراً عما كانت عليه سابقاً ؛ فانهارت المنازل ، على اختلافها صغيرة كانت أم كبيرة ؛ ودمرت كذلك المباني الحكومية ؛ والمساجد، وقصور الخلفاء ؛ وأتلفت الطرقات والقناطر

(١) ابن الفوطي، الحوادث . ، ص.ص: ٢٠٢، ٢١٨ .

والسدود . فكان ينتج عن ذلك أعداد كبيرة من الضحايا ؛ كما كانت أعداد هائلة تضطر مرغمة على هجر منازلهم ، التي أصبحت شبه خراب .

وحول هذا الموضوع يقول ابن الفوطي بأنه في سنة ٦٥١ هـ/ ١٢٥٣م زادت دجلة زيادة عظيمة غرقت بها كثير من مزروعات بغداد، وغيرها؛ وتواترت الغيوث حتى أن الماء في الدروب أصبح كالغدران . وفي سنة ٦٥٢ هـ/١٢٥٤م وقع ببغداد وأعمالها غيث كثير ، تبعه بَرَدٌ كالبندق ، وأظلم الجو ، فزادت دجلة عقب ذلك وغرقت كثير من الزروع ، وزادت الفرات زيادة عظيمة غرقت عانة ، والحديثة، والفلوجة ؛ وانفجرت السدود الفراتية جميعها وغرقت الزروع . وفي سنة ٦٥٣ هـ/ ١٢٥٥م وقعت غيوث كثيرة بالموصل، وبغداد وزادت دجلة زيادة عظيمة غرقت الكوفة وأعمالها وأحاط الماء بجامعها وبلغ النجف ، ثم هبت ريح عاصفة القت زيادة عن ثلاثة الآف نخلة من نخيل الكوفة، وأتلف بالغرق نحو سبعين ألف نخلة ،والتقى ماء دجلة والفرات .

ويردف ابن الفوطي القول بأنه في هذه السنة اتفقت أمور عجيبة وحوادث غريبة منها الغرق العام الذي خرب أكثر بغداد ، لا سيما دار الخلافة والدور الشطانية من الجانبين ، وانتقال الناس من دورهم، وتضاعفت أجرة السكن الشعثة في أطراف البلد ، وغلت الأسعار وتعذرت الأقوات ، وغرقت نواحي دجيل ونهر عيسى ونهر الملك ، والأعمال الفراتية وعانة والحديثة، وهيت ، والأنبار ، والحلة، والكوفة، وقوسان، وذهبت الزروع وتلفت الأشجار وتهدمت الجوامع والمساجد كجامع المنصور ، وربط كثيرة ، وجامع المهدي بالرصافة والعديد من الجوامع والمساجد الأخرى، وقيل أن رجلاً تصدى، وهو ثقة ، (لم يذكر المؤرخ إسمه) لاثبات ما تهدم من الدور في الجانبين ـ وكان مبلغها اثني عشر الف دار وثلاثمائة ونيفاً وسبعين داراً . ثم يذكر ابن الفوطي أن غرق سنة ٦٥٤ هـ/ ١٢٥٦م كان أسوأ بكثير، إذ أن المياه أحاطت ببغداد ـ مثلاً ـ وغرق جانباها ، وهدم دور كثيرة، وامتلأت أسواق الجانب الشرقي ، وخرج الماء من حيطان الدور والمنافذ ، والآبار ، والبلاليع ، وامتلأت دار الخلافة، وقد انتقل

من بها الى الغرف العلوية والسطوح، وتعذر الوصول الى دار الخليفة الا في سفينة، أو سباحة . . الخ . ثم يقول بأن نهر الفرات زاد ، وغرقت عانة ، والحديثة، وهيت، والحلة وغيرها[1].

(١) عن هذا النوع من المشاكل، انظر: ابن الفوطي ، الحوادث ، ص.ص: ١٨٦ ـ ١٨٧ ، ٢٢٦، ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٧٣ ـ ٢٧٨ ، ٣٠٣ ـ ٣٠٤، ٣١٧ ـ ٣١٩ ؛ اليافعي، ذيل . ، جـ ٤/ص: ١٣٥ ؛ الذهبي، تاريخ . ، مخطوطة ، جـ ٢٠/ورقة : ٢٠٨ ب ؛ وعن فيضانات بغداد ، انظر . صوصه ، احمد، فيضانات بغداد في التاريخ ، بغداد ، ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣م وخاصة صفحة: ٣٤٢.

المشاكل داخل الجهاز الاداري

بالإضافة الى ما كانت تعانيه الخلافة العباسية في خلال سنوات عمرها الأخيرة من مشاكل الصراعات والحروب الطائفية الدينية الداخلية ، كانت هناك مشاكل أخرى أكثر خطورة . فكان منها ، ما كانت تعانيه، من حالة سيئة يرثى لها ، داخل الجهاز الإداري في فترة حكم المستعصم . إذ كان هذا الجهاز مشلولاً تماماً ؛ وذلك نتيجة للانشقاق، والحزازات الشخصية، ثم النزاعات التي كانت تقع بين كبار موظفي الدولة الرسميين، بزعامة الوزير من جانب واحد والدوادار الصغير من ناحية ثانية .

كان الدوادار الصغير أصلاً رئيساً للشؤون السكرتارية. وكنتيجة لمركزه الاداري ذلك ، كان من المفروض أن يصبح مرؤوساً للوزير ؛ وبحكم منصب ابن العلقمي ، كوزير للخلافة، كان من المتبع أن يكون أكبر رجل في الجهاز الحكومي بعد الخليفة . ومع هذا فلم يكن كذلك ؛ إذ تحدى الدوادار الصغير سلطة خصمه بالقوة. وقبل أن يصبح رئيساً في الشؤون السكرتارية كان، الدوادار واحداً من الأتراك المماليك التابعين للخليفة المستنصر . فكان يلي منصباً معيناً ، ثم يترقى بصورة تدريجية الى منصب أعلى منه ؛ حتى أصبح يشغل منصباً كبيراً أيام الخليفة المستعصم، فخدم في منصب كبير الكتاب، ثم رئيساً ، أو أميراً لقافلة الحجاج الى مكة المكرمة . وعندما توفي ابن بلده الأصلي، شرف الدين اقبال الشرابي ، في سنة ٦٥٣ هـ/١٢٥٥م تولى الدوادار الصغير بعده قيادة الاتراك المماليك ؛ الذين كانوا يمثلون الأغلبية العظمى لقوة حكومة العباسيين ، في خلال السنوات الأربع الأخيرة من تاريخ حياتها . وكنتيجة حتمية لهذا المنصب فقد أصبح الدوادار الصغير منافساً خطيراً للوزير ابن العلقمي ،

ومتحدياً لسلطته ؛ والذي ـ كما قلنا ـ كان مفروضا أن يكون على قمة الهرم الاداري بعد الخليفة .

ولسوء حظ المستعصم والخلافة العباسية معاً ، فقد كان كل واحد من هذين المسؤولين الكبيرين ينتمي الى طائفة مذهبية ، ليس فقط مختلفة عن الأخرى في مذهبها ، بل ومتنافرتين ومتعاديتين؛ فالدوادار ينتمي الى المذهب الحنبلي ، بينما كان الوزير ابن العلقمي واحداً من الأعضاء المخلصين للمذهب الشيعي . لذلك ، فقد كانت عوامل الحسد المشترك بينهما ، والتنافس العدائي المستحكم ، هي التي سادت العلاقة بين ذلك الرجلين الكبيرين من رجال بلاط حكومة بغداد . وقد كان كل واحد منهما يعارض الآخر في كل مسألة من المسائل الادراية [1] .

وقد ازدادت علاقتهما العدائية سوءً ، وتوتراً بذلك الصراع والقتال الدامي ـ الذي لا يكاد ينقطع حتى يبدأ من جديد ، وعلى أشد ما يكون ـ خارج البلاط بين طائفتي الشيعة والسنة . ولسوء حظ الخلافة فقد كانت قيادة المماليك ، الذين كان يتكون منهم أغلبية قوة الخليفة العسكرية ، تحت زعامة الدوادار الصغير ؛ فكان يقوم باصدار أوامره الى أتباعه من المماليك ، ليقوموا بمعاقبة أتباع المذهب الشيعي في مختلف أحيائهم السكنية . فقد ضُرِب أتباع المذهب الشيعي ، وأهينوا من قبل أولئك المماليك ؛ فكان رد فعل الشيعة عنيفاً نتيجة لذلك ، حيث هاجموا اخوانهم من أتباع المذهب السني في أحيائهم ، فنتج عن ذلك أعداد كثيرة من القتلى من كلا الطرفين . ومما جعل الحالة أكثر سوءً هو اشتراك ابن الخليفة الأكبر ، أبو العباس ـ والذي تسميه بعض المصادر أبا بكر ـ وتدخله في هذا النزاع الطائفي [2] . إذ أنه كان يتدخل ، وبصورة تعصبية عمياء ، في ذلك النزاع الدموي بين المسلمين ـ أهل السنة واخوانهم اتباع المذهب الشيعي ـ حيث انحاز الى جانب أهل السنة ضد أتباع المذهب المعارض من الشيعة .

---

(١) ابن الفوطي ، الحوادث . ، ص.ص: ٩٣ ـ ٩٤ .

(٢) الجوزجاني، طبقات . ، جـ ٢/ص: ١٩٢ ، الترجمة الانجليزية، جـ٢/ ص: ١٢٣٢ ؛ ابن الطقطقا (الفخري ، ص: ٣٣٣) يقول أنه من الخطأ أن يقال له أبا بكر .

وصل الصراع الداخلي بين موظفي الخليفة، قمته في سنة ٦٥٣ هـ/ ١٢٥٥ م وذلك عندما اتهم الوزير ابن العلقمي خصمه بالتآمر مع ابن الخليفة الأكبر للاطاحة بالخليفة واحلال ابنه مكانه . وربما أن هذه الاتهامات لم تكن بدون أساس ؛ فقد عرف الخليفة بتقديره واحترامه للوزير ؛ وهذا ما سنناقشه في الفصل الخامس، ان شاء الله، كما أن الدوادار الصغير وابن الخليفة الأكبر كانا صديقين حميمين؛ كما كانا متفقين على عدائهما ضد الشيعة. وبما أن الدوادار الصغير كان يملك تحت ادارته قيادة مماليك الخلافة ، فلربما كان يريد أن يطيح بالخليفة؛ لينصب ابنه مكانه ، ليستطيع ذلك التركي الجلف أن ينتقم من الوزير وأتباعه بطريقة أكثر فعالية، بعد أن يصبح الخليفة الجديد صنيعة له .

عندما سمع الدوادار بهذه الاتهامات من قبل الوزير أنكر ذلك انكاراً كلياً ؛ فدعى أبناء جلدته من مماليك الخلافة ، الذين كانوا تحت زعامته ، وطلب من خصمه الوزير أن يقابله في ميدان المعركة . وما أن سمع الوزير بأن خصمه جمع جيشاً من مماليكه حتى قام بحركة مماثلة ، وجمع أصحابه من الشيعة، الذين وقفوا معه يناصرونه ضد خصمه المتباهي المتغطرس. ولم يحل دون نشوب القتال بين هاتين الطائفتين المتعاديتين سوى تدخل - دام وقتا طويلاً - من قبل المستعصم نفسه كوسيط؛ وذلك للتوصل الى حل سلمي وتقارب أفضل بين هذين الموظفين الكبيرين في بلاطه ؛ وكان الدوادار الصغير طالما رفض ، بصلف وعناد ، توسلات الخليفة ومحالاوته الطويلة لتسكينه وتهدأته .

كان لهذا الصدام بين الوزير والدوادار الصغير صداه ، وآثاره السيئة خارج بلاط الخلافة ؛ حيث اندلعت الحرب مرة أخرى بين طائفتي أهل السنة وأهل الشيعة تقريباً في كل حي من أحياء مدينة بغداد ، وفي الأسواق والمحال التجارية ، وعلى الطرقات، كل طائفة تؤيد صاحب مذهبها ؛ مما نتج عنه أعداد كبيرة من القتلى[1] .

---

(١) ابن الفوطي، الحوادث . ، ص.ص: ٢٩٤ - ٢٩٧ ؛ الجوزجاني، طبقات . ، جـ ٢/ ص: ١٩٣ ، الترجمة الانجليزية، جـ ٢/ ص.ص: ١٢٣٢ - ١٢٣٣م.

وعندما قدم هولاكو خان على رأس حملته الغربية ، وهو في طريقه الى الأراضي العباسية ، واقترح الوزير وجوب استرضاء ذلك العدو الغـازي ، وملاطفته ؛ وذلك بارسال هدايا وتحف وكتيبة صغيرة لتشارك في حربه ضد الاسماعيلية، وذلك لكي تخف وطأته على الخليفة وعلى أهل بغداد، قـام الدوادار الصغير فاغتنمها فرصة راتهم عدوه بالتآمر مع المغول ضد الخليفة، لينتقم من خصمه ويرد التهمة السابقة بآخرى مماثلة ضد الوزير . وقد أشاع اتباع المذهب السني هذه الاتهامات ضد الوزير على نطاق واسع ، وتردد ذلك في كتب مؤرخيهم ، وانتشر على نطاق واسع خارج البلاط ، حتى أصبحت هذه الاتهامات في نهاية الأمر مقبولة ، وكأنها حقيقة ، لا تقبل النقاش أو الجدل[1] .

---

(١) لتفاصيل أكثر ، انظر فقرة «٢ أ» من الفصل الخامس من هذا الكتاب فيما يتعلق بالاتهامات التي وجهت ضد مؤيد الدين بن العلقمي .

مشكلة عدم وجود جيش نظامي

لقد كان عدم وجود جيش نظامي قوي هو المشكلة الأساسية التي واجهت حكومة بغداد أيام الخليفة المستعصم. كان لنقطة الضعف الكبرى هذه تاريخ طويل، يرجع في أصوله الى أكثر من قرن من الزمن، منذ أيام البويهيين ثم السلاجقة من بعدهم؛ فلم يسمح أولئك الحكام المتسلطون من هاتين الأسرتين للخلفاء العباسيين أن يكون لهم جيشهم الخاص ولا حتى حرسهم الخليفي الشخصي.

لقد حاول الناصر نفسه (٥٧٥ ـ ٦٢٢ هـ/ ١١٧٩ ـ ١٢٢٥م) أن يستفيد عشية اختفاء السلاجقة من المسرح التاريخي للمنطقة من هذه الفرصة ليقوم بالحفاظ على استقلال سلطته داخل أراضيه. لهذا، وكما شرحنا ذلك في الفصل الأول من كتابنا «**أوضاع الدول الاسلامية في المشرق الاسلامي**»، فقد قضى الخليفة الناصر الست والأربعين سنة، التي مكثها متربعاً على العرش كخليفة، مدافعاً عن حكمه على اقليم العراق واقليم خوزستان.

بلغت الخلافة العباسية في بغداد، في القرن الأخير من عمرها، قمة قوتها في أيام وزير الخليفة الناصر المتحمس، ابن القصّاب، وعلى وجه التخصيص في سنة ٥٩٠ هـ/ ١١٩٤م. حيث يروي لنا محمد الراوندي، الذي كان معاصراً للأحداث في ذلك الوقت ومعروفاً بميوله وتحيزاته الكتابية الى جانب السلاجقة، بأن حجم جيش الخلافة في أيام هذا الوزير العباسي بلغ ما يقرب من خمسة الآف رجل[١]. وعلى هذا الأساس، يبدو لنا أن جيش حكومة

(١) الراوندي، راحة الصدور . ، ص: ٣٧٧.

بغدادالنظامي لم يبلغ أكثر من هذا العدد الذي ذكره الراوندي، طوال الفترة التي تلت، وحتى سقوط بغداد. ففي الأيام الأخيرة من حكم الخليفة الناصر الطويل نجد أن جيشه لم يستطع أن يقاوم جلال الدين ـ ابن الشاه الخوارزمي، السلطان محمد ـ عندما غزا بقواته أراضي الخليفة للنهب؛ فقد تمكنت قواته من نهب وقتل وتدمير كل ما أرادوا، دون أن يجدوا ما يردعهم، كما نجد أيضاً حالة أخرى أسوأ من هذه، وهي أنه عندما هدده الخطر المغولي بغزو أراضي الخلافة، وكما شرحنا هذا في الفقرة الثانية من هذا الفصل، نراه يرسل طلبات الى سلطان الروم، والى حاكم إربل، والى أتابك الموصل، والى حكام بني أيوب في أرمينيا، وسوريا، يتوسل اليهم أن يمدوه بمساعدات عسكرية لمساعدته ضد هذا الخطر الداهم الجديد. حيث لم يكن في استطاعته أن يجهز أكثر من ثمانمائة رجل لمقابلة المغول، وكان معظم هؤلاء الرجال من مماليكه[1].

أما فيما يخص جيش حكومة بغداد في أيام خلافة الخليفة المستنصر، فإنه يبدو لنا أن هذه النقطة بالذات تحتاج الى شيء من الدراسة التوضيحية المختصرة والمركزة بقدر المستطاع، لإيضاح تلك الاساطير التي بنيت حول الجيش في أيام هذا الخليفة؛ ثم لنقف سوية على الواقع الحقيقي المحزن والأليم للجيش في عهد المستنصر. فقد وجدنا أن جميع المؤرخين تقريباً ـ والسنين منهم على وجه الخصوص ـ والذين كتبوا بعد سقوط بغداد، يذكرون بأن المستنصر كان يملك تحت يده من الرجال ما مجموعة مائة ألف، أو مائة وعشرين ألف رجل، يمثلون قواته المسلحة. فيروي لنا ـ على سبيل المثال ـ الذهبي قائلاً: **«... وكان المستنصر قد استكثر من الجند حتى بلغ عدد عسكره مائة ألف فيما بلغنا، وأنه قمع المتمردين (لم يذكر الذهبي من كان أولئك المتمردون) وحفظ الثغور (أية ثغور ؟، وضد من ؟ لم يذكر المؤرخ شيئاً) وافتتح الحصون (غير معروفة، وأية حصون ؟) واستخدم عساكر عظيمة لم يستخدم مثلها أبوه ولا جده، وكانت تزيد على مائة ألف وعشرين ألف وكان ذا همة عالية، وشجاعة نادرة وإقدام عظيم. قصد التتار (يقصد الذهبي المغول هنا) البلاد، فلقبهم**

(١) ابن الأثير، الكامل . ، جـ ٩/ص.ص: ٣٣٧ ـ ٣٣٨ .

عسكره فهزموا التتار هزيمة عظيمة . . . »[1].

إن هذه الرواية التي أوردها لنا الذهبي والتي نقل فيها الشيء الكثير عن اليونيني ، غير صحيحة على الاطلاق . فلم تذكر مصادرنا الأولية ابداً أن المستنصر كان قد خرج يقود جيش العباسيين في أية حرب ، أو كان على رأس جيش ضد المغول . ثم لا نستبعد أبداً أنه لم يكن أيضاً قد ذهب خارج أسوار عاصمته . فنجد أن العصابات المغولية ـ باعداد قليلة وأحياناً بجيش كبير ـ كانت تغزوا أراضيه على الدوام ، من حين الى آخر ، تنهب ، وتسلب ، وتدمر ، وتقتل ، دون أن تجد من قوات المستنصر المزعومة هذه من يتصدى لها ، أو أن يرد عدوانها، أو أن يحمي مواطنيه من غزواتهم المدمرة .

وقد ازدادت حدة الغزوات المغولية عنفاً ، بلغت أوجها ـ قبل مجيء حملة هولاكو طبعاً ـ ضد أراضي الخلافة العباسية خلال العشر السنوات الأولى من حكم هذا الخليفة، فاقت في ذلك غزواتهم أيام الناصر قبله والمستعصم بعده . فنجد أن غارات المغول بلغت أوجها عندما هاجمت جحافلهم مدينة سامراء في سنة ٦٣٥ هـ ـ ١٢٣٧م ؛ كما وضعت العاصمة بغداد نفسها تحت خطر الهجوم ، مثل غيرها من المدن العراقية الداخلية التي نكبت بغزوهم . ومن الممكن جداً أنه لم يكن هناك من كان يستطيع أن يوقف العصابات المغولية، لو قدر لها وهاجمت بغداد نفسها بقصد أخذها وضمها الى الأراضي المغولية .

كانت المصادمات الوحيدة التي جرت بين القوات المغولية وجيش المستنصر ـ والذي كانت تسانده كتائب عسكرية أرسلها الحكام المسلمون المجاورون، إستجابة منهم لصيحات الخليفة المستغيثة لمساعدته ـ قد جرت في

---

(١) الذهبي ، تاريخ . . مخطوطة، جـ ١٩/ورقة: ٢٢٢ ب. انظر أيضاً : اليونيني ، ذيل ، جـ ١/ ص.ص: ٨٦ ـ ٨٧ ؛ ابن دقماق، غرس الدين سراجي، الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، مخطوطة أيا صوفيا (السليمانية) رقم : ٣١٧٢، ورقة: ٦٨ ب ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، جـ ١٣/ ص.ص: ٢٠٠ ؛ ابو الفدا ، المختصر . . جـ ٣/ ص: ١٩٤ ؛ الديار بكري ، تاريخ . . جـ ٢/ص.ص: ٣٧٦ ـ ٣٧٧ ؛ المقريزي، السلوك . . جـ ١/ ص.ص: ٢٥٧ ـ ٢٥٨ ؛ السيوطي، تاريخ . . ص: ١٨٥ ؛ كما أن هذه المعلومات المغلوطة قد أشار لها بعض المؤرخين المحدثين ، انظر مثلاً القزاز ، الحياة السياسية . . ص: ٣١٢.

عام ٦٣٥ هـ/ ١٢٣٧ م[1]. وكما سبقت الاشارة الى هذا الشأن ، فقد مني جيش الخليفة المستنصر ومن معه من القوات الاسلامية الأخرى المشاركة، بهزيمة ساحقة مهينة أذلت الخليفة وجيشه المزعوم .

كان الشيء الوحيد الذي يعتقد هذا الخليفة أنه حققه ، وهو متباهياً ، هو ضم أراضي مقاطعة إربل في سنة ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م؛ والذي لم يتم الا بصعوبة بالغة ، وبعد أن تكبد جيشه خسائر كبيرة في الأرواح أثناء أخذ إربل . وربما أن مسألة ضم مقاطعة إربل الى الممتلكات العباسية في عهد هذا الخليفة هي التي جعلت الذهبي وغيره يمتدحون المستنصر ، ويطرونه هذا الاطراء وذلك المدح المتطرفين ، بأن المستنصر قمع المتمردين، وحفظ الثغور ، وافتتح الحصون . فلم يحصل أي شيء من هذا القبيل - حسب ما أعرف .

أما مسألة ضم منطقة إربل الى ممتلكات الدولة العباسية، فكما هو معروف كانت مدينة إربل والمناطق التابعة لها ، يحكمها مظفر الدين كوكبري مستقلاً ؛ ولا يخضع لأية سلطة خارجية.[2] وكان قبل وفاته في سنة ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م قد أوصى وهو على فراش الموت ، بأن تضم أراضي مملكته - بعدوفاته - الى ممتلكات العباسيين، وتصبح ملكاً للخليفة العباسي في بغداد . وقد أقدم كوكبري على اتخاذ هذا القرار ، نظراً لأنه لم يكن له ابن يرث مملكته من بعده ؛ لذلك فقد أخذ على كبار رجاله وضباطه، المواثيق والعهود بأن يعملوا بموجب وصيته هذه . وعلى هذا الأساس فقد كانت وصية كوكبري هي العامل الأول وربما الوحيد الذي ساعد جيش المستنصر الضعيف ليأخذ المدينة الصغيرة ومناطقها التابعة لها ؛ والا لكانت المسألة ستصبح شكلاً آخر مختلفاً تماماً .

وعندما عاد جيش الخليفة، المكون معظمة من مماليك الخلفاء - تحت قيادة الشرابي - من إربل الى بغداد استقبل استقبالاً حافلاً ؛ كما لو كان أعضاؤه قد

---

(١) حول هذا الموضوع انظر : الفقرة /٢ من الفصل الثالث من هذا الكتاب .

(٢) حول هذا الموضوع انظر : سبط بن الجوزي، مرآة. ، ٨ جـ ٢/ ص.ص: ٦٨٠ - ٦٨١ ؛ ابن الفوطي ، الحوادث . ، ص.ص: ١٩ - ٢٠ ، الذهبي، تاريخ. ، جـ ١٩/ ورقم ٩٧ أ - ٧٨ ب .

حققوا شيئاً مستحيلاً تحقيقه؛ فأغدقت عليهم الأموال والهدايا والأنعامات، وألبس كل فرد منهم، اشترك في هذه الحملة المتباهية ضد إربل، خلعاً خليفية[1] .

وفي حقيقة الأمر، فقد كانت جميع شؤون الخليفة المستنصر الخاصة، وكذلك ما يتعلق بشؤون الدولة العباسية، في يدي شرف الدين اقبال الشرابي، يديرها حسب رغباته وميوله؛ حيث كان في الواقع يدير شؤون الخلافة وكأنه هو الحاكم الفعلي لدولة بني العباس؛ والوصي المدبر للخليفة المستنصر نفسه. وإذا رجعنا بالدراسة الى التعرف على أحوال هذا الخليفة، لوجدنا أنه كان لا يعرف الا النزر القليل عما كان يحدث فعلاً خارج أسوار قصره، فكان مقطوعاً تماماً عن الناس؛ وفي عزلة مطبقة عن ادارة شؤون الدولة، التي كان متربعاً على عرشها، كما لم يكن على علم عن مجريات الأحداث في عالم وقته. كان يعيش وراء العديد من الأبواب، يحرسها حراس بعدد تلك الأبواب في قصوره.

وقد شرح لنا هذه الحقيقة المرة، بشكل واضح، رسول جلال الدين الخوارزمي، **بدر الدين طوطق إيناتش خان الحاجب»** حيث وصف هذا الرسول ما شاهده من أوضاع الخليفة المحزنة الى محمد النسوي - سكرتير اومنشيء جلال الدين - عندما قام برحلة في مهمة رسمية من الحاكم الخوارزمي الى بلاط المستنصر. فيقول النسوي في مؤلفه كل ما رواه له «طوطق» عن رحلته تلك:

«... فلما مضت أيام اذا بحراقة (وهي مركب بحري حربي غالباً) في بعض العشيات وصلت الى منزلي بحافة دجلة، واذا بسعد الدين الحاجب قد دخل وقال: استعد بخدمة أمير المؤمنين، فركبت الحراقة وركبها سعد الدين معي ...، وسقنا الى أن وصلنا الى باب كبير فدخلت، وتأخر سعد الدين، ولم يتعد من هناك فقلت له هلا تدخل معي؟ فقال: وما منا الا له مقام معلوم ليس لي أن أتعدى هذا المقام. وكان خلف الباب خادم فأوصلني الى باب آخر. فدق الباب ففتح ودخلت، واذا بخادم شيخ جالس على دكة فصافحني وكان

---

(١) سبط بن الجوزي، مرآة ...، ٨، جـ ٢/ص.ص: ٦٨٠ - ٦٨١؛ ابن الفوطي، الحوادث ...، ص.ص: ٤٥ - ٤٨.

بين يديه مصحف وشمعة ، فأجلست ورحب بي ، الى أن جاء خادم آخر . . ، ثم أخذ بيدي يمشي ويقول ليس يخفى عليك أن الذي يريد أن تحضر بين يديه ، من هو ، وجلالة المقام وعظمته . . . ، فلما طلعنا الدرجة وصافحت عيني الستر الأسود . . ، ورأيت بستاناً من كثرة الشموع ، كأنه في الليلة الظلماء عكس الفلك في الماء ، ورأيت الوزير (هو ابن القمي) واقفاً حذاء الستر والستر مرخي ، وجاء خادم ، فرفع الستر فكنت امشي وأقبل الأرض ، الى أن قاربت الوزير ووقفت ، فاذا أمير المؤمنين جالس على سرير ، فكلم الوزير بكلمة عربية ، نتقدم خطوات وأشار الي بالوقوف حيث كان هو واقفاً اولاً فتقدمت وقبلت الأرض ووقفت موقفه . . »[1]

ثم تأتي حقيقة العزلة التامة والمطبقة ، التي كان يعيشها الخليفة المستنصر ، عن العالم خارج أسوار بغداد بل وأسوار قصره ، من أنه عندما توفي لم يعلم بموته أحد طوالي الثمان والأربعين ساعة التي تلت وفاته، سوى شرف الدين اقبال الشرابي. وحتى أعضاء أسرة الخليفة المتوفى أنفسهم لم يعرفوا أن الخليفة قد مات؛ حتى أعلموا من قبل الشرابي، الذي كان يدير شؤون الدولة وكأنه الوصي ؛ حيث ذهب الى ابن الخليفة المستعصم ـ الذي نصب خلفاً لوالده في منصب الخلافة ـ وأخبر بوفاة أبيه المستنصر، وقدم له التعازي فيه وطلبه أن يقبل منصب والده بعده[2].

بناءً على هذه الحقيقة ، فأنه يبدو لنا أنه إن كان هناك جيش تملكه الخلافة العباسية ، عشية غزو المغول الأخير، والذي كان تحت قيادة هولاكو خان، فانه كان صغيراً وحقيراً ، لا يجدي فتيلاً ، يتكون معظمه من مماليك الخلفاء الذين تولوا الخلافة قبل المستعصم. وقد كان أولئك المماليك يسمون بأسماء أسيادهم من الخلفاء؛ وأصبحوا يعرفون بمماليك الناصر ، والظاهر ، والمستنصر؛ أي المماليك الناصرية، والظاهرية ، والمستنصرية[3].

---

(١) النسوي ، سيرة . ، ص.ص: ٣٠٥ ـ ٣٠٧.

(٢) انظر أول هذه الفقرة (٣) من هذا الفصل .

(٣) ابن الفوطي، الحوادث . ، ص.ص: ١٦٨ ـ ١٧٠

كانت قيادة هؤلاء المماليك مسندة الى ابن جلدتهم ، شرف الدين اقبال الشرابي، حيث كانوا يدينون له بالولاء والاحترام والطاعة أكثر مما يكنونه للخليفة نفسه . وتبدو هذه الحقيقة أكثر وضوحاً من حادثة واحدة ، نذكرها كدليل على ما نحن بصدده، وهي أنه عندما طالب أولئك المماليك بزيادة أجورهم، تقدموا بذلك الى شرف الدين اقبال الشرابي ؛ وقد رفض طلبهم ؛ وعندما رفض تلبية مطلبهم ذلك تمردوا، وحاولوا هجر الخدمة، ثم غادروا مجتمعين مدينة بغداد وأقاموا خيماتهم خارج أسوار المدينة ، حيث بقوا على حالتهم تلك طوال سبعة أيام . ومما يروي لنا ابن الفوطي ، يمكننا أن نستنتج بشكل واضح أنهم قدموا مطالبهم تلك الى الشرابي بزيادة مخصصاتهم ، وليس الى الخليفة ، وكأنهم ملك ، أو خدم له ، فرفض بكل عناد أن يزيدهم؛ وقد روي أنه قال : « . . . **ما نزيدكم بمجرد قولكم ، بل نزيد منكم من نزيد اذا أظهر خدمة يستحقها بها** »[1].

وفي اعتقادنا أنه لو كان هناك أية صلة بين الخليفة وبين هؤلاء المماليك، لكانوا تقدموا الى بلاط الخليفة لعرض مطالبهم عليه ، والنظر في أوضاعهم المتردية ، التي أجبرت الكثير منهم الى هجر الخدمة، حيث ذهب العديد منهم الى بلاد الشام ، وآخرون انخرطوا في سلك الخدمة العسكرية المغولية ضد الخلافة العباسية نفسها ، كما سيرد معنا في الصفحات التالية . أما الباقون فقد شعروا بفشل تمردهم ، ورأوا أن بقاءهم خارج أسوار بغداد لا طائل وراءه ؛ بعد أن رفض سيدهم تلبية رغبتهم هذه . لذلك نراهم يتنازلون عن مطالبهم ، ويرضخون لأمر الشرابي وطلبوا العفو منه ، وحول هذه المسألة يقول ابن الفوطي : «**وحضروا عند الشرابي معتذرين فقبل عذرهم**. . . »[2]. وقد أتبع هذا النظام طوال السنوات التي تلت وفاة المستنصر، وحتى سقوط بغداد .

بعد أن توفي شرف الدين اقبال الشرابي في سنة ٦٥٣ هـ/ ١٢٥٥م أصبح هؤلاء المماليك، تحت قيادة ورئاسة رئيس ومملوك آخر ، هو الدوادار الصغير؛

---

(١) المرجع السابق ،ص: ١٦٨.

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص: ١٧٠

وأصبحوا ـ كالسابق ـ بعيدي الصلة عن الخليفة ، أو ربما أنه لم يكن هناك أية صلة تربطهم بالمستعصم. وقد أصبح هؤلاء المماليك جزءً من القوة التي اشتركت في الدفاع عن بغداد عشية الغزو المغولي الأخير الذي كان بقيادة هولاكو خان .

وعلى الرغم من أن المؤرخين ينسبون اهمال شؤون الجيش وقطع أرزاقهم الى الخليفة المستعصم، متهمين في ذلك وزيره ـ مؤيد الدين ابن العلقمي ـ بأنه هو الذي حرض الخليفة على فعل ذلك ليوفر أموالاً لخزينة الدولة ، فان الذي يظهر لنا هو أن أولئك الرؤساء المماليك ـ كالشرابي والدوادار الصغير، والذين كانت زعامة المماليك بأيديهم ـ هم الذين قاموا بتصفية جيش الدولة العباسية في العقدين او الثلاثة العقود الأخيرة من عمرها ، من جميع العناصر الأخرى . وبذلك اقتصرت قوات المستعصم خاصة على المماليك من جنسهم، ليكون لهم القول الفصل في كل أمر من أمور الدولة ؛ وحيث قام أولئك الرؤساء بقطع أرزاق الجند ، وأهملت أحوالهم، وأسقطوا من دساتير ديوان العرض ، فآلت أحوالهم الى سؤال الناس ، وبذل ماء وجوههم في الطلب والاستجداء في الأسواق، والجوامع . وقد رثاهم الشعراء؛ وربما أقدم الشرابي والدوادار على تسريح جند الخلافة والاستحواذ على مخصصاتهم ، بطريقة غير مشروعة؛ فلم يكن عليهم رقيب . فكونوا ثروة هائلة، وعاشوا في بذخ ونعيم مفرطين[1].

---

(١) ابن الفوطي، الحوادث، ص.ص ٣٢٠ ـ ٣٢١.

العناصر الأخرى التي اشتركت في الدفاع عن بغداد

كان هناك مجموعتان ـ الى جانب مماليك الخلفاء ـ اشتركتا في الدفاع عن العاصمة العباسية ، تتكون بصورة رئيسية من العناصر الكردية ، والعناصر التركمانية . وهذه العناصر شاركت في الدفاع عن بغداد بصورة رسمية كجيش شبه نظامي ، قامت حكومة بغداد بتكوينه عشية الغزو المغولي لاراضيها. وكان أعضاء الفئة الأخيرة (التركمانية) ينتمون أصلاً الى البدو الأتراك الرحل الذين هاجروا الى الجنوب الغربي من القارة الأسيوية، فاتخذوا لهم موطناً في الأراضي الواقعة على الحدود الشمالية الشرقية من ممتلكات الدولة العباسية[١].

في الفترة الأخيرة من عمر دولة بني العباس في العراق ، أي عشية الغزو المغولي لها بقيادة هولاكو ، كانت قد آلت رئاسة أولئك التركمان الى رئيسهم سليمان شاه بن برجم الإيوائي (وليس الأيوبي ، كما ذكر ذلك المستشرق رافرتي)[٢] .

أما بالنسبة للأكراد، فهم أولئك الرجال الذين يسكنون مناطق الأكراد الجبلية؛ وقد كانت رئاستهم، أو قيادتهم ،مسندة الى رئيسهم، وكان شخص يسمى الملك عز الدين بن فخر الدين بن كر (او ابن كرد) .

وفيما يظهر لنا أنه عندما جاء المغول الى الأارضي الغربية الواقعة الى الشمال الغربي من إيران قام كل من التركمان ـ الذين كانوا يعيشون، أو كان

(١) حول هذا الموضوع ، انظر محمد القزويني في «جهانكشاي» للجويني»، جـ ٣/ ص.ص: ٤٥٣ ـ ٤٦٤ .

(٢) رافرتي (الجوزجاني ، طبقات . ، جـ ٢/ ص: ١٢٣٤) وقد طلع الاسم صحيحاً في الطبعة الفارسية (الايوائي).

بعض منهم ، في جبال الديلم وجيلان ـ والأكراد، الذين كانوا يسكنون في الأراضي الكردية ، بالهرب من أمامهم وتفرقوا في شتى انحاء الأراضي العراقية، وأراضي الهلال الخصيب بشكل عام . كما قام بعضهم بأخذ طريق هربه متجهاً نحو بغداد ، حيث انضم التركمانيون الى بني جلدتهم من التركمان ، الذين كانوا في بغداد برئاسة سليمان شاه، بينما قام الأكراد بالانضواء تحت رئاسة سيد قومهم ببغداد وابن جنسهم عز الدين بن كر .

أما البعض ممن بقي من هؤلاء واولئك، فقد انخرطوا تحت زعامة حسام الدين بن عكه[1] .

ويمكن ايعاز هجرة ،أو بمعنى آخر هرب ، أولئك الأكراد والتركمان الى حقيقة واحدة ، وهي أنهم كانوا قد عرفوا أن هولاكو خان قد صدرت اليه التعليمات من أخيه «منكوقآن»، بأن يقوم بتدميرهم ، وباستئصال شأفتهم عن بكرة أبيهم ؛ وذلك لما كانوا يقومون به من أعمال ارهابية، وعدوانية في شتى الأراضي الواقعة الى الجنوب الغربي من ممتلكات الامبراطورية المغولية . حيث كانوا يعيشون على الغزو والنهب والسلب ويضايقون، ويرهبون السكان الأمنين في مناطق آذربيجان ، وكردستان ؛ ويكمنون في أماكن معينة ، حيث يوقعون بالقوافل التجارية المارة من خلال هاتيك الربوع . كما كانوا يقومون بغارات شبه متواصلة على الناس الآمنين من الفلاحيين والرعاة، فيستاقون قطعانأغنامهم ومواشيهم .

كانت أعمالهم الارهابية تلك قد أوقفها جلال منكبرتي الخوارزمي في سنة ٦٢٣ هـ/١٢٢٥م، عندما أوقع بهم ، وشتت جمعهم ، حين جاء وكون له مملكة في أراضي شمال غربي إيران الحالية[2]. إلا أنه عندما انتهت سلطة جلال الدين من تلك المناطق في سنة ٦٢٩ هـ/ ١٢٣١م قاموا باستئناف أعمالهم العدوانية الشريرة ، التي تعودوا القيام بها في المنطقة، ضد الأهالي المسالمين .

---

(١) عن ابن عكه : انظر الفقرة : ٢/ب من الفصل الرابع من هذا الكتاب .

(٢) ابن الأثير، الكامل . ، جـ ٩/ ص.ص: ٣٧٠ ـ ٣٧١.

لذلك ، فقد كانت مسألة انهاء أمرهم، والقضاء عليهم بصورة نهائية ، واحداً من جملة الواجبات التي كان لزاماً على هولاكو خان القيام بها عندما طلب منه أخوه أن يقود حملته المسعورة ضد الأراضي الغربية الواقعة الى الجنوب الغربي من إمبراطوريتهم[1].

عندما انضمت فرقة منهم الى حسام الدين بن عكه قاموا، سعياً وراء مصالحهم الخاصة ، باغرائه بأن يثور ضد هولاكو؛ ونتيجة لذلك فقد قام ابن عكه بنبذ ولائه السابق الذي أعلنه للقائد المغولي، وخطط القيام بالتصدي للمغول ومحاربتهم، الا أن الكارثة المحتومة وقعت على رأسه، فكانت بذلك نهاية ابن عكه المحزنة[2]. كما أنه يبدو لنا أن الاكراد والتركمان ، الذين هربوا الى بغداد وانضموا الى قواتها المدافعة، كانوا وراء الرفض العنيد الذي أبداه كل من سليمان شاه والدوادار الصغير، في عدم الاستجابة لتوسلات الخليفة المستعصم ، عندما طلبها - مترجياً - الى أن يذهبا لمقابلة هولاكو خان خارج بغداد للتفاوض في مسألة امكانية ايجاد حل سلمي لمسألة دخول المغول بغداد[3].

---

(١) حول تعليمات منكوقا ان الى أخيه هولاكو :انظر الفقرة ١٠/أ، في الفصل الرابع من هذا الكتاب.

(٢) عن مسألة تدمير ابن عكه ، انظر الفقرة. ٢/ ب (الفصل الرابع من هذا الكتاب).

(٣) انظر ايضاً الفقرة : ٢/أ (الفصل الرابع من هذا البحث).

خطة الدفاع عن بغداد عشية الغزو المغولي

يروي لنا الجوزجاني أن قادة المجموعات الثلاثة المختلفة، التي اشتركت في الدفاع عن بغداد، وهم الدوادار الصغير (قائد مماليك الخلفاء) وسليمان شاه (رئيس التركمان) وابن كر (امير الأكراد) عقدوا اجتماعاً مع الخليفة المستعصم. ويذكر هذا المؤرخ أن اولئك القادة قاموا باعلام الخليفة ايضاً عن خيانة ابن العلقمي (المزعومة) وأنه كان يتعاون مع المغول ضد الدولة العباسية. ثم يردف الجوزجاني القول بأن مسألة اتهام الوزير لم يكن له أي أثر على الخليفة، الذي طالبهم بأن يقوموا بالتشاور مع الوزير نفسه لمناقشة مسألة الدفاع عن بغداد. الا انهم رغم ذلك خالفوا أوامر الخليفة (وهذا ما يبدو لنا أقرب الى الصحة) وأخذوا زمام الأمر في أيديهم، واستقلوا برأيهم، وتبنوا سياسة دفاعية بأنفسهم (وربما كان ذلك حتى دون علم الخليفة)[1].

كانت الخطة، كما يبدو لنا، هي أن يقوم القادة بارسال الغالبية العظمى من جيوشهم، أو بالاحرى - أتباعهم - المختلطة لمقابلة المغول، والتصدي لجيشهم الرئيسي - الذي كان تحت قيادة هولاكو خان؛ بينما تظل بقية الجيش في بغداد لحراستها، والدفاع عنها. ويظهر أنهم اتفقوا على أن يقوم الاكراد، بقيادة ابن كر، والمماليك - بقيادة الدوادار الصغير - بالواجب الأول، أي أن يقوم القائدان بقيادة قواتهما، والتصدي لهولاكو. وربما أن قادة المستعصم كانوا يظنون بأن الكتيبة المغولية الكبيرة الزاحفة على بغداد، والتي كانت تحت قيادة هولاكو، كانت هي القوة المغولية الوحيدة التي كانت في طريقها نحو بغداد.

(١) الجوزجاني، طبقات ...، جـ ٢/ ص.ص: ١٩٣ - ١٩٤، الترجمة الانجليزية، جـ ٢/ ص: ١٢٣٦؛ رشيد الدين، جامع التواريخ ...، جـ ٢/ ص: ٧٠٣، الترجمة العربية، جـ ٢/ ص: ٢٧٣.

أما التركمانيون ، والذين كانوا تحت زعامة سليمان شاه ، فقد كانت الخطة تقضي ببقائهم في العاصمة العباسية .

لم تذكر مصادرنا أي عدد للقوات التركمانية التي أمرت أن تبقى في بغداد ، بينما اختلفت في تقدير عدد القوات التي خرجت لمقابلة المغول ، فيروي لنا بناكتي ، مبالغاً فيما رواه ، أن تلك القوات كانت قد بلغت ثلاثين ألف رجل ؛ أما الجرزجاني فيذكر في تقريره أنها كانت تتكون من حوالي عشرين ألف رجل. ويميل رافرتي الى صحة هذا الزعم ؛ بينما نجد أن مؤرخين آخرين يذكرون أن عددها كان عشرة آلاف رجل[1]. أما ابن الطقطقا فقد وصف لنا هذا الجيش قائلاً بأنه « . . كان **عسكراً في غاية القلة** . . . »[2] ومع ذلك فالذي يبدو لنا أن القوات التي أخذت على عاتقها مهمة مقابلة هولاكو كانت أقل من عشرة آلاف مقاتل، لأنه خلال الحروب السابقة التي خاضتها قوات حكومة بغداد ضد الهجمات المغولية، وعلى مدى الثمان والثلاثين سنة الماضية، لم تبلغ جيوش العباسيين أكثر من سبعة آلاف رجل ؛ هذا اذا أضفنا الى ذلك القوات الاضافية التي كانت ترسلها الحكومات الأيوبية في سوريا وارمينيا ، كما يمكننا أن نقول أن السكان العراقيين أنذاك أصبحوا قليلي الحماس في الاشتراك في الحروب ضد المغول ؛ حيث سئموا من تلك الحرب المتوالية التي أنهكتهم، والتي كانت تبدو لهم وكأنها لن تنتهي. إذ أنهم كانوا يعيشون معها طوال الأربعة عقود الماضية، وأصبحت تقريباً جزءً من حوادث حياتهم اليومية منذ سنة ٦١٨ هـ/ ١٢٢١م ؛ بينما كانت حكومتهم، التي يسيطر عليها المماليك ، لا تبدو وكأن الأمر يعنيها. ثم أنه فوق هذا وذاك ، فقد كان المشتركون في هذه القوات، هم مماليك واكراد ، أتباع شخصيات، لا يمكن ـ على ما أظن ـ أن تبلغ أكثر من عشرة آلاف .

---

(١) عن هذا الموضوع ، انظر: الباكتي ، تاريخ. ، ص: ٤١٧ ؛ الجوزجاني، طبقات. ، جـ ٢/ ص: ٢٩٤، الترجمة الانجليزية، جـ ٢/ ص: ١٢٤٠، والحاشية رقم: ٨ ؛ ابو الفدا ، مختصر. ، جـ ٣/ ص: ١٩٤ ، ابن حماد ، قوت الارواح. ، مخطوطة. ، ورقة ، ٩٥ ب ؛ وصاف، تاريخ. ، ص: ١٧ ؛ ميرخواند روضه الصفا. ، جـ ٥/ ص: ٢٤٣.

(٢) ابن الطقطقا، الفخري. ، ص: ٣٣٥ ، الترجمة الانجليزية ص: ٣٢٢.

النهاية المؤلمة لجيش الدوادار وابن كر

بعد أن انتهى قادة حكومة بغداد العباسية من مخططهم في مجابهة المغول وغزوهم الجارف، خرج الدوادار الصغير وعز الدين بن كر، بأتباعهما؛ واتجهوا شرقاً، في طريقهم الى حلوان، ليقابلوا هولاكو هناك. وقد اقاموا مخيماتهم العسكرية بين باعقوبا وباجسرا. وبينما كان هذا الجيش معسكراً هناك جاءتهم الأخبار بأن جيشاً مغولياً (وهو جيش الميمنة ـ الذي كان بقيادة بايجو نويان) كان قد عبر نهر دجلة، وهو في طريقه الى بغداد، ليهاجمها من الغرب. وكان قد ظهر للدوادار وابن كر بأن هذا الجيش المغولي اصبح ذا خطر يهدد العاصمة أكثر من الجيش الذي كان بقيادة هولاكو؛ هذا إذا كان قد أصبح يعرف أن هناك أكثر من كتيبة مغولية واحدة في طريقها الى بغداد.

قرر قادة جيش بغداد أن يبادروا بمعالجة ذلك الخطر الجديد، فقوضوا خيامهم، ورجعوا فعبروا نهر دجلة؛ وواصلوا سيرهم حتى لحقوا بالعدو وتقابلوا معه بالقرب من الأنبار. وهناك ـ وكما سيرد معنا فيما بعد ـ مني جيش الدوادار وابن كر بهزيمة ساحقة. إذ أن جميع قواتهما تقريباً، كما تقول الروايات، ذاقت حتفها؛ حيث قتل بعضهم بالسيف المغولي، والبعض الآخر غرق في الماء، أو وقع في الوحل وأصبح عاجزاً عن الدفاع عن نفسه؛ فأتت قوات بايجونويان فأنهت أمرهم قتلاً بالسيف. أما الأحياء فقد تفرقوا، ولاذوا بالفرار، لا يلوون على شيء، ولا همّ لهم الا النجاة بجلودهم؛ بينما لاذت فئة قليلة جداً، وعلى رأسهم الدوادار نفسه، بالهرب واتجهوا في طريقهم الى بغداد للاحتماء وراء أسوارها.

وما أن غير الدوادار وزملاؤه الخطة الحربية، التي اتفق عليها، عندما ذهبوا بقواتهم ليقابلوا قوات بايجو، حتى أصبح هناك ثغرة مفتوحة الى الجهة الشرقية من بغداد أمام قوات القلب من جيش المغول الزاحف على العاصمة العباسية. وتقول الروايات أنه عندما سمع الخليفة نبأ ذهاب الدوادار وزملائه بجيشهم ضد بايجونويان، طلب من واحد من المماليك (وهو مرشد الخصي ـ أحد مماليك الخليفة الناصر السابقين) أن يخرج بمجموعة من الرجال ليسد تلك

الثغرة التي تركتها القوات الرئيسية[1]. ومع هذا فلم تنفذ أوامر الخليفة، ولم يخرج مرشد الخصي ؛ لانه لم يرض أحد أن يشترك في حرب ضد المغول تحت لواء مملوك خصي . فاستسلم الخليفة للأمر واكتفى بهذا، وترك الأمور تسير وكأنه لم يكن هناك جيش مدمر جرار في طريقه لغزو بغداد والاطباق عليها من جميع جهاتها[2] .

أما ما يتعلق بالعمليات العسكرية، بعد أن أبيد جيش الخلافة قرب الأنبار، فانه لما رجع الدوادار الى بغداد أخذ ، بالتعاون مع سليمان شاه ، في الاستعداد لعمليات الحصار المنتظر . حيث رممت الأسوار ، وأقيمت الحواجز داخل المدينة ، وحفرت الخنادق . وعن الأشخاص الذين اشتركوا في عمليات الحصار يذكر «وصّاف» خطأً ، والذي نقل عنه ـ فيما يبدو لنا ـ ميرخواند ، بأن الشرابي كان من ضمن المدافعين عن بغداد ضد قوات هولاكو[3].

---

(١) حول تفسير كلمة الخصي ، انظر ، شعبان، التاريخ الاسلامي، تفسير جديد ، لندن ، ١٩٧٦ م، جـ ٢/ ص.ص: ١٢٨ ـ ١٣/، وحاشية ٢، ٣، ٤، ٥، ٦ ص.ص: ١٣٩، ٢٠٦.

(٢) ابن الفوطي، الحوادث ، ص: ٣٢٠.

(٣) وصاف ، تاريخ . ، ص : ١٧ ؛ ميرخواند ، روضة . ، جـ ٥/ ص: ٢٤٣.

الاوضاع في بغداد أثناء الحصار واستلام الخليفة المستعصم وقتله

بعد أن أطبقت الجيوش المغولية بكتائبها المختلفة، كما سيرد معنا في الفقرة «٢/ب» من الفصل الرابع ، ان شاء الله ، ولكي يخلق روح الانشقاق وعدم الوحدة ، وما ينتج عنها من الفوضى والاضطراب داخل صفوف المقاتلين داخل بغداد ، أمر هولاكو خان بأن يكتب خطابات (أو نداءات) وأن تربط على رؤوس سهام ، وأن يقذف بها لتلقي في كل حي من أحياء المدينة المحاصرة . وقد أعطى القائد المغولي ، في هذه الخطابات وعوده ـ التي رجع فيها فيما بعد وأصبحت كاذبة لا معنى لها ـ بالأمان لكل شخص لم يشترك في قتال المغول ، وللسادة وللعلماء وللمشايخ وغيرهم[1].

وعلى الرغم من أن السكان داخل بغداد لم يثقوا في وعوده الكاذبة ، الا أنهم تركوا الأمور تمضي على مجراها الطبيعي ؛ لأنهم لم يكونوا على يقين من أي عمل ، أو تصرف يقومون به في صالحهم ، لمقابلة هذا الخطر الداهم المميت الذي أحدق بهم . فقد أصبحت حكومتهم في بغداد متحيرة في ذاتها ، ومرتبكة ، زاد ذلك حدة كثرة القتال والصراعات الطائفية الدامية الداخلية ، التي كانت تقع بين صفوف أفراد الشعب . ومما زاد الأمر تفاقماً ذلك النزاع والتنافس الداخلي بين أعضاء رجال البلاط العباسي وكبار موظفي الدولة ، وعلى رأسهم الوزير من ناحية والدوادار الصغير من جهة ثانية . فاننا إذا أقسنا مدى النجاح الذي حظيت به ونالته القوات المغولية ـ أثناء عملياتها العسكرية لأخذ بغداد ـ لوجدنا أن ذلك النزاع الطائفي الدامي بين مختلف الأحياء

---

(١) عن هذا الخطابات ووعود هولاكو ، أنظر آخر فقرة (٢/ب) من الفصل الرابع من هذا البحث .
ص: ٣٢٧ : انظر الحاشية رقم ١ في نفس الصفحة

السكنية في بغداد ، قد ساعد العدو الغازي في كل خطوة خطاها لاحتلال مدينتهم[١] .

كان الدوادار الصغير مصراً على أن قتال المغول هو الوسيلة الوحيدة لتفادي خطرهم المميت ؛ ومما يزيد من دعم وجهة نظره أنه كان يقول بوجوب مطالبة تأييد ومساعدة العالم الاسلامي في نزاع حكومة بغداد العباسية ضد المغول . ومع أن الدوادار كان يرى أن عالمه الاسلامي كان يستطيع مساعدته عسكرياً ، إلا أن الحقيقة التي كان يعيشها ذلك العالم لا تختلف عن وضعه في هذه الأيام، متشتتاً تتداعى عليه الأمم ؛ ومتنافراً ، يقاتل بعضه بعضاً كما نشاهده في أيامنا هذه . فقد كانت قوتا الأيوبيين في سوريا والمماليك في مصر هما القوة الاسلامية الوحيدة في الجزء الغربي من عالم الدوادار الاسلامي ، التي ربما كانت تستطيع أن تمد حكومة بغداد بالمساعدة العسكرية ، بغض النظر عن نتائج الحرب . الا أنه لسوء حظ المستعصم والمسلمين جميعاً، كانت ـ كما قلنا ـ الحرب مستعر أوارها آنذاك بين تلك ، القوتين المسلمتين ، في صراعهما الداخلي الدامي ؛ وذلك للسيطرة على الأراضي المصرية ، بعد أن استقل بها المماليك ، وأسسوا دولة لهم بها . لذلك فلم يكن في مقدورهم مد الخليفة بأية مساعدة ليستطيع الدوادار أن ينفذ ما كان يدعو اليه ، لنجاح فكرته العقيمة[٢] . أما ما يتعلق بطلب مساعدة الأقطار الاسلامية الشرقية فقد كان ذلك غير ممكن، لأن جميع دول الاسلام، تقريباً، من الحدود الشرقية لتركستان حتى حدود أراضي العراق، كانت في حقيقة الأمر مشتركة ، بشكل أو بآخر ، في حملة المغول الغازية هذه ضد اخوانهم المسلمين ، وفي تدمير بغداد[٣] .

---

(١) أنظر : سير هنري هاووث ، تاريخ المغول ، لندن ، ١٩٢٧ ، جـ ٣/ص: ٢١١ .

(٢) لمعلومات أفضل عن حرب المماليك والايوبيين ، انظر : سبط بن الجوزي ، مراة . ،٨ ، جـ ٢/ص: ٧٨٥. ؛ أبو شامة ، تراجم . ، ص: ١٨٦ ؛ أبو الفدا ، المختصر . ، جـ ٣/ ص.ص: ١٨٣ ـ ١٨٥ ، ١٩٢ ـ ١٩٣ ؛ الدواداري ، كنز الدر وجامع الغرر «الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية» تحقيق، هرت مَنْ، القاهرة ، ١٣٩١ هـ/ ١٩٧٢م، جـ ٨/ص.ص: ١٦ ـ ١٩ ، ٢٦ ـ ٢٩ ؛ المقريزي، السلوك . ، جـ ١/ ص.ص: ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٣ ، ٣٩٣ ؛ اليونيني، ذيل . ، جـ ١/ ص.ص: ٥١، ٥٦ ، ٥٧؛ رانسيمان، تاريخ الحروب الصليبية،كمبردج، ١٩٥٢ ـ ١٩٥٤م،جـ ٣/ ص.ص:٢٧٦ . ٢٨٠ .

(٣) حول هذا الموضوع : انظر الفقرة (٢/أ) من الفصل الخامس من هذا الكتاب .

أما وجهة نظر الوزير ابن العلقمي ، ومن حذا حذوه ، فأنه ـ بعكس ما كان يدعيه خصومه ضده من اتهامات تمليها حزازات شخصية وأحقاد دفينة ، بوازع من التعصب المذهبي الأعمى ـ كان يرى وينصح بوجوب استرضاء الغزاة ؛ وذلك كي يخفف من حدة وحشية المغول المحتومة ضد السكان الآمنين داخل بغداد . وقد أيد الخليفة نفسه هذا الاقتراح الذي قال به الوزير ؛ وأمر بأن يشرع في تنفيذ ما نصح به ابن العلقمي . ومع هذا فقد عارض الحزب الذي يتزعمه الدوادار هذه الفكرة بشدة، وندد بها ؛ كما هدد أن يحارب ضد كل من يحاول تنفيذ ما رآه الوزير ووافق هوى الخليفة ؛ ويتصدى لها ويصادر كل شيء يرسل لاسترضاء المغول .

ومع هذا وذاك ، فاننا نرى أنه بعد أن أباد المغول جيش الدوادار وابن كر ، بالقرب من الأنبار ، وبعد أن أحاطوا ببغداد ذاتها ، فقد أصبح من المتعذر ، بل ومن المستحيل ، أن يكون هناك فائدة أو طائل وراء أية نجدة ، لو قدر وقام المسلمون بارسالها . وفي حقيقة الأمر كان المستعصم قد أرسل يتوسل الى المسلمين في الغرب لنجدته . الا أن الايوبيين في سوريا كانوا مشغولين في حربهم مع المماليك ؛ ولكن لارضاء الخليفة ، والادعاء بأنهم قاموا بمد يد المساعدة لخلافة المسلمين، قاموا بتجهيز نجدة صغيرة حقيرة لا تجدي فتيلاً، وأسندت قيادتها الى الملك الناصر داود ـ الذي كان سجيناً ؛ فأطلق من سجنه ـ شريطة أن يقوم بقيادة تلك القوة التي أرادت اسعاف المستعصم ضد جحافل المغول الجرارة . ولكنه قبل أن تبدأ تلك القوة السورية سيرها باتجاه بغداد ، كان المغول قد انتهوا من مهمة أخذ بغداد ؛ وسووا حسابهم مع حكومتها حيث كانت قد سقطت المدينة ، وأخذ الخليفة أسيراً وقتل ؛ وقوات الأيوبيين ما تزال في سوريا . وما أن جاء الخبر اليها حتى استغل قائد تلك النجدة الفرصة ، وهرب خشية أن يقع في أيدي ذويه، ويعيدوه الى سجنه ، حيث كان[1] .

لا أشك أن الخونة من المسلمين، الذين كانوا يعملون جواسيساً لهولاكو ،

---

(١) أبو الفداء، المختصر ، جـ/٣ ص: ١٩٥ ؛ رشيد الدين، جامع ، جـ ٢/ص: ٧٢٧، الترجمة العربية جـ ٢/ص: ٣٢٢ .

قد أخبروا سيدهم عن حقيقة الاوضاع المتردية داخل بغداد ؛ وعن الأشخاص الفعليين الذين كان في أيديهم حكم بغداد. لذلك نجده يصر ، بعناد وصلف ، في مطالبه التي بعث بها الى الخليفة مع رسله العديدين ، الذين جاؤا وراحوا من والي بغداد ـ كما سنرى في الفصل القادم ـ بأن يخرج اليه الوزير ، والدوادار الصغير ، وسليمان شاه، ليقابلوه خارج بغداد، قبل الدخول في مناقشة مسألة بغداد وسكانها . وعندما ضمن وجود الوزير في خيمته، أصر هولاكو على أن يخرج الإثنان الآخران . أما الخليفة فقد أعطاه حرية الاختيار ، إما الخروج ومقابلته ، أو البقاء داخل قصره ؛ لأن القائد المغولي ، كان على علم تام بأن المستعصم لا يمثل أي خطر ؛ والا لطلب منه أن يخرج ، ولأجبر على المثول أمام هولاكو .

لهذا فقد أصر على أنه لابد أن يخرج اليه قائد قوة المماليك ، وقائد قوة التركمان بوجه خاص (ليسوي حسابه معهما) متذرعاً بأنه يريد أن يوليهما مناصب عسكرية ؛ ويرسلهما على رأس جيش خاص ، ليشاركا في حملته المرتقبة ضد سوريا . وكان غرضه من وراء ذلك هو أن تصبح بغداد خالية تماماً من حامل سلاح .

وفي نهاية الأمر ، وبعد أن ضاقت بهم الحيل ، وبعد أن آنسد أمامهم كل منفذ ، لم يجد كل من الدوادار الصغير، وسليمان شاه بداً من الانصياع للأمر الواقع، فقررا الخروج والاستسلام للعدو . وما أن خرجا باتباعهما ، من المماليك والتركمان ، حتى أخذوا جميعاً، وقسموا الى مجموعات بين العسكر في مختلف الكتائب المغولية، وجرياً على عادتهم الوحشية المتبعة في معاملة أسراهم من الأعداء ـ وضعوا فيهم السيف، فقتلوهم عن بكرة أبيهم .

يروي لنا الجوزجاني أن القائدين ، سليمان شاه ، والدوادار الصغير، كانا قد نصحا الخليفة ـ أثناء حصار بغداد ـ بالهرب من بغداد ؛ حيث أشير عليه بأن يأخذ معه أسرته وكنوزه، وأن يمتطي ظهر باخرة ، وأن يذهب الى البصرة . ويضيف هذا المؤرخ أن الخليفة عندما استشار وزيره ، عن إمكانية ودواعي هربه ، طمأنه بأنه لا داعي لهروبه لأنه (أي الوزير) كان قد توصل الى تفاهم

أحسن مع هولاكو ؛ وأكد للوزير امكانية ايجاد حل سلمي مع المغول . وتذكر هذه الرواية أن الوزير طلب من الخليفة، هذا ان لم يصدق ما قاله الوزير له، فعليه أن يتأكد بنفسه ، ويرسل ابنه ، أبا العباس ، ليقابل هولاكو ليقيِّم مدى رغبة القائد المغولي في السلام ، وشعوره الطيب الذي يكنه تجاه الخليفة وأسرته . ثم يردف الجوزجاني القول بأن ابن الخليفة عندما عاد الى والده أخبره بحسن نوايا وطيبة وأدب القائد المغولي[1] .

وقد اتهم الجوزجاني الوزير بأنه كان قد طلب من هولاكو أن يستقبل ابن الخليفة بكل حفاوة واكرام ؛ وأن يظهر له التقدير والاحترام ، الذي يجعله يرجع الى والده وكله ثقة في حسن نوايا هولاكو تجاههم . ويختم الجوزجاني حديثه ، عن هذه المسألة، بأن الخليفة قد وضع في فخ نتيجة لهذه المكيدة التي دبرها ضده وزيره مع هولاكو[2] .

على الرغم من أن هذا التقرير قد جاءنا من مؤرخ معاصر ، وذهب المستشرق «رافرتي»الى تصديق هذه الرواية ، الا أن هناك سبباً يدعونا أن نشك في روايته هذه ، وذلك لتعصبه الطائفي المتطرف تجاه ذلك الوزير الشيعي المذهب . كما أنه يظهر لنا أن هذا المؤرخ كان يريد ان يدلل ، وأن يثبت ، بأي شكل من الأشكال ، على تآمر الوزير مع هولاكو ضد الخليفة وحكومة العباسيين السنية . ويمكن ان نضيف القول بأنه من الصعب الأخذ بقول الجوزاني ، لأنه كان يعيش في مدينة دلهي بالهند في الوقت الذي سقطت فيه بغداد . وهذه الحقيقة تجعل ما أورده الجوزجاني غير موثوق به ،وتثار حول صحته الشكوك .كما أنه كان يسجل الحوادث هذه لا عن شاهد عيان ، بل ـ وكما يظهر لنا ـ معتمداً على ما كانت تتناقله الأخبار ؛ وكلها اشاعات وأقاويل ، دون التحقق من صحتها .

تقول الروايات التي نميل الى تصديقها أن الدوادار الصغير هو الذي حاول

---

(١) في الحقيقة لم يسمح له بمقابلة هولاكو، عندما ذهب خارج بغداد لطلب الصلح معه نيابة عن والده المستعصم .

(٢) الجوزجاني، طبقات . ، جـ ٢/ ص.ص: ١٩٥ ـ ١٩٦، الترجمة الانجليزية ، جـ ٢/ص.ص: ١٢٤٥ ـ ١٢٤٧.

الهرب ، ولكنه لم ينجح ؛ فقد اصطحب معه أسرته وأتباعه ، وأخذ جميع ما كان يملك من الكنوز ، فقد كان يملك ثروة طائلة قدرت بحوالي مليوني دينار نقداً، دون الاملاك غير المنقولة[1].

كان الدوادار الصغير يعرف تماماً أن المغول سيقومون بتقديمه الى مقصلتهم للذبح ، حالما يقع في قبضتهم. لذلك نجده يقرر أن يهرب ، حتى بدون أن يعلم سيده الخليفة ، فقد ارتأ ـ على ما يبدو ـ أن عدم معرفة الخليفة بهربه سوف يعزز من امكانية نجاحه في الهرب . الا أنه مع ذلك كانت كل الطرق المائية، التي تؤدي من والى بغداد ، مغلقة وتقوم القوات المغولية المحاصرة على حراستها ليل نهار . لذلك فقد فشل الدوادار في مخططه ، فعاد الى بغداد .

أما ما يخص الخليفة من الناحية الثانية ، فانه لم يكن يتصور ـ على ما يظهر لنا ـ امكانية قدوم هولاكو على أن يأمر بقتله ؛ وذلك لأن الخليفة كان قصير النظر، وتنقصه الحنكة والدراية؛لايعرف نوعية الناس الذين كان يتعامل معهم ، ويعيش في أوهام ، بعيداً عن الواقع المحزن الذي كان يعيشه . إذ أنه كلما ذُكِّر بالتهديد المغولي، والخطر الذي كان محدقاً به ، كان يردد قوله « . . . أنا بغداد تكفيني ، فإذا تركت المغول يحتلون بقية الأراضي فانهم لن يظنواأنها كثيرة علينا . . . »[2].

أما مسألة طول المدة التي استغرقها حصار بغداد ، فقد اختلفت مصادرنا التاريخية في هذا الخصوص ، إذ يروي بعضها بأن الحصار دام لشهرين ؛ وأخرى تذكر أنه إستمر خمسين يوماً ؛ والبعض الآخر يذكر أنه مكث اثنى عشر يوماً ؛ بينما يذهب بعض المؤرخين الى القول بأنه أستغرق سبعة أيام ؛ كما أن

---

(١) ابن حماد ، قوت الارواح . ، ورقة ٩٦ أ . عن ثروة وحياة البذخ التي كان يعيشها الخليفة، وأسرته ورجال بلاطه ، راجع كتاب ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة . ، ص.ص: ١٩ ـ ٢٣ ، ٧٦، ٧٧ ـ ٧٩ ، ٨٠ ـ ٨١ ، ٨٨ ـ ٨٩ ، ٩٢ ـ ٩٣ ، ٩٥ ـ ٩٦ ، ١٠٤ ، ١٢٨ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٨٨ ، ١٩١ ، ١٩٢ ـ ١٩٢ ، ٢٥١ ـ ٢٥٢ ، ٢٦٠ ـ ٢٦١ ، ٢٦٤ ـ ٢٦٥ ض ، ٢٧٥ ـ ٢٧٦ ، ٢٩٢ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ .

(٢) ابن الفوطي، الحوادث . ، ص: ١٥٩ ؛ ابن الوردي، تاريخ . ، جـ ٢/ ص: ١٧٣ .

هناك من يقول بأن حصار العاصمة العباسية لم يأخذ من المغول أكثر من ستة أيام [1].

والذي يظهر لنا أن الروايتين الأوليتين مبالغ في تقديرها، لأن نظام المدينة الدفاعي لم يكن على مستوى من القوة والحصانة، بحيث يستمر صامداً أمام هجمات المغول الكاسحة طوال تلك المدة. والذي يبدو أكثر صحة، هو أنه بعد حصار دام ما يقرب من حوالي أسبوعين، أصبحت عاصمة الخلفاء العباسيين في ملك الغزاة المغول، الذين اجتاحوها بقواتهم من جميع جهاتها. حيث شملوا بالحديد والنار كل شبر من المدينة المنكوبة؛ حيث أخذوا يقتلون الأهالي، ويحرقون المنازل، وينشرون الذعر والهلع والدمار في كل ركن منها، مع تجاهل تام لكل المبادىء، ودون رحمة لكبير مسن أو شفقة على صغير أو رضيع؛ فقد عاملوهم سوية، رجالاً ونساءاً، كباراً، وصغاراً، مقاتلين وعزل من السلاح، من أتابع المذهب السني والشيعي على السواء.

ومما زاد في تثبيط همة سكان بغداد، واستسلامهم للعدو عزلاً من السلاح، ما كان قد أعلنه خليفتهم، الذي كان أسيراً لدى هولاكو، في منشوره الذي ألقاه عليهم، بأنه يجب عليهم أن يسلموا أسلحتهم الى المغول؛ وأن يبدأوا بالخروج من بغداد. لذلك خرج أهالي المدينة أفواجاً وجماعات، يتدفقون من خلال بوابات العاصمة ليلاقوا حتفهم؛ حيث كانوا يقدمون الى المقصلة المغولية، فيذبحون كما تذبح الشياه، بمجرد خروجهم من البوابات التي طلب منهم الخروج منها. وهكذا أخليت المدينة تقريباً من معظم ساكنيها، كما شملها الخراب وعمها الدمار.

اختلف مؤرخونا، في تقريراتهم، حول المدة التي استمرت القوات الغازية في نهب مدينة بغداد وقتال أهلها. فبعضهم يذكر أن المغول ظلوا يقتلون

---

(١) حول هذا الموضوع، انظر: خواندامير، حبيب السير.، جـ ٢/ ص: ٣٣٦؛ الجوزجاني، طبقات.، جـ ٢/ ص: ١٩٥، الترجمة الانجليزية، جـ ٢/ص: ١٢٤٢، والحاشية رقم ٢؛ بناكتي، تاريخ.، ص: ٤١٧؛ بريتسكنيدر، بحوث.، جـ ١/ ص: ١٣٨، حيث ينقل عن مصادر صينية عن حياة (كوكئن).

وينهبون المدينة طوال أربعين يوماً ؛ وآخرون يقولون بأنهم مكثوا أربعة وثلاثين يوماً ؛ بينما يقدرها البعض الآخر بسبعة أيام فقط[1] .

والذي يظهر لنا هو أن الرواية الأخيرة هي أقرب الى الصواب ؛ اذ أن الجيوش المغولية المحاصرة كانت قد أعطيت إشارة البدء في أخذ بغداد وذبح أهلها في اليوم السابع من شهر صفر ، سنة ٦٥٦ هـ / ١٣ من فبراير لعام ١٢٥٨ م ؛ وأن هولاكو غادر بغداد في اليوم الخامس عشر من شهر صفر / الحادي والعشرين من شهر فبراير ، أو في اليوم الذي تلاه .

كما اختلفت مصادرنا في تقدير عدد القتلى الذين لاقوا حتفهم على أيدي المغول ، خلال تلك المذابح التي ارتكبها الغزاة أثناء أخذ بغداد . إذ يقدره بعضهم بـ : ٢,٣٠٠,٠٠٣ ؛ وغيرهم يذكر أن عدد القتلى بلغ : ١,٨٠٠,٠٠٠ قتيل ؛ بينما يذهب آخرون في ذلك فيقولون بأنهم كانوا حوالي : ٨٠٠,٠٠٠ قتيل[2] .

والذي يظهر لنا أن الرقمين الأولين كانت ـ دون شك ـ تمليها عوامل المبالغة والخيال ؛ وحتى أن الرقم الأخير يبدو أنه مبالغ فيه . لأن الكثير من سكان بغداد كانوا قد هجروا المدينة ، خلال السنوات القليلة الماضية ؛ حيث كانوا قد أصبحوا ضحايا الفيضانات الفصلية ، التي كانت تقع كل سنة ، والتي دمرت أجزاءً كبيرة من مدينتهم . وفوق ذلك كله أنهم كانوا قد سمعوا بالهجوم المغولي الكاسح ، الذي كان في طريقه اليهم ، تحت قيادة عضو من أعضاء أسرة جنكيز خان .

---

(١) انظر: ابن الساعي ، المختصر . ، جـ ٩/ ص: ١٢٧ ؛ اليونيني ، ذيل . ، جـ ١/ ص: ٨٩ ؛ ابن الفوطي الحوادث . ، ص: ٣٢٧ ؛ ابو الفدا ، المختصر . ، جـ ٣/ ص: ١٩٤ ؛ القزويني ، تاريخ گزيده ، ص: ٣٦٩ ؛ ابن حماد ، قوت الأرواح . ، مخطوطة، ورقة : ٩٦ أ ؛ الذهبي، تاريخ . ، مخطوطة، جـ ٢/ ورقة : ٢١٣أ الطوسي ، نصير الدين الطوسي، كيفية واقعة بغداد (الجويني ، جهانكشاي، جـ ٣/ ص: ٢٩٠) ؛ رشيد الدين، جامع . ، جـ ٢/ ص: ٧١٣ ؛ ابن العبري، تاريخ . ، ص: ٢٧٢ .

(٢) حول هذا ، انظر : ابن دقماق ، الجوهر الثمين ، مخطوطة ، ورقة : ٧٠ أ ـ ب ؛ ابن الفوطي ، الحوادث . ، ص : ٣٣١ ؛ الذهبي، تاريخ . ، مخطوطة ، جـ ٢٠ ورقة: ٢١٢أ ؛ القزويني، تاريخ . ، ص.ص: ٣٦٩ ، ٣٨٩ ، الترجمة الانجليزية، ص: ١٤٢ .

مسألة استسلام الخليفة وقصة مقتله

أما ما يتعلق بمسألة استسلام الخليفة الى القائد المغولي ، وقصة قتله ، فتقول الروايات أنه في اليوم الرابع من شهر صفر ، عام ٦٥٦ هـ/ العاشر من شهر فبراير، ١٢٥٨م ، خرج الخليفة من المدينة، ومثل بنفسه أمام هولاكو خان[١]. وقد كان المستعصم مصحوباً بأبنائه الثلاثة ، وبمجموعة من كبار ووجهاء مدينة بغداد . الا أنهم عندما اقتربوا من مخيم المغول ، لم يسمح الا لأفراد قلائل، من أتباع المستعصم، بالذهاب معه الى خيمة خاصة أقيمت خصيصاً له ليسكنها أثناء أسره ؛ بينما أخذ الباقون، وفرقوا على جنود الكتائب المغولية المختلفة ليتساعدوا على قتلهم . فقتلوا جميعهم دون شفقة أو رأفة بكبيرهم أو بصغيرهم .

أما المستعصم وشأنه، فتقول أغلب الروايات بأن هولاكو خاطبه بلطف ودماثة ، وأظهر إحتراماً خاصاً له ؛ وطلب منه أن يأمر المدافعين داخل المدينة المنكوبة، بوقف القتال ضد المغول ، وأن يضعوا أسلحتهم، ويخرجوا خارج المدينة[٢]. وبعد ذلك أخذ المستعصم وأبناؤه، وسجنوا عند باب كلواذا ، خارج أسوار بغداد ـ الى الجهة الجنوبية من المدينة ـ والتي تسمى اليوم بـ البوابة الجنوبية، حيث كان يعسكر القائد المغولي «**كدبوقا نويان**» بقوات الجناح الأيسر أثناء عمليات الحصار .

وعندما ذهب القائد المغولي ، ودخل في بغداد واتجه ليتفقد قصور

(١) ابن الفوطي في (الحوادث . ، ص . : ٣٢٦ ـ ٣٢٧) يقول بأن ذلك كان في ٢٨ محرم/ السادس من فبراير .

(٢) الجوزجاني ، طبقات . ، جـ ٢/ص: ٩٦ ، الترجمة الانجليزية، جـ٢/ص: ١٢٤٨ .

الخلفاء، أحضر المستعصم ليصاحب هولاكو، الذي أمره بأن يقدم له ما يسمى بـ «پيش ـ كشها» وهي الهدايا والتحف التي يقدمها التابع الى سيده. وتقول الروايات أن كل شيء كان يحضره المستعصم، كان هولاكو يقوم بتقسيمه بين قادته، وضباطه الرجال الذين كانوا بصحبتهم. وأخيراً أمر هولاكو المستعصم، الذي كان يرتعد مرتاعاً، ويرتجف خوفاً، أن يميط اللثام عن المكامن التي تحوي كنوزه ويخبره عن مكانها. ويقال أن أحواضاً مملؤة بسبائك الذهب كانت مخبأة في مخازن خاصة تحت الأرض قد اكتشفت، وقدمت الى هولاكو. وقد وصف لنا المؤرخون أن ثروة المستعصم كان من الصعوبة بمكان احصاؤها، أو حتى تصورها. فأخذت تلك الثروة الهائلة التي كشف عنها المستعصم، مع غيرها، والتي نهبها هولاكو ورجاله من بغداد، ونقلت الى آذربيجان. حيث خزنت في قلعة أقيمت خصيصاً لهذا الغرض في جزيرة شاهي الواقعة في وسط بحيرة أرمية[1].

أما قصة مقتل الخليفة المستعصم، فإن هناك أربعة مصادر رئيسية مختلفة تتكلم عن هذه المسألة، وعن الطريقة التي أعدم المستعصم بموجبها. فهناك المصادر «الأوروبية»؛ و«الجرجانية» أو «الكرجية» ـ كما تسمى في مصادرنا العربية ـ، و «الأرمينية»، الى جانب ما كتبه لنا مؤرخونا المسلمون. فالمجموعة الأولى تقول بأن المستعصم مات جوعاً، بعد أن أخذ وسجن في قلعة خاصة، وأحيط بأمواله وكنوزه ـ التي كان يحتفظ بها طوال حياته، وما ورثه عن آبائه وأجداده ـ وأقفل عليه داخلها[2].

أما الفئة الثانية من مصادرنا، فتقول بأن المستعصم قتل بالسيف؛ إمّا

---

(١) حياة «كُوكتن» مترجمة من المصادر الصينية الى الانجليزية قام بها بريتسكنيدر، بحوث..، جـ ١/ ص: ١٤١؛ ج. أ. بويل، إيران في تاريخ كمبردج، جـ ٥/ ص: ٣٤٩.

(٢) كَريكَور الاكانكي، تاريخ الأمة ذات الأقواس (المغول)، ص.ص: ٣٣٣ ـ ٣٣٥؛ ماركو پولو، الرحلات..، ص: ٢٧؛ انظر: لوسترنج، قصة مقتل آخر خليفة عباسي، مجلة الجمعية الأسيوية الملكية، ١٩٠٠م، ص.ص: ٢٩٣ ـ ٣٠٠، ص: ٢٩٤، حيث ينقل عن جونفل؛ بويل، مقتل آخر خليفة عباسي، تقرير مسلم معاصر، مجلة الدراسات السامية، جـ ٦/ ص.ص: ١٤٥ ـ ١٦١، مانشستر، ١٩٦١، ص.ص: ١٤٦، ١٤٨ ـ ١٤٩؛ اقبال، مقالات، ص.ص: ٤١٥ ـ ٤١٦.

على يد هولاكو نفسه ـ كما تقول بعض هذه الروايات ـ أو على يد «**إلج نويان**» الذي كان واحداً من قادته العسكريين «**الجرجانيين**» (من الكرج)[1].

ومن المجموعة الثالثة من هذه المصادر «**المؤرخ الأرمني**» المعاصر لتلك الأحداث، بارهبريوس (أو أبو الفرج المسمى بابن العبري)؛ وهذا المؤرخ لم يذكر لنا شيئاً في مؤلفه «**تاريخ مختصر المغول**» عن الكيفية او الطريقة التي قتل بموجبها المستعصم، ولكنه يذكر بأنه أخذ وقتل قبل أن يقتل أولاده[2] أما في مؤلفه الآخر «**كورنوكَرافي**» فان بارهبريوس يذكر أن المستعصم أخذ، وأحضر أمام هولاكو، الذي أمضى حكمه عليه بالموت. وقد أمر أتباعه بأن يوضع في قطعة من الكساء؛ ثم يخيط عليه داخلها، ثم يرفس بالأقدام حتى الموت، فقتل المستعصم بهذه الطريقة. ويردف المؤرخ القول بأن المغول عملوا هذا، لأن بعضاً من العرب جاؤا الى: «... **ملك الملوك**» (يعني هولاكو)، وخوفوه من العواقب الوخيمة التي ستترتب على اهدار دم المستعصم على الأرض؛ حيث لن يسقط المطر مرة أخرى، وكذلك فان ناراً ستنبعث من باطن الأرض التي أهرق دمه عليها[3].

أما المؤرخ «**الأرمني الثاني**»، الذي أورد لنا قصة مقتل المستعصم، فهو «**كَريكَور الاكنكي**»، حيث يقول في هذا الشأن: «... **وحينئذٍ أمر هولاوون (يعني هولاكو) بأن يلقى على الأرض، ويداس تحت أقدام جنوده، وهكذا لكي يقتل خليفة العرب**»[4].

وفيما يتعلق بما ورد في رواية المؤرخ المسيحي المعاصر، ابن العميد، الذي كتب باللغة العربية، فانه يقول في هذا الصدد: «... **وأمر أن يرفس**

---

(١) بويل، مجلة الدراسات السامية، ١٩٦١، جـ ٢/٦. وهو تقرير مترجم الى الانجليزية قام بكتابته عن مصير بغداد ذلك العالم الكبير المسلم نصير الدين الطوسي، والذي أصبح ذيلاً للمجلد الثالث لتاريخ «جهانكشاي» الذي ألفه الجويني، ص: ١٤٩، وحاشية رقم: ٥.

(٢) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص: ٢٧٢.

(٣) بارهبريوس، كورنوكرافي، جـ ١/ص: ٤٣١.

(٤) كَريكَور الاكنكي، تاريخ الأمة ذات الأقواس (المغول) ص: ٣٣٥.

الى أن يموت فرفسوه الى أن مات»[1].

أما المؤرخون المسلمون، فإن الجوزجاني هو أول من ذكر هذه المسألة[2]. حيث يذكر أنه قد أشير على هولاكو بألا يهرق دم المستعصم على الأرض ؛ والا فانه سيثور بركان ، ثم أنه سيقتل الناس، وأنه (أي هولاكو) سَيُدَمر هو وجنوده . لهذا فقد أصيب القائد المغولي بالهلع ، وأخذ منه الرعب كل مأخذ ، من هذه النتائج المرعبة التي كانت ستقع . وهنا أمر بألا يهرق دم المستعصم على الأرض، حيث أخذ ولف في كيس من الجلد، ورفس حتى مات[3].

وقد ذكر مؤرخون مسلمون آخرون، وان كان ذلك بطرق مختلفة ، هذه الطريقة التي قال الجوزجاني أن المستعصم قتل بموجبها[4]. ومع هذا ، فانه لا نصير الدين الطوسي (الذي كان موجوداً آنذاك) ولا رشيد الدين ـ في تقريره الذي كان أكثر شمولاً من غيره ـ ولا بناكتي ، كان قد ذكر أي شيء عن الطريقة التي قتل بها المستعصم[5].

ومع هذا وذاك ، فانه مهما كان قول المؤرخين ، واختلافات رواياتهم في

---

(١) ابن العميد ، اخبار الأيوبيين . ، تحقيق كُهِنْ ، مجلة الدراسات الشرقية، ١٩٥٥ ـ ١٩٥٧م، جـ ١٥/ ص: ١٦٧.

(٢) لوسترنج ، في مجلة الجمعية الأسيوية الملكية، ١٩٠٠م، ص: ٢٩٥، لاشك أنه قد جانب الصواب عندما يقول بأن الجوزجاني لم يذكر شيئاً عن هذه المسألة في كتابه «طبقات». . انظر ايضاً : بويل ، مجلة الدراسات السامية ، ١٩٦١ م ، ص.ص: ١٤٦ ـ ١٤٧ .

(٣) الجوزاني ، طبقات . ، جـ ٢ص : ١٩٧ ، الترجمة الانجليزية ، جـ ٢/ ص: ١٢٥٢ ـ ١٢٥٣ .

(٤) ابن الفوطي ، الحوادث. ، ص: ٣٢٧ ؛ وصاف ، تاريخ . ، ص: ٢١٧ ؛ العمري، مسالك . ، مخطوطة ، جـ ١١/ ورقة : ١٤٦ أ ؛ الذهبي تاريخ . ، مخطوطة ، جـ ٢٠/ ورقة : ٢١٢ أ ؛ ابن حبيب ، الحسين بن عمر ، درة الاسلام في دولة الأتراك ، مخطوطة ، رقم: ٨٤٩، يني جامع في اسطنبول ، ورقة رقم ١٥ أ ـ ب ؛ ابن حماد ، قوت الأرواح . ، مخطوطة ، ورقة : ٩٦ ب ؛ اليونيني ، ذيل . ، جـ ١/ ص : ٨٩ ؛ ميراخواند ، روضة الصفا . ، جـ ٥/ ص: ٢٥٠ (يذكر هذا المؤرخ أن حسام الدين المنجم قد طلب منه أن يبدي وجهة نظره في هذه المسألة ، وليس عن غزو بغداد ذاته . وقد نقل الاستاذ المرحوم عباس اقبال في مقالاته التي حققت بعد وفاته ، ص : ٤١٧ . حول هذا الموضوع انظر فقرة : ٢/ب من الفصل الرابع من هذا البحث .

(٥) رشيد الدين ، جامع . ، جـ ٢/ ص: ٧١٤ الترجمة العربية ، جـ ٢ / ص: ٢٩٤. انظر أيضاً : بناكتي ، تاريخ ، ص : ٤١٧، ؛ ج.أ. بويل : تاريخ كمبريدج لايران ، ٥/ص: ٣٤٩ .

هذا الشأن ، وسواءاً أكان هولاكو قد أخذ رأي مستشاريه، حول مسألة قتل المستعصم أم لا ، فإن القائد المغولي هذا لم يكن الا متقيداً بعادات وتقاليد أجداده ؛ ومنفذاً لها عندما أمر بأخذ المستعصم ولفه في كيس ، أو فراش. ثم بعد ذلك رفس ، أو ديس حتى الموت ؛ ثم الى أن تهشمت عظامه داخل جلده ؛ وذلك لكي يتجنب اهراق دمه .

وحول هذه المسألة ، فان النويري كان في روايته صائباً تماماً.، وعندما ذكر أن المغول لا يهرقون دماء السلاطين، الملوك ، والأمراء[1].

---

(١) النويري ، نهايات الأرب ، ، مخطوطة ، ، جـ ٢١ / ورقة رقم: ٩٩ أ.

الفصل الرابع

حملة المغول العسكرية ، بقيادة هولاكو ، ضد الأراضي الغربية

أولاً : أ ـ دواعي الحملة ، واستعداداتها .

ب ـ سقوط القلاع الإسماعيلية ، ونهاية أمر هذه الطائفة .

ثانياً : أ ـ هولاكو يطالب باستسلام المستعصم ، دون قيد أو شرط مسبقين .

ب ـ سقوط بغداد على أيدي المغول وأعوانهم .

أولاً : أ ـ دواعي الحملة ، واستعداداتها

يورد لنا الجوزجاني رواية يقول فيها أن حملة المغول هذه ، والتي قام هولاكو بقيادتها ، كانت أصلاً استجابة من « القاآن منكّو » ، للتحريض الذي قام به القاضي السني المذهب شمس الدين أحمد الخوفي القزويني ؛ عندما قرر أن يرسل أخاه الأصغر الى الغرب على رأس جيش كبير ضد الاسماعيليين في ايران . وقد ذهب القاضي الى البلاط « القاآني » ، يمثل في بعثته تلك أصحابه وبني جنسه ومُعْتَقَدِه المسلمين السنيين في قزوين ، ليتوسل الى الخان المغولي الكبير لمساعدته ضد الملاحدة الهراطقة ؛ ولكي يعطي تقريراً مفصلاً ، ومحدداً عن معتقداتهم الباطنية الباطلة ؛ وعن شرهم وأذاهم المستطيرين ؛ وعن مدى ما وصلوا اليه في نشر الإرهاب والخوف ، اللذان عما أرجاء المنطقة بين كل الناس في خارج مجتمعهم ، وضد كل من لا يدين بمعتقداتهم . ثم يروي الجوزجاني أيضاً بأن ذلك القاضي اتهم « القاآن » بضعف حكومته ؛ لأنه لو كان الأمر على عكس ما يدعيه القاضي ، وكانت دولته قوية ، لأقدم « منكّو قاآن » على ابادة الهراطقة . ويردف الجوزجاني القول بأن هذا القاضي قال « للقاآن » :

« . . . فان أردت أن تحمي دولتك من الهبوط ، والتراجع الى الوراء ، (فعليك بابادة هذه الفئة) ؛ والا فانها سوف تنهض تلك الطائفة من الملاحدة من بين تلك الجبال ، ومن هاتيك القلاع ؛ ثم تطوح بمن بقي من السكان المسلمين ، ولسوف لن يتركوا لهم أثراً أبداً »[1] .

---

(١) الجوزجاني ، طبقات . ، جـ ٢/ص : ص : ١٨١ ـ ١٨٢ ، الترجمة الانجليزية ، ج ٢/ص . ص : ١١٨٦ ـ ١١٨٩ .

وما نفهمه من رواية الجوزجاني الأخيرة هذه ، يبدو لنا وكأن المؤلف جعل من « **منكّو قا آن** » حامياً للمسلمين ، ولدينهم . وهذا بطبيعة الحال خلاف الواقع . فلنا تعليق بسيط على ما ورد في رواية الجوزجاني ككل ؛ فنقول بأن المسلمين السنيين الساكنين في مناطق قزوين قد عاشوا في حالة حرب مع عدوهم اللدود ، وهم أتباع المذهب الاسماعيلي ، أو الباطنية ، والمعروفين أيضاً بالحشاشين . وهم أناس كانوا يعيشون في القلاع الجبلية الحصينة المجاورة لأهل قزوين ، والتي كانت منتشرة على قمم الجبال المحيطة بأراضي القزوينيين ، من أهل السنة وعلى وجه الخصوص ، قلاع الاسماعيلية في منطقتي الموت (أورودبار) وكَردكوه في منطقة كوهستان .

لهذا فاننا نجده من غير المستغرب لأهل قزوين أن يبحثوا لهم عن نصير من الخارج ، ويطلبوا منه المساعدة ضد عدوهم . إلا أنه مع هذا يبدو لنا من غير الممكن أن يقدم المسلمون السنيون القاطنون في قزوين على أن يسألوا المغول ـ الذين كانوا يمثلون أخطر وأكبر تهديد مميت عرفه المسلمون طوال تاريخهم العريق ـ لمساعدتهم ضد الاسماعيليين .

وعلى الرغم من أن هذه الرواية التي أوردها الجوزجاني ، قد نقلها مؤرخون جاءوا بعده ، فان الذي يظهر لنا هو أن هذه الرواية لم تكن إلا كلاماً مختلقاً من قبل الجوزجاني ، حيث يعكس شعوره بالكراهية الدفينة تجاه اتباع هذه الطائفة المتطرفين .إذ أن رواية الجوزجاني ـ كما قلنا ـ تجعل من « **منكّو قا آن** » حامياً للاسلام ضد اعدائهم من أتباع المذهب الباطني ؛ وهذا غير صحيح[1] .

وهناك من المؤرخين من يؤكد أن « **منكّو قا آن** » قام بارسال أخيه هولاكو ضد الاسماعيليين وقلاعهم الحصينة ، وضد أراضي حكومة بغداد ، استجابة للشكايات المستمرة التي كان قائد المغول العسكري في الغرب ـ بايجونويان ـ قد

---

(١) رشيد الدين ، جامع . ، جـ ٢/ص . ص : ٦٨٤ ـ ٦٨٥ ؛ بناكتي ، تاريخ . ، ص : ٤١٤ ؛ مير خواند ، روضة . ، جـ ٥/ص ص : ١٩١ ـ ١٩٢ ؛ خواند امير ، حبيب السير . ، جـ ٣/ص : ٩٣ .

أرسلها ضد جيرانه أولئك . ومع هذا فاننا يجب ألا نولي أية أهمية لهذا السبب بالذات ، لأن هؤلاء المؤرخين أنفسهم تقدموا لنا بسبب رئيسي آخر ، وهو الذي أدى الى حملة هولاكو العسكرية ضد أراضي الأقطار الغربية ، وهذا السبب هو رغبة « **القاآن** » المغولي الجديد في توسيع رقعة أراضيه بصفة أكثر الى جهات الشرق والغرب على حد سواء

وحول هذه المسألة بالذات ، يورد لنا الجويني ـ الذي كان معاصراً للأحداث ، ويقوم بتدوين أحداث ومعلومات شاهدها بعينيه ـ أو نقلها عمن شاهدها ـ شرحاً واضحاً لأسباب حملة هولاكو تلك . إذ كتب قائلاً بأنه عندما وطد « **منكو قا آن** » ملكه ؛ وتمكن من العرش ، كخان أعظم للمغول ؛ وحيث لم يعد يهمه أولئك الحساد والأنانيون ، لا من قريب ولا من بعيد ، وجه جل اهتمامه الى اخضاع النواحي القصوى من أراضي بلاد الشرق وبلاد الغرب ؛ وقد اتخذ هذا القرار ، ووافق عليه كبار الأمراء المغول في اجتماع لهم (قور لتاي)[1] .

ثم بالاضافة الى هذا السبب الكامن وراء حملة هولاكو ، الذي أورده لنا الجويني ، فاننا يمكن أن نقول بأن حملة المغول العسكرية هذه ، ضد الأقطار الغربية ، لم يكن (بأي حال من الأحوال) مشروعاً جديداً من اختراع « **منكو قا آن** » ؛ أو من تخطيطه . ولكنه في الحقيقة احياء لمشروع سابق كان قد خططه ، ونوى تنفيذه الخان السابق « **كويوك خان** » لسنوات قلائل مضت . إذ أن رسول الخليفة المستعصم ـ كما أشرنا إلى ذلك سابقاً ـ كان قد جُرِّد من انعامات الخان ، والشعارات التشريفية « **اليارليغ والپيزا** » التي سبق ومنحه اياها « **كويوك خان** » وأنِّبه أعنف تأنيب ؛ وأرسل معه رسالة غاضبة الى الخليفة ، يزبد ويرعد فيها ، ويتوعد المستعصم بشر مستطير[2] .

أما ما يتعلق ببعثة الاسماعيلية ، فقد طردوا من بلاط الخان ، بعد أن

---

(١) الجويني ، جهانكشاي ، جـ ٣/ص : ٩٠ ، الترجمة الانجليزية ، جـ ٢/ص : ٦٠٧ .

(٢) حول هذه المسألة راجع الفقرة «٢» من الفصل الثالث ، في الصفحات الأخيرة . وعلى الخصوص في ص ٢٠٥

أذلوا وأهينوا ؛ وأجاب على رسالتهم ، التي كانوا قد جاءوا بها من شيخهم ، اجابة شديدة اللهجة[1] . وفيها يبدو لنا أنه عندما سمع « **كويوك خان** » بعدم ولاء الخليفة في العراق ، والاسماعيليين في أراضي ايران تجاه المغول ، وروحهم العدائية التي يضمرونها لهم ، حسب شكايات القائد « **تِشَرَامُون** » قرر أن يقوم بقيادة حملة عسكرية الى الغرب ؛ وليضع حداً لعدائهم تجاه المغول . لذلك نجد أنه بعد أن انتهى من احتفالات وطقوس التتويج على العرش أمر « **كويوك خان** » بأن يقوم المغول بعمل الاستعدادات اللازمة ، لكي يقود تلك الحملة الجديدة .

لهذا فقد طلب من كل أمير ، من أسرة جنكيز خان ، أن يساهم في تلك الحملة المزمع القيام بها ، وذلك بارسال رجلين عن كل عشرة من مجموع الرجال الذين يقطنون في أراضيه الأميرية وكما أشرنا سابقاً ، فقد وضعت قيادة كتائب هذه الحملة الطلائعية تحت رئاسة « **الجِيْجِيْتَاي نويان** » . كما أنه قد وفق على أن يقوم كويوك خان بالمسير فيها بعد ، واللحاق به[2] . إلا أنه مع ذلك ، فان الخان توفي بصورة مفاجئة ، وهو في طريقه لقيادة تلك الحملة ضد الاسماعيليين والخليفة . ونتيجة لهذا الحادث ، كان محتماً على المغول أن يؤجلوا حملتهم العسكرية تلك حتى حين آخر مناسب .

ولذلك فاننا نجد أن مسألة اخضاع الاسماعيليين والخليفة قد تأخرت عن موعدها المقرر لها الى ما يقرب من عقد من الزمن[3] .

ثم أنه يمكننا أن نضيف حقيقة أخرى ، عن طبيعة ودواعي حملة المغول ضد الغرب ، وذلك بأنه منذ أيام جنكيز خان ، على الأقل ، كانت العادة أنه بمجرد أن ينتخب خان جديد للمغول ، ثم ينصب على عرش الخانات الكبير وينتهي من حفلات التتويج ، حتى يبدأ ذلك الخان المتوج في التخطيط لفتح

---

(١) الجويني ، جهانكشاي ، جـ ١/ص . ص : ٢١١ - ٢١٣ ، الترجمة الانجليزية ، جـ ١/ص . ص : ٢٥٧ - ٢٥٨ .

(٢) المرجع السابق ، جـ ١/ص : ٢١١ - ٢١٢ ، الجوزجاني ، طبقات . ، جـ ٢/ص . ص : ١٦٩ - ١٧٠ ، الترجمة الانجليزية جـ ٢/ص . ص : ١١٥١ - ١١٥٣ .

(٣) راجع ما سبق وذكرناه في هذا الشأن في آخر الفصل الثاني من هذا الكتاب وبالذات في ص . ص: ١٦٣ - ١٦٥ .

وعمليات عسكرية جديدة . وما كان قد سار عليه جنكيز خان وخلفاؤه ، حول هذا الموضوع ، وينطبق تماماً على « منكو قا آن » ؛ إذ نجده ما أن توج « كقا آن » جديد على العرش المغولي حتى شرع في وضع منهج معين ، للقيام بفتوحات جديدة على بساط البحث . ويتمثل هذا المشروع القيام بوضع خطة معينة لعمليتين عسكريتين عظيمتين . فكانت الأولى قد وفق بأن ترسل ضد الشرق ، بينما وافقوا على ارسال الحملة الثانية ضد الغرب ، واستئنافاً لما كان قد شرع فيه « كويوك خان » منذ عدة سنوات خلت[1] .

أما فيما يتعلق بالحملة العسكرية الأولى (التي أرسلت الى الأراضي الشرقية) فانها بعثت ضد حكومة امبراطورية الصين الجنوبية ؛ وكانت الأسرة الحاكمة فيها هي من سلالة سُنْكَ . وكانت الحملة تلك قد أسندت قيادتها إلى أخي « القا آن » الصغير « قُبِلَاي خان » الذي أصبح فيما بعد « قا آنا » خلفاً « لمنكو قا آن » (٦٥٨ ـ ٦٩٤ هـ / ١٢٦٠ ـ ١٢٩٤ م) ؛ كما أسس أسرة مغولية حاكمة في الصين بعد زوال حكومتها السابقة سُنْگ ، سميت في التاريخ: « أسرة يوان » . وبعد سير تلك الحملة بسنتين تقريباً ، أي في سنة ٦٥٣ هـ / ١٢٥٦ م ، عززت القوات المغولية تلك بقوات اضافية عظيمة ، قدر عددها ـ حسب رواية رشيد الدين ـ بحوالي ستين تومان ، أي ما يقرب من ستمائة ألف رجل[2] .

أما الحملة المغولية الأخرى ـ التي أرسلت ضد الأقطار الغربية ، فان قيادتها أسندت الى هولاكو خان ، وهو الأخ الأصغر « للقا آن منگو » ؛ كما أن هولاكو أصبح فيما بعد مؤسساً لأسرة مغولية أخرى حكمت في ايران ، سميت ب : « أسرة الايلخانيين » . وكانت التعليمات ، التي صدرت اليه من قبل « القا آن » ، تقضي بأن يقوم بتدمير الاسماعيليين ، ويقوض قلاعهم الحصينة ؛ ومن ثم يسير ضد الأكراد واللور ، ويستأصل شأفتهم بازالتهم من

---

(١) وليم الربركي ، رحلة . ، تحقيق دوسون ، ص : ١٨٥ ، الجويني ، جهانكشاي جـ ٣/ص . ٧١ ـ ٧٢ ، رشيد الدين ، جامع التواريخ ، جـ ١/ص . ص : ٥٩٩ ـ ٦٠٠ .

(٢) رشيد الدين ، جامع التواريخ ، جـ ١/ص . ص : ٦٠٠ ـ ٦٠٣ .

الجبال التي يسكنونها ؛ وعندما ينتهي من واجباته تلك ، عليه أن يسير الى العراق ، ويدعو الخليفة في بغداد بالاستسلام طواعية ، واعلان الولاء والطاعة للمغول . وإذا رفض الاستسلام فعلى هولاكو أن يمضي قدماً ، ويدمر الخليفة ، وأن يلحقه بالآخرين . كما كانت أوامر « القاآن » التي أملاها على أخيه ، بأن يواصل السير على رأس حملته العسكرية تلك ، حتى حدود الأراضي المصرية الغربية .

قبيل رحيل هولاكو في بداية حملته العسكرية الغربية تلك ، قدم « **منكّو قا آن** » بعض الوصايا الى أخيه الأصغر . ومن هذه الوصايا : أن يتقيد هولاكو بـ : « ياسا » ووصايا جدهم العظيم جنكيز خان . وتقول الرواية أن « **القاآن** » خاطب أخاه قائلاً : « **. . . تقيد بتقاليد جنكيز خان وقوانينه ، في كلياتها وجزئياتها ؛ وكل من يطيع أوامرك ويتجنب نواهيك ، في جميع الأراضي الممتدة من نهر جيحون حتى أقصى بلاد مصر خُصَّهُ بلطفك وانعامك ، وبأنواع عطفك ورحمتك . أما من يعصاك ، فأغرقه في المذلة والمهانة ، هو ونساءه وابناءه ، وأقاربه ، وكل من يلوذ به . فلتبدأ (بحملتك العسكرية) باقليم كوهستان في خراسان (وهو اقليم رئيسي من أقاليم الاسماعيليين في ايران) . . . ، فاذا فرغت من هذه المهمة ، فتوجه الى أرض العراق ، وأزل من طريقك اللور والأكراد ،** الذين يقطعون الطرق على سالكيها . فإذا بادر خليفة بغداد بتقديم فروض الطاعة فلا تتعرض له مطلقاً أما إذا تكبر وعصى ، فألحقه بالآخرين من **الهالكين . كذلك ينبغي عليك أن تجعل رائدك العقل الحكيم ، والرأي السديد ، في جميع الأمور ؛ وأن تكون في جميع الأحوال يقظاً عاقلا ؛ وأن تخفف على الرعية التكاليف والمؤن ، وأن ترفه عنهم . وأما ما يتعلق بالأقاليم الخربة المدمرة ، فعليك أن تعيد تعميرها حالاً . وكن على يقين من أنك ـ بقوة الله العظيم ـ سوف تفتح ممالك الأعداء ، حتى يصير لك فيها مصايف ومشاتي عديدة . وشاور دوقوز خاتون (تلك هي زوجة هولاكو الكبرى) في جميع القضايا والشؤون** »[١] .

---

(١) رشيد الدين ، جامع التواريخ ، جـ ٢/ص . ص : ٦٨٧ ـ ٦٨٨ ، الترجمة العربية ، جـ ٢/ص . ص : ٢٣٦ ـ ٢٣٧ ، انظر أيضاً الجوزجاني ، طبقات ـ ناصري ، الترجمة الانجليزية ، جـ ٢/ص : ١١٩٣ .

تجهيزات واستعدادات الحملة

كان « **منكو قاآن** » يعرف تمام المعرفة ما سيعترض أخاه من صعاب شتى ، ومشاكل جمة ؛ نابعة من صعوبة الواجب الذي أسند إليه القيام به ؛ فأراد أن يزيل أية امكانية قد تؤدي الى فشله في تلك المهمة الشاقة التي تنتظره . فأقدم « منكو » على استجلاب مهندسين وخبراء فنيين ، من ذوي التخصص في عمليات الحصار ؛ حيث تم استقدام أولئك المهندسين وآلاتهم الخاصة معهم . وقد قدر عدد فريق الخبراء ذلك بحوالي ألف أسرة (هزار خانة) ، حيث التحقوا بحملة هولاكو تلك ليقوموا بتخطيط وتنفيذ كل ما يتعلق بشؤون الحصار ، لأي مكان حصين يصعب اقتحامه من قبل القوات المغولية الأخرى. كما كان هناك فريق آخر من الخبراء المتخصصين في آلات المنجنيق ، وآخرون في الآلات القاذفة للنفط والمواد المحترقة الأخرى ، وخبراء وفنيون في آلات أخرى تسير على عجلات ، وظيفتها قذف الأسهم النارية . كما زودت حملة هولاكو خان بكميات هائلة لا تحصى من القذائف النارية ، ملئت بها المخازن التموينية الخاصة بكل فرع من فروع كتائب الجيش المغولي الزاحف[1] . وقد قام المغول ـ كما قلنا ـ باستيراد جميع آلاتهم الحربية تلك تقريباً من الأراضي الصينية ، كما استجلبوا أولئك الرجال الخبراء والمتخصصين في تشغيلها من هناك

وقبل أن تشرع حملة هولاكو في مسيرتها نحو الغرب ، قام قادة المغول بارسال فريق آخر من الرجال المهندسين المتخصصين في بناء الجسور ؛ وذلك

---

(١) الجويني ، جهانكشاي ، جـ ٣/ص . ص : ٩٢ ـ ٩٣ ، الترجمة الانجليزية ، جـ ٢/ص : ٦٠٨ ؛ رشيد الدين ، جامع التواريخ ، جـ ٢/ص :٦٨٦ ؛ الجوزجاني ، طبقات . ، الترجمة الانجليزية ، جـ ٢/ص : ١١٩١ ، والحاشية رقم : ١ .

ليقوموا بانشاء أو اصلاح معابر وجسور على الأنهار ؛ ولكي يضعوا القوارب ، والمعديات النهرية (بوارج) في حالة استعداد ، على مختلف المعابر النهرية التي ستقع في طريق القوات المغولية الثقيلة والمحملة بمختلف الأسلحة ؛ لتستطيع العربات التي تنقل تلك المعدات العسكرية أن تعبر بسهولة وبسرعة . كما أرسل حشد كبير من العمال ليقوموا بتصليح وتسهيل الطريق ، وإزالة الأحجار والأشجار والأشواك أمام هذه الجيوش ، التي ستطرقها .

ولكي يؤمن « القاآن » المواد الغذائية لرجال الحملة وللدواب التي تنقلهم ومعداتهم ، قام بارسال النجابة لابلاغ تعليماته الى من يعنيه الأمر ؛ وهذه التعليمات تقضي بأن توضع جميع الأراضي الواقعة على طريق مسيرة الجيش ـ من نقطة الانطلاق في منغوليا حتى « بيش باليغ » في تركستان ـ وتصبح أراضي محرمة تحت الحظر ؛ لتصبح أراضي يحرم لأي نوع من أنواع الحيوان الرعي فيها ؛ وذلك لتصبح الأرض مخضرة ، ولتكون مراعيها غنية تكفي لدواب الجيش الغازي بقيادة هولاكو . كما كانت التعليمات القاآنية تقضي بأن تجمع المواد الغذائية ، والمشروبات من كل النواحي الواقعة قرب ممر الجيش ، بكميات كبيرة ، تكفي حاجة الرجال من المأكل والمشرب ؛ وليتم تخزينها في مخازن خاصة على طول الطريق ، التي سيسلكها جيش هولاكو .

المشاركون في حملة هولاكو

أما المشاركون في حملة هولاكو خان الغربية ، فقد أمر « القاآن » ، كما جرت عليه العادة في أية عملية عسكرية كبيرة تقوم بها الحكومة المغولية ، كل أمير يحكم أراضي أميرية مغولية ، بأن يساهم في تلك الحملة برجلين من كل عشرة رجال يسكنون في مملكته التي يدير شؤونها وأن يلتحقوا بحملة هولاكو . كذلك فقد انضم الى هذه الحملة ممثلون من جميع الفروع الأربعة الرئيسية من أسرة جنكيز خان ، وانضموا تحت قيادة هولاكو . فقد ساهم ، في حملة هولاكو هذه ، « باتو » ـ الذي يسمى صانع الملوك ، والذي كان يعتبر الرجل الأسن والمرجع الأول بين أفراد عائلة الخان العظيم ـ بكتيبة عسكرية كبيرة ؛ وأسند قيادتها الى

اثنين من أحفاد « **جوتشي خان** » (الابن الأكبر لجنكيز خان) وهما «**بلغاي وقولي** » ، وإلى « **توتار** » ، حفيد « **جوتشي** » . أما الكتيبة التي ساهم بها فرع أسرة « **تشغتاي** » ، فقد كانت تحت قيادة «**تُكِدِرْ**» الذي كان حفيداً « **لتشغتاي** » (الابن الثاني لجنكيز خان) . أما فرع أسرة « **تولى** » (الابن الأصغر للخان الكبير) فكان هو المسؤول عن ادارة الامبراطورية ككل ، وإدارة هذه الحملة ، إذ كانت برئاسة « **هولاكو بن تولى** ».

كما انضم الى جيش هولاكو أمراء آخرون من الأسرة المغولية الحاكمة ، وهم أبناء ، واخوان ، وأبناء اخوان وأبناء أخوات القاآن . كما أن أوامر عسكرية عليا كانت قد صدرت الى جميع القادة العسكريين - الذين يمثلون السلطة الحاكمة المغولية - في مختلف المناطق في الأراضي الغربية ، بأن يستعدوا لمقدم هولاكو وجيشه ، وأن يضعوا أنفسهم وجيوشهم ، التي تحت رئاستهم ، عند طلب قائد الحملة الغربية .

ثم أن « **القا آن** » - بالاضافة الى ذلك - قام بارسال رسل ووفود سياسية ، تحمل أوامره العليا ، الى جميع الحكام والملوك والسلاطين التابعين للسلطة المغولية . ومن أمثال أولئك التابعين : السلاطين السلاجقة في أراضي بلاد الروم ؛ والأتابك بدر الدين لؤلؤ - حاكم الموصل وتوابعها ؛ وأتابك فارس ؛ وحاكم كرمان . وتقضي أوامر « **منكو قا آن** » بأن يساهم كل فرد من أولئك الحكام بنصيب وافر من الرجال والعتاد ومؤن الجيش ، لتنضم تحت خدمة هولاكو[1] .

---

(١) الجويني ، جهانكشاي ، جـ ٣/ص . ص : ٨٩ - ٩٠ ، الترجمة الانجليزية ، جـ ٢/ص . ص : ٦٠٧ - ٦١٠ ؛ رشيد الدين ، جامع التواريخ ، جـ ٢/ص . ص : ٦٨٥ - ٦٨٧ ، الترجمة العربية ، جـ ٢/ص : ٢٣٣ ؛ الجوزجاني ، طبقات . ، جـ ٢/ص . ص : ١٨٢ - ١٨٩ ، الترجمة الانجليزية ، جـ ٢/ص . ص : ١١٩٠ - ١١٩٤ وحاشية رقم ١ ، في ص . ص : ١١٩٠ - ١١٩٢ ؛ ميرخواند ، روضة . ، جـ٥/ص. ص : ٢٢٨ - ٢٣٠ ؛ خواند أمير ، حبيب السير ، جـ ٣ ، ص : ٩٤ ، بريتسكنيدر ، بحوث . ، جـ ١ / ص . ص : ١١٣ - ١١٤ .

مسير الحملة المغولية ضد الأقطار الغربية

شرعت حملة المغول ، العسكرية هذه ، في مسيرتها نحو الغرب في سنة **٦٥٠ هـ/١٢٥٢** م ؛ وذلك عندما صدرت الأوامر الى القائد الكبير «**كِذْ ـ بوقا نويان**» بأن يبدأ بمسيرة الجيش ، على أن يرأس القوات المغولية الطلائعية ؛ والتي قدر عددها بحوالي اثني عشر ألف رجل . كما كانت أوامر « **القا آن** » الى «**كِذْ ـ بوقا نويان**» تقضي بأن يبدأ حال وصوله الى ايران ، بمباشرة الحرب ضد الاسماعيلية ؛ بينما نجد أن هولاكو نفسه لم يبدأ رحلته على رأس جيشه الكبير إلا بعد سنة وعدة أشهر من مسير «**كد ـ بوقا**» ، أي في سنة **٦٥١ هـ/١٢٥٣** م .

وفيما يتعلق بقائد القوات الطلائعية المغولية ، «**كد ـ بوقانويان**» ، فانه رجل نيماني الأصل ؛ ويدين بالديانة المسيحية ـ على المذهب النسطوري . وكان قد التحق بخدمة الأسرة المغولية الحاكمة منذ سنوات مضت ، حيث كانت آخر وظيفة له شغلها ـ قبل أن يترفع الى رتبة «**نويان**» ناظراً عاماً على الطعام والشراب الذي كان يقدم الى الخان[١] .

أما تاريخ بداية رحلته ، فان الجويني يقول بأنها كانت في جمادى الأولى ، لسنة **٦٥٠** هـ/يوليو ، عام **١٢٥٢** م ؛ بينما يروي لنا رشيد الدين أن ذلك كان في جمادى الثانية/أغسطس من العام نفسه[٢] . وقد عبر هذا القائد نهر جيحون

(١) كد ـ بوقا ، كت بوقا ، أوقاى بوقا ، الـ : باوورتشي ، او ال : باويرتشي . عن هذا القائد ، انظر : الجويني ، جهانكشاي ، جـ ٣/ص : ٧٢ ؛ أيضاً : بارتولد ، تركستان . ، ص : ٣٨٢ ، والحاشية رقم : ١٠ .

(٢) الجويني ، جهانكشاي ، جـ ٣/ص : ٧٢ ، الترجمة الانجليزية ، جـ ٢/ص : ٦٩٦ ؛ رشيد الدين ، جامع التواريخ ، جـ ٢/ص : ٦٨٩ .

في ربيع سنة ٦٥١ هـ/١٢٥٣ م ، أي بعد ستة أشهر تقريباً من تاريخ بداية مسيره . وما أن وصل الى الأراضي الايرانية ، حتى شرع في عملياته العسكرية ضد الاسماعيليين ؛ حيث احتل بعضاً من أراضيهم في منطقة كوهستان ؛ ثم بدأ في انهاكهم ومضايقتهم في داخل قلاعهم الجبلية الحصينة[1] .

بعد أن مكث لعدة أشهر في أراضيه الأميرية الخاصة ، والتي كانت جزءً من ممتلكات والده « **تولى خان** » ، بدأ هولاكو رحلته الطويلة ، التي استغرقت سنتين من الزمن تقريباً ؛ وذلك في اليوم الرابع والعشرين من شهر شعبان ، من عام ٦٥١ هـ/التاسع عشر من شهر أكتوبر من سنة ١٢٥٣ ؛ أي بعد أربعة عشر شهراً من بداية رحلة «**كد بوقا ـ نويان**» على رأس قوات المغول الطلائعية[2] . وبعد أن وصلت قوات هولاكو خان العسكرية ، المحملة أحمالاً ثقيلة بالمعدات والأثقال ، الى الأراضي التركستانية ، قامت الأميرة « **أرقينا خاتون** » ـ وهي أرملة « **قرا هولاكو بن ماتيكان بن تشغتاي** » ـ باستقبال الجيوش المغولية في ضيافتها ، إذ أن هذه المرأة كانت حينئذ هي الحاكمة لهذه الأراضي الأميرية المغولية[3] . ثم قامت هي والنساء الأميرات في هاتيك الربوع بضيافته وضيافة جنده بمختلف كتائب قواته العسكرية الجرارة في أراضي « **تشغتاى** » الأميرية . ثم بعد ذلك ، سار هولاكو بقواته باتجاه أراضي ما وراء النهر ؛ حيث كان القائد المغولي يسير الهوينا ، وعلى مراحل قليلة وصغيرة غير مرهقة ، نظراً

---

(١) رشيد الدين ، جامع التواريخ ، جـ ٢/ص . ص : ٦٨٩ ـ ٦٩٠ .

(٢) الجويني ، جهانكشاي ، جـ ٣/ص : ٩٦ ، الترجمة الانجليزية ، جـ ٢/ص : ٦١١ ؛ رشيد الدين (جامع التواريخ ، جـ ٢/ص : ٦٨٢) يقول بأن ذلك كان في ذي الحجة ، سنة ٦٥١ هـ/فبراير عام ١٢٥٣ م ؛ بينما مير خوان (في روضة الصفا . ، جـ ٥/ص : ٢٣٠) يضع هذا في رمضان ، سنة ٦٥١ هـ/نوفمبر ١٢٥٣ م .

(٣) أرقين ، أورغان ، أورغين خاتون هي حفيدة جنكيز خان ؛ ولم تكن زوجة تشغتاي ، كما يدعيه رافرتي (في طبقات ـ ناصري للجوزجاني ، الترجمة الانجليزية ، جـ ٢/ص : ١١٩٤ ، وحاشية رقم ١) . كانت هي أم مبارك شاه بن قرا ـ هولاكو بن تشغتاي ، وهذه المسألة سبقت الاشارة اليها من قبل الاستاذ : ج . أ . بويل في (جهانكشاي ، للجويني ، الترجمة الانجليزية ، جـ ١ ، ص : ٢٧٤ ، وحاشية رقم : ٧). لمعلومات أوفر عن هذه المرأة ، انظر رشيد الدين ، جامع التواريخ ، جـ ١/ص . ص : ٢٢٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٤ .

لطبيعة قواته الغير عادية ؛ وذلك لما كانت عليه من ضخامة باعداد رجالها ، وثقل عدتها وعتادها[١] .

حين وصل القائد المغولي على الحدود الشرقية من أراضي ما وراء النهر قام النائب المغولي ، « مسعود بن محمود يلواتش » باستقباله والترحيب بمقدمه . وقد كان « يلواتش » يعتبر بمثابة الحاكم الحقيقي لجميع الأراضي في خراسان ، وما وراء النهر ، وتركستان ، وفرغانة ، وبلاد الأويغوريين . وقد اسند اليه حكم هذه البلاد الشاسعةوالمترامية الأطراف ، وذلك نظراً للخدمات الصادقة المخلصة السابقة التي قدمها والده « محمود يلواتش » للدولة المغولية[٢] . ولقد امتدح المؤرخ المعاصر ، الجويني ، هذا الحاكم المغولي المسلم ، وأطرى خدماته ، وكفاءته ؛ ومقدرته ، وحنكته في ادارة شؤون ولايته[٣] .

نصبت القوات المغولية خيماتها في مكان ما ، يقع على الحدود بين منطقتي أراضي التركستان وأراضي ما وراء النهر ؛ حيث قضى هولاكو صيف سنة ٦٥٢ هـ/١٢٥٤ م . وبقي شهر شعبان ، عام ٦٥٣ هـ/سبتمبر سنة ١٢٥٥ م - حيث كانت القوات قد أمضت سنتين في الطريق الى تركستان - بعدها أمر هولاكو بأن تقام سرادقه في النواحي الواقعة حوالي مدينة سمرقند ، في مروج « كاني - كُل » . وهناك قام « مسعود بك يلواتش » بالترحيب بالقوات المغولية ، وقائدها ؛ وأنزلهم في ضيافته التي استمرت قرابة أربعين يوماً . بعدها نجد أن القائد المغولي يغادر منطقة سمرقند قاصداً منطقة « كُشْ » واقام خيامه في « شهري - سَبْزْ » الواقعة الى الجنوب من سمرقند . وهناك مكثت قوات المغول مدة شهر كامل - ربما كان ذلك شهر شوال ، عام ٦٥٣ هـ / نوفمبر سنة ١٢٥٥ م . وهنا قدم الحاكم المغولي الاداري للأراضي الواقعة غرب جيحون ، هو الأمير « أرغون أقا » ، ليقوم

---

(١) الجويني ، جهانكشاي ، جـ ٣/ص : ٩٧ ، الترجمة الانجليزية ، جـ ٢/ص : ٦١٢ ، رشيد الدين ، جامع التواريخ ، جـ ٢/ص : ٦٨٨ ، الترجمة العربية ، جـ ٢/ص : ٢٣٩ .

(٢) رشيد الدين ، جامع ، ، جـ ١/ص . ص : ٥٩٥ - ٥٩٦ .

(٣) الجويني ، جهانكشاي ، جـ ١/ص . ص : ٧٥ ، ٨٤ - ٨٥ ، الترجمه الانجليزيه ، جـ ١/ص . ص : ٩٧ . ١٠٨ - ١٠٩ ؛ بارتولد ، تركستان ، ، ص : ٤٧٣ .

بما يأمر به الأمير المغولي هولاكو[1] .

أما ما يتعلق بالناحية الادارية لاقليم أراضي ايران ، فقد أشرنا في فصل سابق من هذا الكتاب أنه بعد أن فتح جنكيز خان أراضي ايران ، وقبل أن يعود الى وطنه الأصلي في منغوليا ، أسندت شؤون ذلك الاقليم الادارية عامة الى شخص يدعى « **تشن تيمور القراخطائي** » . حيث قام باختياره لمنصب « **بُشقاق** » الأمير « **جوتشي** » ، الابن الأكبر لجنكيز خان ؛ وذلك بعد أن فتح أبناء جنكيز خان الثلاثة أراضي اقليم خوارزم . وعندما جاء القائد العسكري المغولي « **تشرماغون** » الى المنطقة كحاكم عسكري للأراضي المغولية الجنوبية الغربية في سنة ٦٢٨ هـ ـ ٦٢٩ هـ/١٢٣٠ ـ ١٢٣١ م ، أمر « **تشن تيمور** » بأن يخضع في شؤونه الادارية لسلطة « **تشرما غون** » .

في عام ٦٣٣ هـ/١٢٣٥ ـ ١٢٣٦ م توفي « **تشن تيمور** » ، وعين في مكانه رجل كبير السن من قبيلة « **كرايت** » يدعى « **نَصّلْ** » . إلا أنه لم يدم طويلاً في حكم المنطقة الاداري ، حيث مات في سنة ٦٣٧ هـ/١٢٣٩ ـ ١٢٤٠ م ، فخلفه في منصبه ذلك رجل أويغوري اسمه « **كُركوز** » ؛ حيث ظل في هذه الوظيفة الى أن عين مكانه « **الأمير أرغون أقا** » الذي ينتمي الى القبيلة المغولية المسماة « **أُيرات** »[2] .

بعد وفاة « **اكتاي قا آن** » ومجيء زوجته « **تُرْكِنْ خاتون** » كوصية على العرش المغولي ، قامت بتعيينه أميراً لادارة شؤون ايران ؛ وظل حتى وفاة ولدها « **كويوك خان** » في نفس المنصب ، وعندما جاء « **منكو قا آن** » الى العرش ثبته « **القا آن** » الجديد في منصبه ذلك ؛ وأصبح الحاكم الاداري لجميع الأراضي الممتدة من نهر جيحون الى حلب في سوريا . إذ أصبح جميع الحكام في تلك

---

(١) الجويني ، جهانكشاي ، جـ ٣/ص . ص : ٩٨ ـ ٩٩ ، وحاشية : ١ ، الترجمة الانجليزية ، جـ ٢/٦١٢ ، وحاشية رقم : ٢٦ . ولمعلومات أوفر عن رحلة هولاكو الطويلة ، أنظر : بريتسكنيدر ، بحوث . ، جـ ١/ص . ص : ١٢٢ ـ ١٣٢ .

(٢) حول الحكام المغوليين هؤلاء ، انظر : الجويني ، جهانكشاي ، جـ ٢/ص . ص : ٢١٨ ـ ٢٤٢ ، الترجمة الانجليزية ، جـ ٢/ص . ص : ٤٨٨ ـ ٥٠٥ .

البلاد المترامية الأطراف مسؤولين مسؤولية مباشرة اليه ، وهم الحكام في « . . **خراسان ، ومازندران ، والعراق ، وفارس ، وكرمان ، وآذربيجان ، وجرجستان (أراضي الكرج) واللور ، والري ، والأرمن ، والروم ، وديار بكر ، والموصل ، وحلب . .** »[1]

وتقول الروايات الموثوقة بأن هولاكو ، عندما وصل الى أراضي ما وراء النهر قام بارسال النجابة الى حكام كل من كرمان ، وفارس ، وجرجستان ؛ وإلى السلاطين السلاجقة في بلاد الروم ، يأمرهم بأن يساهم كل واحد منهم بكتيبة عسكرية ، وسرعة ارسالها لتشارك في حربه ضد طائفة الاسماعيليين[2] وعلى الرغم من أن هولاكو لم يكن في حاجة الى مساعدة أولئك الحكام في حربه ضد هذه الطائفة ، إذ أنه كان لديه من القوات ، وآلات الحرب ما يكفيه لاخضاع دول بأسرها ، إلا أن هولاكو كان ، كغيره من المغول ، يرى أن مساهماتهم ضرورية ، كجزء من واجبات أولئك الحكام ؛ للتعبير عن ولائهم المخلص لأسيادهم المغول بصورة عملية . إذ أنهم (أي الحكام) لم يكونوا إلا مجرد حكام على بلدانهم وخاضعين تحت السلطة المغولية ، ويحكمون نيابة عنهم . هذا على الأقل من وجهة النظر المغولية .

أما فيما يتعلق بالرسالة التي أرسلها هولاكو الى الخليفة ، فانها لم تكن في الحقيقة إلا استجابة من القائد المغولي ونزولاً عند رغبة وأوامر «**منكّو قا آن**» ، ليدعو الخليفة الى الأستسلام عن طواعية ، وبدون قيد أو شرط الى السلطة المغولية . فان اجاب واستسلم الى سلطان المغول ، فانه يجب أن يتمثل استسلامه ذلك بالاستجابة لهم ، وارسال قوات خليفية لتنظم إلى قوات المغول ، تحت قيادة هولاكو .

---

(١) لمعلومات أوفر عنه ، انظر : الجويني ، جهانكشاي ، جـ ٢/ص . ص : ٢٤٢ ـ ٢٦٢ ، الترجمة الانجليزية ، جـ ٢/ص . ص : ٥٠٥ ـ ٥٢٥ ، رشيد الدين ، جامع التواريخ ، جـ ١/ص . ص : ٥٧٥ ، ٥٩٦ : ٦٠٥ ـ ٦٠٧ .

(٢) رشيد الدين ، جامع التواريخ ، جـ ٢/ص : ٦٨٨ ، الترجمة العربية ، جـ ٢/ص . ص : ٢٣٩ ـ ٢٤٠ .

وحسب ما أورده لنا رشيد الدين ، فان هولاكو كان قد أرسل رسالته المذكورة ، تلك الى الخليفة وهو في « كُشْ » والتي طالب الخليفة فيها مساعدته عسكرياً تتمثل في : « . . . **الجيوش والعدة والعتاد ، فاذا ما فعلت (يعني الخليفة) ذلك فان موافقتكم ستحمد ، وخدماتكم سوف تقدر جيداً ؛ ولسوف تبقى لكم** أراضيكم ، وأسلحتكم ، ومساكنكم . ولكنكم إذا تهاونتم في امتثال الأوامر **(وهي الأوامر التي صدرت من « القاآن ») ولم تبد احتراماً للغرض الذي طالبتكم به هذه الرسالة ، فاننا (هولاكو) عندما نفرغ من أمر الملاحدة (يعني الاسماعيليين) سنعود ونتوجه اليكم ؛ وسيقع عليكم وعلى أراضيكم ومساكنكم ما سبق وجرى عليهم (من الهلاك والبوار) »**[1] .

---

(١) المرجع السابق ، جـ ٢/ص . ص : ٦٨٨ ، ٦٩٩ ، الترجمة العربية ، جـ ٢/ص ص : ٢٣٩ - ٢٤٠

ب ـ سُقوط القِلاع الإسمَاعيليّة ، ونهاية أمر هٰذه الطَائِفَة .

تقول بعض التقارير التاريخية بأن عدد القلاع الاسماعيلية كانت تبلغ حوالي مائة وخمس قلاع . إذ أن حوالي سبعين حصناً منها كانت تقع في اقليم كوهستان ؛ بينما تقع الخمس والثلاثون الباقية في منـاطق قوميس ورودبـار (آلموت)[1] . وكانت هذه القلاع منتشرة على طول المناطق الجبلية ، الواقعة بين اقليم خراسان ، والجزء الشمالي الغربي لاقليم مقاطعة الجبال .

قبل مجيء هولاكو الى ايران ، كانت حدود الدولة المغولية ، في الجنوب الغربي من قارة آسيا ، قد وسعت أبعد الى أماكن لم تكن قد وصلتها بعد ؛ حيث قام بمهمة التوسع تلك قادة المغول العسكريون ، أمثال : « **تشرماغون** » و « **بايجو نويان** » . وقد شملت فتوحاتهم جميع الأراضي الايرانية ؛ وأراضي الكرج ؛ والجزء الأكبر من أراضي آسيا الصغرى ، وخاصة تلك التي يقوم على حكمها سلاجقة الروم المسلمون .

كانت سلطة المغول ، على هذا الأساس ، نافـذة على تلك الأقـطار المذكورة ، باستثناء أراضي طائفة الاسـماعيليين ، والتي لم تكن إلا جيوباً صغيرة للارهاب الاسـماعيلي داخل الممتلكات المغولية . فقد كان أولئك الاسماعيليون يمثلون خطراً حقيقياً ، ليس فقط ضد أمن المنطقة ، وسكانها ، ولكن ضد القادة والرؤساء المغوليين أنفسهم دون استثناء ، بما في ذلك « **القا آن** » نفسـه[2] .

---

(١) الجوزجاني ، طبقات . ، جـ ٢/ص : ١٨٦ ، الترجمة الانجليزية ، جـ ٢/ص ، ص : ١٢٠٥ ـ ١٢٠٦ . أما رشيد الدين (في جامع التواريخ ، جـ ٢/ص : ٦٩٥ ، الترجمة العربية ، جـ ٢/ص : ٢٥٥) فيضع عددها بحوالي مائة قلعة . وفي المراجع الصينية ، التي نقل المؤرخ الروسي الكبير برتشكنيدر (بحوث . ، ص : ١٣٣) فتضع عددها الى اكثر من ثلاثمائة وستين قلعة .

(٢) انظر رحلة القسيس وليم الروبركي ، تحقيق : دوسون ، ص : ١٨٤ .

فكما هو معروف، فان السلطان شهاب الدين الغوري ، وذلك الوزير السلجوقي المشهور ، نظام الملك ، كانا من جملة الذين تصدروا قائمة الضحايا التي ذاقت الموت على أيدي طائفة الاسماعيليين ، عن طريق الاغتيال بالخناجر المسمومة . وبالاضافة الى ذلك ، فاننا يمكن أن نقول بأن تلك القلاع الحصينة سوف تكون موضع خطر دائم يهدد خطوط المواصلات لهولاكو مع الحكومة المركزية في منغوليا . ثم أن هناك سبباً آخر ، الى جانب ذلك ، وهو أن السياسة ، التي كان المغول قد اختطوها لأنفسهم ، تقضي بأن يقوموا على الدوام بأخذ الاحتياطات اللازمة ، وإزالة كل امكانية ـ مهما كانت طفيفة وتافهة ـ قد يكمن وراءها خطر ، ربما يهدد حياة أي مواطن مغولي . ناهيك عن أي خطر قد يتعرض له أي فرد من الأسرة المغولية الحاكمة .

كل هذه الحقائق قد تفسر لنا السبب الكامن وراء تلك الحروب الشاقة المضنية ، والباهظة التكاليف ، التي شنها هولاكو ضد هذه الطائفة ، لكي يستأصل شافتهم ، لا رجعة لهم بعدها .

كانت الهجمات المغولية العسكرية ضد الاسماعيليين قد بدأت بما يقارب أربعة أشهر قبل أن يشرع هولاكو في مسيرته من منغوليا باتجاه الأراضي الغربية . وقد سبقت الاشارة فيما مضى من هذا البحث ، الى أن القائد المغولي ، « كد ـ بوقانويان » ، كان قد وصل ـ على رأس قوة طلائع المغول ، قوامها اثنا عشر ألف رجل ـ الى خراسان في ربيع الأول من عام ٦٥١ هـ/مايو ، سنة ١٢٥٣ م ، وكان منذ وقت وصوله قد شرع في عمليات الحصار ضد الاسماعيليين داخل حصونهم المنيعة التي لا تكاد ترام .

وفيما يرويه لنا رشيد الدين ، فان هذا القائد المغولي المسيحي ، النسطوري المذهب ، كان قد قام بتقسيم قواته الى ثلاث مجموعات رئيسية ، وأسند الى كل فرقة منها مهمة خاصة بها ؛ بحيث تكون مسؤولة عن عمليات الحصار ضد قلاع معينة من قلاع الاسماعيليين[1] . وقد شرعت طلائع القوات

---

(١) رشيد الدين ، جامع التواريخ ، جـ ٢/ص : ٦٩٠ .

الزاحفة تلك حصارها ضد قلعة « **گِرْدْ ـ كوه** » أي الجبل المدور ، حيث طوقه المحاصرون من كل جانب . وهناك ترك « **كد ـ بوقا** » قوة خاصة ، تقدر بحوالي ألف رجل ، لتواصل عمليات الحصار ضد هذه القلعة الحصينة ، التي لا ترام ، وسار هو قدماً ، ووضع قلعة من قلاع الاسماعيليين (**قلعة مهر**) تحت الحصار ، فهاجمتها القوات المغولية بآلات المنجنيق الثقيلة . وبعد أن أمر فرقة مغينة من جيشه بمواصلة القتال ضد قلعة مهر ، سار هو الى قلعة أخرى ، محصنة من حصون الاسماعيليين هو حصن « **شاه ـ دُزّ** » الذي يقع بالقرب من مدينة الري . وحينئذ أرسل « **كد ـ بوقا** » أحد ضباطه الكبار « **هو ـ جتاي** » على رأس قوات لتهاجم قلاعاً أخرى « **تَرَمْ وآلْموت** » الى جهات غربية أبعد في داخل منطقة رودبار[1] .

على الرغم مما بذله « **كد ـ بوقا نويان** » وجنده من جهد جهيد ، في عمليات الحصار العسكرية ضد الاسماعيليين ، فقد فشل المغول أن يحتلوا أية قلعة من الحصون التي أقاموا عليها الحصار طوال الأشهر الخمسة ، الأولى من عام ٦٥١ هـ/١٢٥٣ م . إلا أنهم مع ذلك ، وخلال الأشهر القليلة التالية ، نجحوا في احتلال القلاع : « **تون** » ، و « **تُركشيز** » ، و « **دُزِي ـ كَامِلْ** » ، وجميعها تقع في مقاطعة كوهستان . لم يكن احتلالهم لتلك الحصون بدون ثمن ، فقد كانت خسائر القوات المغولية باهظة في الأرواح ، وخاصة في صفوف القوات المحاصرة لقلعة « **گِرْد ـ كوه** » . حيث نجح الاسماعيليون ، داخل ذلك الحصن المنيع ، من شن هجوم ليلي مفاجيء ضد القوات المغولية المحاصرة ، فاستطاعوا أن يقتلوا قائد تلك الكتيبة المغولية «**بوري**» ، ومعه مائة رجل تقريباً ، من جنده ؛ كما استطاعوا أن يدمروا مواقعهم العسكرية التي كانوا متحصنين بداخلها[2] .

---

(١) رشيد الدين ، جامع التواريخ ، جـ ٢/ص : ٦٩٠ ، الترجمة العربية ، جـ ٢/ص . ص : ٢٤٣ ـ ٢٤٤ .

(٢) المرجع نفسه ، نفس الصفحات . انظر أيضا : الجوزجاني ، طبقات . ، جـ ٢/ص : ١٨١ ، الترجمة الانجليزية جـ ٢/ص : ١١٩٢ ، والحاشية رقم : ١ هدجسون ، فرقة الاسماعيلية ، طبعة : هيَك ١٩٥٥ ، ص . ص : ٢٥٨ ـ ٢٦٠ ، الترجمة الفارسية بقلم : بدرهاي ، تبريز ، ١٣٤٦ هـ . ش ، ص . ص : ٤٧١ ـ ٤٧٥ .

وفيما يبدو لنا أن الهجمات الليلية المفاجئة التي شنها الاسماعيليون ضد المغول ، قد كان لها أثرها البالغ في اخافة القائد « **كد ـ بوقا** » وجنده . وهذه الحقيقة قد تفسر نجاح المغول المحدود جداً في عملياتهم العسكرية ضد هؤلاء الناس ؛ رغم أنهم ظلوا مواصلين الحرب ضد الاسماعيليين في تلك المنطقة طوال السنتين التاليتين ، التي قام « **كد ـ بوقا نويان** » طوالها بادارة حرب ضروس في مبتدأ أمرها ، فأخذت تضعف شيئاً فشيئاً حتى أصبحت مجرد مناوشات متقطعة .

في بداية شهر ذي الحجة ، من عام ٦٥٣ هـ/الثاني من شهر يناير ، سنة ١٢٥٦ م ، استأنف هولاكو خان مسيرته من المروج الخصبة في ضواحي مدينة سمرقند ، متجهاً جنوباً الى منطقة كُشْ . ثم عبر نهر جيحون ، ربما كان ذلك من معبر ترمذ المائي ـ كما يقترح رافرتي ـ على قناطر من البوارج أو المعديات النهرية ، يدير ملاحتها رجالها ، الذين جندوا لخدمة المغول في هذا الغرض[1] .

وفي الأراضي الواقعة على حافة النهر اليسرى « الغربية » قام المغول بنوع من الرياضة المحببة اليهم ؛ وهي صيد الحيوانات المتوحشة ، والمفترسة بشكل خاص ؛ حيث رتب هذه المرة لصيد الأسود المتواجدة في تلك المنطقة ، وذلك لتسلية الأمير المغولي . وبعد ذلك استأنف هولاكو سيره باتجاه الجنوب الغربي ، الى المروج الخضراء الواقعة في منطقة « **شُبَرْقَان** » ـ وهي المنطقة التي تسمى في الوقت الحاضر بـ « شبرغان » الواقعة في الشمال الغربي من أفغانستان على بُعْد حوالي ٥٣ ميل ، غربي مدينة « **بلخ** »[2] .

---

(١) الجوزجاني ، طبقات . ، الترجمة الانجليزية ، جـ ٢/ص : ١١٩٥ ، وحاشية رقم ١ ؛ انظر : بويل ، تاريخ كمبردج لايران ، جـ ٥/ص : ٣٤١ .

(٢) شفورقان ، شبركان ؛ لها عدة أشكال في طريقة كتابتها . انظر : الجويني، جهانكشاي، جـ ٣/ص: ١٠٠، الترجمة الانجليزية، جـ ٢/ص: ٦١٤، وحاشية رقم: ٣٥ ؛ رشيد الدين، جامع جـ ٢/ص: ٦٨٩، الترجمة العربية ، جـ ٢/ ص: ٢٤١، والحاشية رقم : ١ ؛ الجوزجاني ، طبقات. ، جـ ٢/ ص: ١١٩٥، والحاشية رقم : ١ ، في الترجمة الانجليزية ؛ بريتسكنايدر، بحوث. ، جـ ١/ ص: ١١٦ ؛ بويل، تاريخ كمبردج لايران، جـ ٥/ص: ٣٤١.

أجبرت الثلوج المتساقطة بشكل عنيف ـ وما نتج عنها من برد قارس . المغول أن يمددوا في الوقت الذي كان مقرراً للبقاء في «شبرقان» والمناطق المجاورة لها ، حتى شمل جميع أشهر فصل شتاء ذلك العام . ويروي لنا الجوزجاني رواية مفادها أن هولاكو كان قد أقام خيماته العسكرية خلال ذلك الشتاء في منطقة «**بادغيس**» ؛ أو بالأحرى في كل المنطقة الواقعة بين «**شبرقان**» و «**بادغيس**» ، والتي كانت في نظر الاستاذ رافرتي أكثر احتمالاً ؛ وذلك نظراً للأعداد الهائلة لقوات المغول ، وما كانت تحمله معها من معدات عسكرية ثقيلة[1] . وحول قوات المغول هذه وصف لنا الاستاذ ، المستشرق الانجليزي ، بويل ، حجمها بأنه ربما كان يفوق ـ بشيء كثير ، في عددها وعتادها ـ القوات التي كان جنكيز خان قد قادها الى هذه المنطقة في سنة ٦١٦ هـ/١٢١٩ م[2] .

كان وصول قائد الحملة المغولية هذه (هولاكو خان) على رأس غالبية الجيش الزاحف بمثابة حافز قوي ، رفع الروح المعنوية للقائد «كد ـ بوقا» ورجاله . لم تذكر لنا التقارير عما اذا كان «**كد ـ بوقا**» قد حضر شخصياً وقدم تقريراً لسيده ، عن عملياته العسكرية ضد الاسماعيليين طوال السنتين الماضيتين، أم لا . ومع ذلك فقد صدرت اليه والى زميل آخر من زملائه ـ (هو القائد «**كُكَ ـ إيلكَي**» الأوامر بأن يتقدما بكتائبهما ضد قلاع الاسماعيليين في منطقة كوهستان لقتالهم ، وانهاء أمرهم في تلك المقاطعة . كان ذلك في بداية فصل ربيع سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م . وفي هذه الأثناء أصيب هولاكو بمرض كاد يقضي عليه ؛ فتوجه مباشرة الى مدينة طوس، وهي التي كانت بمثابة المركز الاداري الرئيسي لحكومة الحاكم الاداري الامير «**آرغون آقا**» . وبعد أن تماثل الى الشفاء سار هولاكو غرباً ، في طريقه باتجاه مقاطعة الجبال ، (العراق العجمي) . وكان يسير الهوينا ؛ على شكل مراحل قصيرة أقيمت فيها وسائل لهو صاخب لتسلية

---

(١) الجوزجاني، طبقات . ، الترجمة الانجليزية ، جـ ٢/ ص: ١١٩٥، حاشية رقم : ١ ص: ١٢٢٦، حاشية رقم: ١.

(٢) ج. أ. بويل، تاريخ كمبردج لايران ، جـ ٥/ ص: ٣٤٠.

الأمير القائد . وفي شهر شعبان من عام ٦٥٤ هـ/ سبتمبر ، لسنة ١٢٥٦ م وصل هولاكو بقواته الى «بستام» و «خُرقان»، الواقعتين الى الغرب من «الدامغان» ؛ حيث قام هناك بعمل خطة استراتيجية عسكرية للقيام بهجوم عام ضد قلاع الاسماعيليين الرئيسية في منطقتهم «رودبار» .

قام القائد المغولي بتقسيم قواته الغازية، الى عدة كتائب . فكانت الكتيبة الكبرى الرئيسية تحت قيادته ، نفسه . فتقدم بها حتى وصل الى مكان اسمه «قصران» وهو منطقة قريبة من مدينة الري . ومن هناك أخذ طريقه الى «عباس آباد» ؛ وأقام سرداقه في منطقة تعرف بـ : «بِشْكِلِ دارا»[1]. وفي العاشر من شهر شوال / ٣١ اكتوبر من نفس العام ، سار هولاكو بالقسم الأعظم من قواته ، وشرع في التخطيط للهجوم على « ميمون ـ دُز » واحد من قلاع الاسماعيليين الرئيسية الذي كان يسكنه « ركن الدين خورشاه » ، آخر شيخ طائفة الاسماعيليين الكبار ؛ حيث أقام هولاكو خيمته ، لقيادة الحملات العسكرية منها ، أمام هذا الحصن .

أما القوة المغولية الثانية ، المهاجمة ضد منطقة «رودبار»، فقد كانت بقيادة القائدين الكبيرين «بوقا تيمور» و «كُك ـ إيلكَي» ، حيث قادا هجومهما من جهة الشمال الشرقي ، عن طريق «مازندران». كانت الكتيبة الثالثة الكبرى تحت قيادة «كد ـ بوقا نويان» ورفيق له آخر يدعى تِكُدِرْ أُغُول» ؛ حيث وجها هجومهما الكاسح ضد الاسماعيليين عن طريق منطقتي «خوار»، و «سِمْنَان». وقد تمكنت قواتها ، أثناء زحفها، من احتلال قلعة «شاه ـ دُزْ»، وحصون أخرى في تلك المنطقة . كان هناك فرقة أخرى، وهي التي ساهم بها فرع أسرة «جوتشي خان»، يقودها أميران من هذه الأسرة ـ هما «بلغاي وتوتار» ـ قد سارا بجيشهما من منطقة آلموت ؛ ربما كانت متوجهة لتشارك في حصار «ميمون ـ دُزْ» الحصين .

أما القوات التي ساهمت بها حكومة كرمان وحكومة يزد ، فقد صدرت

---

(١) حول بِشْكِلِ دارا ، انظر القزويني (الجويني ، جهانكشاي. ، جـ ٣/ ص.ص: ٤٢٨ ـ ٤٢٩) ؛ أيضاً الترجمة الانجليزية لهذا الكتاب (بويل) جـ ٢/ ص: ٦٢٠، حاشية رقم : ٨.

اليها أوامر القائد العام بأن تتوجه بهجومها ضد القلاع الاسماعيلية الواقعة في منطقة «الطاليقان»، مثل قلعة «آلَهْ ـ نِشَنْ»، و «منصوره»، وغيرهما من الحصون المتناثرة على رؤوس جبال المنطقة [1].

ومن تتبع حركة المغول العسكرية يبدو لنا أن المغول وجدوا من شبه المستحيل قهر قلعة «ميمون ـ دز»، أو اقتحامه وأخذه بالقوة ؛ إذ وجد هولاكو أن حصن ركن الدين لا يمكن اقتحامه بالقوة الا بعد حصار طويل لا يمكن التنبوء بمدته . وظهر لهولاكو مشكلة أخرى قد تزيد من سوء الوضع ، وهي اقتراب الشتاء بثلوجه العنيفة، وبرده القارص الشديد؛ فان لم تؤخذ القلعة قبل ذلك ، فإنه مما لا شك فيه أن القائد المغولي سيقوم مضطراً على الاقلاع عن مواصلة الحصار وتأجيل عمليات المغول العسكرية ضد ذلك الحصن المنيع الى السنة القادمة .

لذلك فقد كان هولاكو على علم تام ، ويقين ثابت، بمدى ما كانت عليه مواقع قلاع الاسماعيليين الحصينة من صعوبة في اقتحامها ؛ وأنه من شبه المتعذر التأثير فيها ، أو النيل منها . لهذانجد أن القائد المغولي قد شرع في مراسلة خورشاه منذ أن عبر بقواته نهر جيحون ؛ إذ أرسل بعثة سياسية بعد الأخرى ، ورسولاً بعد رسول ـ بين الفينة والفينة ـ لا تقل عن ثمان مناسبات، يدعون شيخ الاسماعيليين الى الاستسلام له بالطرق السلمية وفي هاتيك الرسائل كان هولاكو أحياناً يعده بالأمن والسلامة ، ان هو استسلم؛ وأخرى يتوعده بالويل والثبور ، ان لم يسلم نفسه بالوسائل السلمية[2].

---

(١) عن تقسيمات الكتائب المغولية في هجومها على حصون الاسماعيلية، انظر: الجويني، جهانكشاي، جـ ٣/ ص.ص: ١٠٦ ـ ١٠٨، الترجمة الانجليزية، جـ ٢/ ص ص: ٦١٨ ـ ٦٢٠ ؛ رشيد الدين، جامع التواريخ ، جـ ٢/ ص.ص: ٦٩٢ ـ ٦٩٤ ، الترجمة العربية ، جـ ٢/ ص ص: ٢٤٨ ـ ٢٥٠ ؛ الجوزجاني ، طبقات ، الترجمة الانجليزية، جـ ٢/ ص: ١١٩٢ ، حاشية رقم : ١ ؛ بريتسكنيدر، بحوث ، جـ ١/ ص.ص: ١١٦ ـ ١١٧.

(٢) لمعلومات أوفى ، عن المراسلات، التي جرت بين هولاكو وركن الدين خورشاه ، في هذا الصدد ، راجع الجويني، جهانكشاي ، جـ ٣/ ص.ص: ١٠٦ ـ ١١١، الترجمة الانجليزية، جـ ٢/ص.ص: ٦١٧ =

وفي نهاية الأمر وبعد أن كثف المغول هجماتهم وثقلت وطأتهم ، نجد أن سيد الاسماعيليين يقرر الاستسلام الى القائد المغولي .

ويبدو لنا أن هناك أسباباً كثيرة دعت خورشاه الى أن يقوم على اتخاذ هذه الخطوة الحاسمة. ولعل من بين تلك المسببات (أ) أن المغول قد كثفوا من هجماتهم الشاملة ضد أراضيه، وعلى نطاق واسع في جميع مقاطعاته الرئيسية الثلاث؛ ونتيجة لذلك فقد سقطت قلاع كثيرة في أيدي الأعداء. (ب) كان المهندسون والخبراء الصينيون ، الذين يديرون آلاتهم القاذفة ، (كالمنجنيقات والعربات الخاصة بقذائف الاسهم النارية) قد ركزوا قذائفهم المتواصلة ضد قلعة خورشاه ـ «ميمون ـ دز» ـ التي كان متحصناً بها . (جـ) أقدم كبار الموظفين الرسميين في دولة خورشاه، من أمثال الخواجة نصير الدين الطوسي ـ وربما كانوا يسعون وراء مصالحهم الشخصية الخاصة ـ بحث سيدهم أن يقلع عن الاستمرار في المقاومة، والاسراع في الاستسلام للمغول ؛ حيث أقنعوه بأنه لا طائل وراء مواصلة المقاومة ، وأنه لا يوجد أمامه أي اختيار سوى النزول من القلعة واعلان استسلامه الى هولاكو . (د) كان هولاكو قد أكد لخورشاه أنه سوف يصفح عنه ، هو وأسرته وجميع أتباعه، وذلك باعطائهم ضمانات لحياتهم .

لهذه الاسباب مجتمعة، نجد أنه في اليوم الأول من شهر ذي القعدة لعام ٦٥٤ هـ/ التشرين من شهر نوفمبر ١٢٥٦ م (حسب رواية رشيد الدين ـ نقلاً فيما يبدو لنا عن نصير الدين الطوسي)؛ أو اليوم الذي سبقه (حسب رواية الجويني ـ الذي كان حاضراً وقت استسلام خورشاه) قام سيد الاسماعيليين الكبير بالمثول بنفسه أمام هولاكو وأعلن استسلامه[1]. وقد سجل الخواجة نصير

هـ ٦٢٠ ؛ رشيد الدين، جامع التواريخ ، جـ ٢/ ٦٩٢ ـ ٦٩٥ ، الترجمة العربية ، جـ ٢/ ص.ص: ٢٤٩ ـ ٢٥٣ ؛ ابن العبري، تاريخ . ، ص.ص: ٢٦٤ ـ ٢٦٥ ؛ بناكتي ، تاريخ . ، ص: ٤١٥.

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ ، جـ ٢/ص: ٦٩٥ ؛ حيث نقل عن قصيدة الطوسي المذكورة في الحاشية التالية ؛ الجويني، جهانكشاي، جـ٣/ ص: ١٣٣، الترجمة الانجليزية، جـ ٢/ ص: ٦٣٤.

الدين الطوسي هذه المناسبة في تاريخ شعري بمناسبة استسلام سيده[1].

منح هولاكو أسيره ضماناً لحياته وحياة ذويه («يارليغ وپايزا») كعلامة لحفاظه على وعوده ، التي كان قد وعدها لركن الدين ، بواسطة أولئك الرسل والسفراء، الذين ذهبوا اليه قبل نزوله من حصنه، واستسلامه للقائد المغولي ، وأثناء محادثاته مع أسيره خاطبه هولاكو بلطف ودماثة ظاهرتين ؛ كما قدم له فتاة مغولية (زوجة له) هدية . كما حظي ركن الدين خورشاه بالتقدير والاحترام من قبل هولاكو. وقد أظهر الأخير هذا التشريف وطيب المعاملة تجاه عدوه ، لأنه كان على علم تام أنه كان ما يزال في حاجة الى تجاوب من أسيره . فقد كان هناك العديد من القلاع والحصون المنيعة ، ما تزال لم تفتح، منتشرة في جميع أراضي الاسماعيليين في المناطق الثلاث (كوهستان، وقوميس، ورودبار)؛ ناهيك عن ذكر تلك القلاع المخطط غزوها ـ والتي كانت لاتباعهم في سوريا . فقد رأى هولاكو أنه بدون تعاون سيد الاسماعيليين الاعظم، الذي كان وجوده حياً في أسر المغول، موضع مساومة، فسوف يكون من الصعب جداً للمغول أن يخضعوا تلك القلاع الحصينة . فكان هذا هو السبب البديهي والواضح من إبقاء ركن الدين خورشاه، وبذل تلك الجهود الكبيرة في العناية الجيدة به[2]. وفي الحقيقة فان العديد من الحصون ـ كما هو الشأن في حالة قلعتي «كرد ـ كوه»، و «لمبسار» ـ كان في مقدور أهلها أن يقاوموا الحصار المغولي لسنوات عديدة ، كما قال الاستاذ : ج.أ. بويل في هذا الخصوص[3].

---

(١) رشيد الدين، جامع التوايخ ، جـ ٢/ ص: ٦٩٥.

سال عرب جوششصد وپنجاه وچارشد   يكشنبه أول مه ذي القعدة بآمداد
خورشاه پادشاه سماعيليان، زتخت   درخاست ، پش تخت هلاكو بايستاد

وعن استسلام خورشاه لهولاكو، انظر الجويني، جهانكشاي، جـ ٣/ص.ص: ١٣٥ ـ ١٣٦، الترجمة الانجليزية ، جـ ٢/ ص.ص: ٦٣٢ـ ٦٣٥ ؛ ابن العبري ، تاريخ . ، ص: ٢٦٥ ؛ جوزجاني ، طبقات . ، جـ ٢/ص.ص: ١٨٢ ـ ١٨٦ ، الترجمة الانجليزية، جـ ٢/ ص: ١٢٠٦ ، وحاشية رقم : ٣ ؛ بناكتي ، تاريخ . ، ص: ٤١٥ ؛ ميرخواند ، روضة الصفا . ، جـ ٥/ ص: ٢٣٢ ؛ خواند أمير ، حبيب السير ، جـ ٣/ص: ٩٥ ؛ بريتشنيدر ، بحوث . ، جـ ١/ص.ص: ١٣٣ ـ ١٣٦.

(٢) رشيد الدين ، جامع التواريخ، جـ ٢/ ص: ٦٩٦.

(٣) ج.أ. بويل، تاريخ كمبردج لايران، جـ ٥/ ص: ٣٤٥.

استطاع المغول، بمساعدة خورشاه ـ عندما كان يدعو السكان من مواطنيه الى الاستسلام للعدو الغازي ، أن يحرزوا نصراً على الاسماعيليين؛ حيث عجلت دعوة شيخهم لهم بسرعة تدمير جميع قلاعهم، باستثناء إثنين منها . فقد استطاع المدافعون داخل حصن «لمبسار» أن يقاوموا الحصار حوالي سنة ، حيث لم يهزمهم داخل قلعتهم سوى المرض الذي تفشى وانتشر بسرعة بينهم ، فهلك المحاصَرون داخل حصنهم . أما الباقون ممن نجا من المرض فقد تفرقوا هنا وهناك ، في كل الانحاء هرباً من سيف المغول.

أما الحصن الثاني ، الذي استطاع مقاومة المغول فهو قلعة «كَرِدْ ـ كُوه»؛ اذ استطاع سكان هذا الحصن ، الذين قدر عددهم بما يترواح بين مائة الى مائتين رجل فقط ، أن يدافعوا عن أنفسهم داخل جبلهم المنيع لمدة عشرين سنة أخرى . فقد كان أول قلعة تحاصر، وآخر قلعة يدخلها المغول[1].

أما فيما يتعلق بخورشاه، فقد ذكرت الروايات أنه كان قد أرسل الى منغوليا بناءً على طلبه الشخصي ، ونزولاً عند رغبته الخاصة[2] الا أنه مع ذلك قد اغتيل في ظروف غامضة تماماً . ومع ذلك، فالذي يظهر لنا هو أنه قتل بناءً على أوامر مسبقة من هولاكو نفسه ، وتنفيذاً لاوامر «القاآن». لأننا إذا رجعنا الى الوراء قليلاً ، لوجدنا أن التعليمات الصارمة التي كان «القاآن» قد أصدرها الى أخيه، عندما أمره بالمسير الى هذه المنطقة ـ واضحة ومحددة تماماً . فهي تقضي بأن يكون تدمير الاسماعيليين هو أول عمل يجب على هولاكو القيام به . لهذا، فأننا نجد أن هولاكو، بعد أن ضمن وجود جميع أفراد أسرة وأقرباء وأتباع خورشاه في أسره ، قد أمر بقتلهم عن بكرة أبيهم ، خلال المدة التي كانوا فيها سجناء في قزوين . بعدها أمر هولاكو بقتل سيدهم بمجرد أن وجد أنه لم يعد في بقائه حياً أية فائدة، وذلك لحث البقية من مواطنيه ـ الذين كانوا ما يزالون يقاومون داخل حصونهم ـ الى القاء أسلحتهم وسرعة الاستسلام[3]

---

(١) الجوزجاني ، طبقات ـ ناصري ، جـ ٢/ص: ١٨٦ .

(٢) الجويني، جهانكشاي، جـ ٣/ ص: ٢٧٥ الترجمة الانجليزية ، جـ ٢/ ص: ٧٢٣.

(٣) المرجع السابق، جـ ٣/ص.ص: ٢٧٥ ـ ٢٧٨، الترجمة الانجليزية ، جـ ٢/ص.ص: ٧٢٣ ـ

ثانياً: أ ـ هولاكو يطالب باستسلام المستعصم، دون قيد أو شرط مسبقين.

عندما وصل رسول هولاكو (الذي لم يذكر اسمه) الى بغداد في سنة ٦٥٣ هـ/ ١٢٥٥م، وهو يحمل خطاباً من القائد المغولي الى الخليفة المستعصم ـ والذي يدعوه فيه الى أن يرسل كتيبة عسكرية من قبله مساهمة منه في الحرب ضد الاسماعيليين ـ تقول الروايات بأن الخليفة قام باستشارة كبار رجال دولته. وكان الوزير ابن العلقمي واحداً من أولئك الذين استشارهم الخليفة. ومما جرى في تلك المناقشة ظهر واضحاً أن كلاً من الخليفة ووزيره كانا يؤيدان الرأي القائل بوجوب ارسال فرقة مكونة من عدد قليل من الجنود، بينما اعترض على تلك الفكرة الدوادار الصغير؛ فشجب ذلك الرأي ومن دعا اليه. وقيل بأنه احتج على ذلك بقوله بأن هولاكو لم يكن في حاجة الى مساعدتهم، وعلى ذلك فهو يتخلق بخلق ماكر خداع؛ أراد من وراء طلبه هذا ذريعة يتذرع بها، ليضمن خروج المدافعين عن البلاد منها؛ وبذلك يستطيع أن يهاجم بغداد متى طاب له ذلك، ثم يسهل عليه بعدها أخذ البلاد.

وهكذا استطاع الدوادار الصغير أن يهيمن على تلك المجادلات الاستشارية، وأن يفرض رأيه على الخليفة، والوزير على السواء. فأرسل الخليفة بدلاً عن الجنود بعض الهدايا ومعها رسالة ودية الى هولاكو، التمس فيها من القائد المغولي المعذرة والصفح لعدم ارسال جنود لمساعدته ـ كما طلب ـ ضد الاسماعيليين[1].

٧٢٥؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ ٢/ ص: ٦٩٧، الترجمة العربية، جـ ٢/ ص: ٢٥٨؛ بناكتي، تاريخ.، ص: ٤١٥؛ ميرخواند، روضة الصفا.، جـ ٥/ ص.ص: ٢٣٣ ـ ٢٣٤؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة.، ص.ص: ٣١٢ ـ ٣١٤.

(١) نصير الدين الطوسي، كيفية واقعة بغداد (الجويني)، جهانكشاي، جـ ٣/ ص: ٢٨٠، الترجمة

وقد أرسل الخليفة رسولين من عنده - حسب رواية ابن الفوطي - الى هولاكو، هما الدوادار الكبير، وواحد من قضاته (لم يسمه لنا) بصحبة الرسول المغولي، الذي كان قد جاء يطلب عون الخليفة العسكري[1].

بعد أن قُضِيَ على الاسماعيليين، سار المغول متجهين غرباً ضد الأراضي العراقية؛ وعندما وصل هولاكو الى همدان أرسل رسالة تهديدية (مملوءة بالتعجرف والكبرياء والصلافة) ثانية الى الخليفة. وكان مضمون تلك الرسالة التقريبي: «. . . **أننا (أي هولاكو) أرسلنا إليك (يعني الى المستعصم) رسلنا في الوقت الذي ذهبنا فيه لفتح قلاع الملاحدة: (يعني الاسماعيليين) وطلبنا منك مساعدتنا بارسال مدد من الجند. ورغم أنك أظهرت الطاعة (يعني ما ورد في رسالة الخليفة الاولى الجوابية على رسالة هولاكو الأولى) الا أنك لم تبعث الجند المطلوبين. إذ أن علامة الطاعة وتنفيذ الأوامر والوقوف معنا هو أن ترسل لنا جيشاً عندما سرنا الى الحرب ضد الطغاة (يعني هنا فرقة الاسماعيليين)، ولكنك لم ترسل الينا الجند، وقدمت أعذاراً جوفاء . . .، ومع هذا فان أطعت الأوامر، فان كل ما سبق سيكون في طي النسيان؛ وعليك أن تهدم الحصون، وأن تردم الخنادق (المقصود هنا تدمير أسوار وحصون بغداد، وطم الخنادق المحفورة حول العاصمة)، وان تسلم ادارة شؤون البلاد الى ابنك، ثم تسارع الى المثول بنفسك أمامنا. وإذا لم تفعل، ولم ترد الحضور بنفسك، فيجب أن ترسل بدلاً عنك واحداً من الثلاثة الأشخاص التالية أسماؤهم: ابن العلقمي (الوزير)، أو الدوادار الصغير، أو سليمان شاه، لكي يقوم بابلاغ رسالتنا لكي تصلك دون زيادة أو نقص**»[2] وتذكر رواية رشيد الدين أن

الانجليزية لـ: ج. بويل، في مجلة الدراسات السامية، جـ ٦/ قسم ٢ / سنة ١٩٦١، ص.ص: ١٥١ - ١٥٢؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ ٢/ ص: ٧٠٠؛ ابن العبري، تاريخ . ، ص: ٢٧٠؛ ابن الفوطي، الحوادث . ، ص: ٢٩٠.

(١) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة . ، ص: ٢٩٠.

(٢) لمعلومات أوفر، انظر: رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ ٢/ ص.ص: ٦٩٩ - ٧٠٠، الترجمة العربية، جـ ٢/ ص.ص: ٢٦٧ - ٢٦٨؛ الطوسي، (الجويني، جهانكشاي، جـ٣/ص: ٢٨٠)؛ ابن العبري، تاريخ . ، ص: ٢٦٩؛ الجوزجاني، طبقات . ، الترجمة الانجليزية، جـ ٢/.ص.ص: ١٢٣٠؛ بناكتي، تاريخ . ، ص: ٤١٦؛ ميرخواند، روضة الصفا . ، جـ ٥/ ص: ٢٣٤؛ خواند امير، حبيب السير، جـ ٢/ ص: ٣٣٥.

هولاكو، في رسالته ، قد طلب، بدلاً من الخليفة ، أن يخرج اليه كل الرجال الثلاثة المذكورين أعلاه ، وهم كبار موظفي الدولة ؛ الا أنه في رواية قالها المؤلف فيما بعد يُفهم على ما يبدو أن هولاكو لم يطلب أصلاً الا واحداً منهم فقط[1].

وحول هذه المسألة يذكر وصّاف، خطأً بأن شرف الدين اقبال الشرابي كان واحداً ممن طلبهم هولاكو الخروج اليه ؛ ولكننا نعرف أن الشرابي كان قد توفي قبل ما يقرب من ثلاث سنوات تقريباً[2].

أما رسالة الخليفة الجوابية على رسالة القائد المغولي هذه ، فكانت مختلطة في لهجتها واسلوبها؛ فمن جانب واحد نجد أنها كانت مليئة بالكبرياء ، والتغطرس والتحدي ، بينما نجدها ـ من جانب آخر ـ كانت تحتوي في طياتها مظاهر الضعف ، والخور . ومن ناحية ثالثة كانت تحذر وتنبه هولاكو وجنوده من غضب الله الذي ـ زعم المستعصم ـ أنه سينزل عليهم، ان هو تعرض لأسرته «المقدسة» .

نجد في هذه الرسالة، رفض الخليفة ، رفضاً قاطعاً، لمطالب هولاكو ؛ ثم ذكّره بأن قوة المسلمين العظيمة جبارة لا تقهر . وقد ادعى ـ وكان يعيش في أوهام إذا كان فعلاً تصور ذلك ـ أنها كانت تحت طلبه ، ورهن اشارته ، مستعدة لتلبية النداء . فقد ذكر الخليفة مدعياً بأن جميع المسلمين «من الشرق الى الغرب» كانوا مستعدين ليسيروا تحت قيادته الشخصية ضد المغول الغزاة . ثم تضيف رسالة المستعصم القول بأنه ، مع ما كان يتمتع به من القوة، ممثلة في المسلمين جميعهم، لا يريد أن يعلن الحرب؛ كما أنه لا يحب لمواطنيه أن يزعجوا أو يضايقوا أنفسهم بسبب الحرب. وبعدها، قدم الخليفة نصحاً الى هولاكو وطلبه أن يصغي الى استماع صوت السلام ، وليعد من حيث أتى .

اختتم الخليفة رسالته ، التي كانت مليئة بالتهديد الأجوف ، بأن نصح

---

(1) رشيد الدين، جامع التواريخ ، جـ ٢/ص: ٧١٠.

(2) وصاف الحضره، تاريخ وصاف، ص: ١٧.

عدوه أن يعود الى خراسان، وليكن قانعاً بما تنازل له الخليفة، راضياً مختاراً، عن أراضي واسعة الأرجاء؛ وسمح له بأن يضيفها الى ادارة دولة المغول! فان لم يصغ الى صوت السلام، فلا عليه الا أن يتجهز للحرب، ويسر قدماً اليه. وقد أرسل المستعصم هذه الرسالة، مصحوبة بهدايا قليلة الى هولاكو، مع شرف الدين بن الجوزي، وبدر الدين النخجواني[1].

وتقول الروايات التاريخية بأن هولاكو طرد رسل المستعصم غاضباً؛ كما رفض أن يقبل هداياه. بعدها قام بارسال رسالة ثالثة أخرى؛ وقد قال فيها أن الله قد اختار جنكيز خان ليحكم العالم؛ ومنحه ومنح نسله كل وجه الأرض من الشرق الى الغرب. «... فان كل من أطاعنا وسار معنا، واستقام على ذلك قلباً ولساناً فستبقى له أمواله، ونساؤه، وأبناؤه. أما من يفكر في الخلاف والشقاق، فانه لن يتمتع بأي شيء من ذلك...»[2].

وقد شجب الخليفة، وعنّفه بشدة، لتظاهره بالقوة، التي لم يكن لها أي وجود؛ وكبريائه المغتر، وجبنه وشرهه لجمع الأموال. كما طلب من المستعصم أن يستعد للحرب؛ فانه سائر في طريقه الى بغداد، لا محالة، بجيش «... يفوق (في عدده) النمل والجراد..» كما ركز هولاكو، في هذه الرسالة، على أن يعطي خصمه تقريراً محدداً عن أسرته، وعن قوتها الرهيبة، التي لا يمكن أن ينال منها أحد، كما أشار الى أن حكم البسيطة من قبل المغول، وعلى رأسهم جنكيز خان، ما هو الا حق الهي، منحهم اياه الله الذي في السماء الزرقاء. ثم ذكر للخليفة بأن الوقت قد حان له أن يستسلم بالتي هي أحسن، دون

---

(١) يبدو أنه ربما كان هو نفسه «بدر الدين، وزنجي» رجل واحد؛ وليس كما ورد في جامع التواريخ، لرشيد الدين (جـ ٢/ ص.ص: ٧٠٠ ـ ٧٠١، الترجمة العربية، جـ ٢/ ص.ص: ٢٦٩ ـ ٢٧٠). وأن اسمه الكامل: بدر الدين محمود دَزْتَنْگي النخجواني. انظر: الطوسي، كيفية واقعة بغداد (الجويني، جهانكشاي، جـ ٣/ ص.ص: ٢٨٠ ـ ٢٨١)؛ ابن العبري، تاريخ.، ص: ٢٦٩؛ ميرخواند، روضة الصفا، جـ ٥/ ص: ٢٣٤. ذكر المؤرخ الأخير (في ص: ٢٣٩، أن الاثنين زنجي والنخجواني) على أنهما شخص واحد.

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ ٢/ص: ٧٠٢.

حرب ؛ والا فانه سيطوح به دون شفقة أو رحمة به ؛ وسوف يورده موارد الهلاك[1] .

عندما عاد فريق الخليفة الدبلماسي ، وقدموا له تقريراً عما كانوا قد رأوه وسمعوه ، أصبح الخليفة المستعصم في حالة من القلق ؛ كئيباً، وفي وضع حزين ؛ لا يعرف ماذا كان يجب أن يفعل. وهنا قام بتسليم الرسالة ، التي وصلته من هولاكو، الى وزيره ـ ابن العلقمي ، وطلب منه أن ينصحه بما هو مناسب في هذه الظروف العصيبة . فأبدى الوزير وجهة نظره ، وقال بأنه يجب «. . . **أن يرسل الى هولاكو الكثير من الأموال، والجواهر والمرصعات والألباس الفاخرة، والمركوب الفاره ، والغلمان والجواري والبغال (أو الجمال ـ لأنها رويت في الأصل «أسران» دون تنقيط، فقد تكون استران ، وتعني بغال أو اشتران، وتعني جمال) كما يجب أن يرسل معها رسالة لطلب المعذرة (عما سلف . . .**»[2].

أما الرواية التي أوردها لنا رشيدالدين، في هذا الخصوص، فتقول بأن الوزير نصح الخليفة بأنه ينبغي عليه أن يدفع الخصم ببذل المال ؛ لأن الخزائن، والدفائن ـ التي تملكها الدولة العباسية ـ كانت مليئة ؛ وأنها جمعت لتدرأ عن هذه الأسرة الشر ، ولحماية كرامة العرض وسلامة النفس . لذلك، فأنه يجب اعداد ألف حمل من نفائس الأموال ؛ وألفاً من نجائب الأبل ؛ وألفاً من الجياد العربية المجهزة بكل الآلات والمعدات التي تحتاجها ؛ كما ينبغي ارسال التحف ، والهدايا الرمزية ؛ ويجب أن يرسل كل ذلك في صحبة رسل كفاة دهاة . مع تقديم الاعتذار الى هولاكو ؛ كما ينبغي أن تجعل الخطبة والسكة المتداولة في الدولة باسمه . وتضيف رواية رشيد الدين القول بأن الخليفة أعجب بهذا الرأي الصائب ، فوافق عليه ، وأمر بأن تجهز كل تلك الأشياء بسرعة ثم ترسل الى القائد المغولي[3].

---

(١) المرجع السابق، جـ ٢/ ص: ٧٠٢.

(٢) الطوسي، كيفية واقعة بغداد (الجويني ، جهانكشاي، جـ ٣/ص.ص: ٢٨٠ ـ ٢٨١).

(٣) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ ٢/ص: ٧٠٢، الترجمة العربية ، جـ ٢/ ص.ص: ٢٧١ ـ ٢٧٢ ؛ أيضاً : ابن العبري ، تاريخ . ، ص.ص: ٢٦٩ ـ ٢٧٠ ؛ ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة . ، ص: ٣٢٥.

لقد أبطل المشروع ، وأقلع عن تنفيذ ما أشار به الوزير وأيده الخليفة ؛ وذلك بسبب النفور والعداء ثم روح التنافس التي كانت سائدة بَيْن الوزير والدوادار الصغير . حيث اتهم الأخير خصمه الوزير بأنه في مشورته تلك ، والتي وافقت هوى وميول المستعصم، كان يسعى وراء مصالحه الشخصية، بالتزلف لدى هولاكو . وهدد الدودار الصغير بأن يتصدى لها بنفسه ورجاله ؛ ثم يصادر تلك الهدايا والتحف - التي أرادوا ارسالها الى المغول ؛ ثم يقوم بحجز الرسل الذين كانوا سيقومون بمرافقة القافلة التي تحملها . وعند ذلك انصاع الخليفة للأمر . وأذعن لتهديد الدوادار، وبعث بدلاً عن ذلك هدايا قليلة فقط[1] .

وهكذا ازدادت العلاقات الخصومية والمريرة بين كبار موظفي نظام الحكومة في بغداد سوءً ؛ ذلك الخصام وذاك العداء الذي ساد وهيمن على الأحداث داخل بلاط الخليفة ؛ فأخذ له مجرى جديداً الى ما هو أسوأ مما كان عليه[2] . ومما زاد الوضع تدهوراً تصرفات الخليفة؛ فقد كان ضعيفاً جداً ؛ حتى أنه لم يحاول قط أن يفرض أوامره الشخصية ، أو أن يوجد روح الوحدة داخل البلاط ذاته . كما كان متردداً جداً ؛ إذ كان يقبل المشورة بعد الأخرى ، مهما كانت ، ثم بعد ذلك يبطلها ويعمل بعكسها تماماً . ومع ذلك، فاننا نرى أنه حتى ولو أرسلت هذه الهدايا والتحف الى هولاكو، فان التودد والتزلف ذلك - الذي كان ربما سيحصل - سوف لن يحول أو يمنع المغول من دخول بغداد .

اكتفى الخليفة بارسال بعض الهدايا القليلة ، وبعث بها مع بدر الدين دَرْتَنْكَي، ومعه رسالة ثالثة . وهناك رواية أخرى مفادها أن رسول الخليفة لم يكن درتنكي - الذي اعتاد أن يقوم ببعثات ومهام دبلماسية بينه وبين القائد المغولي - وانما كان شرف الدين ابن الجوزي[3] . وتذكر الروايات بأن الخليفة قد

---

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ ، جـ ٢/ ص: ٧٠٢ ؛ الطوسي، كيفية واقعة بغداد ، (الجويني ، جهانكشاي، جـ ٣/ ص: ٢٨١) ؛ الترجمة الانجليزية جـ . بويل، مجلة الدراسات السامية ، ١٩٦١ ، ص.ص: ١٥٢ - ١٥٣.

(٢) حول هذا الموضوع ، انظر: آخر فقرة رقم : ٢ من الفصل الثالث من هذا البحث.

(٣) هو «دركي» الذي ورد في جامع التواريخ ، لرشيد الدين، جـ ٢/ ص: ٧٠٤ . لمعلومات إضافية انظر الطوسي ، كيفية واقعة بغداد (الجويني، جهانكشاي، جـ ٣/ ص: ٢٨١).

أعاد في رسالته تلك كل ما سبق وذكره في رسالته الثانية ؛ فعدد الكوارث الطبيعية ، الخارقة للعادة، والتي كانت قد نزلت على الحملات العسكرية السابقة، التي سارت ضد بغداد، بغرض الهجوم عليها أو ايذائها . وهدد الخليفة هولاكو ورجاله بأن الشيء عينه سيتكرر على كل من يحاول أن ينال منه، أو يأذي، أسرته المقدسة ، المصونة ؛ التي قيل بأنه ادعى أنها ستظل دائمة الى يوم القيامة[1].

يقال بأن هولاكو عندما سمع رسالة الخليفة تلك ثارت ثائرته، وغضب ؛ وصمم بأن يشق طريقه الى العاصمة العباسية عنوة واقتدارا . وأجاب على رسالة المستعصم برسالة أخرى (على ما يبدو أنها كانت رسالته الرابعة الى الخليفة). وقد أشير الى هذه الرسالة في مؤلف رشيد الدين فقط ، بشكل شعر ، حيث دعا هولاكو خصمه بأن يفعل كل ما في وسعه واستطاعته أن يعمل قائلاً له : «. . . **اذهب وابن لك مدناً عالية من الحديد، وأسواراً من الفولاذ ؛ واصنع منها الأبراج والهياكل ، واجمع لك جيشاً من المردة والشياطين، ثم تقدم اليّ للخصام والنزال؛ فانني سوف أطوح بك، ولو كنت في السماء؛ وسأقذف بك عنوة واقتداراً الى أفواه السباع**»[2].

إن كانت هذه فعلاً رسالة مكتوبة من هولاكو الى الخليفة، فربما أن هذه الأبيات كانت خاتمة تلك الرسالة. ومع ذلك فاننا لم نجد في مراجعنا أي ذكر لأية رسالة جوابية على رسالة القائد المغولي تلك . وتقول الروايات إن هولاكو ،

---

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ ، جـ ٢/ ص: ٧٠٤، الترجمة العربية ، جـ ٢/ص.ص: ٢٧٥ - ٢٧٦.

(٢)

زآهن برو شهر وبارو بساز زپو لاد برج وبدن برفراز
زدبو وبرى جمع كردن سپاه پس آنگه بيايش من كينه خواه
اگر بر سپهر ، بريبر آرمت بنا كام ، دركام شير آرمت

انظر رشيد الدين، جامع التواريخ ، جـ ٢/ ص: ٧٠٥، قد تكون هذه الابيات خاتمة الرسالة ، أو أنه لم يكن هناك رسالة على الاطلاق، وأن هذه الأبيات قيلت فقط لأنها تناسب المقام ، أبان غزو المغول الجارف ، ضد أراضي الخلافة العباسية، التي لم يكن لها حول ولا طول لتفادي شره المستطير .

عندما وصل الى «أسد أباد» - في طريقه من همدان - أرسل رسالة أخرى (ربما كانت الخامسة). في رسالته هذه دعا المستعصم الى الخروج من بغداد، وأن يمثل بين يديه . الا أن الطوسي يقول بأن هولاكو أعطى خصمه ، مرة أخرى الخيار بين الخروج ، أو ، ان لم يفعل، فليقم بارسال واحد من كبار موظفيه ، أما الوزير، أو الدوادار الصغير ، أو سليمان شاه ، ثم يضيف الطوسي قوله : «. . ولكن الخليفة لم يعمل أياً من هذه الأشياء، وبكل بساطة، طلب المعذرة. . . »[1].

وتذكر الروايات بأن المستعصم كان قد طلب من كل واحد من أولئك الموظفين الكبار - الذين سماهم هولاكو - بأن يذهبوا الى خارج بغداد، لمقابلة القائد المغولي ، نزولاً عند أوامره وتلبية لطلبه ؛ ولكن - حسب رواية ابن العبري - لم يرد أي واحد منهم أن يمتثل لأوامر سيدهم[2]. الا أن الطوسي، ورشيد الدين، وابن الفوطي، يقولون بأن الخليفة لم يستجب لهولاكو، ولم يرسل أحداً منهم[3]. والذي يظهر لنا هو أن المستعصم لم يستطع ارسال أي واحد منهم ، كما تقول رواية ابن العبري؛ لسبب بسيط، وهو أنه لم يجد أياً منهم ينفذ أوامره . لذلك نجد الخليفة يطلب من شرف الدين ابن الجوزي ليقوم بنقل رسالته الى القائد المغولي بدلاً عنهم[4].

في هذه الرسالة (ربما كانت رسالته الرابعة الى هولاكو) طلب الخليفة مرة أخرى من خصمه أن يعود من حيث اتى ؛ الا أنه أضاف فيها بأنه على أتم

---

(١) الطوسي، كيفية واقعة بغداد (الجويني، جهانكشاي، جـ ٣/ص: ٢٨١)، الترجمة الانجليزية ، مجلة الدراسات السامية، ص: ١٥٣ .

(٢) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص: ٢٧٠ .

(٣) الطوسي ، كيفية واقعة بغداد (الجويني، جهانكشاي، جـ ٣/ ص.ص: ٢٨١ - ٢٨٢)؛ رشيد الدين ، جامع التواريخ، جـ ٢/ ص: ٧٠٧ ؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة . ، ص: ٣٢٥ .

(٤) ابن العبري ، في تاريخه ، ص: ٢٧٠ ، يذكر أن رسل الخليفة هما أثنان : ابن الجوزي وابن محيي الدين . وهذا خطأ ؛ لأن ابن محيي الدين هو ابن الجوزي، واسمه الكامل : شرف الدين بن محيي الدين أبي محمد يوسف بن جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي . وقد كان يشغل منصب استاذ دار الخلافة . لمعلومات أوفر عن مهام هذه الوظيفة ، انظر : العمري ابن فضل الله ، التعريف بالمصطلح الشريف ، القاهرة، ١٣١٢ هـ/ ١٨٩٤ م، ص.ص: ٩٦ - ٩٨ .

استعداد لأن يدفع للمغول أي مبلغ قد يقرره القائد المغولي ، ان هو رجع الى خراسان[1] .

إن هذا النوع من الاستسلام، أو الاستعداد الذي أبداه الخليفة ـ بأن يصبح حاكماً خاضعاً في سلطته للمغول ـ لم يكن ليناسب هولاكو ، والذي كان مصمماً على أن يدخل بغداد ، ويحتلها . وقد أوّل مقالة الخليفة هذه بأنها إجابة تسويفية ، يريد من ورائها كسب الوقت ليجمع جموعه ، ويعد نفسه ، وينادي من كان يسميهم « . . . جميع مواطنيه المسلمين، وخدامه من الشرق الى الغرب. . » بأن يأتوا ثم يطردوا المغول . لذلك فقد فشلت سفارة ابن الجوزي ، فشلاً ذريعاً ، مثل سابقاتها من السفارات الماضية . وقيل بأن هولاكو أجاب الخليفة على رسالته تلك ـ بطريقة استهزائية، مليئة بالازدراء والسخرية ـ قائلاً : « . . . وكيف نترك زيارة الخليفة . بعد كل ما قطعناه من هذه المسافات الشاسعة، ودون أن نراه . فبعد أن نحضر، ونلقاه ، ثم نتحدث معه ، سوف نطلبه الإذن بالسماح لنا بالعودة»[2].

يبدو لنا أن هولاكو ، بعد أن وصل «كرمان شاه»، أرسل رسالة أخرى الى المستعصم، وطالبه فيها بأنه ان كان حقاً يريد أن يستسلم، وأن رغبته صادقة بأن يصبح كواحد من الحكام التابعين للمغول ، فيجب عليه أن يحضر بنفسه ، وأن يمثل شخصياً أمامه . وفوق ذلك كله ، فانه يتحتم عليه أن يرسل حالاً وبدون أي تأخير ، الوزير، وسليمان شاه ، والدوادار الصغير، وذلك لكي يسمعوا رسالته ، وما سيأمرهم به من تعليمات. أما اذا أخفق في تنفيذ هذين المطلبين، فان على الخليفة بعدها أن يستعد للحرب[3]. مرة أخرى ، لانجد اشارة الى هذه الرسالة الا في كتاب ، جامع التواريخ، لرشيد الدين .

سبق أن ورد معنا أن الدوادار الصغير ، وسليمان شاه كانا هما القائدين

---

(١) رشيد الدين ، جامع التواريخ، جـ ٢/ص.ص: ٧٠٧ ـ ٧٠٨، الترجمة العربية ، جـ ٢/ص: ٢٨٢ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحات .

(٣) المرجع السابق ، جـ ٢/ص: ٧٠٨ ، الترجمة العربية ، جـ ٢/ ص: ٢٨٤ .

المسؤولين عن قيادة القوة المكونة من مماليك الخلفاء ؛ والقوة الأخرى التي كان قوامها التركمان ، والبقية الباقية من الأكراد . وهذه القوات كانت هي المسؤولة عن الدفاع عن بغداد ضد الغزاة المغول[1] . لهذا فلا غرابة في موقف هولاكو العنيد والمتصلب، الذي تشبث فيه ، ومطالباته بوجوب خروج ذلك القائدين من بغداد . وكان يسعى من وراء ذلك ، كما يبدو لنا ، الى ابقائهما عنده ، أو قتلهما . وكنتيجة لمخططه ذلك ، فإن اتباعهما ، ممن تبقى من المدافعين عن بغداد ، إما أن يحذو حذو قادتهم ، فيعلنون استسلامهم للمغول ، وإما أن يتبددوا شذر مذر ، فتصبح بغداد دونما مدافع عنها .

أما فيما يخص الوزير، فان الذي يبدو لنا، هو أن هولاكو ربما يعرف مدى تأثيره على الخليفة، وهذا التأثير ناتج عن الاحترام المشترك المتبادل بين الخليفة ووزيره . فكان غرض هولاكو أن يضمن استسلام بغداد السريع ؛ وذلك باعطاء وعود كاذبة وموهومة ، كما سبق وأعطاها ركن الدين خورشاه الاسماعيلي من قبل. وهكذا نجد أن هولاكو قد وضع هذه المطالب لتلبى ، كشروط أساسية مسبقة ، قبل الدخول في أي نوع من المباحثات مع حكومة بغداد ومناقشة مسألة دخول المغول العاصمة العباسية .

يحدثنا نصير الدين الطوسي ، (الذي كان مرافقاً للجيش المغولي الزاحف على بغداد ، كواحد من مستشاري القائد المغولي) أنه عندما اقترب هولاكو من بغداد، أرسل اليه الخليفة بعض الهدايا القيمة مع موظفين اثنين من كبار رجال دولته، وهما صاحب الديوان - فخر الدين أبو عبد الله بن الدامغاني ، وحاجب الباب - عبد الغني بن الدرنوس[2]. لم نجد أية معلومات اضافية عن رسالة هذين الموظفين الكبيرين، لدى البلاط العباسي ، في رواية نصير الدين الطوسي هذه، كما أن رشيد الدين لم يذكرها على الاطلاق .

بعد أن أطبقت قوات هولاكو- بكتائبها الثلاث الرئيسية (الميسرة، والميمنة، والقلب) وأحاطت ببغداد، بدأت هجماتها الشديدة بعنف وصلافة .

(١) عن هذا الموضوع ، انظر الفصل السابق (الثالث) ، فقرة : ٣ ، من هذه الدراسة وبالذات في الصفحات : ٢٣٧ - ٢٣٣٩

(٢) الطوسي ، كيفية واقعة بغداد (الجويني، جهانكشاي ، جـ ٣/ص: ٢٨٦)

وفي هذه المرحلة يقال أن الخليفة طلب من وزيره، ابن العلقمي، وأيضاً - حسب رواية رشيد الدين - طلب من «البطريق النسطوري المسيحي»، بأن يخرجا لمقابلة هولاكو خارج بغداد. لم يرد أي ذكر على أن «رئيس البطارقة النسطوريين المسيحيين» في بغداد كان قد خرج لمقابلة هولاكو - نزولاً عند رغبة الخليفة - لا في رواية نصير الدين الطوسي؛ ولا في أي من كتابي ابن العبري؛ ولا في كتاب الحوادث الجامعة - لابن الفوطي - الذي أودر لنا حروج الوزير فقط[1]. ومع هذا، فان كان صحيحاً أن الخليفة كان قد طلب توسط البطريق النسطوري، فانه من الممكن - وكما يظهر لنا - أن الخليفة كان يريد من البطريق أن يلطف من حدة موقف هولاكو المتشدد، وذلك بالتوسل الى زوجته المسيحية النسطورية، «توقوز خاتون». كما أن هذه الحالة تدل دلالة على طيب، وحسن العلاقة التي كانت سائدة بين الطائفة المسيحية والمسلمين.

أعطى الخليفة رسالته الى الوزير (وربما الى البطريق) ليسلمها الى هولاكو. وتذكر لنا الروايات أن الخليفة ذكر لهولاكو أنه سبق وطلب خروج واحد من موظفيه الكبار، إما الوزير، وإما الدوادار الصغير، واما سليمان شاه و «... الآن (قال الخليفة) وقد حافظت على كلمتي، وأرسلت الوزير، الذي كان كبير الموظفين. والآن دع الملك (يعني هولاكو) يظل عند كلمته، ولا يرسل اليهم (يعني الدوادار الصغير وسليمان شاه)...»[2].

وعن مهمة الوزير، يذكر لنا ابن الفوطي أن الوزير خرج من بغداد، قاصداً مخيم هولاكو خارج المدينة (في اليوم الرابع عشر من شهر محرم، عام ٦٥٦ هـ، ٢١ يناير، سنة ١٢٥٨ م) وعاد الى بغداد بعد أربعة أيام أي في اليوم الثاني عشر من شهر محرم / ٢٥ يناير[3]. أما رشيد الدين فيروي لنا أن الوزير لم يخرج لمقابلة هولاكو

---

(١) المرجع السابق نفسه، ونفس الصفحات؛ انظر أيضاً: ابن العبري، تاريخ.، ص: ٢٧١، ابن الفوطي، الحوادث.، ص: ٣٢٥.

(٢) الطوسي، كيفية واقعة بغداد (الجويني، جهانكشاي، جـ ٣/ص: ٢٨٧)؛ الترجمة الانجليزية، مجلة الدراسات السامية، ص: ١٥٧؛ انظر ايضاً: ابن العبري، تاريخ.، ص: ٢٧١؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ ٢/ ص: ٧١٠، الترجمة العربية، جـ ٢/ ص.ص: ٢٨٦ - ٢٨٧.

(٣) ابن الفوطي، الحواث الجامعة.، ص: ٣٢٥.

الا بعد أن بدأ المغول في اقتحام بغداد ، والذي بدأ في اليوم الثاني والعشرين من محرم / ٢٩ من شهر يناير[١] . ومع ذلك ، فإن الوزير ربما كان قد خرج ليقابل هولاكو بعد أن أكملت الجيوش المغولية تطويقها النهائي حول بغداد ، وبعد أن بدأت المناوشات العسكرية بينهم وبين المدافعين في داخل مدينة بغداد . ويمكن استنتاج ذلك من اجابة هولاكو على رسالة الخليفة (ربما كانت الرسالة الثامنة) ، والتي يقال بأنه ذكر مخاطباً الخليفة قائلاً « . . . **انني قد طلبت هذا الشرط عندما كنت على باب همدان ؛ أما وقد وصلنا الآن وأصبحنا على أبواب بغداد ، وبعد أن حصل ما حصل ، كيف اقتنع بواحد ؟ فينبغي أن ترسل هؤلاء الثلاثة (يعني الوزير والدوادار وسليمان شاه** ».[٢]لا نعرف شيئاً عما اذا كان هولاكو قد أرسل رسولاً خاصاً من عنده ، ليحمل هذه الرسالة ، أو كان قد أرسلها مع الوزير ؛ إذ لم تذكر لنا الكيفية التي أرسلت بها رسالته تلك .

عندما رجع الوزير الى بغداد، قال للخليفة أن هولاكو لم يقنع فقط به ، وأنه أصر على خروج الخليفة نفسه[٣] . الا أن الخليفة أرسل فريقاً آخر من كبار موظفي الدولة ، وأعيان البلدة رسلاً من عنده ؛ وكان على رأسهم الوزير (للمرة الثانية)، وحاجب الباب ـ ابن الدرنوس (للمرة الثانية أيضاً). ولكن لم ينتج عن بعثة أولئك الرسل أي شيء؛ واعيد أعضاؤها الى بغداد؛ ربما حتى دون أن يقابلوا هولاكو .

وفي هذا الوقت كانت القوات ، التي أخذت على عاتقها مهمة الدفاع عن الحكومة العباسية، قد سحقت، وأصبحت المدينة نفسها تحت ثقل وطأة القذائف المغولية من جميع جهاتها ، وهنا كان البرج المسمى : برج العجمي ، الذي يقع على السور الشرقي من بغداد، قد صدع ، وسقط في أيدي الأعداء؛ وقد أعطاهم هذا البرج مدخلاً الى التحصينات الواقعة على الأسوار، وبعدها بدأوا في تدمير الأسوار .

---

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ . جـ ٢/ ص: ٧١٠.

(٢) الطوسي ، كيفية واقعة بغداد (الجويني، جهانكشاي، جـ ٣/ص: ٢٨٧) انظر أيضاً : رشيد الدين، جامع التواريخ ، جـ ٢ / ص: ٧١٠ ، الترجمة العربية ، جـ ٢/ ٢٨٧ ؛ ابن العبري، تاريخ . . ، ص: ٢٧١ .

(٣) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة، ص: ٣٢٥.

في هذه المرحلة بالذات ، عندما أصبح الموقف متدهوراً ، يسير من سيء الى أسوأ ، وبعد أن شاهد أن مدينته ستسقط في أية لحظة ، تقول الروايات أن الخليفة المستعصم قال: «سأسلم وسأطيع . .»[1] نأرسل صاحب الديوان، وحاجب الباب، ومعهما هدايا ثمينة .

وعلى الرغم من أن الأستاذ / ج. أ. بويل يذكر هنا بأن بعثة هذين الموظفين الرسميين كانت الأولى الى هولاكو ، فان الطوسي يذكر بأنهما كانا قد أرسلا قبلاً في مهمات رسمية الى هولاكو[2]. ومما تجدر ملاحظته أن الطوسي ، كما سبقت الإشارة ، كان حاضراً في بلاط القائد المغولي، الذي كان يستشيره في كل مسألة؛ بعد أن أصبح واحداً من أعضاء حكومته الرسميين الموثوق بهم ؛ كما كان واحداً من جملة رسله الذين أرسلهم الى الخليفة .

وكما كان يحدث سابقاً ، فان هولاكو تجاهل هذين الرسولين، ولم يلتفت الى ما كانوا قد أحضروه من هدايا . فأعيدا الى بغداد دون أن يحققا أي شيء، ربما كان سيساهم في تلطيف الموقف المتصلب ، الذي تبناه المغول وقائدهم[3] . لذلك نجد أن الخليفة يرسل ابنه الثاني، أبو الفضل عبد الرحمن، مصحوباً بصاحب الديوان، ابن الدامغاني، وبعض من وجهاء وكبار رجالات بغداد الآخرين، وكانوا يحملون هدايا قيمة ووفيرة الى هولاكو .

خرج أولئك الرسل من المدينة في يوم الثلاثاء، التاسع والعشرين من محرم/ الخامس من شهر فبراير . مع ذلك ، فإنه لم يسمح لهم بمقابلة هولاكو ؛ كما رفضت هداياهم التي أتعبوا أنفسهم في حملها اليه . وفي اليوم التالي (الاربعاء ـ الثلاثين من محرم/ السادس من فبراير) أرسل أبو العباس، الابن

---

(١) «كفت إيل مي شوم». رشيد الدين، جامع التواريخ ، جـ ٢/ص: ٧١١ ، الترجمة العربية جـ ٢/ ص: ٢٨٨ .

(٢) ج .أ. بويل ، مجلة الدراسات السامية ، ١٩٦١ م، جـ ٦/ ٢؛ ص: ١٥٧ ، حاشية رقم: ٣ ؛ ص ١٥٨، حاشية رقم : ٨ .

(٣) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ ٢/ ص: ٧١١ . انظر أيضاً : ابن العبري، تاريخ . ، ص: ٢٧١ .

الأكبر للخليفة، ومعه الوزير (للمرة الثالثة) ليقابل هولاكو نيابة عن الخليفة. ولكن كانت بعثتهما فاشلة، ولم تثمر شيئاً؛ فعادا الى المدينة في اليوم التالي. وفي أثناء عودتهما أصحبا برسولين من قبل هولاكو، هما نصير الدين الطوسي، ورسول آخر مغولي اسمه «تيمور ناصي» يحملان رسالة (ربما كانت التاسعة) الى الخليفة.

لم يذكر نصير الدين الطوسي شيئاً عن سفارته هذه الى الخليفة؛ كما لم يذكر رشيد الدين ـ الذي أورد لنا خبر هذه المهمة ـ شيئاً عن محتويات رسالة هولاكو تلك. الا أنه ربما كانت كسابقاتها، اعادة لمطالب هولاكو، على أنه يجب خروج الرجلين الآخرين ـ الدوادار الصغير وسليمان شاه ـ كشرط للدخول في مفاوضات، وقبول هدايا الخليفة، واستقبال رسله[1].

تذكر الروايات أنه عندما خرج الدوادار الصغير وسليمان شاه من المدينة، أمـر هولاكو بأن يعودا الى بغداد، ويرجعا باتباعهما معهما. بعد أن فعل سليمان شاه، وخرج ومعه أصحابه من التركمان، صدرت أوامر القائد المغولي بأن يقسموا على مختلف الكتائب، وتضرب أعناقهم جميعاً[2]. أما الدوادار الصغير، فان رواية ابن العبري تذكر بأنه عندما وصل الى مخيم هولاكو أجبر على أن يعود الى بغداد، وأن يأمر المدافعين داخل بغداد بالكف عن القتال. وبعد أن فعل ذلك، وتوقف القتال، عاد الى هولاكو، الذي أمر به فقتل، مع من خرج من أتباعه[3].

أما الطوسي، وابن الفوطي، فيقولان بأنه في اليوم الثاني من صفر (الثامن من شهر فبراير، وعندما خرج الدوادار الصغير، وسليمـان شاه، كـانا مصحوبين بابن الخليفة الأوسط ـ أبو الفضل (حسب رواية الطوسي) أو الابن

---

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة، الترجمة العربية، جـ ٢/ ص: ٢٨٩ ؛ ابن العبري، تاريخ .، ص: ٢٧١.

(٢) الطوسي، كيفية واقعة بغداد(الجويني، جهانكشاي، جـ ٣/ص.ص: ٢٨٩ ـ ٢٩٠).

(٣) ابن العبري، تاريخ .، ص: ٢٧١.

الاكبر ـ أبو العباس ـ (حسب رواية ابن الفوطي) ومعهما أيضاً مجموعة من كبار ووجهاء المدينة الآخرين[١].

وحول هذه المسألة يعطينا رشيد الدين تقريراً مختلفاً ؛اذيقول بأن ذلك الموظفين الكبيرين (الدوادار الصغير وسليمان شاه) قد أخذا من بغداد الى مخيم هولاكو ، خارج المدينة ، بالقوة؛ حيث قام بعملية احضارهما مجموعة من زملائهما الموظفين في البلاط العباسي ، وعلى رأسهم ابن الجوزي ، وابن الدرنوس ، وابن الدامغاني. ورغم أنهما قد أعطيا ضمانات تكفل حياتهما ، وعدم الحاق أي ضرر بهما ، ووعود مسبقة بأنه ستتاح لهما فرصة الانخراط باتباعهما في سلك القوات المغولية ، وليـنضما الى الحملة المزمع القيام بها ضد الأراضي السورية والمصرية ، فقد ثبتت أنها وعود كاذبة ؛ حيث قدما واتباعهما الى المقصلة المغولية ، فقتلوا جميعهم[٢].

كانت المجهودات التي بذلت من قبل رسل حكومة بغداد ، للوصول الى حل سلمي ، قد آلت بالفشل الذريع . ويمكن ايعاز فشلها ذلك الى أسباب كثيرة . ولعل منها : أن الخليفة المستعصم كان ضعيفاً جداً ؛ وغير قادر على التغلب على المشاكل التي أوجدها تهديد المغول المميت ، ولا حتى المقدرة على كيفية التعامل مع هولاكو، للوصول الى نوع ما من الاتفاق ، لكي يخفف من وحشية المغول في معاملتهم لمواطنيه بعد دخول عاصمته . كما كان الخليفة متردداً كثيراً ، لدرجة التطرف ؛ ولم يكن يعرف ماذا كان يجب أن يقوم بعمله في هذا الوقت الحاسم ، واللحظة القاتلة ؛ كان لا يملك السلطة الكافية لفرض ما كان يراه مناسباً على موظفيه لتنفيذه ، وهذا ما يبدو واضحاً من رفضهم المكشوف علانية في الانصياع لتوسلاته (وليس لأوامره) المستمرة ، بأن يذهبوا خارج بغداد بناءً على أوامر هولاكو، واستجابة لمطالبه ؛ وذلك لكي يسهل التوصل الى مفاهمات أفضل لايجاد حل سلمي . فقد يكون من شأنه أن ينقذ حياة الآلاف

---

(١) الطوسي ، كيفيا واقعة بغداد (الجويني جهانكشاي ، جـ ٣/ ص.ص: ٢٨٩ ـ ٢٩٠)؛ ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة : ص: ٣٢٥.

(٢) رشيد الدين ، جامع التواريخ ، جـ ٢/ ص: ٧١١ ، الترجمة العربية ، جـ ٢/ ص: ٢٨٩.

من الناس داخل بغداد . ومن الحقائق المحزنة حقاً ، في هذه اللحظة ، أننا نجد أن الخليفة، بلغ به جهله المطبق في شؤون الدولة الادارية بحيث لم يستطع حتى أن يتخذ قراراً معيناً (إما الاستسلام مبكراً ؛ وانقاذ حياة المسلمين ، وإما الجهاد والجودة بالنفس ـ ما دام أن مصيرها القتل على أيدي المغول) طوال السنوات الثلاث الماضية ، أي منذ أن وصل المغول الى خراسان في سنة ٦٥٣ هـ/ ١٢٥٥م . .

من محتويات رسائل الخليفة المختلفة ، ومن الاطلاع على مجريات الأحداث يمكن استنتاج أن الخليفة كان يريد أن يذعن لشروط هولاكو ، ويخرج من عاصمته لمقابلة خصمه ؛ ولكن الدوادار الصغير لم يتركه يفعل ذلك . فالمستعصم كان يحبذ (ولم يفرض ما رآه مناسباً في وضع مثل وضعه) استرضاء المغول ، والاستجابة لمطالب قائدهم .

أما مسألة المغول، وإمكانية السلام معهم ، فإنه يظهر لنا ـ مما يمكن استنتاجه من أعمال المغول السابقة (في تصرفاتهم مع خصومهم الذين تعرضوا لغزوهم في عقر دارهم ـ كالدولة العباسية ـ الآن) أنه أصبح من المستحيل أن يقال بأنهم كان سيقبلون استسلام الخليفة ، وأن يتركوا مدينته الثرية ، دون أن تنهب ، وخاصة بعد أن وصلوا ضواحيها .

كما أن المحادثات مع المغول كانت قد تعثرت منذ البداية، وحتى نهايتها ؛ بسبب روح التنافس والعداء المتأصل، الذي ساد بين كبار موظفي بلاط حكومة العباسيين. وكان قد وصل ذلك العداء بينهم قمته متوافقاً مع عشية وصول زحف المغول المدمر الى المنطقة[1] . فقد نتج ذلك التخاصم وذاك العداء ، والتنافس، والتنافر ، عن اتهامات متبادلة . فكل واحد منهم أخذ في كيل الاتهامات لزميله بعدم الاخلاص، والولاء ؛ وبالخيانة والتآمر مع الاعداء . ولعل تلك المهاترات ، التي جرت بين الوزير ومنافسه ، الدوادار الصغير ، أوضح دليل

---

(١) لمعلومات أوفر في هذا الشأن : أنظر ما قلناه عن المشاكل داخل الجهاز الاداري للدولة العباسية أيام الخليفة المستعصم ، في فقرة : ٣ من الفصل السابق (الثالث ، من هذه الدراسة) وبالذات في الصفحات : ٢٢٥ ـ ٢٢٨ .

على ما نحن بصدده ؛ والذي أدى بدوره الى وجود نوع من التحزبات المتعارضة بين الأفراد الآخرين، داخل بلاط المستعصم، وبين طوائف وعامة الشعب في الخارج. فكانت النتيجة المحتومة ، كما هو متوقع في حالات مثل هذه ، دمار الجميع على أيدي الاعداء الغزاة المغتصبين .

ب ـ سقوط بغداد على أيدي المغول وأعوانهم

ما أن جاءت نهاية سنة ٦٥٤ هـ/ ١٢٥٦م، حتى كان هولاكو قد انتهى من المرحلة الأولى، من مراحل حملته العسكرية ضد الأراضي الواقعة الى الغرب من حدود الامبراطورية المغولية؛ وذلك عندما تم تدمير الاسماعيليين ، وأنهى كيانهم ، كقوة مستقلة قائمة بذاتها في المنطقة ؛ بعد أن استسلم اليه خورشاه وتم تدمير قلاعه ، عاد الى مخيمه العسكري في مكان يعرف بـ : كُشْلَمْبِه ، على بعد سبعة فراسخ (٢١ ميل) من قزوين ؛ حيث قضى هناك شتاء عام ٦٥٤ هـ/ ١٢٥٦ ـ ١٢٥٧م.

في شهر ربيع الأول من العام التالي ، ٦٥٥ هـ/ مايو، ١٢٥٧م شرع في رحلته ، آخذاً طريقه باتجاه بغداد؛ وهي المرحلة الثانية من مهمته العسكرية . وعند وصوله الى الجزء الغربي من اقليم أراضي بلاد الجبل ، جعل من منطقة «خانه ـ آباد» ، وهي مكان منبسط أخضر قريب من همدان ، مكاناً لمقر ادارته العسكرية . حيث شرع في عمل الترتيبات اللازمة ، والتهيؤ للانقضاض على أراضي حكومة بغداد .

يذكر لنا رشيد الدين أن هولاكو سار باتجاه العاصمة العباسية في نفس الشهر ، الذي كان قد وصل فيه الى منطقة همدان . الا أنه عندما وصل الى «دينوار» الواقعة الى الغرب من أسد آباد ، عاد أدراجه الى همدان ؛ ومن هناك ذهب شمالاً الى «تبريز»، في مقاطعة « آذربيجان »، حيث قضى هناك مدة شهرين تقريباً ، شعبان ورمضان/ أغسطس وسبتمبر[١].

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ ، جـ ٢/ص: ٦٩٩.

لم تذكر مصادرنا الاولى أي سبب مقنع وراء حركة هولاكو هذه، الغير متوقعة . الا أن «رافرتي»، أثناء تعليقاته في حواشي ترجمته لكتاب الجوزجاني (طبقات ـ ى ـ ناصري) واتهاماته، التي كالها ضد الوزير العباسي، محمد بن العلقمي، من أن هذا الوزير كان متآمراً مع المغول ضد دولة بني العباس، التي يخدم في أهم منصب فيها بعد منصب الخليفة . يشرح «رافرتي» أسباب هذه الحركة الارتجاعية، التي قام بها القائد المغولي، فيقول بأن هولاكو كان قد استعجل في بداية حملته على أراضي الخلافة؛ لأن مشاريع الوزير الغادرة لم تكن قد نضجت بعد، لتصبح جاهزة للتنفيذ، كما أنه كان قد بكَّرَ في هجومه ذلك، ولم يكن الوزير قد سرح جيش وخدم وحراس الخلافة . وعندما عرف ذلك تراجع ليتيح الفرصة للوزير ليعفي حراس الدولة من مراكزهم، التي كانوا يحرسون منها الخلافة . (ربما كان «رافرتي» يعني، بحراس الخلافة، ذلك الجيش المزعوم الذي قيل بأن المستنصر قام بتجنيده حتى بلغ رقماً خيالياً، مائة وعشرين ألف رجل، والذي أتهم الوزير ابن العلقمى بمسؤولية تسريحه وحمل تبعة سقوطبغداد)[1].

يعطينا القلقشندي تحليلاً آخر، لهذه الحركة الاستعراضية، التي قام بها هولاكو؛ حيث يكتب المؤلف قائلاً بأن بركه خان (وهو حاكم القبيلة الذهبية المغولية في منطقة «القبتشاق»، اعتنق الاسلام) ارسل رسالة الى هولاكو ينهاه بألا يهاجم من يسميه القلقشندي «صديقه» أي صديق بركه خان، وهو الخليفة العباسي في بغداد؛ وأنه إن تجاهل انذاره، وأقدم على حملته ضد الخليفة، فانه (أي بركه خان) سوف يعلنها حرباً شعواء ضد هولاكو. ثم يضيف القلقشندي القول بأن هولاكو، لهذه الأسباب، انتظر حتى مات بركه خان وبعد ذلك توجه ضد بغداد[2].

لا يوجد لدينا أدنى شك في أن هذا المؤرخ (القلقشندي) مخطيئاً تماماً فيما

---

(١) الجوزجاني، طبقات . ، الترجمة الانجليزية جـ ٢/ ص: ١٢٢٤، حاشية رقم : ٨ . حول هذه المسألة أنظر ما قلناه في الفصل الخامس، فقرة ٢٠/أ من هذه الدراسة، عند مناقشة مسالة اتهام هذا الوزير .

(٢) القلقشندي، أحمد، مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق : فراج، الكويت، ١٩٦٤م جـ ٢/ ص.ص: ٩٠ ـ ٩١

يدعيه . وذلك لأنه من المعروف أن «بركه خان»، وهو حفيد جنكيز خان ، جاء الى عرش فرع أسرة والده «جوتشي خان» ـ والذين كانوا يحكمون في مناطق «القبتشاق» ـ في سنة ٦٥٥ هـ/ ١٢٥٧م وأنه مات بعد ما يقرب من عشر سنوات من سقوط بغداد، أي في سنة ٦٦٥ هـ/ ١٢٦٦م. كما أنه من المعروف أن فرع أسرة «جوتشي خان»، التي كانت حينئذٍ برئاسة «باتو» وأخيه «بركه» إبنا «جوتشي» ـ اذ أنه في هذه الأثناء توفي «باتو» وخلفه «بركه» على حكم فرع اسرتها ـ كانا ممن شارك في حملة المغول العسكرية الغربية ؛ وان القوات التي ساهمت بها أسرته كانت من جملة القوات المغولية التي اشتركت في هذه الحملة ضد الخليفة العباسي . فالكتائب العسكرية كانت تمثل «بركه» نفسه في حملة هولاكو، كانت تحت قيادة ثلاثة من الأمراء في هذه الأسرة، وهم ـ كما ذكرنا سابقاً ـ «بلغاى ، وتوتار ، وقولي»[1].

والذي يظهر لـــنـــا، هو أن الجوزجاني أيضاً كان مخطئاً تماماً في ادعائه أن العداء ، الذي أصبح مستحكماً فيما بعد ، بين هولاكو و «بركه» ، كان قد نتج مما فعله هولاكو ضد الخليفة العباسي . كما نجد أيضاً أن الدكتور/ عبد العزيز الخويطر قد جانب الصواب عندما تبنى ما سبق وذهب اليه الجوزجاني في هذا الخصوص، وقال بقوله[2].

أما اذا ما رجعنا لنبحث عن الأسباب، التي تبدو لنا أنها كانت هي الكامنة وراء تلك العداوة وذلك الصراع المرير الدامي ـ الذي نشب بين ذلك الحفيدين من أحفاد جنكيز خان ، لوجدنا أنها تكمن أصلاً وقبل كل شيء في نزاعهما على الحدود الواقعة بين أراضيهما الأميرية؛ تلك الحدود التي كانت تمتد من الركن الجنوبي الشرقي من البحر الأسود غرباً ومروراً بقوقاسيا، وحتى جنوب بحر أورال شرقاً ؛ وأن عداءهما لم يكن له أية صلة ، لا من قريب ولا من بعيد، بحملة هولاكو على بغداد .

---

(١) انظر ما سبق وذكرناه في هذا الشأن في الفقرة: «١/ أ» من هذا الفصل، أي في ص. ص: ٢٦٨ ـ ٢٦٩ .

(٢) الجوزجاني، طبقات . ٦ جـ ٢/ ص: ١٩٨، الترجمة الانجليزية، جـ٢/ ص. ١٢٥٢ ؛ الخويطر ، عبد العزيز، بيبرس ، مساعيه ومنجزاته ، لندن ، ١٩٧٨م ، ص.ص: ٤٤ ـ ٤٥ .

لأننا لو ذهبنا الى ما ذهب اليه الجوزجاني والدكتور الخويطر ، لكان باستطاعة بركه خان ـ الذي جاء الى عرش الدولة المغولية في منطقة «القبتشاق» ، قبل أن يُسْقِطَ هولاكو بغداد وقبل أن يقتل الخليفة ـ أن يفعل شيئاً ما لمساعدة أخيه ، بل اخوانه في الاسلام، المستعصم وسكان العراق ـ بل سكان العراق وسوريا الذين كانوا يقدمون الى المقاصل المغولية كما تقدم الشياه للذبح ، على مسمع من «بركه خان». وكان أقل عمل يستطيع أن يفعله هو أن يمنع قواته ، التي كانت تمثله في هذه الحملة ، من الاشتراك تحت قيادة هولاكو في الحرب ضد الخليفة ، وأن يأمر بسحبها من العراق .

أما تعليلنا لهذه الحركة الغير عادية التي قام بها هولاكو ، فإن الذي يظهر لنا هو أن القائد المغولي قرر أن يتقدم باتجاه الأراضي العباسية ليرهب السكان ويجبرهم على الهرب من أمامه . فرأى هولاكو أنهم سيهربون الى بغداد ويحتموا وراء أسوارها ، ويحقق ما كان يسعى اليه ، وهو نشر الرعب والهلع ، الى جانب الفوضى والاضطراب ، في داخل العاصمة العباسية ؛ ونتيجة لهذا فسوف تهبط روح الناس المدافعين المعنوية[١] .

ومن ناحية ثانية ، نرى أن هولاكو، عندما وصل الى «دينوار»، وجد أنه اذا واصل سيره ضد بغداد، فذلك يعني أنه سيقضي أشهر الصيف الحارقة في القتال ؛ كما رأى أنه من الممل حقاً أن يقضي الشهرين الآخرين من فصل ذلك الصيف في همدان ، لذلك قرر أن يذهب الى «آذربيجان»، لتتاح الفرصة أمام رجاله ، لأخذ قسط أوفر من الراحة الطويلة ؛ وفوق هذا كله يترك الجياد تستزيد سمنة وقوة .

كما أن هناك سبباً آخر ، وهو الذي يظهر لنا أنه كان السبب الرئيسي ، وهو حقيقة وجود تلك القلاع والحصون المنيعة التي تحتل الأماكن والممرات الضيقة الجبلية الصعبة الاجتياز ؛ والتي تقع على قمم «جبال زاجروس»، حيث كانت قوات من «الأكراد والتركمان» تسيطر عليها . لذلك فان الشهرين تلك

---

(١) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة ، ص: ٣٢١.

استعطيانه وقتاً كافياً ، يبدأ بالتخلص منهم أولاً ، وقبل أن يواصل سيره الى بغداد ثم يتركهم وراءه. فان لم يفعل ذلك فسوف يصبحون خطراً كبيراً جداً، ليس فقط على مواقع المغول العسكرية الادارية في همدان، ولكن أيضاً على خطوط مواصلاته من الوراء.

لذلك ، فقد كان أول عمل رأى هولاكو القيام به ، هو أن يباشر العمل بالتخلص من هذه المشكلة ؛ وليستبعد كل إمكانية قد يقع جيشه تحت هجوم من الوراء؛ أو أن تتعثر حملته، في أية مرحلة من مراحل مسيرها. شرع هولاكو في محادثاته السلمية مع حاكمها، «حسام الدين ابن عكا»، حيث دعاه بأن يسلم جميع شؤون البلاد الى ابنه (سعد)؛ وأن يشرع بالحضور والمثول أمامه. استجاب حسام الدين بن عكا لدعوة هولاكو ،فنزل من قلعته ـ دَرْتَنْكْ ـ ومثل بنفسه أمام القائد المغول . وتقول الروايات أن هولاكو استقبله استقبالاً عظيماً ؛ واحتفل به أعظم احتفال، وشرفه أعظم تشريف . وبعد أن قدم عهوده ومواثيقه بالولاء المخلص للمغول، ثبته حاكماً على أرضيه ، ليكون تابعاً للمغول. وبعد أن منح انعامات من قبل هولاكو خان ، عاد حسام الدين الى مقاطعته[1].

ما أن رجع حسام الدين الى قلعته حتى دخل في محادثات مع أصحاب بعض القلاع الأخرى ، وحثهم على الانضمام تحت سلطته ، وعندما نجح في هذا العمل، جاءته مجموعة من الرجال الجبليين ، معظهم من «الأكراد والتركمان»، وتجمعت تحت رئاسته (ويقال بأن أعداداً كبيرة من أتباع «سليمان شاه»، رئيس القبائل «التركمانية»، جاؤا اليه وانضموا تحت قيادته ؛ وذلك بسبب الصداقة التي كانت تربط بين ابن عكا وبين القائد التركماني) . وعندما تجمعت هذه القوات الوفيرة العدد تحت لوائه ارتأ حسام الدين بن عكا أن باستطاعته مجابهة المغول في ثورة يقوم بها ضدهم[2].

قدر لخطة حسام الدين أن تموت ، حتى قبل أن تولد ؛ اذ أن المغول كانوا

---

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ ، جـ ٢/: ٧٠٥ ، الترجمة العربية ، جـ ٢/ص: ٢٧٧.
(٢) المرجع السابق ، نفس الاجزاء والصفحات .

سريعين بشكل رهيب في اتخاذ عمل صارم ، وخاطف، ضد تابعهم الجديد الخائن. فأرسل هولاكو واحداً من أكثر قادته العسكريين مقدرة وحنكة ، هو القائد «كد ـ بوقا نويان»، على رأس قوة قوامها ثلاثين ألف رجل ، ضد حسام الدين . وقد تظاهر «كد ـ بوقا»، وكأنه لم يعرف أي شيء عن ثورته؛ أو بمعنى أدق ـ خطته للثورة . فأرسل اليه يدعوه الى مقابلته قائلاً بأن المغول أصبحوا على وشك السير ضد بغداد؛ لذلك فان وجوده في قواعد المغول الادارية في همدان مهم جداً، لكي يتم التشاور معه على مخطط معين ؛ وقد يفيد حسام الدين سيده بمعلومات ، لخبرته بالبلاد ومداخلها .

ويظهر لنا أن حسام الدين لم يكن يعرف أبداً أن مخططه ذلك قد اكتشف بهذه السرعة المذهلة . لذلك اسرع الى تنفيذ ما دعاه اليه الضابط المغولي ، فوقع في المصيدة المهلكة ، التي نصبها له «كد ـ بوقا» . وبعد أن قبض عليه ، أمره بأن يدعو نساءه، وأطفاله، وأتباعه، وجميع أصحابه أن ينزلوا من حصونهم؛ وذلك بحجة احصائهم، اذا رغب أن ينقذ حياته ، وأن تبقى له ولايته كحاكم للمغول على أراضيه. لم يكن أمام حسام الدين أي خيار آخر ، إلا أن يخضع للأمر ؛ فأنزل كل من طلبهم «كد ـ بوقا» من صياصيهم ؛ ثم بعدها أمره بأن يقوض حصونهم وقلاعهم من أساسها ، وأن يدمروها حتى تسوى بالأرض ؛ وذلك ليبرهن حسام الدين للضابط المغولي على اخلاصه وطاعته لأوامر أسياده المغول . فأطاع حسام الدين الأوامر ، ودمر قلاعه . بعد ذلك نجد «كد ـ بوقا» يقدم حسام الدين ، وأسرته وأتباعه الى المقصلة لتضرب أعناقهم ؛ ولم ينج ألا ولده (سعد) الذي شق طريق هربه الى بغداد، ليصبح واحداً من الألاف التي قتلت داخلها ، بعد أشهر قلائل فقط من هذه الحادثة. وهكذا استطاع «كد ـ بوقا» أن يدمر قوة «الأكراد، والتركمان» بكل سهولة فهرب من نجا الى بغداد ليلتحقوا بقوتي «الأكراد» بقيادة عز الدين بن كر ، و «التركمان» بقيادة سليمان شاه[1].

---

(١) المرجع نفسه ، ونفس الاجزاء والصفحات. انظر ايضاً : الجوزجاني ، طبقات. . ، الترجمة الانجليزية جـ ٢/ ص.ص: ١٢٣٨ ـ ١٢٣٩، الحاشية رقم: ٨.

تقول بعض مصادرنا التاريخية في هذا الموضوع أن هولاكو (وهو ما زال - كما يبدو لنا في همدان) قام باستشارة ما تسميه تلك المصادر «أعمدة الدولة» حول أفضل السبل وأكثرها استحساناً للهجوم على بغداد . ويقال بأن كل واحد اعطى فرصة للتعبير عن رأيه الخاص حيال هذه المسألة بالذات . وكان ممن ساهم في تلك المناقشة بين «أعمدة الدولة» (دولة هولاكو) شخص مسلم على المذهب السني اسمه حسام الدين المنجم ، كان قد انخرط في سلك الخدمة تحت سلطة هولاكو بأمر من «**منكّو قاآن**»

سأله هولاكو عما كان يراه في علم الغيب، وما كانت تخبئه تلك النجوم من أسرار عن امكانية غزو بغداد؛ وعما اذا كان من النصيحة أن يتقدم الجيش المغولي في سيره ضد أراضي الخلافة العباسية ، أم ان الوقت لم يحن بعد ؟. واجابة على تساؤلات القائد المغولي ، يقال بأن حسام الدين تكلم على المكشوف ، معارضاً لهذه الحركة من أساسها . ويقال بأنه استشهد بقوله أن كل من أقدم بالهجوم على بغداد ، والأسرة العباسية، قد خسر مملكته، وفقد حياته ، كما حذر هولاكو من نفس المصير ، ومن عواقب سيئة ورهيبة ، إن هو أقدم على تنفيذ هذه المحاولة. وقد تنبأ، كما تقول الروايات، أن ظواهر غير عادية، وخارقة لناموس الطبيعة ستقع . وهذه الأشياء هي : أن الخيول ستموت ؛ وأن جنوده سيقعون مرضى ؛ وان الشمس سوف لن تطلع ؛ وأن المطر سوف لن تسقط ؛ وأن عواصف ثلجية وريحاً شديدة وقارصة البرودة ستهب ؛ وأن العالم ستدمره براكين تنبعث من جوف الأرض ؛ وأن النباتات والحشائش سوف لن تنبت ؛ وأن الملك الأعظم (وذلك إشارة الى «**منكّو قاآن**» سوف يموت في تلك السنة عينها[1].

ثم تردف الروايات حول هذه المسألة ، القول بأن هولاكو حينئذٍ التفت الى مستشاره الجديد، الخواجة نصير الدين الطوسي، وسأله عن وجهة نظره حول غزو بغداد ؛ وعما قاله زميله حسام الدين المنجم . ويقال أن هذا

---

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ ، جـ ٢/ ص: ٧٠٦ ، الترجمة العربية ، جـ ٢/ص: ٢٧٩

الفيلسوف عارض تماماً كل ما سبق وقاله زميله . ثم أردف قائلاً أنه لن يحصل أي شيء من تلك الكوارث ، التي ذكرها حسام الدين، بل أنه على العكس ، فأن هولاكو سيحكم في مكان الخليفة المستعصم . وتضيف الرواية أن الخواجة استدل على صحة ما ذهب اليه بالقول بأنه كان هناك العديد من خلفاء بني العباس قد تعرضوا الى كثير من الحالات السيئة، حيث أخذوا وعذبوا ، وانتهت حياة بعضهم من أثر التشويه . ومع كل ذلك لم يحصل شيء من تلك الكوارث التي ادعى حسام الدين أنها ستحصل نتيجة للتعرض لأسرة بني العباس .

وهنا يحاول رشيد الدين تبرئة ساحة نصير الدين الطوسي، بالقول بأنه لم يقل ذلك ألا بوازع من الخوف من هولاكو ؛ الذي لم يكن يرد الا وضعه في هذا الموضع لاختباره ، ومعرفة مدى اخلاصه . كما أن هناك روايات أخرى تقول بأن هولاكو أقدم على فتح باب المناقشة مع من سُمُّوا بـ «**أعمدة الدولة**» وعلى هذا النحو الذي ذكرناه، بعد أن احتل بغداد ، وذلك عند بحث مسألة قتل الخليفة أو عدم قتله ؛ ثم الكيفية التي يتم قتله بموجبها، وأنها لم تكن قد عقدت حول الهجوم على بغداد ذاته ، أو التعرض لأحد من بني العباس[1].

أصبحت هذه لنقطة (المباحثات بين حسام الدين والطوسي أمام هولاكو) أسطورة ؛ جعل الطوسي بموجبها خائناً في أعين أعضاء المذهب السني ؛ بينما جعل بطلاً أسطورياً من وجهة نظر أصحاب المذهب الشيعي)، لأنه ـ كما يقولون ـ انتقم للعلويين من العباسيين، وذلك لتسببه في تدميرهم، وهم الأعداء الذين اضطهدوا العلويين[2].

والذي نراه هو أن هذه المناقشات التي قيل بأن هولاكو افتتحها مع المنجمين والفلاسفة ، أو مع من سمو بـ «**أعمدة الدولة**» لم يكن لها أساس ؛ بل اختلقها بعض أصحاب الأساطير . لأنه لا يمكن أن يأتي هولاكو من قلب

(١) ميرخواند ، روضة الصفا ، جـ ٥/ ص: ٢٥٠.

(٢) ناقش هذه المسألة : ا. جـ. حايري ، في المؤتمر الدولي عن العرب والمسلمين، الذي عقد في بروكسل، في اغسطس سنة ١٩٧٠، ص.ص: ٢٥٥ ـ ٢٦٦، بعنوان : نصير الدين الطوسي ، دوره المزعوم في سقوط بغداد .

منغوليا، ويتكبد مشاق السفر هو ورجاله، ويستقدم المهندسين والخبراء الصينيين ، وينقل عرباته ومنجنيقاته وآلات حربه ، بقصد تدمير بغداد وأسوارها وحصونها ، ثم بعد أن يصل على مشارف الحدود العباسية يعقد تلك المناقشة؛ وهل يغزو العباسيين، أم لا ! لماذا لم ينبه حسام الدين المنجم سيده عن عدم غزو الخليفة من قبل أن يبدأ رحلته ، وطوال السنوات الخمس الماضية، منذ أن شرع الجيش المغولي في مسيرته ضد الأراضي الغربية ؟ ثم أننا نجد أن مسألة تدمير الخليفة مسألة مفروغ منها (هذا إن لم يطع ويسلم طواعية واختياراً عندما يدعوه هولاكو الى الاستسلام) وأن مسألة ابقائه ، ونسائه ، ومن يلوذ به ، أحياء مسألة غير واردة تماماً . ثم أن هناك مسألة أخرى ، وهي ـ كما قلنا ـ أن المغول لا يعتبرون أسرة ، على وجه الأرض ، مقدسة غير أسرة جنكيز خان،فهم أصحاب الحق في حكم العالم ، وعلى بقية البشر السمع والطاعة .

الانقضاض على بغداد وأراضي الدولة العباسية عموماً

بعد أن قضى هولاكو على قوة «الأكراد والتركمان»، وعلى زعامة حسام الدين بن عكا ، شرع في التخطيط لغزو أراضي الخلافة العباسية . ولكي يقطع هولاكو بغداد من أي اتصال خارجي من الغرب ،ولكي يستبعد أي احتمال من شأنه نجدة الخليفة بأية قوة قد يقوم الأيوبيون في سوريا بامداده بها ، رأى هولاكو وجوب سد جميع الطرق الرئيسية المؤدية الى بغداد من تلك الناحية. لذلك وجد أنه لابد للمغول من أن يتخللوا كلًا من مقاطعة الجزيرة ومقاطعة العراق ، ثم يضرب الحصار حول بغداد من الناحية الغربية . كما رأى هولاكو أن هناك امكانية أخرى قد تصل نجدة الى الخليفة عن طريقها، تأتي من أراضي مقاطعة خوزستان ومن الجنوب من بغداد. ولذلك وجد هولاكو أنه لابد من ازالة ذلك الاحتمال؛ إذ فلابد للمغول أن يقوموا باحتلال أكبر جزء من هذا الاقليم، ويقوموا بقطع أي اتصال قد يتم ببغداد عن طريق الجنوب ، ثم بعد ذلك السير من تلك الناحية ، وضرب الحصار عليها من جنوبيها .

وعلى هذا الأساس، وبموجب خطة استراتيجية محكمة الدراسة والتخطيط ، قام القائد المغولي بتنفيذ المرحلة الثانية من مراحل حملته ضد الأقطار الغربية ، وذلك بهجوم عام ضد أراضي دولة بني العباس . وحسب خطة مدروسة بكل عناية ، قام هولاكو بتقسيم قواته الجرارة الى ثلاث كتائب رئيسية . هي الميمنة ، والميسرة، والقلب؛ ثم الانقضاض على بغداد، والالتقاء حول أسوارها من ثلاثة اتجاهات .

قوات الميمنة

كانت قيادة قوات الميمنة العامة قد أسندت رئاستها الى القائد الكبير «**بايجونويان**»؛ فقد صدرت اليه الأوامر بأن يتقدم بقواته من قواعدها العسكرية الواقعة في الأراضي الشرقية والشمالية الشرقية لآسيا الصغرى[1]. وقد سار «**بايجو نويان**» مباشرة باتجاه الجنوب حتى وصل الى ضواحي إربل، وعبر نهر دجلة، في مكان قريب من الموصل على قنطرة خاصة تتكون من قوارب عائمة قام بتقديمها لهم بدر الدين لؤلؤ - حاكم الموصل التسعوني - ثم واصل «بايجو» سيره جنوباً حتى وصل الى تكريت، حيث التحق به هناك كتيبة اضافية أخرى جاءته من همدان.

قام هولاكو بارسال هذه الكتيبة العسكرية الاضافية، لتشترك مع «بايجو» في قوات الميمنة. وكانت هذه القوة الاضافية يتكون جلها من القوات التي ساهم بها فرع أسرة «**جوتشي خان**»، حكام أراضي «**القبتشاق**»- تحت زعامة «**بركه خان**» المسلم - والتي كانت بقيادة ثلاثة من أمراء هذه الأسرة «**بلغاى بن سيبان بن جوتشي، وتوتار بن سِنكَقُره بن بُتَلْ بن جوتشي، وقولي بن أرده بن جوتشي**»[2].

كما أن قوات أولئك الأمراء الثلاثة قد التحق بها قائدان آخران، من كبار القادة العسكريين المغول، هما «**سقنتشاق وبوقا تيمور**»[3]. حيث التحقا

(١) كانت القواعد العسكرية للقوات المغولية المرابطة في الجنوب الغربي من الامبراطورية في مكان اسمه «سيسيان»، والذي يقع بين بحيرة «كَوكتشه» ونهر «آركسس»، الى الغرب من بحر «قزوين» حول هذا الموضوع انظر: رحلة هيثون، ملك أرمينيا الصغرى الى منغوليا (١٢٥٤ - ١٢٥٥م) تحقيق: بريتسكنيدر، بحوث.، جـ ١/ ص.ص: ١٦٤ - ١٧٢، ص: ١٧١، والحاشية رقم: ٤٩٤؛ بويل، رحلة هيثوم الاول، ملك أرمينيا الصغرى الى بلاط الخان العظيم منكو، مجلة الدراسات الأسيوية المركزية، ١٩٦٤، جـ ٩/ ٣، ص.ص: ١٧٥ - ١٨٩، ص: ١٨٥، حاشية رقم: ٩٥.

(٢) حول هذه المسألة انظر: رشيد الدين، جامع التواريخ.، جـ ٢/ ص: ٧٠٧؛ ج.أ. بُويل (جهانكشاي، الجويني، الترجمة الانجليزية، جـ ٢/ ص: ٧٦٧)، تاريخ كمبريدج لايران، جـ ٥/ص: ٣٧٤؛ مجلة الدراسات السامية، ١٩٦١، جـ ٦/٢، ص: ١٥٢، حاشية. ٨؛ كَريكَور الآكنكي، تاريخ الأمة ذات الأقواس (المغول) ص: ٥٩.

(٣) بستشاق، سنجاق، سغنتشاق أو سغنجاق. انظر، رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ ٢/ص:

«بيابجو» عند «تكريت»، الواقعة على الناحية الغربية من نهر دجلة. كان واجب هذه القوات المتحدة أن تسير وتقوم بحصار بغداد من الناحية الغربية للمدينة العباسية العريقة.

في هذه الأثناء التحق بخدمة المغول، وانخرط في سلكهم العسكري، اثنان من موظفي الخليفة العباسي العسكريين هما: «أيبك الحلبي وسيف الدين قيليج»؛ بعد أن هجرا الخدمة العسكرية في جيش الخلافة، فهربا عن أداء واجباتهما التي طلب منهما القيام بها، فأمرا أن يلتحقا بقوات «بايجو». وحول هذين الرجلين، تقول الروايات بأنه عندما ارسلهما الدوادار الصغير، ليكشفا له الطريق التي كان يسلكها أثناء سيره ليقابل هولاكو، هجرا مواقعهما العسكرية، وهربا الى المغول، فانضما الى قوات «بايجو نويان».

على الرغم من قول رشيد الدين بأن قوات «بايجو نويان» الاستطلاعية هي التي أسرتهما، فان ابن الفوطي، وهو مؤرخ عراقي محلي، يبدو لنا أكثر دقة وصواباً من رشيد الدين[1]. اذ أن ابن الفوطي يقول بأن أيبك الحلبي (وربما كان معه قيليج) أرسل ليستكشف الطريق أمام جيش الدوادار وابن كر؛ ولكنه هجر الخدمة، ودخل تحت خدمة «بايجو»؛ وقام بارشاد المغول في أثناء زحفهم باتجاه بغداد[2]. كما أنه كان هناك رجل عسكري آخر أبق من سلك الخدمة في جيش الخلافة، والتحق بسلك المغول العسكري، هو «سلطان تشق»، الذي يقال بأنه من نسل الخوارزم شاهيين. وتقول الروايات بأنه كتب عدة رسائل الى بني جلدته من الأتراك، يحثهم فيها بأن يهجروا مراكزهم في جيش الدوادار، ويلحقوا به، تحت لواء المغول، الزاحف على بغداد. وهؤلاء الضباط البارزون، من أعضاء جيش الخلافة، والذين هربوا من

٧٠٧، رافرتي، الجوزجاني، طبقات ـ ناصري، الترجمة الانجليزية، جـ ٢/ ص: ١٢٣٨، حاشية رقم: ٨؛ بويل، (رشيد الدين، جامع التواريخ، الترجمة الانجليزية (خلفاء، جنكيز خان) ص: ٤٣٧.

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ ٢/ ص: ٧٠٨.

(٢) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص: ٣١٩.

الخدمة في صفوفه ـ من المؤكد أنه كان لهم أتباع ومريدون ، حذوا حذوهم ، فالتحقوا بالمغول[1].

وعندما قام هولاكو، باستدعاء قادة جيش الميمنة (« بايجو، بوقا تيمور وسقتتشاق »)لاجراء مشاورات نهائية قبل الشروع في الهجوم العام على بغداد ، أخذ أولئك المسلمون الخونة الى هولاكو ، حيث استقبلهم أحسن استقبال ، وأكرمهم، وأنعم عليهم انعامات كثيرة ؛ وطلب منهم العودة مع «بايجو نويان» وضابطيه الكبيرين الآخرين . وهكذا أصبح «سلطان تشق» وزملاؤه مرشدين لطلائع قوات الميمنة المغولية، التي قادها «بوقا تيمور وزميله شقتتشاق»[2]. وقد أشرنا في الفقرة السابقة من هذا الفصل أن قوات الدودار الصغير وزميله ابن كر تقابلت مع قوات الميمنة المغولية هذه قرب الأنبار، على بعد ٢٧ ميل الى الشمال الغربي من بغداد ، على الضفاف الشرقية من نهر الفرات .

ليس ما نقوله هنا هو تكرار لشيء سبق أن تكلمنا عنه ـ كما قد يبدو ـ ولكننا شرحنا في السابق كيفيةحركةجيش حكومةبغداد العباسية؛والآن نتكلم عن سير الجيوش المغولية الغازية . كانت أول وآخر معركة جرت ، وجهاً لوجه بين القوات المغوليةوقوات حكومةبغداد طوال حياة المستعصم كخليفة، في يوم الأربعاء، التاسع من شهر محرم ، لعام ٦٥٦ هـ/ ١٦ يناير ، لسنة ١٢٥٨م، في ضواحي الأنبار . وعندما بدأت المعركة تظاهر المغول بالانهزام، وهربوا، حتى دون أن يتكبدوا خسائر في قواتهم الطلائعية فقط ، بحيث تجعل الفرد يظن أنهم فعلاً قد هزموا . ومما يدل على جهل الدوادار المطبق بحقيقة وضع عدوه ، أنه ظن أن القوات تلك كانت هي جيش المغول، ولم يعرف بأنها كانت فقط طلائع

---

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ ٢/ ص: ٧٠٨، الترجمة العربية ، جـ ٢/ص.ص: ٢٨٣ ـ ٢٨٤.

(٢) الطوسي ، كيفية واقعة بغداد (الجويني، جهانكشاي، جـ ٣/ص.ص: ٢٨٢ ـ ٢٨٣)، الترجمة الانجليزية، لبويل، مجلة الدراسات السامية ١٩٦١، جـ ٢/٦، ص.ص: ١٦٣ ـ ١٥٤ ؛ رشيد الدين ، جامع التواريخ ، جـ ٢ / ١٩٢٠ ، الترجمة الانجليزية ، ج ٢/ ص ص : ١٢٣٧ ـ ١٢٣٨ ، والحاشية رقم : ٨ ؛ بناكتي ، تاريخ . ، ص : ٤١٧ ؛ ابن العبري ، تاريخ . ، ص: ٢٧ ، ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة . ، ص : ٣١٩ .

الميمنة ، بقيادة «بوقا تيمور وسقنتشاق»، التي قادته الى فخ أقيم له ولجيشه ، بقيادة القائد العام للميمنة - بايجو نويان . كان الدوادار جاهلاً وعديم الخبرة والتجربة في شؤون القتال مع أناس مثل المغول. هذا بالاضافة الى أنه كان أصلاً كاتباً مدنياً ؛ ولم يكن قائداً عسكرياً خبيراً بالمسائل العسكرية، ما يتكافأ مع ما كان لدى المغول في هذا الشأن من قدم وطيدة في النواحي القتالية الراقية . لذلك نجد أن الدوادار قد انخدع بحيلة المغول تلك ، فأقدم على حث زملائه ، وجميع أتباعهم بمواصلة القتال ؛ وذلك بتتبع المغول الفارين . لم يكن أمام ابن كر[1] - الذي أحجم أول الأمر، والذي اعتقد محقاً ، أن ذلك خدعة من المغول - الا الإنصياع لأوامر الدوادار واللحاق به في مطاردة المغول . وزحفوا وراءهم حتى وصلوا «بشيرية»، بالقرب من نهر دجلة . وهناك كانت تكمن لهم القوات المغولية الرئيسية لهذا الجناح الأيمن ، تحت قيادة «بايجو نويان» .

كان النهار قد شارف على الغروب ، فتوقفت المناوشات، وقام كل جيش بالمبيت في مكانه ذلك يقابل كل منهم الآخر . وفي أثناء الليل قام المغول، ومعهم أتباعهم من المسلمين الجدد - أمثال «أيبك الحلبي، وقيليج ارسلان وسلطان تشق» - يرشدونهم بفك السدود أو كسرها ، والتي كانت مبنية على نهر دجلة ، فأغرقت المياه جميع السهول الواقعة خلف أعدائهم - جيش الدوادار الضير وابن كر[2]. في المصادر الصينية، التي تطرقت الى هذه الحادثة، ذكر أن ذلك الغرق - الذي أصاب قوات الخلافة - كان قد وقع بسبب الأمطار التي قالت الروايات في هذه المصادر بأنها هطلت غزيرة طوال الليلة التي بات فيها الجيشان متقابلين[3]

وفي اليوم التالي، يوم الخميس العاشر / السابع عشر من الشهر نفسه،

---

(١) اسمه الكامل : الملك عز الدين ابن فتح الدين بن كرد (أوكر) وبعض المؤرخين يذكرون الأب بدلاً من الابن . انظر، الجوزجاني، طبقات ناصري جـ ٢/ ص: ١٩٣، الترجمة الانجليزية ، جـ ٢/ ص: ١٢٤٠، حاشية رقم: ٩.

(٢) الجوزجاني (طبقات ، جـ ٢/ ص: ١٩٤) يسميه: (نهر - ى - ...).

(٣) حياة كوكئن، ترجمة بريتسكنيدر، بحوث . ، جـ ١/ ص: ١٣٩.

استطاعت قوات الميمنة المغولية هذه ـ والتي شرعت في الهجوم عند الفجر ، وقوات الخلافة ما تزال غارقة في نومها ـ أن تحرز نصراً سهلاً مبيناً ؛ بعد أن أنزلت بقوات الدوادار وزملائه من الأكراد، هزيمة ساحقة ماحقة ، كانت كارثة أتت عليهم جميعهم، ألا ما شاء الله . فهلك الكثير في الوحل، بينما انجرف البعض الآخر في الماء، وهو ما زال نائماً داخل خيامتهم، أما البقية الباقية فقد ذبحت على أيدي المغول، وكان ممن لاقى حتفه في هذه المقصلة عز الدين بن كر ، قائد قوات الأكراد . أما من نجا، وكانوا فئة قليلة جداً ، وعلى رأسهم الدوادار نفسه ، فقد شقوا طريق هربهم نحو بغداد[1].

بعد هذه الهزيمة الماحقة لجيش الدوادار، سار بايجو نويان باتجاه الجنوب الشرقي ، على الطريق الرئيسي بين الأنبار، وبغداد، والمحاذي لقناة عيسى . وفي منتصف شهر محرم/ ٢٢ يناير ، وصلت كتائب قوات الميمنة الى ضواحي بغداد ـ وكما هو مخطط لها ـ اتخذت مواقعها العسكرية على الجانب الغربي من المدينة، مقابل باب السلطان .

---

(١)حول هذه المعركة ، انظر : الجوزجاني، طبقات . ، جـ ٢/ ص: ١٩٤، الترجمة الانجليزية، جـ ١/ ١٢٣٩ ـ ١٢٤٣، وحاشية رقم : ١ ؛ الطوسي، كيفية واقعة بغداد، (الجويني ، جهانكشاي، جـ ٣/ ٢٨٠)، ترجمتها الانجليزية في مجلة الدراسات السامية ، جـ ٦/ ٢ص: ١٥٥ ؛ ابن العبري، تاريخ . ، ص: ٢٧٠ ؛ ابن الطقطقا، الفخري . ، ص.ص: ٣٣٥ ـ ٣٣٦ ، الترجمة الانجليزية، ص.ص: ٣٣٢ ـ ٣٣ ؛ رشيد الدين ، جامع التواريخ ، جـ ٢/ ص: ٧٠٩، الترجمة العربية، جـ ٢/ص: ٢٨٥ ؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة . ، ص: ٣٢٤ ؛ بناكتي ، تاريخ. ، ص: ٤١٧ ؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان ، جـ ١/ ص: ٨٨ ؛ الذهبي، تاريخ . ، مخطوطة ، جـ ٢٠/ ورقة ٢١١أ ـ ب ؛ ابن حماد ، قوت الأرواح . ، مخطوطة، ورقة رقم ٩٥ ب ـ ٩٩أ ؛ العمري، مسالك الأبصار . ، مخطوطة ، جـ ١١/ ورقة : ٧٠ أ ـ ب ؛ النويري، نهاية الأرب . ، مخطوطة، جـ ٢٥/ ورقة ١٢٢ (هذا المؤرخ ذكر خطأً أن هذه القوات كانت بقيادة الدوادار الكبير. ولكنه ذكر الاسم الاول صحيحاً «مجاهد الدين أيبك» وهو اسم الدوادار الصغير) ؛ ميرخواند (في روضة الصفا . ، جـ ٥/ ص: ٢٤٣) يذكر بأنه لم ينج من قوات بغداد سوى ثلاثة أشخاص مع الدوادار ، فرجعوا هاربين الى بغداد مع قائدهم .

قوات الميسرة

كانت القيادة الرئيسية لهذه القوات المغولية في هذا الجناح تحت قيادة القائد المسيحي «كد ـ بوقا نويان» ؛ وكان يصاحبه في هذه المهمة قائدان آخران تابعان له هما القائد «قُدْسُنْ ويرك إلْكَا» ـ من القبيلة المغولية المسماة «جاجيرات» .

كانت المهمة التي أنيطت بكتائب هذه القوات الرئيسية الكبيرة هي مهاجمة أراضي الخليفة الواقعة في الجنوب الشرقي ؛ ثم أن تتقدم باتجاه بغداد من الجهة الجنوبية . لذلك ففي النصف الثاني من الشهر الأخير لعام ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧م زحف «كد ـ بوقا نويان» بقواته باتجاه الجنوب مباشرة . وكما هو مخطط لها ، فقد دمرت قوات الميسرة تلك جميع المنطقة، وحملت الحديد والنار طوال أراضي إقليمي لورستان ، وخوزستان. بعدها رجع متجهاً ناحية أراضي العراق، حيث بدأ «ببيات»، الواقعة الى الجنوب الشرقي من هذه المقاطعة .

يبدو لنا أن رشيد الدين قد جانب الصواب عندما ذكر أن تكريت كانت تقع على طريق هذا القسم من القوات المغولية الغازية ، وهذا الخطأ ظهر أيضاً في الترجمة العربية ، دون أن يتحقق المترجم من ذلك[١].

قاد «كد ـ بوقانويان» قوات الميسرة بسهولة تامة ، دون أن يجد أية مقاومة تذكر ؛ فشق طريقه باتجاه الشمال الغربي، آخذاً طريقه ناحية النحّاسيَّة، وصرصر . وبعد أن اقترب من أسوار بغداد ، نصب خيامه لمحاصرة المدينة ،

---

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ ، جـ ٢/ ص: ٧٠٧ ، الترجمة العربية ، جـ ٢/ص: ٢٨١ .

أمام «باب كلواذا» ، شمال شرقي نهر دجلة ، والى الجنوب الشرقي من المدينة .

كان وصول هذه الوحدة العسكرية بقيادة «كـد بوقا» ـ والذي يبدو لنا أنه كان مخططاً مسبقاً ـ متواقتاً مع وصول قوات الميمنة ، تحت قيادة بايجونويان، الى الجانب الغربي من العاصمة العباسية، في منتصف شهر محرم/ ٢٢ من يناير[1].

(١) الطوسي، كيفية واقعة بغداد (الجويني، جهانكشاي جـ ٣/ ص: ٢٨٣)، الترجمة الانجليزية مجلة الدراسات السامية، جـ ٦/ ٢ ، ١٩٦١م ؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ ٢/ ص: ٧٠٧، الترجمة العربية ، جـ ٢/ ص: ٢٨١ ؛ الجوزجاني ، طبقات . ، الترجمة الانجليزية، جـ٢/ ص: ١٢٤٣، حاشية : ٢ ؛ بناكتي ، تاريخ . ، ص: ٤١٧ . انظر أيضاً : لوسترينج، بغداد خلال فترة الخلافة العباسية، أكسفورد، ١٩٠٠م ص.ص: ٣٤١ ـ ٣٤٢ ؛ بريتشنيدر ، بحوث . ، جـ ١/ ص: ١١٩.

قوات القلب

كانت قوات القلب، التي كان هولاكو نفسه على رأسها ، هي أكبر وأكثر القوات المغولية الثلاث الزاحفة ضد بغداد كان ممن اشترك في هذه الكتيبة العظيمة قادة كبار، من أمثال «كُوكَا إلكَا وأُرْغتُو»؛ ومن الاداريين المدنيين «آرغون اقا»[1]، ومن الكتاب «قرا ـ تـاى» «وسيف الدين البتكتشي بن الخوارزمي» ـ الذي كان السكرتير العام لشؤون هولاكو ـ، وعلاء الدين عطا ملك الجويني ـ مؤلف كتاب «جهانكشاي» أي فاتح العالم، ومن المنجمين حسام الدين ، ومن الرجال الفلاسفة الخواجه نصير الدين الطوسي[2] .

في أول شوال من عام ٦٥٥ هـ/ اكتوبر من سنة ١٢٥٧م بدأ هولاكو مسيرته من منطقة همدان[3]؛ حيث أخذ طريقه باتجاه الغرب مباشرة، الى «أسد آباد» ؛ ومنها ذهب الى «دينوار» ، ومن ثم اتجه الى الجنوب الغربي الى كرمانشاه ، التي هوجمت ونهبت. وبعدها اتجه الى حلوان، ومنها سلك الطريق العام ، ثم سارت الجحافل المغولية الى خانقين ؛ حيث تركت بها النساء ومعهن ما ثقل من الأمتعة . بعدها نجد هولاكو وقواته يسيرون غرباً حيث « . . . ثارت غبرة عظيمة شرقي بغداد على درب بعقوبا بحيث عمت البلد، فانزعج الناس من ذلك وصعدوا الى أعالي السطوح والمنابر يتشوفون، فانكشفت الغبرة عن

---

(١) بعد أن وصل هولاكو الى ما وراء النهر واستقبله آرغون آقا ، طلب منه أن يذهب الى قرا ـ قروم حسب اوامر منكو قاآن . وعندما أنهى مهمته هناك (حيث قدم تقريراً اليه) عاد والتحق بحملة هولاكو . انظر: الجويني ، جـ ٢/ص.ص: ٢٥٨ ـ ٢٦٠ ، الترجمة الانجليزية ، جـ ٢/ ص.ص: ٥٢١ ـ ٥٢٣ .

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ ، جـ ٢/ص: ٧٠٧ .

(٣) هذا حسب رواية الطوسي كيفية واقعة بغداد (الجويني ، جهانكشاي، جـ ٣/ ص: ٢٨٢).

عساكر السلطان (يعني هولاكو) وخيوله ولفيفه وكراعه وقد طبق وجه الأرض وأحاط ببغداد من جميع جهاتها. . »[1].

أخذت قوات القلب هذه مواقعها في الجزء الشرقي من العاصمة العباسية في اليوم الحادي عشر من شهر محرم (الثامن عشر من شهر يناير) حسب روايتي رشيد الدين وبناكتي ؛ أو في اليوم الثاني عشر(التاسع عشر) حسب رواية ابن الفوطي ؛ أو في اليوم الرابع عشر(٢١) ، حسب رواية الذهبي ؛ أو في اليوم الخامس عشر (٢٢ من شهر يناير) حسب الروايات التي اوردها كل من الطوسي ، وابن العبري ، وابن الطقطقا ، من عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م[2] .

ومع ذلك ، فالذي نراه هو أن التاريخ الأخير هو أكثر الروايات قرباً الى الصواب ؛ وذلك لأنه أورده لنا نصير الدين الطوسي ـ الذي كان مرافقاً لهذه القوات ؛ ثم بالاضافة الى ذلك ، فان وصول هولاكو الى المكان المخصص لقواته ، أنه سيكون مخططاً من قبل ، وأنه لا بد أن يكون متواقتاً مع بقية الاقسام الاخرى ؛ أي مع قوات الميمنة ، والميسرة ، في اليوم الخامس عشر من محرم / الثاني والعشرين من شهر يناير . ومع هذا فإنه يمكن القول بأن القوات المغولية بدأت تنهال ، الى داخل أراضي الدولة العباسية ، في بداية الشهر الاول من عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م ؛ وفي خلال الاسبوعين الثاني والثالث من محرم / الثالث والرابع من يناير أكملت تلك القوات الغازية عمليات الاحاطة بالمدينة تماماً ؛ ثم شرعت في عمليات الحصار العسكرية .

---

(١) ابن الطقطقا ، الفخري ، ص: ٣٣٦ ، الترجمة الانجليزية ، ص: ٣٢٣ ؛ ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ، ص: ٣٢٥.

(٢) رشيد الدين ، جامع التواريخ ، جـ ٢/ ص: ٧١٠ ؛ بناكتي ، تاريخ . ص: ٤١٧ ؛ ابن الفوطي ، الحوادث . ، ص: ٣٢٥ ؛ الذهبي ، تاريخ . ، مخطوطة ، جـ ٢٠/ ورقة ٢١٢ أ ؛ الطوسي ، كيفية واقعة بغداد (الجويني ، جهانكشاي ، جـ ٣/ص: ٢٨٦) ؛ ابن العبري ، تاريخ . ، ص: ٢٧٠ ؛ ابن الطقطقا ، الفخري . ، ص: ٣٣٦.

عندما أكمل المغول احاطتهم ببغداد أمرت قواتهم بالشروع في بناء حسائك، وحفر خنادق حول الأسوار لتطويق المدينة، وذلك طبقاً لطريقة المغول عند الشروع في محاصرة أي موقع حصين. وقد استطاعت قواتهم المتمركزة في الجانب الغربي من المدينة، حيث كانت مواقع قوات بايجو نويان، وتلك التي تحاصر المدينة من جهاتها الشرقية ـ حيث كانت قد نصبت خيمات هولاكو ـ أن تبني تلك الأسيجة في خلال يوم واحد فقط. اذ أنهم قاموا بحفر خندق عظيم داخل الحسائك، واستخدموا الطين الناتج عن عملية حفر الخندق في بناء الأسيجة.

بعدها شرع المغول في بناء المنجنيقات، والآلات الحربية الخاصة بقذف النفط (آلات قاذفة النفط)، والعربات ذات العجلات، التي عن طريقها تطلق الأسهم ذات الأشكال المتعددة. كل هذه الآلات نصبت أمام أسوار بغداد. بعدها تأهب عمال المنجنيقات والمهندسون الصينيون، وأخذوا مواقعهم العسكرية لادارة آلاتهم الحربية تلك استعداداً لبدء المعركة.

يصف المستشرق «راڤرتي» هذه الأسلحة الصينية المميتة، التي استخدمها المغول، وصفاً طيباً؛ حيث يقول (وهو رجل عسكري وذو رتبة راقية) أن المهندسين الصينيين كانوا قد جلبوا معهم هذه الآلات، لتقوم بقذف الأسهم القاذفة الملتهبة، والتي كانت آلاتها تسير على عجلات، ومعها كمية هائلة لا تحصى من القذائف، وكمية أخرى مثلها ملئت بها المخازن العسكرية ذات ميزات غريبة متخصص في تشغيلها فرع من فروع القوات المغولية. كما أحضر أولئك الصينيون معهم أيضاً، آلات ذات عجلات مهمتها نقل أقواس قاذفة، حيث

نشتغل بواسطة عجلات بطريقة معينة ، بحيث أن قوساً واحداً قوياً جداً ، يستطيع أن يجر ثلاثة أقواس ، وكل قوس منها في قدرته أن يطلق سهماً واحداً طوله ثلاثة أو أربعة أذرع الى مسافات بعيدة. وهذه السهام أو النصال ذاتها قصيرة، ومتناهية القوة والصلابة. كما أن آلات السهام هذه يمكن أن تستخدم في غرض آخر وهو لقذف النفط.

أما نصال، أو سهام المنجنيقات فكانت مصنوعة من عجين الرماد ؛ حيث تترك حتى تنشف ، فتصبح قوية جداً وفي منتهى الصلابة . ثم تغطى بايهاب من جلد الخيول ، أو من جلد العجول؛ وذلك ليحميها من الاحتراق، مثلها في ذلك مثل الخنجر داخل قرابها . أما بالنسبة للمنجنيقات فقد كانت آلات محكمة التركيب وسهلة البناء، فان بالامكان فصل كل آلة بسهولة الى خمسة أو سبعة أجزاء ليسهل حملها، واعادة بنائها وتركيبها مرة أخرى بسهولة متناهية . وقد استوردت هذه المنجنيقات وآلات الحرب تلك من الصين، محمولة على عربات خاصة ، تحت اشراف مهندسين وخبراء مهرة[1].

وهكذا نجد أن المدافعين وسكان العاصمة العباسية قد أصبحوا أهدافاً لهذه القذائف الصينية الفتاكة القاتلة ؛ والتي كان بعضها من ذوات المسافات الطويلة المدى ، حتى أنها كانت تطلق من الجانب الغربي للمدينة، حيث كانت قوات بايجو نويان تتمركز، فتصل الى مناطق الأحياء السكنية الواقعة على الضفاف الشرقية لنهر دجلة[2]. كذلك وقعت مدينة بغداد، المنكوبة، تحت وطأة القذف المكثف والمركز ليل نهار ، من قبل آلات المنجنيقات؛ إذ كانت تقذف بكتل من الصخور، جلبت من «جبل حمرين»، على كواهل أناس أخذوا أسرى ووضعوا تحت السخرة ثمناً لحياتهم ، ثم كان المغول يستخدمون كثيراً من جذوع النخيل ، حيث كانت تقطع الى أحجام تناسب المنجنيقات، فتغمس في ماء لِتَبْتَلَّ ، فتصبح ثقيلة وقاسية جداً . وقد ركزت قوات القلب المحاصرة

(١) الجوزجاني، طبقات ناصرى ، الترجمة الانجليزية ، جـ ٢/ص: ١١٩١ ، حاشية رقم: ١ .
(٢) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة . ، ص: ٣٢٤ ـ ٣٢٥.

لبغداد من جهتها الشرقية هجماتها المكثفة بآلة الكبش على البرج العجمي ، أقصر برج من أبراج أسوار العاصمة المحاصرة ، الواقع الى الجنوب الشرقي من باب الحلبة .

ولكي يقوض الروح المعنوية المتحطمة لدى المحاصرين ، والذين تولوا الدفاع عن بغداد ، ولكي يدمر بصورة نهائية أية وحدة ـ ان كان هنالك باقية لها ـ لدى سكان بغداد ، أمر هولاكو بأن تكتب نداءات اليهم ، ويقذف بها الى داخل بغداد بواسطة سهام. وقد أورد لنا فحوى تلك النداءات نصير الدين كما يلي : «. . . ان طائفة السادة ، وفئة العلماء، وجماعات الاركؤن (وهم القساوسة المسيحيون) والمشايخ، والأشخاص الذين لا يقاتلوننا، كل أولئك لهم الأمان من عندنا. . .»[1]. وقد وردت روايات مختلفة، لمؤرخين جاؤا فيما بعد، لهذه النداءات بزيادة أو نقص ، ولكنها جميعاً تحمل الفكرة عينها[2]. وقد كتب منها عدة نسخ ، وربطت في سهام وقذف بها الى داخل مختلف الأحياء السكنية في بغداد .

ثم لكي يحكم الخناق حول بغداد، ويشدد من قبضته في الحصار، ولكي يفوت فرصة الهرب على كل من يحاول النجاة ، ويضمن حصر سكان بغداد وراء أسوارها وحصونها العالية ـ التي لم تجد فتيلاً ـ أقدم هولاكو على اصدار أوامر صارمة بضرب الحصار التام على جميع الطرق المائية المؤدية من والى المدينة . وهنا استولت الكتائب المغولية على قوارب الأهالي، وصادرتها لخدمة أغراضها في ضرب هذا الحصار المائي ؛ واتخذ المغول مواقعهم على هذه القوارب[3] .

---

(١) الطوسي، كيفية واقعة بغداد، (الجويني، جهانكشاي، جـ ٣/ ص: ٢٨٨) ، الترجمة الانجليزية ، مجلة الدراسات السامية ، ١٩٦١م، جـ ٦/ ٢ ، ص: ١٥٨ . لمعلومات عن « اركئون » انظر : مونوڤي وبينورسكي، نصير الدين في الادارة المالية ، مجلة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية ، ١٩٤٠ ـ ١٩٤٦م جـ ١٠/ ص.ص: ٧٥٥ ـ ٧٨٩ ، والحواشي رقم : ١ و٢، في ص: ٧٨٦ .

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ ٢/ ص: ٧١٠ ، الترجمة العربية ، جـ ٢/ص: ٢٨٧ ؛ ابن العبري ، تاريخ . ، ص: ٢٧٠ .

(٣) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ ٢/ ص: ٧١١ ، الترجمة العربية ، جـ ٢/ ص: ٢٨٨ .

وفي يوم الجمعة ، الخامس والعشرين من شهر محرم/ الثالث من شهر فبراير، انهار البرج العجمي ، وأحتله المغول، كما استولوا على أسلحة المدافعين الذين أجبروا بالتراجع الى الخلف تحت وطأة الهجوم المركز الذي قامت به القوات المغولية في القلب . وما أن انتهى ذلك اليوم حتى تمكن المغول من القبض على زمام الأمر، وأصبحوا مسيطرين تماماً على المواقع الحربية على الأسوار من هذه الناحية . وفي خلال الأيام الثلاثة التي تلت ، استطاع المهاجمون أن يشقوا طريقهم عنوة واقتداراً داخل المدينة ؛ رغم أن القتال استمر بصورة متقطعة لأيام قلائل أخرَ .بعدها انتهى بالتدريج ، وخاصة بعد أن خرج الخليفة المستعصم من بغداد، وذهب الى هولاكو، الذي أمره أن ينادي في الناس المدافعين بأن يضعوا أسلحتهم وأن يبدأوا في الخروج الى خارج المدينة[1] .

وفي اليوم الرابع من شهر صفر / العاشر من شهر نوفمبر ، أصبحت مدينة بغداد، ومعها جميع أراضي الدولة العباسية بصورة رسمية جزءً من الممتلكات المغولية ، وذلك عندما مثل المستعصم بنفسه أمام هولاكو وأعلن استسلامه للمغول[2] .

وقد سجل لنا نصير الدين الطوسي مقطوعة شعرية، مؤرخاً بذلك نهاية الدولة العباسية ، باليوم والشهر والسنة، فيقول : في سنة ستمائة وستة وخمسين للهجرة ، في يوم الأحد الرابع من صفر ، جاء الخليفة وحضر أمام هولاكو، وفي ذلك الوقت انتهت دولة العباسيين[3] . تذكر الروايات التي بين أيدينا بأن القائد المغولي أمر بأن تجمع كل الغنائم التي نهبت من بغداد، مع الثروة الهائلة والدفائن التي وجدت في خزائن المستعصم ، وفي أحواضه التي كانت تحت الأرض ،

---

(١) حول هذه المسألة انظر : ما سبق ذكره في آخر الفقرة «٣» من الفصل السابق ، من هذه الدراسة .

(٢) يذكر اليونيني في «ذيل مرآة الزمان» جـ ١/ ص: ٨٥ أن ذلك كان في يوم الأربعاء، العاشر من صفر . الا أن الرابع من شهر صفر هو الاقرب الى الصواب . انظر الحاشية التالية .

(٣) انظر تلك الابيات في : فصيحي ، مجمل فصيحي ، جـ ٢/ ص: ٣٢٥ ، وهي كالتالي :

سال هجرت ششصد وپنجاه وشش روز یکشنبه چهارم از صفر
شد خلیفة پیش هولاکو وزان دولت عباسیان آمد بسر

وتجمع في مكان واحد . فاختير من هذه الأموال والكنوز الضخمة ما يناسب مقام «منكو قآن» في منغوليا كهدايا له ؛ وأصبحت بتقرير شامل عن النجاح العظيم الذي حققه هولاكو في الأراضي الايرانية والعراقية ؛ وعن اعتزامه بأن يواصل حملته الغربية هذه (أي يبدأ في المرحلة الثالثة من مهمته تلك وهي غزو أراضي سوريا وفلسطين ومصر) وهي المرحلة النهائية المقررة لحملته تلك .

بعث هولاكو القائد الكبير، «بوقا تيمور» لكي يكمل اخضاع ما تبقى من أراضي العراق الجنوبية وبقية أراضي اقليم خوزستان. أما مسألة ادارة المدينة المدمرة (بغداد) فقد أوكلت إلى لجنة خاصة ، برئاسة شخص اسمه علي بهادر ، لكي تعتني بها فتزيل الجثث ، وتعيد بناء الأسواق، وتستأنف فتحها .

لم يبق لهولاكو أي عمل يقوم به بعد ذلك. لهذا نجده يرحل عن بغداد، التي أصبح جوها نتن ، وذا رائحة كريهة ، من جثث ضحايا همجية جنده ؛ وأصبح الجو غير صحي . اتجه الى أذربيجان؛ حيث غادر مدينة بغداد الخربة المنكوبة في اليوم الرابع عشر من شهر صفر/ العشرين من فبراير (حسب رواية ابن العبري، ورشيد الدين) أو في اليوم الخامس عشر (٢١) من نفس الشهر (حسب رواية الطوسي، التي تبدو أكثر احتمالاً[١]. يبدو أن ابن الفوطي قد جانب الصواب عندما يقول بأن هولاكو غادر بغداد في شهر جمادى الاولى / الموافق شهر مايو من نفس العام[٢].

---

(١) ابن العبري، تاريخ . ، ص: ٢٧٢ ؛ رشيد الدين، جامع التواريخ ، جـ ٢/ص: ٧١٣ ؛ الطوسي ، كيفية واقعة بغداد، (الجويني، جهانكشاي ، جـ ٣/ ص: ٢٩١).

(٢) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة . ، ص: ٣٣٢.

لمعلومات أوفر عن دخول هولاكو الى قصور المستعصم ومعاملته مع أسيره ، انظر: الطوسي كيفية واقعة بغداد ، (الجويني، جهانكشاي، جـ ٣/ ص.ص: ٢٨٩ ـ ٢٩٠)، الترجمة الانجليزية. مجلة الدراسات السامية ، ١٩٦١م، جـ ٢/٦ ص.ص: ١٥٨ ـ ١٦٠ ؛ ابن العبري، تاريخ . ، ص: ٢٧١ ؛ الجوزجاني ، طبقات ـ ى ـ ناصري ، جـ ٢/ ص.ص: ١٩٥ ـ ١٩٦، الترجمة الانجليزية ، جـ ٢/ ص.ص: ١٢٤٥ ـ ١٢٥٠ ، والحواشي: ٤ و ٥ ؛ اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، جـ ١/ ص.ص: ٨٨ ـ ٨٩ ؛ رشيد الدين، جامع التواريخ ، جـ ٢/ ص.ص: ٧١٠ ـ ٧١٣ ، الترجمة العربية ، جـ ٢/ ص.ص: ٢٨٦ ـ ٢٩٢ ؛ بناكتي ، تاريخ . ، ص: ٤١٨ ؛ ابن الطقطقا، الفخري . ، ص: ٣٣٦، الترجمة الانجليزية، ص. ٣٦٦ ؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة . ، ص: ٣٣٥ ؛ الذهبي، تاريخ . ، مخطوطة، جـ ٢٠/ ، ورقة : ٢٢١ ب ؛ النويري ، نهاية الارب . ، مخطوطة . ، جـ ٢١/ ورقة ١٢٢ أ ؛ أبو الفدا المختصر . ، جـ ٣/ ص: ١٩٣ .

الفصل الخامس

دور العناصر غير المغولية في سقوط خلافة العباسيين في بغداد .

أولاً : دور العناصر المسيحية

أ - دور العناصر المسيحية من خارج أراضي الدولة العباسية .

ب - دور المسيحيين القاطنين في بغداد .

ثانيًا : دور العناصر الإسلامية

أ - دور المسلمين من داخل أراضي الخلافة العباسية

ب - دور مسلمي الأقطار خارج أراضي الخلافة العباسية

«الدور الذي لعبته العناصر غير المغولية في سقوط حكومة العباسيين في بغداد

يبدو لنا من الخطأ جداً، القول بأن سقوط بغداد (وما نتج عنه من دمار الدولة العباسية ونهايتها ، وأن كل ما وقع على المسلمين ، في أراضي هذه الدولة ، من مصائب، ومحن وما تعرضوا له من القتل، والسلب والنهب خلال الغزو المغولي الجارف ـ ذلك الغزو الذي تكلمنا عنه في الصفحات السابقة بقيادة «هولاكو» وأن كل ما قاساه أولئك المسلمون) كان قد سببه المغول بصورة رئيسية وأساسية . والذي جعلنا نقول بهذا ، لأنه لو رجعنا الى البحث عمن شارك القوات المغولية الغازية، في حملتها المذكورة تلك ، لوجدنا أنه لم تشارك عناصر مسيحية في هذا الغزو المدمر فحسب ، بل كان المسلمون أنفسهم ممن اشترك في هذه الكارثة ، التي حلت بالمسلمين الآخرين . وقد لعب أولئك المسلمون دوراً بارزاً، وفعّالاً ، في نجاح العمليات العسكرية، التي ننسبها دائماً الى المغول ، والتي قادها هولاكو خان .

بناءً على ذلك ، نسوف نخصص هذا الفصل ـ ان شاء الله ـ للكلام عن أولئك الذين شاركوا، مشاركة مباشرة، في الحملة «المغولية» من غير المغول . ولعل هذه محاولة جديدة لتقييم الدور الذي لعبته تلك العناصر ، وأعني الفئات المسيحية والاسلامية، بصورة رئيسية على حد سواء ، في أعمال القتل بالآلاف، والنهب والدمار الذي حل بالدولة العباسية .

أولاً . الدور الذي لعبته العناصر المسيحية

أ ـ المسيحيون من خارج أراضي الخلافة العباسية

لقد بدأت البعثات التبشيرية ، الأوروبية وغير الأوروبية ، المسيحية نشاطاتها التبشيرية ، بين الأوساط المغولية، منذ وقت مبكر جداً ؛ وذلك لتشجيع أولئك الناس ، وحثهم على اعتناق الديانة المسيحية، والعمل على اعلاء هذه الديانة السماوية، وجعلها أكثر انتشاراً. كان الحاجز والعائق الوحيد، الذي يقف أمام نشاط تلك البعثات التبشيرية المسيحية ، هو وجود الدولة الخوارزم شاهية . لذلك نجد أنه ما أن زالت هذه الدولة المسلمة ، من أمامها ، على أيدي المغول ـ كما سبق لنا في الفصول السابقة ـ حتى أصبحت جميع أراضي وسط وشرق قارة آسيا مفتوحة، على مصراعيها، أمام المبشرين المسيحيين ، الذي انبثوا في هاتيك البقاع ؛ الأمر الذي جعل هذا الدين ينتشر بسرعة ، وعلى نطاق واسع ، وفي هذا الجزء من العالم، بما في ذلك الأراضي المغولية نفسها[1].

كان الغرض من وراء هذه البعثات التبشيرية المسيحية، ونشاطاتها، يهدف الى تحقيق أمرين ، في غاية الأهمية . أولاً : نشر هذه الديانة، في هذه الأصقاع ؛ ثانياً : السعي الحثيث، بجد ونشاط مضنيين ، وراء إيجاد نوع من التحالف الشرقي ـ الغربي ؛ ثم القيام ، بعد ذلك بحملة صليبية أخيرة ضد المسلمين، والقضاء على دينهم بصورة نهائية[2].

---

(١) توماس ، برترام العرب ،لندن، ١٩٣٧م ،ص: ٢٣٢ ؛ ساووندرز ، تاريخ الفتوحات المغولية ، ص: ٨٠ .

(٢) آرنولد، سيرتومان ، الخلافة، لندن، ١٩٧٠م، ص: ١٢٥ ؛ كوك ، رتشارد ، بغداد، مدينة

على الرغم من أن الخطاب الذي كتبه «سِمْبَاد»، أخو ملك أرمينيا الصغرى ، عن رحلته التي ذهب فيها الى منغوليا ، يبدي مبالغة كبيرة جداً ، في وصف الانتشار الهائل الذي كانت قد حققته الديانة المسيحية على نطاق واسع بين شعوب وسط قارة آسيا، والأراضي الصينية، والشرق بوجه عام ، وبين خانات المغول وأسرهم على وجه الخصوص ، الا أن محتويات خطاب «سِمْبَاد» هذا تظهر ، بجلاء، واضح ، تلك الجهود النشيطة والمضنية ، التي كانت تقوم بها البعثات التبشيرية المسيحية في هذا الجزء من العالم[1].

من المعلوم جيداً ، أن القوى الأوروبية المسيحية كانت في ذلك الوقت (وما زالت حتى وقتنا هذا) منهمكة في تدخلها العسكري في شؤون ما يسمى بـ «**الشرق الأوسط**». وقد كان هذا التدخل ممثلاً في حروبها الغازية الصليبية. كان «**البابوات**، في روما، وملوك فرنسا، وانجلترا، وألمانيا»، على رأس تلك القوى الصليبية الغازية، التي كانت **متلهفة** ، بشكل متعطش، لكي تتحد بقواتها مع القوات المغولية، الغازية من الشرق ، ضد المسلمين. فإن كان غرض بعثة الرهبان المسيحيين ـ بقيادة جون البلانو الكربيني ، والتي أرسلها «**البابا أنوسنت الرابع**» الى البلاط القاآني في «قرا ـ قروم» ـ كان ظاهره نشر الديانة المسيحية بينهم ، فان غرض بعثة الراهب وليم الربركي ، الأول والأخير، هو لإيجاد تحالف بين القوة الشرقية ـ بقيادة المغول ـ وبين القوة الغربية ـ بقيادة ملك فرنسا «**لويس التاسع**». وقد أرسل الأخير هذا الوفد الى الخان المغولي «منكّوقاآن»، ليقوم بالتحالف معه ، لضرب المسلمين في الشرق الأوسط ، والقضاء على الاسلام من مهبطه ، ومنبع قوته .

في الحقيقة كانت سياسة المغول بعكس ما كانت تتوقعه منهم القوى

= السلام ، لندن ، ١٩٢٧م ، ص.ص: ١٣٠ ـ ١٣٩ ؛ ساووندرز ، تاريخ الفتوحات المغولية ، ص: ٧٩ ؛ يابا الله ، تاريخ يابا الله الثالث ، ص: ٤ .

(١) لمعلومات وافية عن خطاب «سِمْبَاد»، الذي كتبه عن رحلته الى منغوليا لمقابلة «كويوك خان»، انظر: هـ . يول ، كاثاي والطريق الى هناك، وهي مجموعة لملاحظات في العصور الوسطى عن الصين ، الطبعة الجديدة قامت بها : منظمة هكلايت ، لندن ، ١٩٦٧م، جـ ١/ ص: ١٦٢، حاشية رقم : ١.

الأوروبية المسيحية. فعلى الرغم من أن جيش هولاكو خان، في غزوته الكبرى ضد أراضي الدولة الاسماعيلية، وأراضي الخلافة العباسية، والشام وفلسطين، كان يضم بين صفوف قواته أعداداً كبيرة من المسيحيين النسطوريين - وعلى رأسهم قائده الكبير «كدبوقا نويان» - الا أن المغول، إبتداءً من «القاآن» نفسه وانتهاءً بأقل رجل من رجالهم، لم يقوموا - بأي حال من الأحوال - بغزواتهم المشهورة تلك، ضد الأقطار، التي تعرضت لهجماتهم المدمرة، بدافع من التعصب، لمذهب أو لدين معين. فقد قام المغول بفتوحاتهم وغزواتهم، لأقطار شتى - من المحيط الهادي شرقاً، والهند الصينية في الجنوب الشرقي، الى الأراضي البولندية، وقلب أوروبا غرباً؛ ومن سيبيريا وبحر البلطيق شمالاً، الى شبه القارة الهندية وشمال الجزيرة العربية جنوباً، فقط بدافع السعي وراء مكاسب مادية؛ ولتوسيع رقعة أراضيهم في سبيل تكوين امبراطوريتهم العالمية، التي كانوا يتوقون، بتلهف، الى تكوينها. فلم يقم المغول بأي من تلك الحملات، أو الغزوات، نتيجة تشجيع، أو اغراء قادة أوروبا المسيحية، ومراكزها المتعصبة في الشرق الأوسط؛ أو بتحريض من أية جهة أخرى، شرقية كانت أم غربية، مسيحية أو غير مسيحية.

كان المسيحيون المتعصبون عامة، وأولئك الذين اتخذوا لهم مراكز في الشرق الأوسط خاصة، تواقين الى أن يكون هناك تحالف بينهم وبين المغول، الذين كانوا أقل تحمساً منهم، هذا من الناحية الدينية على الأقل، لأنه - كما قلنا - كان المغول يسعون الى أخضاع العالم بأسره تحت نفوذهم، بغض النظر عن الديانات أو المذاهب التي كانت تدين بها الشعوب في عالمهم.

كانت مسألة ايجاد تحالف مع المغول، أو نيل نصرتهم وتأييدهم، أو التعاطف معهم، ضد المسلمين في الشرق الأوسط، هي الهدف الأول والوحيد للرحلات المتتابعة التي قام بها كل من «سِمْبَاد» وأخوه، «الملك هَيثُوم الأول» - ملك أرمينيا الصغرى - الى البلاط المغولي فى «قرا - قروم» في منغوليا. أرسل «الملك هيثوم الأول» أخاه «سِمْبَاد» الى الخان المغولي «كويوك» في سنة ٦٤٦ هـ/

١٢٤٨م؛ وقد أستغرقت مهمة «سِمْبَاد» هذه قرابة أربع سنوات[١]. بعد ذلك نجد أن «هَيثُومْ» نفسه يأخذ طريقة الى البلاط المغولي؛ حيث ذهب الى هناك في سنة ٦٥٢ ـ ٦٥٣ هـ / ١٢٥٤ ـ ١٢٥٥ م؛ فقابل «منكَوقاآن»، بعد حوالي أربع سنوات تقريباً من توليه عرش الخانات الكبير[٢].

شرح لنا «الملك هيثوم الأول»، في تقريره عن رحلته تلك الى منغوليا، بوضوح عن التفاهم والتعاون المتبادل الذي أصبح يسود العلاقات بين المغول والملك المسيحي الأرميني، ذلك الحلف الذي يبدو أنه قد أثار غضب وحنق، وحقد السلطان السلجوقي في آسيا الصغرى، تجاه ملك أرمينيا.

والذي يظهر لنا، أن «الملك هيثوم» كان مبالغاً في فهمه لتلك العلاقة الجديدة مع المغول، وانها علاقة حلف الند مع نظيره. الا أن مفهوم الخان المغولي، كان واضحاً، وهو علاقة التابع (هيثوم) بالمتبوع (القاآن). وأن نظرة ومفهوم المغول للمساعدات التي قدمها «هيثوم» وغيره، من جيرانه المسيحيين الصليبيين، لا تخرج عن كونها جزءً من واجبات التابع والخاضع للسلطة في «قرا ـ قروم». أما ما يتعلق بقائد حملة المغول الغربية، هولاكو، فانه ربما كان يُكِنُّ نوعاً من العطف، تجاه أصحاب الديانة المسيحية؛ فان كان الأمر كذلك، فان عطفه هذا كان بتأثير من زوجته الكبرى (توقوز ـ خاتون) التي كانت تدين بهذه الديانة. كما أنه لم يثبت لنا، بأن هولاكو خان كان يضمر روحاً عدوانية ضد الاسلام والمسلمين؛ [illegible] عدوانه ضد الخلافة العباسية، والمسلمين، كان بدافع من التعصب ضد هذا الدين وأهله.

كانت الدويلات المسيحية الصليبية في الشرق الأوسط، وعلى رأسها

---

(١) هـ. يول، كاثاي والطريق الى هناك، جـ ١/ص.ص: ١٦١ ـ ١٦٢، والحاشية رقم: ١، في ص: ١٦٢.

(٢) لمعلومات عن هذه الرحلة، أنظر: أي، بريتسكيدر، بحوث في العصور الوسطى، جـ ١/ ص.ص: ١٦٤ ـ ١٧٧؛ ج.أ. بويل، رحلة هيثوم الأول ملك أرمينيا الصغرى الى بلاط الخان العظيم منكَو، المجلة الأسيوية الوسطى، جـ ١٠/ قسم ٣، ص.ص: ١٧٥ ـ ١٨٩؛ هـ. يول، كاثاي والطريق الى هناك، / ص.ص: ١٦٣ ـ ١٦٤.

دويلاتهم في أرمينيا الصغرى، وفي أنطاكية، وفي طرابلس، ممن عرف أنهم ساهموا، مساهمة فعّالة، في حملة المغول ضد الأقطار الاسلامية. فقد انضمت قواتهم العسكرية تحت خدمة المغول، فانضووا تحت لوائهم على أمل مكاسب اقليمية، من أراضي المسلمين، وخاصة استعادة بيت المقدس؛ ومن ثم القضاء المبرم على الاسلام، كدين رئيسي في المنطقة.

ربما كانت الوحدة العسكرية التي كونت بين المغول ـ بقيادة هولاكو ـ من جانب، وبين الدويلات الصليبية المسيحية في الشرق الأوسط، من ناحية ثانية (هذا إذا صح لنا أن نسمي ذلك حلفاً) هو أكبر وأهم تحالف عسكري شرقي ـ غربي موجه ضد المسلمين في هذا الوقت، وذلك عندما وحدوا قواتهم، وقاموا متحدين، بهجوم عسكري عدواني ضد الجزء الشمالي الغربي من أراضي الجزيرة وأراضي سوريا وفلسطين على وجه التخصيص[1].

ولعل أهم وأبرز دور لعبته العناصر المسيحية، من خارج أراضي الخلافة العباسية، مع المغول، ضد أراضي العراق والجزيرة والشام وفلسطين، ذلك الدور الفعال الذي قام به المسيحيون «الجرجانيون» (الكرج). حيث أسهم أولئك الناس بكتائب عسكرية وغيرها، من مؤن وعتاد حربي، أنضمت تحت القيادة العسكرية المغولية في حملتهم تلك. إذ أنه ـ وكما أشار الى ذلك الأستاذ ج.أ. بويل ـ لم تذكر هذه الحقيقة في مراجعنا الاسلامية، حيث مر عليها مؤرخونا المسلمون في صمت مطبق، وقد ورد ذكر ذلك في مراجع جرجانية وغيرها[2].

الا أن هناك مسألة أخرى، تتعلق بهذه الناحية، وهي أن «الجرجانيين» لم

---

(١) أبو شامة، تراجم رجال القرنين، ص: ٢٠٣؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان، جـ ١/ ص.ص: ٣٤٩ ـ ٣٥٠؛ هاوورث، تاريخ المغول، جـ ١/ ص: ٢٠٩.

(٢) ج.أ. بويل، مجلة الدراسات السامية، ١٩٦١م، ٢/٦، ص ١٤٩. وهو هنا ينقل عن تاريخ الجرجانيين، (١٨٤٩م)، ص ٥٥٥. انظر أيضاً حاشيتي: ٤ و٥ في نفس الصفحة؛ بارهبريوس، كرونكرا في، جـ ١/ص: ٤٣١؛ ساووندرز، تاريخ الفتوحات المغولية، ص: ١١١.

يشاركوا في حملة المغول تلك ، بدافع من التعصب الديني ضد الدولة العباسية والمسلمين ، بقدرما كانوا في هذه الناحية يؤدون واجباً عليهم تجاه أسيادهم المغول. حيث أن عوامل التبعية والخضوع، تحت سلطة «القاآن» في «قرا-قروم» تفرض عليهم المساهمة في حملات أسيادهم العسكرية ضد أعدائهم ؛ ربما حتى ولو قدر وكانت تلك الحملات ضد أناس يعتنقون الديانة المسيحية نفسها .

ب - دور المسيحيين من داخل أراضي الخلافة العباسية

أما عن إمكانية مساعدة مسيحي بغداد، وأراضي الخلافة العباسية للمغول، فاننا لم نجد في المصادر - التي تسنى لنا الرجوع اليها - أية اشارة، تدل على أن الجالية المسيحية هناك قد ساهمت مع المغول، أو قدمت لهم تسهيلات، أو مساعدات، ضد الدولة العباسية، أثناء اقتحام المغول لأراضي العراق عامة، وبغداد خاصة، على الرغم من أن بعض التقارير التي بين أيدينا تشير بوضوح على أن منازل أتباع الدين المسيحي كان يقوم على حراستها جنود مغوليون، أرسلوا خصيصاً للقيام بهذا الغرض، أثناء اجتياح بغداد. كان موقف المسيحيين في بغداد، موقفا ممتازاً - بوجه عام، تجاه السلطة المسلمة القائمة والمسلمين، وذلك بالعكس تماماً من موقف المسيحيين الصليبيين في الشام. وقد التجأت أعداد كبيرة جداً الى منازل المسيحيين في بغداد (والتي كان يحرسها جنود من المغول) هرباً من السيف المغولي. وقد نجا كل من طلب الحماية، من المسلمين داخل بيوت المسيحيين، من مقصلة المغول بفضل ذلك الشعور الطيب، والعمل الانساني النبيل، الذي أظهره المسيحيون في بغداد، تجاه جيراضهم المسلمين، الذين نكبهم ذلك الغزو المغولي الجارف[1].

سبق القول، في الفصل السابق، الىٰ أن البطريارق (الجاثليق) المسيحي النسطوري في بغداد كان قد قام بمحاولة التوسط بين هولاكو والخليفة، بناءً على طلب الأخير؛ وفي الجهود التي بذلت لتلطيف موقف القائد المغولي المتشدد في

(١) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة. ، ص.ص: ٢١٨، ٢٢٤، ٣٢٩. هذا على الرغم من أن فئات قليله، تصرفت تصرفاً صلفاً، جرحت شعور المسلمين في هذه المحنة الكبرى. حول هذه المسألة، أنظر: نفس المرجع، ص.ص: ٣٣٣ - ٣٣٤.

تعامله مع المستعصم. ويظهر أن الأخير كان قد أعطى البطريارق ـ على ما يبدو لنا ـ الصلاحيات في التباحث مع هولاكو، ومحاولة التوصل الى نوع من التسوية السلمية مع القائد المغولي. ولذلك، فإنه يستنتج من وراء عملية ارسال المستعصم لذلك القائد الديني المسيحي الى هولاكو على أن حسن وطيب العلاقة التي كانت سائدة بين السكان المسيحيين والسلطة المسلمة القائمة في بغداد.

ثانيا : دور العناصر الإسلامية

أ ـ دور المسلمين من داخل أراضي الخلافة العباسية

ب ـ دور مسلمي الأقطار خارج أراضي الخلافة العباسية

دَوْر العَناصِر المُسْلِمَة في إسْقَاطِ بَغْدَاد

وتدمير الخلافة العبّاسيّة

كان هناك عناصر، تتكون من المسلمين، وقوى شاركت فعلاً في حملة المغول، التي قادها هولاكو ضد أراضي العراق، ممن شارك في كارثة بغداد، والاطاحة بحكومتها العباسية. ويمكن أن نقسم تلك العناصر الى فئتين رئيسيتين ؛ تتكون الأولى من أولئك الذين اتهمتهم بعض المصادر بالقيام بالتآمر الغادر مع القوات المغولية الغازية، ضد حكومة بغداد العباسية ؛ أما المجموعة الثانية (من العناصر والقوى المسلمة) فيتكون أعضاؤها ممن ثبت أنهم اشتركوا فعلاً مع المغول، مشاركة فعالة، في غزواتهم تلك ضد الأراضي الاسلامية، وممن تلطخت أيديهم بدماء إخوانهم المسلمين.

أ ـ دور المسلمين من داخل أراضي الدولة العباسية

طائفة أتباع المذهب الشيعي المتهمين بالخيانة

يتكون أعضاء هذه المجموعة (وهي مجموعة المسلمين من داخل أراضي الدولة العباسية) من أتباع المذهب الشيعي ، حيث أنهم ربما كانوا أكثر سكان العراق ، وبغداد خاصة ، الذين كانوا موضع الشبهة في هذه المسألة . فقد اتهمتهم بعض المصادر بالخيانة الغادرة ، والتآمر ، مع العدو المغولي ضد حكومتهم القائمة ؛ وضد وطنهم ؛ وأنهم كانوا احدى العناصر التي شاركت في تدمير السلالة العباسية الحاكمة في بغداد .

وردت مسألة اتهام المسلمين من الشيعة في المصادر السنية بصورة أساسية. حيث اتهم المؤرخون السنيون طائفة الشيعة، بهذه الخيانة، وشجبوهم شجباً قبيحاً، في صور مريرة ، على أنهم خونة ؛ وأنهم قدموا كل عون لمساعدة المغول، لغزو بغداد وأخذها ؛ ثم للقضاء على البيت العباسي الحاكم. وتذكر تلك المصادر أن الشيعة كانوا يرجون من وراء عملهم ذلك أن يضعوا نهاية لحكم السنة ، وخلافتهم القائمة، وأن يقيموا دولة شيعية لهم[1].

كان حي الحلة السكني ، الذي يقع خارج بغداد ، يسكنه أعضاء من أتباع المذهب الشيعي بصفة عامة . وتقول بعض الروايات ، التي بين أيدينا ، بأنهم أرسلوا رسلاً يمثلونهم الى هولاكو ـ أثناء حصاره لبغداد ، ويعلنون له ولائهم التام للمغول ، ويطالبون الأمير المغولي بأن يبعث اليهم حاكماً عسكرياً مغولياً « بَشْقَاق »

---

(١) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، جـ ١/ ص: ٩٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٣/ ص: ٢٠٢ ؛ وغيرهما .

يعني شحنة[1] . وتردف تلك الروايات بأنهم ذكروا للقائد المغولي تبوأة (حسب ما أوردته تلك المصادر في رواياتها التي نسبت تلك النبوأة الى علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وتوارثها الأبناء عن الآباء والأجداد) تنبيء بأن هولاكو سيقوم بفتح بغداد ، وأنه سيحكم بدلاً عن الخليفة العباسي . ولذلك فقد قبل هولاكو خضوعهم واستسلاميم له ، وأظهر تعاطفاً طيباً نحوهم ، على حد تعبير تلك الروايات[2] .

بناءً على ذلك ، فقد أقرت المصادر السنية ، بشكل عام ، وذهب العديد من المؤرخين الحديثين الى ما ذهبت اليه تلك المصادر ، من أن المسلمين الشيعة كانوا أحد العوامل التي قوضت الدفاع عن بغداد ، وأدت الى اسقاطها في أيدي المغول . وسيرد معنا بعد قليل ذكر تلك المصادر .

ومع هذا فإن سؤالاً يتبادر الى الذهن ؛ وهذا السؤال هو : هل كان هولاكو محتاجاً الى مساعدة المسلمين الشيعة ضد المسلمين السنة ، حتى نقبل أنهم كانوا أحد العوامل التي أدت الى سقوط بغداد ؟ وفي حقيقة الأمر ، فإن القوات المغولية كانت على الدوام ، وخلال السنوات الثمان والثلاثين الماضية ، تهاجم أراضي الدولة العباسية ، وحتى حدودها القصوى منها . كما أنها في مرات كثيرة تعمقت داخل أراضيها ، حتى وصلت « باعقوبا ، وخانقين ، وسامراء» ، كما مر معنا في فصل سابق من هذا البحث . وقد اكتشف المغول ، وعرفوا عن كثب ـ من خلال غاراتهم السالبة ، المدمرة تلك ، مدى ما وصلت اليه الدولة العباسية من ضعف وخور ، وانهيار . فإذا كان سكان حي الحلة ، شيعة كانوا أو سنة ، فعلاً ذهبوا الى المغول ـ كما تقول عنهم الروايات

---

(١) «بسقاق» كلمة تعني حاكم مغولي على أرض أو مقاطعة معينة . انظر ، ج.أ. بويل (رشيد الدين، جامع التواريخ ، خلفاء جنكيز خان ، الترجمة الانجليزية ص: ٣٣٩).

(٢) نصير الدين الطوسي، كيفية واقعة بغداد (الجويني، جهانكشاي، جـ ٣/ ص: ٢٩٢ ، الترجمة الانجليزية ، لـ : ج.أ. بويل في مجلة الدراسات السامية : ٦/٢ ، ص: ١٦١ ؛ ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة . ، ص: ٢٤٠ ؛ الذهبي ، دول الاسلام . ، جـ ٢/ ص: ١٢٢ ؛ اليونيني ، ذيل مرآة الزمان، جـ ١/ص: ٨٧ .

السنية ـ وأنهم استرضوا قائد المغول، فإنه على ما يظهر لنا ، لم يكن أمامهم أي اختيار آخر ، غير أن يذهبوا ويعلنوا استسلامهم للعدو ، والا فان مصيرهم كان معروفاً جيداً ؛ وهو أنهم سيقدمون الى مقصلة المغول ويدمروا ، كما دمر وقتل الآلاف من سكان العراق . ثم أنه بالاضافة الى ذلك، ولو رجعنا الى الوراء قليلاً ، لوجدنا أن هولاكو قد صدرت اليه الأوامر من أخيه الأكبر ، «منكو قاآن»، بأن يدخل بغداد ويفتحها ففي الحقيقة لم يكن هولاكو محتاجاً الى مساعدة من أي فرد ، شيعياً كان أم سنياً . كما لم يكن لينتظر إغراء أو تشجيع ، أو نبوأة المسلمين الشيعة، للقيام بهجومه ذلك على خلافة بغداد العباسية السنية . إذ أن هولاكو لو آمن بتلك النبوأة المزعومة ، لآمن بمعتقد من قال له ذلك ؛ فهولاكو يعتقد إعتقاد راسخاً أن الله قد اختار جنكيز خان وأسرته لحكم العالم ، ولذلك فأرض الخلافة ، والخليفة والمسلمون جميعاً ليسوا الا جزءً من ذلك العالم الذي «كانت السماء الزرقاء تنكَرى» قد اختارت خان المغول ليكون الحاكم الأوحد على الأرض ؛ كما كان «تنكَرى» الرب الأوحد في السماء .

لذلك ، فإننا نجد ـ كما يظهر لنا ـ أنه من غير المحتمل، ان لم يكن من المستحيل، أن يكون لهذه الطائفة من المسلمين أي دور فعال ، سواء من داخل أو من خارج بغداد، في هجوم المغول ضد العاصمة العباسية، بغداد ، وخلافتها السنية ؛ وما نتج عن ذلك الغزو المغولي من مآسي . فلم تثبت تلك المصادر أن المسلمين، من الشيعة الساكنين في حي الكرخ داخل بغداد ، لم يشاركوا في الدفاع عن بغداد ، ابان الحصار المغولي لهذه المدينة . ومع ذلك ، فإنهم ان لم يشاركوا في الحرب ضد المغول ، أو أنهم أبدوا تحفظاً، أو عدم تحمس في قتال المغول ، فلربما أنهم كانوا ما يزالون ممتعضين من حكومتهم وجيشها ، المكون من مماليكها ـ الذين يقوم بادارة شؤونه وقيادته مملوك تركي (الدوادار الصغير) الذي هاجم أحياءهم السكنية ؛ فسلبها المماليك وقتلوا أهلها ، وهتكوا أعراض النساء، قبل أقل من سنتين ؛ كل ذلك بأوامر من قائدهم أيبك الدوادار ؛ كما رأينا ذلك في الفصل الثالث ، أول فقرة «٣» من هذا الكتاب .

ومع ذلك ، فإنه إذا قبل المرء صحة هذه الاتهامات، ضد المسلمين من طائفة الشيعة ، في داخل بغداد ، تلك التهم التي وجهها اليهم اخوانهم المسلمون من أتباع المذهب السني، ووجدت لها صدى في كتبهم، التاريخية على وجه الخصوص ، إذاً فالسؤال هنا - الذي يمكن أن نطرحه - هو لماذا أقدم المغول على أقتحام جميع الأحياء السكنية ، لأتباع المذهب الشيعي في داخل بغداد ، وما تلاه من أعمال بشعة ، ارتكبها الغزاة المغول في حقهم ، وبهذه الطريقة ذبح أهلها ، دون تمييز ، بنفس الطريقة التي عومل بها بقية المسلمين داخل تلك المدينة المنكوبة ؟ ثم أن هناك ناحية ثانية، وهي أن المؤرخ ابن الفوطي ، والمؤرخ الآخر الأربيلي ، وهما مؤرخان سنيان ، لم يذكرا مسألة التهمة تلك ضد الشيعة، أو أنهم كانوا أحد العناصر المتآمرة ضد الخلافة العباسية .

وعلى ذلك ، فإن للمرء أن يقول بأن هذه الإتهامات لا أساس لها من الصحة ؛ إذ لم تدعم، أو تثبت بأي دليل قاطع ، يقوم أساساً على تقرير شاهد عيان معاصر ؛ كما أنها لم تظهر هذه الاتهامات ،أوالشائعات بمعنى أدق، الا بعد سنوات طوال من بعد سقوط العاصمة بغداد ، وانقراض أسرتها الحاكمة العباسية .

«التهمة الموجهة ضد الوزير العباسي الشيعي المذهب»
- مؤيد الدين محمد بن العلقمي -

على الرغم مما يقال في هذا الشأن، عن اتهام المسلمين من أتباع المذهب الشيعي، فان المسألة التي أصبحت مجال النقاش الطويل ، وأخذ ورد ، هي التهمة التي تتعلق بوزير الخلافة العباسية الأخير- الذي كان شيعي المذهب - مؤيد الدين أبي طالب محمد بن أحمد بن العلقمي . فقد اتهم ، هو بصفة خاصة بالخيانة ، وبالتآمر مع المغول ، ضد أولياء نعمته ، الخليفة المستعصم وأسرته العباسية ، السنية المذهب . والذي يبدو لنا هو، أن هذه الاتهامات، ضد ابن العلقمي ، وما ألصق به من أمور الغدر ، والتشنيع به ، ما هي الا نتيجة لذلك العداء المستحكم ، الذي كان يسود العلاقات بين هذا الوزير

والدواة دار الصغير ؛ وأنها لم تكن الا اتهامات مضادة، قام بتوجيهها الأخير ضد حصمه الوزير . والسبب في ذلك هو أن ابن العلقمي والدوا دار الصغير، كانا متنافسين، كما أن الأول قد سبق واتهم الأخير بأنه كان يخطط للثورة ضد الخليفة المستعصم للاطاحة به، ومن ثم تنصيب ابنه الأكبر، أبو العباس، في مكانه على كرسي الخلافة .

وإذا رجعنا الى دراسة العلاقات، التي كانت سائدة بين الطائفتين المسلمتين ـ السنية والشيعية ـ لوجدنا أنها كانت علاقات عدائية، لأسباب مذهبية مقيتة، لهذا السبب العدائي المذهبي، بين هاتين الطائفتين فقد وجدت اتهامات الدواة دار الصغير، ضد الوزير، لها صدى بين الأوساط السنية ؛ فروج لها أهل السنة، وأشاعوها على نطاق واسع، على مستوى الشائعات الكلامية في أول الأمر . الا أنه فيما بعد، وعلى مرور الزمن، وجدت لها مكاناً للظهور في مؤلفات أهل السنة (التاريخية على وجه الخصوص)، ثم بعد ذلك نجد أن كل مؤرخ يأتي بعد سابقه، فينقل عنه . وهكذا واحد بعد واحد، مع تطعيم تلك الرواية باضافة كلمة أو كلمات أُخَر تناسب المقام، كما تغذى النار بالحطب . أخذت ـ على ما يبدو لنا ـ هذه الروايات تتكرر، وعلى مدى السنين، ويبني كل مؤرخ لبنات على لبنات سابقه، حتى أصبح ابن العلقمي يقف أمام تهم كثيرة، لا تكاد تنتهي، كما سنرى بعد قليل .

تقول تلك الروايات السنية، في ملخصها جميعاً، بأن الوزير مؤيد الدين بن العلقمي كان يضمر حقداً دفيناً، ويكن شعوراً بغيضاً تجاه الخليفة، وأسرته العباسية الحاكمة . لذلك كان هدفه الأول والأخير، الذي أخذ يتلهف شوقاً، ويتوق الى تحقيقه، هو تدمير هذه الخلافة، وخليفتها السني . ولكي يصل الى تنفيذ هذا الهدف، وليضع هذه الغاية، التي كان يسعى دائباً الى تحقيقها، موضع التنفيذ، فقد دخل في مراسلات سرية مع هولاكو ؛ فدعاه للقدوم الى بغداد، لكي يضع نهاية للأسرة العباسية الحاكمة في العراق . هذه كانت التهمة الأولى، التي اتهم بها الوزير .

أما الإتهام الثاني ، فيقول، بأن مؤيد الدين بن العلقمي كان هو المسؤول الأول والأخير عن اعفاء وتسريح،وطرد ما يسمى بـ «**مائة ألف أو مائة وعشرين ألف جندي من جيش الخلافة**» من الخدمة العسكرية ؛ تلك الجيوش التي قام بتجنيدها (هكذا أشيع في الأوساط التاريخية) الخليفة المستنصر ، خلال سنوات حكمه على الخلافة . ثم تضيف تلك الروايات، أن الوزير أقدم على تسريح ذلك الجيش «المزعوم»، بعد أن أقنع الخليفة بأنه قد ساد السلام بينهم وبين المغول؛ حيث أنه قد أصبح لا داعي لابقاء ذلك العدد الهائل من الجنود، ودفع مرتباتهم ، اذ لم تعد الخلافة تحتاج الى خدماتهم . وهكذا نجح الوزير ـ على حد زعم الروايات ـ في حث ، ثم اقناع ، الخليفة لتسريح جمع قواته .

ثم أننا نجد أن الوزير ـ كما يدعى ـ أمام تهمة ثالثة ، وهذه التهمة ، كما تقول الروايات المتهمة له ، بأنه عندما أراد حسام الدين بن عكا الثورة ضد المغول ، وذلك بنبذ ولائه وخضوعه ، الذي كان قد أعلنه لهولاكو ، وتجهز بقواته لكي يحارب المغول ، ويقف أمامهم ، ليمنعهم من الدخول الى أراضي الخليفة، قام الوزير (الذي كان على اطلاع دائم على حقيقة ما يجري هناك) بابلاغ القائد المغولي عن حركة ابن عكا العدائية تلك . وقد ناقشنا هذه المسألة (أي مسألة ثورة ابن عكا) في الفصل السابق من هذه الدراسة .

بالاضافة الى ذلك، نجد أن الوزير أيضاً يقف أمام اتهام آخر ، حيث اتهم بأنه المسؤول عن الغرق الذي أصاب الجيش الذي تبنى الدفاع عن بغداد، وخرج لمقابلة المغول، واشتبك معهم ، في معركة قرب «الأنبار»، حيث يزعم أن الوزير أرسل طائفة من رجاله ـ أثناء الليلة التي تلت يوم المناوشات الأولى ـ فكسروا السدود، والحواجز المائية ؛ فأدى هذا الفعل الى غرق جيش الدواة دار الصغير وابن كرد ، خلال ذلك الليل . ثم نجد أن ابن العلقمي، على مرور الزمن ، قد اتهم أيضاً بأنه كان وراء اعدام الخليفة المستعصم ؛ ثم تضيف تلك الروايات بأنه حث هولاكو على أن يقضي على الخليفة ، لئلا يلتف حوله المسلمون ، فيطلقون سراحه ، ثم بعد ذلك، يقوم بتدمير هولاكو نفسه ، لذلك ، فقد أقدم القائد المغولي، وتجرأ على أن يقتل الخليفة، فقتله .

«طريقة المراسلة المزعومة بين الوزير وهولاكو»

يظهر لنا بجلاء واضح، من الروايات التي أوردت لنا الكيفية التي تمت بموجبها المراسلات المزعومة بين الوزير ابن العلقمي والمغول - ممثلين بقائد حملتهم «هولاكو خان»، أن هذه المسألة هي الى الأسطورة المختلقة أقرب منها الى الحقيقة والواقع. تقول تلك الروايات الأسطورية، بأن الوزير شرع في مراسلاته السرية، مع المغول، عندما جاء برجل، وحلق شعر رأسه؛ ثم أتى له بآلة مدببة الرأس محماة وكأنها جمرة نار، فكتب بها رسالته الى هولاكو على جمجمة رأس ذلك الرجل، ثم خضبت الكتابة بصباغ، ثم بعد ذلك أبقى الرجل عند الوزير حتى نبت شعر رأسه، فأطلق الى هولاكو، يحمل رسالته وقد تضمنت الرسالة، دعوة الوزير للقائد المغولي، بالقدوم الى الأراضي العباسية، ولكي يأخذ بغداد؛ كما طلب ابن العلقمي من هولاكو، في نفس الرسالة، أن يقطع رأس ذلك الرجل الذي كتبت الرسالة على جمجمته ثم تضيف بعض تلك الروايات، أن الوزير ذهب الى هولاكو، حيث رسم معه خطة معينة، في كيفية أخذ بغداد.

نجد أن بعض الروايات (التي أوردها بعض مؤرخينا السنيين، بعد عشرات السنين من الحادثة، التي أطاحت بحكومة بغداد العباسية) تقول أن القائد المغولي أخفى شخصيته الحقيقية، وانتحل شخصية تاجر؛ وقدم بعد ذلك الى بغداد. وهناك استطاع أن يقابل الوزير؛ ورسما لها مخططاً سرياً، لكيفية غزو المغول لبغداد. بعدها، استطاع هولاكو أن يغادر بغداد، دون أن يقبض أحد عليه، أو أن تُعرف حقيقة شخصيته، لذلك «... ، فقد خان ابن العلقمي الله، ورسوله، واخوانه المسلمين،...».

القائلون بهذه التهمة والمعارضون لها

جاءت هذه الاتهامات، التي وجهت ضد أتباع المذهب الشيعي عامة، ووزير الخليفة المستعصم ابن العلقمي - خاصة، في جميع المراجع السنية تقريباً،

والتي تسنى لنا الرجوع اليها ، والتي كتبها مؤرخونا أولئك الذين جاؤا فيما بعد . إذ نجد أن كل مؤرخ يأخذ عن المؤرخ الذي سبقه ؛ ثم يضيف - كما سبقت الاشارة الى هذه الحقيقة - الى ما نقله من سلفه ؛ ثم اضافة كلام من عنده ، هو اشاعات، أكثر منه حقيقة تاريخية ثابتة[1]. ولكننا نجد أن هذه الاتهامات تظهر أيضاً في مؤلف لمؤرخ غير مسلم، وهذا المؤرخ هو «المكين بن العميد بجرجس»، المسيحي الديانة ؛ حيث يقول بتآمر الوزير مع المغول ضد الخلافة العباسية . وقد أخذ بعض مؤرخينا الحديثين رواية «ابن العميد» تلك على أنها دليل قاطع ، بلا ريب أو شك عندهم، على أن الوزير مذنب[2] .

كان ابن العميد مؤرخاً مسيحياً معاصراً عاش في مصر، وكتب تاريخه باللغة العربية ، عن بني أيوب . ولكننا عندما نرجع الى حقيقة ما قاله «ابن العميد»، في هذا الشأن ، فإن المرء سيجد أن هذا المؤرخ لم يكن على علم بما وقع فعلاً ؛ وأنه لم يكن يروي، في كتابته ، عن هذه المسألة ، الا مجرد شائعات

---

(١) جاء ذلك في الكتب التالية، التي نقلها مؤرخونا واحد بعد الأخر : الجوزجاني، طبقات - ى - ناصري : جـ ٢/ ص.ص: ١٩١ - ١٩٨، الترجمة الانجليزية، جـ ٢/ ص.ص: ١٢٢٨ - ١٢٥٣ ؛ ابو شامة، تراجم رجال القرنين السادس والسابع، ص.ص: ١٩٨ - ١٩٩ ؛ ابن الساعي ، المختصر ، ص: ١٢٦ ؛ اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، جـ ١/ص: ٨٥ ؛ ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، جـ ٢/ ص: ٣١٣ ؛ الذهبي، تاريخ . ، مخطوطة، جـ ٢/ ورقات : ٢١ أ - ٢١٣ أ ، العبر في أخبار من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت، ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦م، جـ ٥/ ص ٢٢٥، دول الاسلام ، جـ ٢/ ص.ص: ١٢١ - ١٢٢ ؛ النويري، نهاية الارب . ، مخطوطة، جـ ٢١/ ورقة : ٩٩أ ؛ العمري ، مسالك الأبصار. ، مخطوطة ، جـ ١١/ الورقات : ٣٥ ب - ٥٥ ب، و جـ ٢٤/ ورقة: ١٤٩ أ و ب ؛ السبكي، طبقات الشافعية ، جـ ٨/ص: ٢٦٢ ؛ ابن دقماق، الجوهر الثمين، مخطوطة، ورقة : ٧٠ ب - ٧١ أ ؛ ابن حماد ، قوت الأرواح . ، مخطوطة، ورقات : ٩٥ أ- ٩٦ ب ؛ ابن حبيب ، درة الاسلام في دولة الأتراك، مخطوطة، ورقة: ١٦ أ ب ؛ ابن تغري بردى، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، مخطوطة في مكتبة متحف قصر طبقباى، رقم : ٣٠١٨، استانبول، جـ ٦/ ورقة : ٧٣٩ أ - ب ؛ الدوادار، كنز الدرر . ، جـ ٨/ ص.ص: ٢٩ - ٣٤ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، جـ ١٣/ ص.ص: ٢٠٠ - ٢٠٢ ؛ وصاف الحضرة، تاريخ وصاف ، ص.ص: ١٦ - ٢٢ ؛ ميرخراند ، روضة الصفا . ، جـ ٥/ ص.ص: ٣٢٨ - ٣٥٠ ؛ خواند أمير، دستور الوزراء ، تحقيق سعيد نفيسي ، طهران، ١٣١٧ هـ .ش ، ص.ص: ٩٨ - ١٠٧ ؛ حبيب السير، جـ ٣/ ص.ص: ٣٣٥ - ٣٤٠ ؛ خلاصة الأخبار في بيان أحوال الأخيار ، مخطوطة، ورقات : ٥٢ - ٥٥ .

(٢) م. رشاد، الخلافة العباسية، اطروحة الدكتوراه ، ص: ٢٠٤ .

وأقاويل جارية ، لم يثبتها تقرير من شاهد عيان . وفي هذا الخصوص ، يقول «ابن العميد» ما يلي : «وقيل أن وزير بغداد كتب الى هولاؤون (يعني بذلك هولاكو) بأن يصل الى بغداد ويأخذ البلاد»[١].

ترددت هذه الشائعات حتى في الكتب التي ألفها المستشرقون ، الذين كتبوا في التاريخ الاسلامي ، وتطرقوا الى هذا الموضوع . وقد ذهب الكثير منهم الى ما ذهب اليه مؤرخونا السنيون ، في إلصاق التهمة بالشيعة، وعلى رأسهم الوزير . ولعل ايراد ما ذهب اليه المستشرق «راڤرتي» يكفينا عن كل ما ذهب اليه بقية أولئك المستشرقين . أخذ «راڤرتي» يكيل الاتهامات، بدون أي حساب، ولا يقف عند حدود (ربما لأسباب نعرض عن ذكرها هنا) الى المسلمين الشيعة عامة والى الوزير خاصة ؛ حيث يشجبه شجباً عدوانياً ، وكأنه كان شاهد عيان ، أو هو الذي كتب رسالة الوزير الى هولاكو. ويقول عن ابن العلقمي بأنه «كان خائناً» (يتستر) في داخل بيته (يعني بيت المستعصم)، وثعباناً في صدريته (يعني في صدرية الخليفة/ . . »[٢].

هناك فريق آخر، من المؤرخين القديين والحديثين ، قد انبروا للدفاع عن الوزير، فبرأوه من تهمة التآمر تلك ، وهم بصفة عامة من أتباع المذهب الشيعي ، أو ممن كان يشغل منصباً مثل منصب الوزير ابن العلقمي . ومن المؤرخين الذين يتصدون قائمة المدافعين عن الوزير ضد هذه التهمة ابن الطقطقا، ورشيد الدين ، وعباس اقبال، وآخرون غيرهم[٣].

---

(١) ابن العميد، أخبار الأيوبيين ، مخطوطة ، ورقة : ٢٦١ ب ، حقق جزءً منها : ل. كَهِنْ ، في مجلة الدراسات الشرقية، ٢٥ ، ١٩٥٥ ـ ١٩٥٧م ، ص: ١٦٧.

(٢) راڤرتي ، (الجوزجاني، طبقات ناصري، الترجمة الانجليزية جـ ٢/ ص.ص: ١٢٤٨ ـ ١٢٤٩) الحاشية رقم : ٨ ؛ ساووندرز، تاريخ الفتوحات المغولية ، ص: ١١٠ ؛ كوك ، بغداد، مدينة السلام ، ص.ص: ١٤٩ ـ ١٥٠ ؛ هاوورث ، تاريخ المغول ، جـ ١/ ص: ٢٠٢ ؛ جـ . أ. بويل ، تاريخ كمبردج لايران، جـ ٥/ ص: ٣٤٨.

(٣) ابن الطقطقا ، الفخري في الآداب السلطانية، ص: ٣٣٨ ، الترجمة الانجليزية ، ص: ٣٢٥ ؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ ٢/ص: ٦٩٩ ؛ عباس اقبال ، تاريخ مفصل ايران ، جـ ١/ ص: ١٨٧.

أما ما يتعلق بالرواية التي أوردها لنا رشيد الدين، في دفاعه عن الوزير، فان هذا المؤرخ الوزير، يبدو لنا أنه يناقض نفسه في روايته، حول هذه المسألة . حيث أن تقريره ، الدفاعي في هذا الشأن، يتناقض مع محاولاته لتبرئة ساحة الوزير ابن العلقمي ، من التهمة التي وجهت ضده . فيروي رشيد الدين، أنه عندما استشار الخليفة المستعصم وزيره ، عن أفضل طريقة يمكن اتباعها مع المغول ، لتفادي خطرهم المميت ـ الذي أصبح محدقاً بهم ـ ممثلاً في حملة هولاكو ، رد عليه وزيره مقالة يفهم منها أنه لا مفر للخليفة من الدمار الوشيك الوقوع، والذي كان ينتظره هو وجميع أفراد أسرته من سلالة بني العباس ، إذ يقول رشيد الدين أن الوزير خاطب الخليفة ، في رده عليه ، قائلاً : يظنون أن الأمر سهل وأنما ـ هو السيف حدت للقاء مضاربه[1] ثم في مكان آخر ، يقول رشيد الدين ، بأن الخليفة استشار وزيره ، في مناسبة أخرى ، أثناء حصار بغداد ، فرد عليه ابن العلقمي قائلاً : « لحية الوزير طويلة » أو « لحيتنا طويلة » ، وهذا ربما يعني أن الخليفة لم ينفذ ما أشار به سابقاً وزيره ، من أنه يجب أن يرسل هدايا وتحف الى هولاكو ، ومحاولة إسترضاء المغول[2] . رغم أننا نعرف أن ذلك الرأي كان قد ذهب اليه الخليفة نفسه ، وشرع في تنفيذه ، لولا معارضة الدوادار الصغير فأقلع عنه بالكيلة .

هناك مدافع آخر ، عن الوزير، هو النخجواني ؛ يقول هذا المؤرخ أن تلك النصائح التي كان ابن العلقمي يسديها الى الخليفة ، لم تكن الا محاولات منه لاسترضاء هولاكو، لكي يلطف من حدة غضبه العارم ؛ وليدرأ عن سيده الهلاك . ثم يضيف هذا المؤلف أيضاً ، أن الوزير نصح الخليفة بأن يقوم بالتنازل عن نصف أراضي العراق، ويسلمها الى هولاكو ؛ ولكن الخليفة لم يصغ الى تلك النصيحة أو يأخذ بها . ويختتم النخجواني روايته في هذا الصدد قائلاً بأن هولاكو أعجب أشد الأعجاب بالوزير ، وترك تصرفه ذلك انطباعاً طيباً لدى ذلك القائد المغولي ، فالوزير كان شخصاً ذا ولاء قوي تجاه سيده

---

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ ، جـ ٢/ ص: ٧١٢.

(٢) المرجع السابق ، جـ ٢/ ص.ص: ٧١٣ ـ ٧١٤.

أما ما يتعلق بالرواية التي أوردها لنا رشيد الدين، في دفاعه عن الوزير، فان هذا المؤرخ الوزير، يبدو لنا أنه يناقض نفسه في روايته، حول هذه المسألة . حيث أن تقريره ، الدفاعي في هذا الشأن، يتناقض مع محاولاته لتبرئة ساحة الوزير ابن العلقمي ، من التهمة التي وجهت ضده . فيروي رشيد الدين، أنه عندما استشار الخليفة المستعصم وزيره ، عن أفضل طريقة يمكن اتباعها مع المغول ، لتفادي خطرهم المميت ـ الذي أصبح محدقاً بهم ـ ممثلاً في حملة هولاكو ، رد عليه وزيره مقالة يفهم منها أنه لا مفر للخليفة من الدمار الوشيك الوقوع، والذي كان ينتظره هو وجميع أفراد أسرته من سلالة بني العباس ، إذ يقول رشيد الدين أن الوزير خاطب الخليفة ، في رده عليه ، قائلاً : يظنون أن الأمر سهل وأنما ـ هو السيف حدت للقاء مضاربه[1] ثم في مكان آخر ، يقول رشيد الدين ، بأن الخليفة استشار وزيره ، في مناسبة أخرى ، أثناء حصار بغداد ، فرد عليه ابن العلقمي قائلاً : « لحية الوزير طويلة » أو « لحيتنا طويلة » ، وهذا ربما يعني أن الخليفة لم ينفذ ما أشار به سابقاً وزيره ، من أنه يجب أن يرسل هدايا وتحف الى هولاكو ، ومحاولة إسترضاء المغول[2] . رغم أننا نعرف أن ذلك الرأي كان قد ذهب اليه الخليفة نفسه ، وشرع في تنفيذه ، لولا معارضة الدوادار الصغير فأقلع عنه بالكيلة .

هناك مدافع آخر ، عن الوزير، هو النخجواني ؛ يقول هذا المؤرخ أن تلك النصائح التي كان ابن العلقمي يسديها الى الخليفة ، لم تكن الا محاولات منه لاسترضاء هولاكو، لكي يلطف من حدة غضبه العارم ؛ وليدرأ عن سيده الهلاك . ثم يضيف هذا المؤلف أيضاً ، أن الوزير نصح الخليفة بأن يقوم بالتنازل عن نصف أراضي العراق، ويسلمها الى هولاكو ؛ ولكن الخليفة لم يصغ الى تلك النصيحة أو يأخذ بها . ويختتم النخجواني روايته في هذا الصدد قائلاً بأن هولاكو أعجب أشد الأعجاب بالوزير ، وترك تصرفه ذلك انطباعاً طيباً لدى ذلك القائد المغولي ، فالوزير كان شخصاً ذا ولاء قوي تجاه سيده

---

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ ، جـ ٢/ ص: ٧١٢.

(٢) المرجع السابق ، جـ ٢/ ص.ص: ٧١٣ ـ ٧١٤.

وجه الحقيقة ـ كما يظهر لنا

يبدو أن على المرء ، قبل أن يصدر حكمه في مسألة مثل هذه ، أن يأخذ في الحسبان أشياء ، واعتبارات كثيرة ـ . أولها : دراسة الأساس الذي بنيت عليه هذه المسألة ؛ ثم التحري عن القائل (عن ميوله الكتابية، ومذهبه الديني) ثم الشخصية التي يعالج أمرها . ثانياً : دراسة الأوضاع الداخلية والخارجية؛ وحيثيات الموضوع ، من جميع جوانبه . أما ما يتعلق بمسألة اتهام ابن العلقمي ، فلا يمكن لأي شخص أن يكون عادلاً ، أو منصفاً ، في حكمه ما لم يكن ذلك المرء على علم تام بعدة حقائق. ومن هذه الحقائق ما يتعلق بالعوامل الخارجية (وأعني بذلك حقيقة المغول، وسياستهم تجاه الشعوب؛ ثم نظرتهم العامة للعالم، وبتاريخهم ، وفتوحاتهم ؛ ثم على علم، ولو كان بسيطاً، عن كيفية تعاملهم مع الآخرين ، ابتداءً من «القاآن» نفسه في «قرا ـ قروم»، انتهاءً بالخادم ، أو الراعي في البراري والسهوب . ومن هذه الحقائق ، التي لا بد معرفتها، ما يخص الناحية الداخلية (أعني نفس شخصية الوزير ذاته ، وأسرته ؛ ثم علاقته مع سيده والأسرة التي يخدمها ؛ ثم علاقته مع زملائه ومنافسيه ؛ وفوق ذلك كله ظروف الخلافة العباسية التي كانت تعيشها ؛ ثم مدى فعاليةوامكانيةتعاون الوزير ـ لو قلنا بقول المتهمين ـ في نجاح حملةهولاكو تلك . أما أن المرء يصدر حكمه لمجرد قراءة قرأها في مصدر تاريخي معين ، ذي ميول واتجاهات تمليها أهداف أو مذاهب معينة ، دون تمحيص أو تدقيق، أو أخذ الرواية على علاتها ، فالاجابة على هذا خارجة عن نطاق هذا البحث .

والذي نراه صحيحاً في هذا الشأن ـ كما يبدو لنا ـ هو. أن المؤرخين الذين اتهموا الوزير ، ابن العلقمي ، وعلى رأسهم الجوزجاني، كانوا مؤرخين

سنيين متطرفين، فقد وجهوا اليه تلك التهم أصلاً بدافع من التعصب المذهبي؛ تمليه حوافز عدوانية، وعواطف، تحاملية، يكنونها تجاه هذا الوزير المسلم الشيعي المذهب. لهذا، فان المرء ليقف عند روايات من هذا القبيل، موقف الشك، هذا اذا لم يرفضها رفضاً قاطعاً؛ وأن ما أورده أولئك المؤرخون، في تواريخهم، حول هذا الشأن، لا يقوم على أساس علمي دقيق ومحقق.

لقد أعجب بمؤيد الدين بن العلقمي -الوزير- وامتدح من قبل الغالبية العظمى من مؤرخينا السنيين (الذين اتهموه)؛ وذلك لرجاحة عقله، وفصاحة بيانه، وثقافته الواسعة؛ ووصفوه بأنه لم يكن له مثيل في الانشاء والنثر، وفي قول الشعر، في زمانه. كما امتدحوه أشادوا به لمقدرته الادارية، وكرمه، وفضله، وحلمه، وعلمه.

خدم ابن العلقمي الخلافة العباسية أكثر من ربع قرن من الزمن، حيث عينه الخليفة المستنصر رئيساً للتشريفات؛ ثم أستاذاً لدار الخلافة؛ ثم ناظراً عاماً لجميع شؤون الجامعة المستنصرية. وفي سنة ٦٤٢ هـ/ ١٢٤٤ م رفعه الخليفة الجديد (المستعصم) الى مرتبة وزير؛ وقد ظل يحتل هذا المنصب طوال الخمس عشرة سنة التي تلت، حتى سقوط بغداد، ونهاية الأسرة العباسية، في عام ٦٥٦ هـ/١٢٥٨م. وكان ابن العلقمي واحداً من رجال بغداد، وأعلامها البارزين، كما كان والده من قبله، الذي خدم بلده ومواطنيه؛ حيث حفر والده النهر المعروف بـ «العلقمي» فسمي به. كان ابن العلقمي ممن نجا من مقصلة المغول، ابان اقتحام قوات هولاكو لهذه المدينة.

بناءً على ذلك، فاننا نرى - كما يظهر لنا - أن التهم التي وجهت ضد الوزير ابن العلقمي لم يكن لها أساس من الصحة، للأسباب التي ذكرت أعلاه، ثم يمكننا أن نضيف اليها ما يلي:

(١) ان المؤرخ السني المذهب، سبط بن الجوزي (الذي يعتبر معاصراً للغزو المغولي ضد بغداد، حيث توفي في سنة ٦٥٤ هـ/ ١٢٥٦ أثناء سير حملة هولاكو باتجاه بغداد وأراضي الدولة العباسية بشكل عام) كان قد امتدح هذا

الوزير، وأشاد به ؛ إذ وصفه بأنه رجلاً ورعاً، تقياً ، مستقيماً ؛ وأنه قارىء لكتاب الله الكريم[1]. ولم يرد في مؤلف سبط ابن الجوزي ـ لا من قريب ولا من بعيد ـ أية اشارة قد يستدل منها على انتقاص من حق هذا الوزير ، أو الطعن في ولائه ، واخلاصه في وظيفته . لذلك ، فاننا نجد أن هذا التقرير ، الذي أورده لنا سبط بن الجوزي عنه ، دليل واضح ، على أن تلك الاتهامات قد اصطنعها خصوم الوزير ، وعلى رأسهم الدواة دار الصغير ، والصقوها به . وقد قال بهذه الحقيقة (حقيقة اتهام الدواة دار للوزير) الجوزجاني نفسه ، في رواية جاءت في مؤلفه عن الخليفة المستعصم . حيث يقول أن الأخير، عندما سمع بهذه التهمة، التي قال بها الدواة دار الصغير ضد الوزير، قال: **«ان هذه الأقاويل لا بد أن يكون قد افتراها أيبك الدواة دار الصغير ؛ وأنه، فوق ذلك ، لا يمكن أن يقوم الوزير بعمل مثل هذا»**[2].

لذلك ، فإن تلك الأقاويل، والاتهامات، اختلاق قام به الدواة دار ـ كما قال الخليفة عنه ، فكانت منه اتهامات مضادة ، وجهها ضد الوزير ؛ فروج لها ، ونادى بها المسلمون الآخرون من أهل السنة ـ لغرض التشنيع ـ ودونت فيما بعد في مصادرهم ، وبمرور السنين أصبحت وكأنها حقيقة ثابتة لا تقبل الجدل .

(٢)ـ يبدو لنا من غير المحتمل ان لم يكن من المستحيل، أن يذهب الوزير الى ذلك الحد المتطرف، ويدعو المغول، ويحثهم على القدوم الى العراق ليضعوا نهاية للأسرة العباسية الحاكمة ، لكي ينتقم من عدوه ومنافسه الوحيد، وهو الدواة دار، ذلك المملوك التركي ، وما جره الغزو المغولي وراءه من دمار شامل لكل عراقي، وهل كان الوزير الا واحداً منهم . فمن المعروف أن الخليفة المستعصم ، ووزيره كانا على وفاق، وصداقة وطيدة ومكينة بينهما . كان المستعصم يكن تقديراً واحتراماً تجاه وزيره ابن العلقمي ، وكان يرسل له هدايا ثمينة ، وقيمة في كل مناسبة . لهذا، نجد من غير الممكن أن يكون الوزير كان

---

(١) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ٨ ، جـ ٢/ ص.ص: ٧٤٧ ـ ٧٦٢.

(٢) الجوزجاني، طبقات ناصري، جـ ٢/ص: ١٩٣ ، الترجمة الانجليزية، جـ ٢/ص: ١٢٣٦.

يرغب أن يسبب أن متاعب لسيده المستعصم؛ لأنه من المعروف أن الخلافات كانت بين الدواة دار الصغير (الذي كان المتسلط على الخليفة ومقدرات الخلافة العباسية) وبين الوزير؛ ولم تكن بين الأخير والخليفة العباسي، ولي نعمته .

ومن ناحية ثانية ، فإنه يظهر لنا ـ من قراءة الحوادث التي كانت تنشأ بين طائفتي السنة والشيعة في بغداد . أن الوزير لم يكن له تأثير كبير على أصحابه، من الطائفة الشيعية، لكي يفرض أوامره على أتباعه،ويجبرهم على أن يكفوا عن عدوانهم المتكرر على الأحياء السكنية في بغداد، التي يسكنها المسلمون من أتباع المذهب السني .

(٣) ـ ان هذه الاتهامات، التي وجهت ضد الوزير، لم تكن قد جاءت من مؤرخين عراقيين، معاصرين لتلك الأحداث في بغداد، بل جاءت من مؤرخين من خارج الأراضي العراقية، كالمؤرخ الفارسي الجوزجاني ـ الذي كان يعيش في دهلي بالهند ، أيام سقوط العاصمة العباسية، بغداد .

كما جاءت تلك الاتهامات في كتاب «تراجم رجال القرنين السادس والسابع» أو «الذيل على الروضتين»لأبي شامة ، الذي كان يعيش في أراضي الشام، ربما كان في دمشق . وفي الحقيقة لا يوجد أي شاهد عيان يثبت أنه رأى ذلك الرسول المزعوم ، الذي أرسله الوزير ، ابن العلقمي، لمقابلة القائد المغولي ، هولاكو؛ كما أننا لم نعثر ـ في مصادرنا ـ على أية رواية يستنتج منها أنه ربما يمكن أن يكون هنالك وثيقة تتعلق بهذا الأمر قد أخفيت ، بحيث تضع هذا الوزير العباسي في مركز، قد يصبح فيه متهماً .

(٤) ـ ان حملة المغول العسكرية ، التي وجهت ضد الأقطار الغربية عامة ، والتي وضعت قيادتها تحت رئاسة هولاكو خان ، قد أقرها القادة المغول، وعلى رأسهم «منكو قاآن» في العاصمة المغولية «قرا ـ قروم»في اجتماع عام «قوريلتاي»؛ وكان قد قرر المغول أمر ارسال تلك الحملة الى الغرب قبل أن يبدأ ذلك العداء الذي نشب بين الوزير، ابن العلقمي، وأيبك الدواة دار ، بمدة لا تقل عن ثلاث سنوات ؛ وأن سيد الموقف «شرف الدين اقبال الشرابي»

كان ما يزال حياً . وقد أشير الى هذه الحقيقة في المراجع الصينية . إذ نقل المستشرق «بريتسكنيدر» عن «سي شي سي» وترجم مقالته التالية «عن حملة هولاكو الى الغرب» الى اللغة الانجليزية : «. . . ، في سنة ١٢٥٢م (الموافق لعام ٦٥٠ للهجرة) صدرت الأوامر العليا الى هو - لي - وو (أي هولاكو) بأن يأخذ القيادة العامة للجيوش المغولية ، وأن يسير بها في هجوم يقوم به ضد سي يو (أي الأقطار الغربية . . .)»[1] .

(٥) - لم يفرق المغول بين المسلمين، أتباع المذهب السني، وإخوانهم، أتباع المذهب الشيعي ، أثناء اقتحام وأخذ بغداد؛ فقد تعرضت الأحياء السكنية، في بغداد، الآهلة بالسكان الشيعة، للهجوم العاصف المدمر ، كما وقعت بقية أحياء أهل السنة تحت ثقل وطأتهم ، فذاق هؤلاء ما ذاق أولئك ، حيث ارتكب المغول - دون حياء - من الشناعات ، وأعمال القتل والنهب والسلب ، ضد أتباع المذهب الشيعي والسني على حد سواء ، دون تمييز .

(٦) - كان الوزير على علم تام ، ويقين صادق ، بعدم مقدرة الخلافة العباسية للقيام بالدفاع عن أراضيها الخاصة ، ضد أية قوة ، مهما كانت ضآلة وصغر حجم تلك القوة الخارجية المعتدية ، فما بالك بقوة عملاقة ، وجبارة، كالقوة المغولية . وبما أن ابن العلقمي كان على علم تام بهذه الحقيقة فقد قام بانذار الخليفة منهم ، واطلاعه على حقيقة قوتهم ، منذ أن شرع المغول في حصارهم ضد الاسماعيليين، وقلاعهم المنيعة في إيران ؛ واستمر على ذلك حتى وصلوا الى ضواحي عاصمة الدولة العباسية - بغداد. ارتأ وجوب مهادنة المغول، واسترضاء سيدهم القائد، ببذل الهدايا والتحف للقادة الكبار منهم ؛ وكان الخليفة نفسه يرى ما كان يراه وزيره، ووافقه على اقتراحاته تلك . ولكن كانت الاقتراحات هذه تقابل بمعارضة قوية جداً ، قام بها الدواة دار الصغير - قائد القوة العسكرية ، التي تتكون من المماليك، فهدد الخليفة والوزير بأنه سوف يقوم بقواته بمصادرة كل شيء يرسلونه الى المغول، ففرض رأيه وارادته ،

---

(١) قام بترجمة ونقل تلك الرواية : اي ، برتيسكنيدر ، بحوث في العصور الوسطى، جـ ١/ ص: ١٢٢.

متحدياً بذلك كل السلطات . كان موقف الدواة دار هذا جزءً من النزاعات والمهاترات ، ثم أنعدام الوحدة الادارية ، بين أعضاء حكومة البلاط العباسي ، وكان من نتائج هذا الاقتراح ، الذي يقال بأن الوزير كان قد تقدم به الى الخليفة ، ولكي يرد التهمة بتهمة أخرى مثلها ، قام الدواة دار باتهام ابن العلقمي ، بأنه كان متواطئاً مع المغول ، وأنه كان لا يهمه الا مصالحه الخاصة الشخصية في مسألة مهادنة المغول .

وجدت اتهامات الدواة دار تلك ، ضد الوزير ، طريقها الى خارج بلاط الخليفة ، حيث تسربت الى الناس في بغداد ؛ فقاد ذلك الى أن قام أعداء المذهب الشيعي وخصومهم ، بالترويج والدعاية لها ، على نطاق واسع بين صفوف الشعب ؛ ثم بعد ذلك وجدت مكاناً لها في بطون الكتب ، التاريخية على وجه الخصوص ، فسجلت وكأنها حقيقة ثابتة .

كان المؤرخ السوري ، أبو شامة ـ الذي عاش في الشام ، ومات بها سنة ٦٦٥ هـ/ ١٢٦٦ م ، هو أول مؤرخ عربي سني ـ حسب معلوماتنا ـ يذكر هذه الادعاءات ، ضد الوزير ، وذلك في كتابه المعروف بـ : «تراجم رجال القرنين السادس والسابع» أو «الذيل على الروضتين» . ويظهر لنا ، أن أبا شامه لم يكن يعرف عن حقيقة ما كان يجري من أحداث في داخل بلاط الخليفة المستعصم ، بل لم يكن مطلعاً على أخبار القطر العراقي في جملته ، إذ لم يعرف الا النزر اليسير عن شؤون الدولة العباسية العامة فقط . ثم أنه لم يكن لديه سوى فكرة عائمة ، يشوبها الغموض ، والتشويش وعدم الوضوح . كان ابو شامه يجهل المغول أنفسهم ، وعن حقيقة أمرهم ، فما بالك بمعرفته بما سبق واتخذه المغول من قرارات في قلب منغوليا (في عاصمتهم «قرا ـ قروم» فيما يتعلق بمسألة حملتهم الغربية ، التي أسندت قيادتها الى هولاكو[1] .

جاء المؤرخ قطب الدين اليونيني ، بعد أبي شامة ، فنقل عنه مقالته تلك ، وأضاف عليها بضع كلمات . بعد ذلك جاء مؤرخ شامي ثالث ، هو شمس

---

(١) ابو شامة ، تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، ص : ١٩٨ .

الدين الذهبي، فنقل تلك الرواية، التي أوردها اليونيني بحذافيرها (والذهبي كان ممن نقل عن اليونيني الكلمة بالكملة الى حد كبير) وفي ذات الوقت جاء ابن شاكر الكتبي، فنقل عن المؤرخين السابقين (عن أبي شامة واليونيني) . وهكذا، أخذ كل مؤرخ عن سابقيه، مع اضافة كلمات من عنده، تناسب المقام؛ فكانت بمثابة لبنة في بناء، أو عود حطب، لابقاء النار متقدة. وبهذه الطريقة، وبمرور الزمن اكتسبت هذه القصة مادة تاريخية، عن طريق روايات المؤرخين؛ فاتخذت شكلاً وكأنها حقيقة ثابتة لا تقبل الجدل.

(٧) ـ عندما وصل هولاكو الى منطقة همدان، وهو في طريقه الى بغداد، أرسل الى الخليفة ـ كما سبق أن أشير الى ذلك في فصل سابق ـ يطالبه بأن يخرج من بغداد لمقابلته؛ فإن لم يستطع هو أن يذهب اليه، فليرسل، بدلاً عنه، واحداً من كبار الموظفين في بلاط حكومته، فاما أن يرسل الوزير، أو الدواة دار الصغير، أو سليمان شاه ـ شيخ التركمانيين.

لم يفرق هولاكو بين هؤلاء الموظفين الكبار، ذوي الميول والأهواء المختلفة، في بلاط حكومة بغداد، ان كان سنياً أو شيعياً. فلو فرض أنه كانت هناك مراسلات سابقة، بين الوزير والقائد المغولي، فإن الأول سيكون سعيداً لدعوة هولاكو له لمقابلته؛ لأن هذه فرصة يقوم هو بالذهاب اليه، ليشرح له عن كل شيء بشكل مفصل ومحدد، عما تضمنته مراسلاتهما السرية السابقة المزعومة، ولن يرفض طلبات الخليفة الملحة، وتوسلاته اليه، والى زملائه الآخرين، بأن يخرج لمقابلة قائد المغول. ومن ناحية ثانية فان الأخير ربما لن يرسل مطالباً بخروج الوزير، حتى لا تثار الشبهة في ابن العلقمي، لو قدر وكان هناك اتصالات سبقة.

في المراحل الأخيرة من حصار المغول للعاصمة العباسية، تقدم الخليفة الى وزيره، يتوسل اليه بأن يلبي طلب هولاكو، وأن يخرج، وينظر ما هي طلبات ذلك القائد المتشدد، وبعد الحاح من الخليفة، استجاب ابن العلقمي لطلب الخليفة، في حين أن الدواة دار وسليمان شاه رفضا، بعناد، أن يستجيبا لتوسلات المستعصم، بأن يذهبا، ويريا ما لدى هولاكو؛ لعله يخفف من موقفه

المتطرف، تجاه سكان بغداد . وقد أُخذ خروج الوزير هذا ، الى هولاكو، على أنه تآمرى مع المغول ضد المستعصم، وأسرته العباسية ؛ فاتخذت شكلاً جديداً ، على أنه ذهب ليستدعي هولاكو لغزو بغداد .

(٨) ـ سبق أن ذكرنا، بأن ابن العلقمي خدم الدولة العباسية قرابة ثلث قرن من الزمن، حيث التحق بخدمة هذه الأسرة في عام ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨م، أو في سنة ٦٢٩ هـ/ ١٢٣١م، كواحد من كبار موظفي دار الخلافة . وأخذ يتدرج في وظائف هذه الدولة العليا، من مركز الى أعلى منه مكانة ، حتى وصل في سنة ٦٤٢ هـ/ ١٢٤٤م الى منصب الوزارة. ظل في هذا المنصب طوال الخمس عشرة سنة التي تلت ، وحتى سقوط بغداد . وفي خلال تلك السنوات الطوال، من خدمة ابن العلقمي ـ التي تبلغ أكثر من ربع قرن ، لم نعثر ، في مراجعنا، على أن أحداً قد اتهمه بأية خيانة، أو بأية مسألة قد تقلل من مكانة هذا الوزير ، أو من كفاءته ، ووفائه ، واخلاصه لمخدوميه .

لذلك، نجد أنه من غير المحتمل؛ ان لم يكن من المستحيل ـ كما يظهر لنا ـ أن يقوم ذلك الرجل ، صاحب تلك الخدمات الطويلة، في آخر سنوات عمره، بارتكاب مثل تلك الخيانة العظمى ، التي وجهها ضده أعداؤه ، ضد دينه ، ووطنه، وسيده ، ذلك السيد (هو المستعصم) الذي يقدره ويجله ، ويثق به. ثم أن مؤيد الدين بن العلقمي كان أسمى من أن ينزل الى مستوى من يخون الأمانة التي أولاها اياه المستعصم ، الذي كان صديقاً حميماً، أكثر من كونه رئيساً عليه .

(٩) ـ في فصل سابق، ذكرنا بأن الغزو المغولي، وتهديدهم القاتل، ضد أراضي الدولة العباسية، كان قد بدأ منذ وقت مبكر جداً ، من أيام الخليفة الناصر، بعد أن أطاحوا بالسلطان محمد خوارزم شاه . ثم كان مجيء جلال الدين خوارزم بمثابة درع ، أوسد حاجز ، حال بين المغول وبين أراضي حكومة بغداد . وبزوال هذا الأمير الخوارزمي، في سنة ٦٢٩ هـ/ ١٢٣١م، شرعت القوات المغوليه تهدد بغداد نفسها ، تلك الغارات التي أخذت تتكرر بشكل دائم على طول السنين التي تلت، وخلال فترة خلافة المستنصر (حيث بلغت

ذروتها في أيام حكم هذا الخليفة)وطوال فترة حكم المستعصم،حيث كانت تغير، تقتل ، وتنهب ، وتسلب، وتدمر ؛ ثم ترجع الى قواعدها ـ في «آذربيجان» ـ سالمة ؛ ودون أن تجد رادعاً يقف أمامها .

لهذا ، فاننا نجده من غير المعقول، ومن غير المنطق ، أن يقوم الوزير ابن العلقمي باسداء تلك النصيحة المزعومة الى الخليفة بأن يسرح ذلك الجند من جيش الخلافة، التي ادعت تلك الروايات بأن الخليفة في بغداد كان قد جيشه في قواته المسلحة ، والغائهم من ديوان الجند . فلا يمكن أن يقبل العقل أن يكون الوزير اسدى تلك النصيحة ، أو أنه كان قد أوصى ، أوحث ، الخليفة بأن يطرد ما يسمى بـ «مائة ألف ، أو مائة وعشرين ألف جندي»، من الخدمة، في وقت شتدت فيه هجمات العصابات المغولية المدمرة المستمرة ضد أراضيه ، وقد توغلوا مرات كثيرة داخل اقليم العراق ، حتى وصلوا الى ضواحي العاصمة بغداد نفسها دون أن تجد أي عائق يقف أمام تقدمها ، أو أن يحمي السكان الآمنين ، في بيوتهم وحقول مزارعهم، من غاراتهم المدمرة .

ثم أننا لو قلنا بمسألة اقتراح الوزير على الخليفة، بأن يسرح جيش الخلافة، المزعوم، فإن هذه الرواية ترفضها حقيقة واحدة دامغة ، وهي أن ابن العلقمي لم يكن يملك تلك القوة تحت يده ، أو أوامره ، لتخضع ، وتنفذ هذا الاقتراح . فمن المعروف أن القوة العسكرية، والممثلة في المماليك، كانت تحت قيادة، وأوامر رئيس مماليك الخليفة؛ حيث كان هذا المنصب متوارثاً ، ومقتصراً على أولئك المماليك. فقد كان رئيس المماليك ورئيس جيش الخلافة في هذا الوقت مملوك الخليفة المستنصر، شرف الدين اقبال الشرابي، الذي ظل يحتل هذا المنصب حتى وفاته في سنة ٦٥٣ هـ/ ١٢٥٥ ، ثم خلفه في منصبه ذلك ابن وطن له آخر، وأحد مماليك الخليفة، وهو «مجاهد الدين أيبك الدواة دار الصغير». لم يصبح ذلك المملوكان مسؤولين، مسؤولية أولية ومباشرة، عن الشؤون العسكرية، في حكومة بغداد، بل مارسا سياسة مماثلة على الخليفة وشؤونه الخاصة ذاتها، وخاصة في زمن الخليفة المستعصم ـ الذي لم ينصبه في منصب، «خليفة المسلمين»، سوى شرف الدين اقبال الشرابي، رغم المعارضة

الشديدة من أفراد الأسرة الآخرين ؛ فورث الدواة دار ذلك المنصب ، واحتل تلك المكانة المسيطرة على الخليفة، الذي أصبح ضعيفاً على يدي هذا المملوك .
فإذا كانت قوة وتغلغل أولئك المماليك حقيقة ثابتة ، فإنه من الأولى بهم أن يقفوا أمام مسألة تسريح الجيش، التي يزعم أن الوزير أوصى الخليفة بالغائهم من ديوان الجند ، خاصة وأن ذلك الإقتراح ، أو تلك النصيحة، كانت مقدمة، أو مسداة من شخص مثل ابن العلقمي ، الذي وجده أولئك المماليك عدوهم ، ومنافساً لسيدهم «أيبك الدواة دار».

(١٠) ـ كان الفيلسوف المسلم ، الخواجة نصير الدين الطوسي ـ وهو احد أعلام الاسلام ، من أتباع المذهب الشيعي ، يصاحب هولاكو ؛ أثناء حملته تلك ضد بغداد، كمستشار جديد له . وقبيل أن يقتحم المغول بغداد ، في أواخر أيام الحصار، كان الخليفة قد انتدب الوزير ، وطلبه أن يخرج اليهم ، للتفاوض مع قائدهم هولاكو، فخرج ابن العلقمي ، نزولاً عند رغبة سيده المستعصم ؛ لذلك فمن المحتمل جداً أن يكون الخواجة نصير الدين الطوسي قد توسل ـ نيابة عن الوزير العباسي ـ الى سيده المغولي بأن يبقي على حياته . كما أن هيئة ومكانة ابن العلقمي العلمية كانت من الأشياء التي جعلت هولاكو يبقي على الوزير ، للاستفادة من مقدرته الادارية ؛ وهنا يجب أن نذكر بأن المغول كانوا في أحوج ما يكونون الى أشخاص أمثال مؤيد الدين بن العلقمي .

(١١) ـ بعد أن أطاح المغول بالخلافة العباسية ، واقتحموا بغداد، وفعلوا تلك الأعمال القبيحة، قامت السلطات المغولية، برئاسة هولاكو ، باسناد مهام وادارة شؤون بغداد، تحت حكمها ، الى لجنة خاصة أوكلت اليها مسألة تنظيم وادارة تلك المدينة المنكوبة العاثرة ؛ كان الوزير واحداً من أعضاء تلك اللجنة ، ومعه آخرون من كبار موظفي الدولة العباسية، السابقة في بغداد .

لذلك، فإن حقيقة كون هولاكو أبقى على الوزير ابن العلقمي حياً ، وعينه كواحد من كبار موظفي المغول ، تبدو لنا أن المؤرخين ، المتهمين للوزير ، قد أوّلوها على أنها برهان قاطع على تآمره مع العدو ، ضد الدولة العباسية، التي كان يحتل منها مكانة عليا .

والذي يظهر لنا ، هو أن القائد المغولي قام بتعيين ابن العلقمي ليخدم في ادارة شؤون حكومة بغداد ، تحت نفوذ السلطة المغولية ، لا لأنه كان قد سبق له وتعاون معهم ؛ أو لأنه حثهم على القدوم الى بغداد، وأخذها، ومن ثم القضاء النهائي على حكومة العباسيين فيها ؛ فلو قدر وتواطأ ابن العلقمي مع المغول رنعل ما آتهمه به خصومه ، لكان مصيره الدمار، على يدي هولاكو . لأن المغول لا يثقون في هذا النوع من الرجال الخونة ؛ ولكن أبقاه.، ثم استخدمه، لأنه كان في حاجة الى مؤهلات الوزير العالية ، التي كان يتمتع بها ابن العلقمي، ولخبراته الطويلة التي كان يتمتع بها ، كاداري قدير، من الطراز الأول .

ثم اننا بالاضافةالى ذلك، نجد أن ابن العلقمي لم يكن الوحيد من موظفي الخلافة العباسية السابقين ، الذين أبقي عليهم ، ومن ثم عينوا في مناصب تحت ادارة المغول ؛ فقد قام القائد المغولي بالابقاء على موظفين آخرين من زملاء ابن العلقمي، وتعيينهم في مناصب تحت ظل الحكم المغولي . كان ممن أبقاهم المغول على قيد الحياة ومن ثم تعيينهم في مراكز ادارية في حكومة هولاكو ، فخر الدين بن الدامغاني (الذي كان يشغل منصب صاحب الديوان) ؛ ونظام الدين عبد المؤمن (رئيس القضاة)؛ ونجم الدين عبد الغني بن الدرنوس (حاجب الباب) ؛ وعلي بن الدوامي ؛ وفخر الدين بن مبارك وغيرهم[1].

ب «دور العناصر المسلمة ، من خارج أراضي الدولة العباسية، في اسقاط الخلافة في بغداد»

ان مسألة غزو المغول للدولة العباسية لتحتاج ـ كما يظهر لنا ـ الى اعادة النظرفيها، في دراسة علمية فاحصة ومدققة . إذ ينبغي دراسة مجريات الأحداث

---

(١) لمعلومات أوفى عن هذا الموضوع ، أنظر : ابن الفوطي، الحوادث الجامعة ، ص.ص: ٣٣١ـ ٣٣٣ ؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ ٢/ص.ص: ٧١٤ ـ ٧١٥، الترجمة العربية ، جـ ٢/ ص: ٢٩٥ ؛ أنظر أيضاً، القزاز الحياة السياسية، ص: ٣٤٠.

التاريخية، التي كانت تجري آنذاك في المنطقة التي تقع الى الشرق والجنوب الشرقي، والشمال والشمال الشرقي من أراضي الدولة العباسية؛ وحتى حدود العالم الإسلامي الشرقية في ذلك الوقت. ومن ثم معرفة هوية أولئك الغزاة الحقيقية لبغداد وأراضي الدولة العباسية؛ ثم مدى دورهم في الكوارث التي حلت بسكان العراق، والشام، أثناء حملة المغول الغربية، بقيادة هولاكو.

ولعل هذه الدراسة القصيرة، في الوريقات القلائل التالية، تكون خطاً واحداً من الخطوط العريضة لتلك الدراسة. لأن الذي يبدو لنا، أن الذنب الكبير، والخيانة العظمى كانت قد ارتكبتها عناصر إسلامية، ليس من داخل بغداد، بل من خارجها وخارج أراضي الدولة العباسية (التي تشمل أقل من حدود العراق الحالية، واقليم خوزستان). فقد قام المسلمون من هاتيك الربوع، بالمشاركة الفعالة مع المغول، في حملتهم هذه؛ فارتكبوا - مع المغول - أعمالاً شنيعة؛ وشاركوا في مذبحة مسلمي بغداد أنفسهم؛ كما شاركوا في جرائم المغول ضد اخوانهم المسلمين، من سكان أراضي العراق، والجزيرة، والشام، تلك الأعمال التي تهتز لها الانسانية.

وسنتكلم باختصار، عمن شارك المغول - في حملتهم الغازية تلك - بقيادة هولاكو، من الحكام المسلمين، وكيفية تلك المشاركة، لنطلع سوية على مدى الدور الفعال، الذي لعبه أولئك المسلمون في نجاح حملة المغول هذه.

١ - «براق حاجب وخطلغشاه»

كان حاكم كرمان والأراضي التابعة لها، براق حاجب، من أول الحكام المسلمين، الذين يمكن أن يوجه اللوم، بل التهمة بالخيانة والغدر، اليهم، لما وقع في أراضي الدولة العباسية، وبقية أراضي المسلمين، ابان حملة المغول هذه. إذ أنه من المعروف أن اقليم كرمان كان جزءً من أراضي الدولة الخوارزم شاهية؛ وكان هذا الاقليم يحكمه الأميرغياث الدين - الابن الثاني للسلطان محمد خوارزم شاه - وكان بذلك اقطاعه الذي خصصه له والده. وقد استناب هذا الأمير شخصاً، هو براق حاجب هذا، ليقوم بادارة شؤون الاقليم نيابة

عنه . وبعد الخلاف الذي نشب بين الأخوين، غياث الدين وأخيه الأكبر جلال الدين ، هرب الأول الى اقطاعه السابق، حيث كان به نائبه الأول على كرمان ، براق حاجب . فما كان من الأخير الا أن قام باغتيال سيده ، فقطع رأسه ، وأرسله الى «القاآن» المغولي «أكتاي» في «قرا ـ قروم» وأعلن خضوعه تحت سلطان المغول .

هكذا أصبحت جميع أراضي اقليم كرمان جزءً من الإمبراطورية المغولية . ثم بعدها نجد أن مغتصب أراضي كرمان يقوم بدور آخر، لخدمة المغول ومصالحهم الخاصة في الجنوب الغربي من أراضيهم المترامية الأطراف ؛ فقد جعل من نفسه جاسوساً، يطلع أسياده الجدد بأخبار الأقطار الغربية ، وما كان يجري فيها من تطورات سياسية وعسكرية ؛ تخدم غرض المغول وتوسعهم المستمر في سبيل انشاء أمبراطوريتهم العالمية ، والتي كانوا يخططون القيام على تنفيذها . فمن جملة أعمال براق حاجب «الجليلة بالنسبة للمغول» أن أخبرهم بنشاطات سيده السابق الأكبر، جلال الدين خوارزم شاه ، في غرب إيران ؛ وحرضهم على أن يرسلوا له حملة عسكرية لتقوم بالقضاء عليه ؛ وخاصة بعد أن فشل هو أن يقوم بهذا العمل نيابة عنهم . وقد أشرنا الى ذلك في كتابنا « أوضاع الدول الاسلامية في المشرق الاسلامي » في الفصل الأخير .

تمثلت استجابة المغول ـ على ما يبدو ـ لدعوة براق حاجب، في حملتهم التي قام «القاآن» بارسالها لهذا الغرض ، الذي طلبهم القيام به ذلك التابع المخلص، ضد جلال الدين. كانت تلك الحملة تحت رئاسة القائد المغولي «تشرماغون نويان» الذي ما أن وصل الى إيران حتى أطلعه براق حاجب على آخر أخبار جلال الدين، وما حصل عليه ؛ ومناطق تواجده . فاستطاع المغول أن يلاحقوا خصمهم، وأن يقضوا على قواته؛ وأدت تلك الحملة الى انهاء أمر الدولة الخوارزم شاهية بصورة نهائية في عام ٦٢٩ هـ/ ١٢٣١م[1].

---

(١) لمعلومات أوفى عن براق حاجب ، انظر : الجويني، جهانكشاي، جـ ٢/ص.ص: ٢١١ ـ ٢١٨، الترجمة الانجليزية جـ ٢/ ص.ص. ٤٧٦ ـ ٤٨٦ . وعن حملة «تشرماغون» ونهاية جلال الدين، انظر آخر الفصل الخامس من كتابنا «أوضاع الدول الاسلامية في المشرق الاسلامي» .

وقد ظل براق حاجب على ولائه ، الذي لا يتزعزع، تجاه أسياده المغول ، ويتمثل ذلك الولاء، وتلك التبعية ، في ارسال الضرائب السنوية، الى الخزينة المغولية في «قرا - قروم» مع موظفيه ، الذين يوفدهم الى «القاآن» لهذا الغرض ، أو أن يرسلها الى موظفي المغول وممثليهم الرسميين في اقليم خراسان . كما كان على براق حاجب، وخلفائه من بعده ، أن يستجيبوا لداعي أسيادهم المغول، في المشاركة في حملاتهم التي يقومون بها . فشاركت حكومة كرمان في حملة المغول العسكرية، التي وجهتها سلطات «قرا - قروم» ضد قطر اسلامي آخر ، هو أراضي السلاطين السلاجقة في آسيا الصغرى ، والتي كانت بقيادة «بايجونويان» كما سيرد معنا بعد قليل[1].

بعد وفاة براق حاجب في سنة ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م ، أصبح خلفاؤه من بعده ، وهم ركن الدين خواجة الحق (٦٣٢ - ٦٥٠ هـ / ١٢٣٤ - ١٢٥٢م) وقطب الدين محمد (٦٥٠ - ٦٥٥ هـ / ١٢٥٢ - ١٢٥٧ م) ، يتنافسان فيما بينهما في تقديم الولاء والطاعة للمغول ، كما أصبحا متنافسين على حكم اقليم كرمان . فأخذ كل واحد من جانبه يذهب الى منغوليا ، ويعلن أنه سيكون أكثر من منافسه خضوعاً ، وطاعة « للقاآن » في « قرا - قروم » ، ويطلب أن يقبله المغول نائباً لهم (على أراضي ولاية كرمان) اذا ما أنعموا عليه بحكم ذلك الاقليم[2] .

عندما وصل المغول الى منطقة شرق إيران ، في حملتهم الغربية الكبرى بقيادة هولاكو، وشرعوا في هجومهم العام الكاسح، ضد أراضي وقلاع الدولة الاسماعيلية، قام قطب الدين محمد، حاكم كرمان في ذلك الوقت ، بارسال قوات خاصة من بلده لتشارك في الحرب تحت راية المغول. وقد كانت قوات حكومة كرمان المسلمة ، مع قوات « يَزْد » ، من القوة والكثرة بحيث كانت تكون كتيبة عسكرية مستقلة بذاتها .

---

(١) المرجع السابق، جـ ١/ ص: ٣٠٥ و جـ ٢/ ص.ص: ٢١٤ - ٢١٩، الترجمة الانجليزية، جـ ١/ ص: ٢٥٠ و جـ ٢/ ص.ص: ٤٨٠ - ٤٨٦ ؛انظر ص . ٣٨٣ من هذا الكتاب .

(٢) الجويني، جهانكشاي، جـ ٣/ ص: ١١٩ ، الترجمة الانجليزية، جـ ٢/ ص: ٤٨٢ .

لم نعثر على أية معلومات، أو اشارة قد يستنتج منها على أن قوات حكومة كرمان قد رجعت الى بلدها، بعد أن شاركت، بنجاحٍ ، مع المغول في الاطاحة بالاسماعيلية، وتدمير حصونهم في ايران . ومع ذلك، فإن حكومة كرمان لم تكن لتستطع أن تسحب قواتها تلك ، أو تدعوها الى العودة الى بلدها دون أن تواصل الزحف، تحت راية هولاكو ، وتذهب مع المغول، لتشاركهم في تنفيذ المرحلة الثانية، الأكثر أهمية ، من مراحل حملتهم العسكرية الغربية الكبرى . لذلك ، فإنه يمكن للمرء أن يقول بأن قوات قطب الدين، حاكم ولاية كرمان ، قد أرسلت لتخدم تحت قيادة هولاكو، وتشارك في حربه ، ضد حكومة العباسيين، والمسلمين في العراق؛ والجزيرة ؛ والشام[1].

٢ ـ أتابك اقليم، فارس، وحكومة السلغريين فيها

يظهر لنا ، أن الحاكم المسلم الثاني، الذي يمكن أن يقال بأنه كان خائناً، هو حاكم أراضي اقليم فارس ، الأتابك مظفر الدين أبي بكر بن الأتابك سعد السلغري . كانت حكومة الأتابك في اقليم فارس تمارس نفوذها السياسي وسلطاتها الادارية أيضاً ، على أراضي البحرين ، والمضائق المائية، مثل هرمز وجزر الخليج والأراضي المجاورة لتلك الأصقاع . عندما قضى المغول، بقيادة «تشرماغون» على جلال الدين، والتي انتهت بذلك سلطته الصورية على إقليم فارس ، والأراضي التابعة لحكومتها ، قام الأتابك بتغيير ولائه الى المغول، وذلك عندما ظهروا مرة ثانية ، على مسرح أحداث المنطقة، بقيادة «تشرماغون نويان». فأعلن أتابك فارس خضوعه تحت السلطة المغولية، في نفس الوقت الذي خضع فيه جاره، براق حاجب ـ حاكم كرمان ـ لنفوذهم .

وكما حافظ حاكم كرمان على ولائه للمغول، نجد أن ذلك ينطبق بالكلية

(١) المرجع السابق، جـ ١/ ص: ٢١٢، وجـ٢/ ص.ص: ٢١٧ ـ ٢١٨، وجـ ٣/ ص: ٧٤ الترجمة الانجليزية، جـ ١/ ص: ٢٥٧ ، جـ ٢/ ص.ص: ٤٨٢ص٥٩٧ ؛ الجوزجاني، طبقات ناصري، جـ ٢ /ص : ١٩٠ ، الترجمة الانجليزية ، جـ ٢ / ص . ص : ١٢٢٨ ـ ١٢٢٩ .

على آتابك فارس ، حيث كان يرسل ممثليه الى البلاط المغولي في «قرا ـ قروم» بصفة دائمة ، وفي كل مناسبة ، فقد كان ـ مثلاً ـ من جملة المناسبات ، التي أرسل أتابك فارس ممثلين عنه : مناسبة اعتلاء «كويوك خان» ومن بعده «منكو قاآن» العرش المغولي ، ليقوموا بتهنئة سيدهم المغولي ـ «كويوك» و «منكو» على التوالي ـ بمناسبة توليهما العرش« القاآني »، وتجديد فروض الطاعة ، وتقديم الهدايا والتحف اليه بهذه المناسبة .

أما ما يتعلق بواجبات الأتابك العسكرية ، تجاه أسياده المغول ، فقد كان (مثله في ذلك مثل جاره ، حاكم كرمان) ، يرجع في ذلك الى الحاكم العسكري المغولي في جنوب غرب أمبراطورية المغول ، «تشرماغون نويان» ومن بعده «بايجونويان» . وعندما قام الأخير بحملته العسكرية لاخضاع أراضي السلاطين السلاجقة في آسيا الصغرى ، قام الحاكمان (أتابك فارس ، وحاكم كرمان) بارسال قوات لتمثلهما بالمشاركة في حملة المغول تلك ، ضد المسلمين في ذلك القطر المسلم .

تقول التقارير التاريخية ، التي بين أيدينا ، أنه عندما وصل هولاكو ـ على رأس حملة المغول الغربية ـ الى اقليم ما وراء النهر ، ذهب الى هناك أتابك فارس نفسه أبو بكر (حسب رواية الجوزجاني) أو ابنه سعد (حسب رواية رشيد الدين) للترحيب بمقدم القائد المغولي ، والبذل من نفسه ما يستطيع تقديمه للمغول في حملتهم هذه[1] .

والذي يظهر لنا ، أن مسألة اشتراك أتابك فارس ، والأقاليم الخاضعة تحت ادارته ، في حملة هولاكو ـ ضد الاسماعيليين في ايران ، ومن بعدهم خلافة العباسيين في العراق ـ هي فوق كل شك ، فقد أرسل كتيبة عسكرية خاصة ، يتكون جل أعضائها من الفرسان ، لتلتحق بجيش هولاكو ، ليس فقط ضد الاسماعيليين ، والخلافة العباسية ، بل ليشاركوا مع المغول في حروبهم الهمجية

---

(١) رشيد الدين ، جامع التواريخ ، جـ ٢ / ص.ص : ٦٨٨ ، الجوزجاني ، طبقات ناصري ، جـ ٢ / ص : ١٩٠ ، الترجمة الانجليزية ، جـ ٢ / ص : ١٢٢٨ .

ضد المسلمين في الجزيرة وأراضي الشام ومصر[1] .

بعد أن أسقط المغول والمسلمون وغيرهم، بقيادة هولاكو خان ، بغداد وأطاحوا بالدولة العباسية ، قام حاكم اقليم فارس المسلم، هذا، بارسال ابنه سعد بن أبي بكر، الى القائد المغولي، ليهنئه بنجاح حملته ضد الخليفة ، ويتلقى أوامره التالية ؛ ثم لكي يقوم بخدمته نيابة عن والده[2].

٣ ـ بدر الدين لؤلؤ وأتابكية الموصل

كان حاكم ، أو أتابك الموصل، بدر الدين لؤلؤ ـ الذي ينتمي في أصله الى بلد أرمينيا ـ هو الحاكم المسلم الثالث ، والذي يمكن أن يتهم بتهمة المسلم الخائن . فقد كان يحكم اقليم الموصل، والقرى والأرياف التابعة لها بشكل مستقل ؛ إذ لم يكن خاضعاً لأية سلطة، حتى جاء المغول الى منطقة جنوب غرب قارة آسيا . ويظهر لنا ، أن بدر الدين خضع تحت السلطة المغولية في وقت ما بين سنتي ٦٣٣ ـ ٦٣٤ هـ/ ١٢٣٥ ـ ١٢٣٦م ؛ حيث نجد ن آخر غزوة قام بها المغول ضد أراضي الموصل كانت ـ حسب التقارير التاريخية ـ في سنة ٦٣٣ هـ/ ١٢٣٥م ، ثم بعد ذلك نجد أن المؤرخ العراقي، ابن الفوطي، يتكلم عن مساعدة بدر الدين لؤلؤ ، أثناء حملة لهم قاموا بها ضد أراضي الدولة العباسية. حيث يذكر بأن حاكم الموصل هذا زود القوات المغولية ، تلك، بكل شيء كانت تحتاجه، من مؤن ، وعتاد حربي[3] .

فيما يظهر، أن أتابك الموصل ظل على ولائه للمغول، ويتمثل ذلك

(١) الجوزجاني، طبقات ناصري، جـ ٢/ص: ١٩٠، الترجمة الانجليزية، جـ ٢/ص.ص: ١٢٢٨ ـ ١٢٢٩ .

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ ٢/ ص: ٧١٧ ، الترجمة العربية، جـ ٢/ ص: ٣٠٠. يذكر الاستاذ/ ج.أ. بويل (في تاريخ كمبردج لايران، جـ ٥/ ص: ٣٤٩) أن الذي ذهب هو الأتابك نفسه «ابو بكر» وليس ابنه .

(٣) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة ، ، ص.ص: ٩٨ ـ ٩٩ .

الخضوع لهم ، بارسال الضرائب المفروضة عليه كل سنة ؛ ثم المشاركة في حملاتهم وغاراتهم العسكرية، التي كانوا يقومون بها ضد أعدائهم . كان بدر الدين لؤلؤ مسؤولاً مباشرة أمام الحاكم العسكري المغولي، في المنطقة، (من حيث الناحية العسكرية وأدائه واجباته من هذه الناحية) «تشرماغون» ومن بعده «بايجو»[1] .

كان بدر الدين يشارك أيضاً في الاحتفالات الرسمية التي كانت تقام في كل مناسبة في العاصمة المغولية «قرا - قروم»، عن طريق ممثليه الخاصين ، الذين كان ينتدبهم للقيام بهذه المهمة ، نيابة عنه . وفي هذا الشأن يتكلم الجويني عن ممثلين خاصين أرسلهم «السلطان بدر الدين لؤلؤ» على حد تعبير المؤرخ ، الى بلاط الخان المغولي «كويوك خان»، ليشارك في الاحتفالات الرسمية التي أقيمت هناك بمناسبة، تتويج هذا الخان على عرش المغول[2].

ظل بدر الدين على ولائه المخلص للسلطات المغولية، كواحد من حكامهم المسلمين في هاتيك الربوع . وعندما قدم هولاكو خان على رأس الجيش المغولي الجرار ، ضد الأقطار الغربية الاسلامية، قام حاكم الموصل بأداء ما تحتمه عليه التبعية المغولية، وذلك بالاشتراك معهم في حملتهم تلك ؛ فأرسل من يمثله لاستقبال الأمير المغولي عندما وصل الى أراضي ما وراء النهر ، للترحيب به ، والقيام بتنفيذ ما قد يأمره به هذا القائد .

كان من جملة أوامر هولاكو، التي طلب من بدر الدين القيام بها، هو المشاركة الفعالة في حملة المغول تلك؛ فأرسل كتيبة عسكرية كاملة ، إنضمت تحت القيادة العامة للمغول، وهاجمت أراضي العراق وسكانها المسلمين، وشاركت في الاطاحة بالاسرة العباسية ، وخلافتها في بغداد ؛ كما شارك الجيش الموصلي المسلم مع المغول في ارتكاب الجرائم من قتل ، وسلب ، ونهب ارتكبوه في حق المسلمين في العراق عامة ، وبغداد خاصة .

---

(١) الجويني، جهانكشاي، جـ ٣/ ص: ٧٤ ، الترجمة الانجليزية، جـ ٢/ ص: ٥٩٧ .

(٢) الجويني، جهانكشاي، جـ ١/ ص: ٢٠٥ ، الترجمة الانجليزية، جـ ١/ص: ٢٥٠ ، أنظر أيضاً، رشيد الدين جامع التواريخ ، جـ ١/ ص: ٥٧٠ .

كانت القوات الموصلية، المشاركة في حملة هولاكو، تحت قيادة الملك الصالح ، ابن حاكم الموصل نفسه ؛ حيث كان، كقائد لكتيبته المشاركة ، ضمن جيش الميمنة المغولي الزاحف، والذي كان تحت قيادة قائدها العام «بايجونويان». كما زود حاكم الموصل القوات المغولية الزاحفة نحو أراضي العراق بقوارب ، وقناطر عائمة ، وسعديات نهرية ، سهلت عبور قوات «بايجونويان» على نهر دجلة ، دون أن تلاقي عناء ، بالقرب من مدينة «تكريت»، كما قام بدر الدين بتقديم معدات عسكرية للعدو ، كما مدهم باحتياجاتهم، من مؤن غذائية، وغيرها[1].

عندما ذهب المغول، لأخذ اربل، شارك حاكم الموصل، بقوات خاصة من عنده، في حملتهم تلك ؛ مشاركة فعالة ؛ وعندما أخفق المغول في اقتحام المدينة، وقلعتها طلب منهم أن يقوم هو نفسه، بتحمل مسؤولية، وأعباء ذلك العمل، وأنهاء أمر أخذ اربل ، نيابة عنهم[2].

تقول الروايات بأنه عندما انتهى هولاكو من أمر بغداد، واسقاط خلافتها العباسية، ورجع من مهمته العسكرية تلك عاد باتجاه «آذربيجان»؛ وفي أثناء عودته قدم بدر الدين لؤلؤ ، لمقابلة القائد المغولي؛ وحضر شخصياً عنده ، رغم سنه المتقدم جداً ـ إذ كان يبلغ من العمر أكثر من تسعين سنة . وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر رجب عام ٦٥٦ هـ/ ١٢ يوليو ١٢٥٨م، تمت المقابلة بينهما، حيث قدم حاكم الموصل تهانئه الشخصية ـ كما يبدو لنا ـ للقائد المغولي، على ذلك النجاح الذي لاقته قواته في عملياتها العسكرية ضد أراضي العراق عامة ، وبغداد بوجه خاص ، ومن ثم نجاحه في الاطاحة بالمستعصم ، آخر خلفاء الأسرة العباسية[3].

---

(١) الجوزجاني ، طبقات ناصري ، جـ ٢/ ص: ١٩٤، الترجمة الانجليزية، جـ ٢/ص: ١٢٣٧ ؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان ، جـ ١/ ص: ٨٧.

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ ، جـ ٢/ ص: ٧١٦ ، الترجمة العربية، جـ ٢/ ص.ص: ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

(٣) المرجع السابق ، ٢/ ص: ٧١٧، الترجمة العربية ، جـ ٢/ ص: ٣٠١.

ثم يذهب بعض مؤرخينا ـ كالجوزجاني ، مثلاً ـ فيتهمون حاكم الموصل بأنه كان وراء مقتل الخليفة على أيدي المغول . إذ يقول الجوزجاني ، على سبيل المثال بأن : «. . . ، ملك الموصل، بدر الدين ـ لؤلؤ ، لعنة الله عليه. . .» كان واحداً من الكفار (وقد عني الجوزجاني بكلمةالكفار هذه؛ أولئك المسلمين أتباع المغول، والذين كانوا يرافقون هولاكو) الذين حرضوا هولاكو على قتل الخليفة[1].

٤ ـ السلاطين السلاجقة في آسيا الصغرى وخضوعهم للمغول

من التقارير التاريخية، التي بين أيدينا ، يظهر لنا ، أن حكومة السلاطين السلاجقة ـ في اقليم آسيا الصغرى (أو الروم كما كان يعرف) كانوا من جملة المسلمين الذين شاركوا ، بطريق، أو بأخرى، في حملة وهجوم المغول الذي قاده هولاكو ضد أراضي العراق ، والأطاحة بالمستعصم، وتدمير خلافته العباسية .

عندما نرجع الى الوراء بحوالي ربع قرن من الزمن، نجد أن هذا القطر الاسلامي ، كان قد خضع ، وإن كان ذلك الخضوع نظرياً أكثر منه عملياً ، تحت نفوذ السلطات المغولية، منذ سنة ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م. ويتمثل بداية دخول السلاطين السلاجقة في طاعة الخان المغولي في قلب منغوليا، عندما أرسل السلطان علاء الدين كيقباذ (٦١٦ ـ ٦٣٤ هـ/ ١٢١٩ ـ ١٢٣٦م) رسوله الخاص الى «القاآن» المغولي «أكتاي» وأعلن دخوله في طاعته[2].

كان السلطان السلجوقي ـ على ما يبدو ـ من المشاركين في الاحتفالات المغولية، التي كانت تقام في «قرا ـ قروم» لتتويج الخان المغولي؛ وكان هذا

---

(١) الجوزجاني، طبقات ناصري ، جـ ٢/ ص.ص: ١٨٨، الترجمة الانجليزية، ص: ١٢٥٢.

(٢) لمعلومات أكثر ، أنظر : ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول، ص: ٢٤٩ ، أنظر أيضاً : س. كهن، ما قبل الدولة العثمانية التركية، دراسة عامة في تاريخ ومادة الروح الحضارية، ١٠٧١ ـ ١٣٣٠م، وقد ترجمه من الفرنسية ج. جونز وليمز ، لندن ، ١٩٦٨م ، ص: ١٣٣.

السلطان السلجوقي مثله في هذا الشأن مثل غيره من الحكام المسلمين ، بما فيهم الخليفة في بغداد نفسه ـ كما سبق وناقشنا ذلك في فصل سابق ، من هذا الكتاب.

في سنة ٦٤٠ هـ/ ١٢٤٢م، نجد أن السلطات المغولية تقرر بأن تخضع ذلك القطر الاسلامي تحت نفوذها المباشر، وأن تطلب ذلك استعمال القوة ، وذلك في سبيل مد حدود أراضيها، من الناحية الجنوبية الغربية لامبراطوريتها . فأمرت قائدها ، وحاكمها على تلك الأصقاع العسكري ، «بايجونويان» أن يقوم بتلك المهمة . لذلك نجد أن أراضي السلاطين السلاجقة أنضوت تحت ادارة حكومة الخان في «قرا ـ قروم» بالقوة، بعد معركة «كوسه ـ داغ»، والتي جرت في أول سنة ٦٤١ هـ/١٢٤٣م، بين السلطان السلجوقي، غياث الدين كيخسرو الثاني (٦٣٤ ـ ٦٤٣ هـ/ ١٢٣٦ ـ ١٢٤٥م) وبين قائد وحاكم المغول العسكري في المنطقة «بايجونويان».

كان اخضاع هذا القطر الاسلامي ، تحت نفوذ المغول المباشر، في فترة وصاية «تركينا خاتون»،زوجة القاآن المتوفى «أكتاي»،عندماسار قائدها العسكري ضد سلاجقة اسيا الصغرى . وكان «بايجونويان» ـ كما قلنا ـ هو ذلك الحاكم والقائد العسكري في هاتيك الأراضي ، وقد خلف سلفه «تشرماغون» في هذه المهمة في نفس ذلك العام الذي ضم هذا الاقليم الى أراضي الدولة المغولية (أي في سنة ٦٤٠ ـ ٦٤١ هـ/١٢٤٢ ـ ١٢٤٣م) .

يظهر لنا، أن المؤرخ الفارسي لسلاطين السلاجقة في آسيا الصغرى ، «ابن بي بي» قد يكون أفضل من يقدم لنا تقريراً وافياً ، الى حد كبير ـ مقارنة مع غيره من المؤرخين ـ عن هذا الشأن ، وكيفية خضوع السلاطين السلاجقة لحكم المغول (وعن عمليات القوات المغولية وحلفائها ، من مسلمين ومسيحيين) بعد معركة «كوسه ـ داغ»[1].

يحدثنا ابن بي بي ، فيما يتعلق بهذه المعركة فيقول بأن «بايجو قرتشي» كما

---

(١) ابن بي بي ، اخبار سلاجقة الروم ، ص.ص: ٢٣٤ ـ ٢٥٠ . حيث تقع تفاصيل عمليات هجوم المغول وحلفائهم ضد آسيا الصغرى .

يسميه المؤرخ، سار بقواته البالغ عددها ثلاثين ألف رجل، باتجاه «أرزروم»، وضرب حصاره عليها. وهنا تواطأ شخص اسمه «دوني» مع المغول لتسليم المدينة اليهم، حيث أرسل رسالة الى قائد القوات المهاجمة العام «بايجو نويان» المغولي، وحصل منه على ضمانات لحياته ولحياة أتباعه، وفي مقابل ذلك، وعد المغول بكسر أقفال البوابات الرئيسية للمدينة، أثناء الليل، دون علم اهلها، ليتمكن العدو من دخول البلد بسهولة. وبهذا استطاع الحلفاء المهاجمون أن تتغلب قواتهم على المدافعين بسرعة، وأن يدخلوا «أرزروم» ويحتلوها؛ وذلك في آخر سنة ٦٤٠ هـ/ وأوائل عام ١٢٤٣م. وتضيف رواية «ابن بي بي»، في هذا الشأن، أن أهالي المدينة تعرضوا للمذابح، وللنهب، وللسلب على أيدي القوات المتحالفة المهاجمة. وكان ممن قتل «سنان الدين ياقوت» الحاكم العسكري، والقائد لمدينة «أرزروم»، بعد أن أخذ ابنه وقتل أمامه[١].

بعد أن جاءت الأخبار الى السلطان غياث الدين، بسقوط «أرزروم» في أيدي المغول، قام باستدعاء الجيش، ووزع المال، والسلاح، ونادى في الناس للاشتراك في الدفاع عن الوطن، ضد العدوان الخارجي. كما أرسل الى الحكام الأيوبيين، في الشام والجزيرة، وخاصة شهاب الدين غازي، يتوسل اليهم، لمد يد المساعدة اليه، ضد المغول. لم نعثر على معلومات تشير الى أن الأيوبيين استجابوا لنداءات جارهم المسلم، غياث الدين السلجوقي.

تقول رواية مؤرخنا، «ابن بي بي»، الذي اعتمدنا على المعلومات التي أوردها لنا عن هذا الموضوع، أن السلطان قد نصحه مستشاروه بالا يسير ضد العدو؛ وأن يظل في «سيواس» حتى تصله قوات أخرى اضافية. الا أنه تجاهل هذا الرأي، وأعرض عنه، فقرر التوجه ضد القوات الغازية التي كانت في طريقها اليه. وقد اغتر السلطان بما كان عنده من الجنود، والعدة والعتاد (حيث قدرت قواته بحوالي ثمانين ألف فارس) والتي تبدو لنا مبالغ فيها كثيراً).

---

(١) المرجع السابق، ص.ص: ٢٣٤ - ٢٣٥.

سارت الجيوش السلجوقية في طريقها الى «كوسه ـ داغ» الواقعة بين «سيواس» ومدينة «آرزنجان».

أما ما يتعلق بالجيوش الغازية، والتي كانت قد تعمقت في داخل الأراضي السلجوقية، فتقول الرواية بأن «بايجونويان» سار باتجاه قوات خصمه، بجيش، وصفه لنا المؤرخ «ابن بي بي»، بأنه : «يفوق (في عدده) النمل والجراد». لم يكن المغول، وكما سبقت الاشارة الى هذا، وحدهم في هذا الهجوم العام ضد آسيا الصغرى، بل كانت هناك جيوش اسلامية، وغير اسلامية، مشاركة في الهجوم على آسيا الصغرى. إذ أن الحكام المسلمين في خراسان، والعراق العجمي، واقليم فارس، وكرمان (ولانستبعد، بأي حال من الأحوال، أن يكون حاكم الموصل ـ بدر الدين لؤلؤ ممن شارك في هذا الغزو المغولي ضد سلاجقة الروم، بقوات من عنده) قد ساهموا بكتائب خاصة، اشتركت تحت راية «بايجونويان» في محاولة ضم أراضي السلاطين السلاجقة[1].

أما الفئات غير الاسلامية (هذا بطبيعة الحال غير المغول)، فيحدثنا المؤرخ الأرمني «كريكور الاكنكي» أن كتائب عسكرية أرمينية، وأخرى «جرجانية» (أي من بلاد الكرخ ـ كما تسميها مراجعنا الاسلامية) كانت قد انضمت الى قوات «بايجونويان»، وشاركت في حملته العسكرية تلك، ضد الأراضي السلجوقية هناك. ويضيف هذا المؤرخ، أن تلك القوات، التي ساهمت بها الحكومات «الأرمينية والجرجانية»، كانت هي التي حازت قصب السبق في قتال جيش المسلمين السلاجقة، وجعلت «بايجونويان» يحرز ذلك النصر الساحق في «كوسه ـ داغ»[2].

جرت هذه المعركة في شهر محرم، من سنة ٦٤١ هـ/ يونيه، من عام ١٢٤٣ م، فتمكن «بايجو» بقواته المغولية، والاسلامية، والكرجية، والارمينية،

---

(١) المرجع نفسه، ص: ٢٣٧.

(٢) كريكور الاكنكي: تاريخ الأمة ذات الأقواس (المنول) الترجمة الانجليزية، ص: ٤٤. لمعلومات تفصيلية أكثر، أنظر ابن بي بي، اخبار سلاجقة الروم، ص.ص: ٢٣٩ ـ ٢٤٠ ؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص: ٢٥٢.

أن يحرز نصراً مؤزراً على قوات السلطان السلجوقي؛، وأن يهزم غياث الدين ، ذلك السلطان الصغير السن ، والذي كان قليل الخبرة بشؤون القتال. ويحدثنا الراهب القس «وليم الربركي» عن هذه الموقعة، فيقول بأن سلطان الروم قابل «باجو نويان» ومعه من القوات ما يبلغ - على حد تعبير الراهب - زهاء مائتي ألف فارس ؛ بينما لم يكن مع «بايجونويان» سوى عشرة آلاف رجل (لا شك في أن هذا الراهب كان مبالغاً الى حد كبير ، في هذه الناحية بالذات) . وتظهر هذه المبالغة التحاملية ، من رواية الراهب ، عندما يضيف قائلاً، في روايته حول هذه المعركة : « . . . ، **وعلى امتداد أرض مستوية، حيث دارت المعركة رحاها أو بالأحرى، حيث كانت الهزيمة المنكرة، تكونت بحيرة عظيمة من جراء انفجار بركان هائل؛ ففكرت ملياً في ذات نفسي، بأن تكون كل تلك الأرض قد فتحت فاها لتبتلع دماء جميع المسلمين»**[١].

لقد كان من نتائج معركة «كوسه - داغ» أن سقطت الأراضي السلجوقية في بلاد الروم ؛ مدينة بعد مدينة ، في أيدي المغول، وحلفائهم. إذ نجد أن مدينة «سيوس» تعلن الاستسلام للمغول عن طواعية، واختيار ، فدخلها «بايجو» بصورة سلمية ؛ وقد قام بالتفاوض معه ، في هذا الخصوص، قاضيها نجم الدين قير - ي - شهرى؛ ثم تبعتها مدينة «آرزنجان» (والتي يسميها «كَريكَور الاكنكي» ارزنكاين) . بعد ذلك ، سارت القوات الغازية الى مدينة «قيسارية»؛ فضربت حولها الحصار. وبعد خمسة عشر يوماً من القتال ، لم تستطع قوات «بايجو» اقتحامها ؛ لذلك شرعت العناصر غير الاسلامية، في داخل المدينة مرة أخرى ، تتآمر مع العدو. فكما كسرت فئة من تلك العناصر اقفال بوابات مدينة «ارزروم»، قامت أختها في مدينة «قيسارية» بنفس العمل، حيث كسرت أقفال البوابات ، وفتحت المدينة ، التي اندفع المحاصرون منها ، وكأنهم سيل جارف. وهكذا أخذت المدينة، فجرى عليها وعلى أهلها ما سبق

---

(١) القس وليم الربركي ، رحلته الى منغوليا، تحقيق: دوسون ، ص: ٢١٧ . انظر ايضاً : كَريكَوري الاكنكي ، تاريخ الأمة ذات الأقواس (المغول) ، ص: ٤١ ؛ حدد عدد قوات جيش السلطان غياث الدين، بحوالي مائة وستين ألف رجل .

وجرى على مدينة وسكان «ارزروم»[1].

نظراً لما وصلت، أحوال وشؤون الدولة السلجوقية ، اليه من انهيار ، ينذر بالدمار الشامل، كما رآها ذوو الشأن فيها ، تقول الرواية أن الوزير «الصاحب مهذب الدين»، ارتأ أنه لا بد من ايجاد حل لهذا الغزو المدمر . لذلك ، فقد أرسل الى قاضي مدينة «أماسية» «هو «فخر الدين البخاري» . للتشاور معه ، في هذا الخصوص، وعن أفضل وسيلة يجب اتباعها، لانقاذ ما تبقى من الأراضي من تدمير ونهب ، على أيدي القوات الغازية ، فاتفق الرجلان، على أن يذهبا الى «بايجونويان» للتفاوض بشأن التوصل الى حل سلمي. كان «بايجونويان» آنذاك يقيم في مقره الاداري العسكري الواقع على حدود «آرزنجان»، ربما كان ذلك في مكان اسمه «موغان» يقع الى الشمال الشرقي من «آرزنجان». ذهب الوزير والقاضي اليه، ومعهما هدايا، وتحف مختلفة، تليق به ، وبقادة وكبار الضباط من رجال جيشه .

توصل الطرفان إلى اتفاق بينهما ؛ ويقضي ذلك الاتفاق على أن تخضع السلطنة السلجوقية تحت الحكم المغولي المباشر، على أن يظل الحاكم عليها السلطان نفسه، نيابة عن الخان في «قرا - قروم»، كواحد من أتباع المغول الآخرين . كما تنص الاتفاقية على أن يدفع السلطان السلجوقي، الى الخزينة المغولية ، ضريبة، سنوية؛ على أن تشمل مبلغاً من المال ذهباً نقداً ، بالاضافة الى أشياء عينية، تتمثل في أعداد من الحيوانات من الخيول، والأفراس، والبغال، والأبقار، والأغنام[2].

وعلى حد وجهة نظر «ابن بي بي»- والتي أيدها في ذلك، وشاطره نفس الفكرة ، الأستاذ المستشرق /س . كُهِنْ - يفهم أن هذه المبادرة السليمة ، في التفاوض مع «بايجونويان»، كانت قد تبناها أصلاً كل من الوزير وقاضي مدينة

---

(١) كريكوي الاكنكي الأمة ذات الأقواس (المغول) ص.ص: ٤٣ - ٤٥ ؛ ابن بي بي اخبار سلاجقة الروم ، ص.ص: ٢٤١ - ٢٤٢ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص: ٢٥٢ .

(٢) ابن بي بي ، تاريخ سلاجقة الروم ، ص.ص: ٢٤٣ - ٢٤٤ ؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص: ٢٥٢ .

«أماسية» بصفة مستقلة، ودون أخذ رأي السلطان[1].

الا أنه مع ذلك، يبدو للمرء، من قراءة النصوص التي أوردها المؤرخ، ومن كيفية سير المحادثات السلمية، أن ذلك الموظفين الكبيرين كانا قد أرسلهما أصلاً السلطان السلجوقي نفسه، ليقوما بمهمة التفاوض مع القائد المغولي، والتوصل الى شروط سلمية معينة، نيابة عنه. لذلك نجد أنه، بعد عودتهما الى السلطان، يوافق على كل ما ورد في بنود تلك الاتفاقية، التي جرت مع «بايجونويان»[2].

وهكذا، انضم قطر اسلامي آخر تحت نفوذ السلطات المغولية في «قرا - قروم». ونتيجة لذلك. نجد أن أراضي الخليفة في بغداد قد طوقها العدو من الناحية الشمالية والشمالية الغربية، يقوم على تنفيذ أوامر وحكم المغول عليها نواب وحكام مسلمون. وعلى هذا الأساس نجد أن أراضي الدولة العباسية، بنظرة خاطفة الى خارطة المنطقة، تحدها ممتلكات الدولة المغولية من جميع جهاتها، تقريباً، ما عدا من الجهة الغربية، اذاً فإن مسألة بغداد، وخضوع أراضي الخلافة النهائي، تحت سلطة المغول لم يكن الا تحصيل حاصل. وانه لا محالة واقع.

عندما أمر هولاكو خان قائد المغول العسكري «بايجونويان» بأن يسير من تلك الأراضي، كقائد لقوات الميمنة، أثناء زحف المغول على أراضي الدولة العباسية في سنة ٦٥٥ هـ/ ١٢٥٧م، قام بتعبئة قوات خاصة من السكان القاطنين في أراضي السلطان، ركن الدين قيليج إرسلان الرابع في آسيا الصغرى السلجوقية؛ هذا إذا لم يكن من بين جند السلطان نفسه، وذلك طبقاً لأوامر «القاان منكو». لأن «القس وليم الراهب»، في هذا الوقت بالذات، كان ما يزال في «قرا- قروم» أثناء أداء المهمة التي انتدبه ملك فرنسا «لويس التاسع»

(١) س. كُهِنْ، ماقبل تاريخ الدولة العثمانية التركية، الترجمة الانجليزية، ص: ٢٦٩.

(٢) ابن بي بي، تاريخ سلاجقة الروم.. ص: ٢٩٧؛ جرن بلانوكربيني: تاريخ المغول، تحقيق د. دوسون، ص: ٣٢.

القيام بها الى «البلاط القاآني»، أيام «منكّو قاآن». يقول «وليم» في رحلته (عندما قام هولاكو خان بقيادة حملته ضد الأقطار الاسلامية في جنوب غرب قارة آسيا) رواية واضحة، يستدل منها على أن السلطان السلجوقي كان قد شارك، في حملة المغول تلك، بقوات من جيشه. وحول هذه المسألة، يقول الراهب بأنه شاهد الرسل الذين أوفدهم: «.... سلطان تركيا، وقد جلبوا معهم هدايا باهظة الثمن للخان (وهو هنا يعني «منكّو قاآن»)، ألا أنه أجابهم، وهكذا سمعت، بأنه لم يكن في حاجة لا الى ذهب ولا الى فضة، ولكنه يحتاج الى الرجال، وقد عني بذلك أنه أراد منهم (من سلطان سلاجقة الروم) أن يزودوه بجيش..»[1]. لذلك، فإن الجيش، الذي كان قد طالب به «القاآن»، لا بد وأنه كان جزءً من القوات المغولية الزاحفة، ضد الخليفة، ومواطني دولته المسلمين؛ حيث يبدو لنا أنه كان من جملة جيوش الميمنة، والتي كانت بقيادة «بايجونويان». وكان ممن شارك فيه أيضاً، كما ذكرنا، حاكم الموصل ـ بدر الدين لؤلؤ ـ بقيادة ابنه الملك الصالح.

كان التنافس، بين الأمراء والسلاطين السلاجقة في آسيا الصغرى، على أشده، في تقديم الخضوع والطاعة للخان المغولي. فقد كان خلفاء السلطان غياث الدين كيخسرو الثاني، وهم عز الدين كيكاووس الثاني، وركن الدين قيليج ارسلان الرابع، يتنافسان حتى في الخنوع الذليل للمغول؛ وسلكا سبلاً شتى في اذلال النفس لتقديم فروض الطاعة المطلقة أمام السلطات المغولية، ليحوزا على رضائها. فقد ذهب ركن الدين شخصياً الى منغوليا، وكان من جملة الحكام الذين حضروا في بلاط الخان «كويوك» للتعبير عن ولائهم، ووفائهم، والاخلاص المطلق لذلك الخان في منغوليا[2].

عندما وصل هولاكو خان الى اقليم ما وراء النهر، وهو في طريق تنفيذ حملته ضد طائفة الاسماعيليين في ايران، والخليفة في العراق، وأراضي الشام

---

(١) الراهب وليم الروبركي، رحلته الى منغوليا، تحقيق دوسون، ص: ٢٠٢.

(٢) الجويني، جهانكشاي، جـ ١/ ص: ٢٠٥، الترجمة الانجليزية، جـ ١/ص: ٢٥٠.

ومصر، ذهب ذلك المتنافسان السلجوقيان «عز الدين وركن الدين» وحضرا عنده للتعبير له عن وفائهما؛ وكل واحد منهما يمعن في التذلل، وأنه على أتم استعداد لتقديم خدمات للمغول أفضل مما يقدمه خصمه، لعله يحظ برضى الأمير القائد[1].

بعد أن سقطت بغداد، وتم القضاء على خليفتها، المستعصم، وعاد هولاكو خان الى مكان يسمى بـ «مونيق» وهو ضاحية من ضواحي مدينة «تبريز» في «آذربيجان»، قام بزيارته هناك ذلك السلطانان السلجوقيان. وكانت طريقتهما، في تقديم فروض الطاعة، غاية في الخنوع والذلة، وخاصة من جانب عز الدين كيكاووس الثاني. إذ يروى أنه أمر بصنع حذاء في غاية الجودة والاحكام، ونقش عليه صورته الشخصية، وقام بتقديمه الى هولاكو، وتوسل اليه أن يشرفه بأن يطأ بقدميه على صورته المنقوشة في الحذاء[2].

أمر القائد المغولي، كلاً من عز الدين وركن الدين، بأن يلعب كل منهما دوراً أكثر فعالية، وأن يقدما مساعدة أكبر من ذي قبل، في حروب المغول في المستقبل، والمزمع القيام بها ضد أراضي الشام ومصر. وهنا يحدثنا «ابن بي بي» أن كل واحد من ذلك الرجلين المتنافسين، دفع أموالاً ذهباً (من خزينتهما الخاصة) من أجل حملة المغول المخطط القيام بها ضد تلك الأقطار الاسلامية المذكورة[3].

٥ ـ بعض المشاركين الآخرين، فرادى وجماعات

يبدو لنا، أنه لم يكن هؤلاء الحكام المسلمون هم الوحيدين الذين شاركوا مشاركة فعالة ـ بالشكل الذي رأيناه ـ في حملة المغول ضد مسلمي

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ ٢/ ص: ٦٨٨.

(٢) المرجع السابق، جـ ٢/ ص: ٧١٧، الترجمة العربية، ج ٢/ ص: ٣٠١.

(٣) ابن ابي بي، أخبار سلاجقة الروم، ص: ٢٩٤.

العراق ، والجزيرة والشام وفلسطين، بل كان هناك مسلمون آخرون ، فرادي وجماعات ، من الأقطار الاسلامية ، التي تمتد من شرق حدود أراضي الخلافة في العراق الى أقصى الحدود الشرقية من اقليم التركستان. ويظهر لنا أن أولئك المسلمين كان قد جندهم الحكام المغول على هاتيك الأقطار، وعلى رأس هؤلاء الحكام ، أو النواب الممثلين للسلطة المغولية، «مسعود يلواتش»(حاكم اقليم التركستان وأراضي ما وراء النهر) ، و « ارغون آقا» (حاكم المغول على اقليم ايران) . وقد جند هؤلاء الحكام أعداداً كبيرة جداً من المسلمين لينضموا، مع القوات الغازية، تحت لواء هولاكو خان . بناءً على ذلك ، نجد أن أعداداً هائلة، من المسلمين، التحقت بحملة المغول الغربية ، تحت رئاسة القادة الكبار من العسكريين المغول مثل «كدبوقانويان» و «بايجونويان».

كان الفيلسوف المسلم الخواجة نصير الدين الطوسي ، والمؤرخ الكبير علاء الدين عطا ملك الجويني، والمنجم حسام الدين (ثلاثة أعلام اسلامية) يتصدرون قائمة ذلك العدد الضخم من المسلمين، الذين انضووا تحت خدمة المغول، ومن المشاركين في حملة المغول وأعوانهم من المسلمين، والكرج «الجرجانيين» و «الأرمينيين»، ضد الدولة العباسية، والأقطار الاسلامية في جنوب غرب آسيا .

بناءً على ما تقدم ، فاننا نختتم هذا الكتاب بكلمة قصيرة، وهي أنه من الخطأ أن نقول بأن سقوط بغداد ، ونهاية الدولة العباسية ، كان قد قام به المغول فقط ، إذ أنه لولا تعاون، ومشاركة أولئك المسلمين في الاطاحة بحكومة العباسيين، لوجد المغول من الصعب جداً أن يحققوا ما حققوه في حملتهم تلك ، ولربما أخذت مجريات الأحداث التاريخية سبيلاً غير السبيل الذي نعرفه .

خاتمة الكتاب

«الخاتمة»

قسم المصادر والمراجع

أ- أسماء المصادر والمراجع باللغة العربية

ب- أسماء المصادر والمراجع باللغة الإنجليزية

«الخاتمة»

بعد أن انتهينا من هذا القسم من الدراسة (والتي القينا فيها الضوء على كيفية تأسيس الامبراطورية المغولية وكيف استطاع جنكيز خان أن يتغلب على القوى التي جابهت قيام هذه الامبراطورية، وظروف وملابسات غزو المغول للعالم الاسلامي وخضوع الأجزاء الشرقية والوسطية منه تحت حكم هذه الدولة، والتي تحكم من قلب منغوليا) وجدت أن أختتم هذه الدراسة بالاشارة الى الملامح البارزة، التي ربما كانت أهم نتائج هذا الجهد. ولعل أهم تلك الملامح يتلخص في النقاط التالية:

* كانت شبكة المغول الجاسوسية محكمة التنظيم؛ فقد كان عملاؤهم، القائمون بهذا النوع من الخدمات، غالباً ما يندسون بين القوافل التجارية، ويتزيون بزي أصحابها؛ وذلك للقيام بهذه المهام. كان جنكيز خان، وخلفاؤه من بعده، يختارون رجالاً من ذوي الخبرة بمداخل ومخارج الأقطار التي يريدون غزوها؛ وممن لهم باع طويل في السفر والترحال. وقد عرف المغول أن هذه الفصيلة من الرجال، هم أخبر الناس بالطرق؛ وبمداخل الجبال والشعاب، والوديان؛ وبمعابر الأنهار، وبمختصر الطرق. كان المسلمون، في ذلك الوقت، هم أصحاب هذه المؤهلات العالية، فقد كان لهم الباع الطويل في السفر والترحال؛ فكانوا بذلك أخبر الأمم في هذا المجال التخصصي الهام. لذلك، فلا غرابة أن نجد أن جنكيز خان قد اعتمد على هذه النوعية من الرجال، فجندهم لخدمة أغراضه، العسكرية بالدرجة الأولى.

بناءً على ذلك ، فقد كانت المعلومات السرية ، التي تلقاها قادة المغول من جواسيسهم ، ومن عملائهم ـ الذين كانوا غالباً من التجار ـ من أهم الأسباب الكامنة وراء ذلك النجاح المنقطع النظير ، الذي صادف القوات المغولية ، خلال فتوحاتهم السريعة المذهلة ، طوال القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي .

* كان قد تكوّن من التجار المسلمين (أمثال جعفر خواجة ، وحسن السقناقي ، ودانشمند حاجب) شبكة جاسوسية مكثفة ، وعلى نطاق واسع ؛ قامت بتزويد جنكيز خان بمعلومات سرية ، لا تقدر بثمن ، وغاية في الدقة . فقد خدمت الخان المغولي في تخطيط وتنفيذ حملته العسكرية ، التي قام بها ضد السلطان محمد ، بطريقة ألمعية ؛ سارت القوات المغولية على هداها ، كما تسير عقارب الساعة الآلية .

لذلك ، نجد أن المسلمين ، حكاماً وشعوباً ، أفراداً وجماعات ـ من أقاليم شرقنا الاسلامي عامة ، والتركستان وما وراء النهر خاصة ، قد لعبوا دوراً بارزاً ، وفعالاً في بناء امبراطورية جنكيز خان ، وفي هجوم المغول المدمر ضد الأقطار الاسلامية الشرقية ، أراضي الدولة الخوارزمية .

* لم يكن للخليفة الناصر العباسي أية علاقة ، على الاطلاق ، في الحروب التي وقعت بين السلطان محمد و«كورخان ـ حاكم القراخطائيين» ، في «بلاساغون» ؛ كما لم يكن له أية صلة في الحرب التي خاضها «كوتشلوك خان النيماني» ضد السلطان محمد ؛ كما أنه من الخطأ الكبير جداً القول بأن الناصر كان قد حث المغول على مهاجمة اراضي الدولة الخوارزمية ؛ أو أنه كانت له علاقة ، بأي شكل كان أو اتصال على أي صعيد ، مع جنكيز خان ، كما تردد

كثيراً في مراجعنا الاسلامية (عربية وفارسية) وفي مؤلفات العديد من المؤرخين المسلمين حديثاً ، الذين سلكوا في هذا الشأن ، ما سبقهم اليه المستشرقون ممن كتب في هذا الموضوع .

* ان ذلك الادعاء المزعوم (الذي تردد في الأوساط الأوروبية المسيحية - حول دور البطريارق (أو الجاثليق) المسيحي النسطوري في بغداد؛ الذي يُدَّعى فيه بأن هذا الرجل المسيحي كان قد قام مع الخليفة الناصر بتوجيه دعوة مشتركة لجنكيز خان بأن يغزو أراضي الدولة الخوارزم شاهية، وأن يدمر السلطان محمد) لم يكن له أي أساس من الصحة ، فهو ادعاء أسطوري ؛ ولا يمت الى التاريخ بأية صلة ، ولا تؤيده حقيقة تاريخية ثابتة .

* كانت الخلافة العباسية المتداعية؛ في العراق، تعاني من مصاعب شتى ، ومشاكل عديدة، كانت من الأسباب التي أدت الى ضعفها، ثم نهايتها . ولعل أهم ما كانت تلك الدولة المريضة تعاني منه : -

أ - ذلك الصراع الداخلي الدامي بين أعضاء مجتمعها الاسلامي ، لأسباب مذهبية مقيتة ، وخاصة بين المسلمين بمذاهبهم المختلفة عامة ، وبين أصحاب المذهبين السني والشيعي خاصة ؛ ذلك الصراع الذي لم يستفد منه الا عدوهم ، الذي كان يتربص بهم . فجاء وقضى على الجميع ودمرهم .

ب - ذلك الشلل الكامل الذي أصاب الجهاز الاداري، بسبب النزاع والتخاصم الدائمين ، بين كبار أعضاء موظفي بلاط الدولة العباسية ؛ حيث لم يكن هَمُّ كل فرد منهم الا معارضة وتحدي زميله الآخر ، والصاق التهم به ، لمجرد العداء والتنافس المذهبي البغيض .

جـ ـ افتقار حكومة بغداد الى وجود جيش نظامي ؛ فقد كان مماليك الخلفاء الأتراك هم تقريباً كل ما كانت الخلافة العباسية تملكه ، من قوة في هذه الفترة .

أما ما يتعلق بمسألة ما يسمى بـ «مائة وعشرون ألف ـ أو مائة ألف رجل» والذي يزعم بأن الخليفة المستنصر كان قد جيشهم في قوات جيشه المسلحة ، فانها لا تخرج ـ على الاطلاق ـ عن كونها أسطورة خرافية، مختلقة .

د ـ ما كان عليه الخلفاء من ضعف، يتلاعب بهم مماليكهم ، الذين كانوا يتحكمون في شؤونهم الخاصة ،ويسيطرون على مجريات الأحداث، وفي كيفية سير الدولة الاداري . فقد كانوا في الحقيقة هم الحكام الفعليين للخلافة العباسية ؛ لأنهم هم الذين يقومون باختيارهم؛ وتنصيبهم على عرش الخلافة في بغداد، ليصبحوا لُعَباً ، كالدمى ، في أيديهم .

بناءً على تلك الحقائق الثابتة ، فاننا عندما نقيس مدى النجاح الذي صادف القوات الغازية (مغولية وغيرها) ضد الدولة العباسية، نجد أن هذه المشاكل ، التي كانت تواجه خلافة بغداد، قد ساعدت الغزاة في كل حركة قاموا بها ضد هذه الدولة المتداعية .

* لم تكن حملة المغول العسكرية الغربية ، التي قام بقيادتها هولاكو خان «سواء ضد الاسماعيليين في ايران، أو ضد الخليفة العباسي في العراق، أو ضد الأقطار الاسلامية في جنوب غرب قارة آسيا عامة» استجابة لتحريض محرض ، أو دعوة داع ، بأي حال من الأحوال . فانها في الواقع ، كانت تنفيذاً لجزء من المخطط العام لسياسة المغول العسكرية التوسعية المرسومة ؛ والتي كانت السلطات في «قرا ـ قروم» قد اختطتها لنفسها من أيام جنكيز خان مؤسس تلك الامبراطورية العظيمة . إذ أننا نجد أنه في الوقت الذي أُمِرَ فيه هولاكو بأن يقوم على رأس تلك الحملة العسكرية ضد الأقطار الغربية ، قام المغول، في ذات

الوقت عينه ، بتنفيذ حملة عسكرية بشكل أعظم ، وعلى نطاق أوسع ، وجهت ضد أراضي الامبراطورية الصينية الجنوبية من سلالة «سنّك» الحاكمة .

* من القاء نظرة عابرة ، على تلك الاستعدادات الهائلة ـ في العدة والعتاد الحربيين ـ والمؤن ـ التي قامت بها السلطات المغولية لتجهيز حملة هولاكو ، نجد أنه كان من المستحيل على حكومة بغداد ، الهزيلة ، أن تقوى على الوقوف أمام الغزو المغولي ، ولو ساعة من نهار . لذلك ، فان مسألة سقوط الأسرة العباسية ، الحاكمة في بغداد ، كانت أمراً متوقعاً ، من اللحظة التي تحركت فيها قوات المغول من «قرا ـ قروم» باتجاه الغرب .

* لم يكن للوزير العباسي ، مؤيد الدين بن العلقمي ـ المسلم الشيعي المذهب ، أية صلة ، أو رابطة ، بذلك الغزو المغولي الجارف ، ضد أوليا نعمته ـ الخلافة العباسية ـ وسيده وصديقه الخليفة المستعصم ؛ وأن كل تلك الاتهامات ، التي وجهت ضد هذا الرجل ، لم يكن لها أي أساس من الصحة ؛ وإنما كانت موجهة ضده أساساً بدافع التنافس الوظيفي داخل بلاط الدولة العباسية في بغداد ، بينه وبين كبار المماليك أيبك الدواة دار الصغير ؛ زادتها اشتعالاً عوامل مذهبية بغيضة ، يأباها الاسلام .

* إن الوقائع التاريخية الحقيقية ، ومجريات الحوادث السياسية ، والعسكرية ، (التي اكتنفت الغزو المغولي ـ بقيادة هولاكو خان ـ ضد الخلافة العباسية) تظهر لنا بوضوح على أن الكثير من المؤرخين ، القديم منهم والحديث على السواء ، كانوا مبالغين كثيراً فيما يسمونه بالحزن الشامل ، والأسى العميق

الذي يقولون بأنه كان قد أصاب السكان في العالم الاسلامي، وذلك بسبب تلك «الفاجعة الأليمة» والتي دمرت الخلافة العباسية؛ثم ما وقع على الاسلام والمسلمين من كوارث على أيدي الأعداء . ان وصفاً كهذا يبدو كثير المبالغة، قام بهأفراد، فتردد حتى أصبح وكأنه يحكي صورة الواقع . الا أن الحقيقة لم تكن كذلك ، والسبب في ذلك ، أن المسلمين في داخل الأراضي العباسية لم يظهروا أي حماس لحمل السلاح ، والدفاع عن حكومة بغداد، أو مساندة المستعصم الضعيف، الذي لم يكن الا خليفة صوري ، يحتل ذلك المنصب الهام «خليفة رسول الله - ﷺ» .

ومما يؤيد ما ذهبنا اليه، هو أن الحكومات في الأراضي الشامية والمصرية، وشعوبها، لم ينظروا على أنه كان من واجبهم حمل السلاح ، والذهاب لقتال الغزاة المغول ، في سبيل الدفاع عن الخلافة العباسية، أو عن خليفتها المستعصم، أو عن السكان العراقيين . إذ رأوا أن ذلك الأمر - كما بدأ لهم - لا يعنيهم ، لا من قريب ولا من بعيد ؛ فهو مسألة تخص حكومة بغداد العباسية، وسكانها العراقيين ؛ فماذا عسى أن يكون الأمر عليه ، أسقط الخليفة، أم ظل دمية على كرسي الخلافة ؟ هذه ناحية، والناحية الثانية، هي أنه لو القيت نظرة ،فاحصة مدققةوعميقة، في مكونات القوى الغازية، لوجد أن العدد الذي انبرى للدفاع عن الخلافة العباسية من المسلمين لا يضاهي عدد المشتركين ، من المسلمين الآخرين ، في حملة هولاكو خان المغولية ، الذين جاؤا لتدمير هذه الدولة، والقضاء عليها وعلى خليفتها. فقد كان المسلمون المشاركون في تدمير خلافة العباسيين يكونون أعداداً كبيرة جداً ؛ إذ أنه على الرغم من أن القادة العسكريين الكبار كانوا مغولاً ، فإن المسلمين كانوا يكونون جزءً كبيراً من الجيش المغولي الزاحف ضد الخليفة المستعصم .

كان الحكام المسلمون (في أراضي وأقاليم : كرمان، وفارس، والموصل، وآسيا الصغرى) قد قاموا بارسال قوات لتشارك بصورة فعلية في الغزو العسكري المغولي ؛ ولتخدم تحت أعلام القادة العسكريين المغول الكبار ؛ أو تحت قيادة وأوامر هولاكو خان العليا . ثم ان أعداداً كبيرة، من أعضاء جيش الخلافة

العباسية نفسه، قد ذهبوا وانضموا الى القوات الغازية، والاشتراك معها لتدمير أسيادهم السابقين . ثم أنه كانت هناك اعداد هائلة من المسلمين، فرادى وجماعات، من الأقطار الاسلامية الأخرى (من أراضي العراق، وايران، وما وراء النهر والتركستان) كانت قد جندت، كقوات حشر، لتخدم في مختلف الكتائب العسكرية المغولية، في الأعمال الصغيرة، كحفر الخنادق، وطم الأنفاق، وجلب الحجارة وجذوع النخيل (لتكون قذائف للمنجنيقات)؛ وجلب الماء والزاد؛ وغير ذلك من الأعمال، التي من شأنها راحة وخدمة الجندي المقاتل ، ليؤدي واجبه الحربي خير اداء . لذلك نجد أن هذا النوع من المسلمين، قد لعبوا دوراً مهماً ، رغم ما يظهر للعيان من حقارة نوع العمل الذي أسند اليهم القيام به ، في تدمير الخلافة العباسية .

* إذا كان قد ظهر المغول في أعين المؤرخين وغيرهم على أنهم أناس همج ، وقساة القلوب ؛ وأنهم أبدوا أعمالاً وحشية ولا انسانية، في تعاملهم مع أعدائهم ، فإنهم لم يكونوا ـ بأي حال من الأحوال ـ فريدين في ارتكاب مثل تلك الأعمال. فالسلطان محمد خوارزم شاه ، وابنه جلال الدين، و«كوتشلوك خان»، وغيرهم كثير ، كانوا قد ارتكبوا في حق الانسانية جرائم مماثلة لتلك التي فعلها المغول. ثم أننا لنجد في زمننا الحاضر الكثير من النماذج، التي لا تحصى، لأعمال بشعة ، تأباها الانسانية كل الاباء، يرتكبها أناس يدعون بأنهم متحضرون ، وأنهم أصحاب ثقافات وأخلاق انسانية . فكم كانت يا ترى ضحايا الحربين العالميتين من النفوس البشرية البريئة، وكم يقع كل يوم في عالمنا «الانساني المزعوم» من القتلى الابرياء، على أيدي أناس لم تبلغ جرائم جنكيز خان والمغول معشار جرائمهم الرعناء . لقد ارتكبت شعوب وحكومات، تدعي أنها صاحبة ومبتكرة حضارة القرن العشرين ، في زمننا هذا ، في حق الجنس البشري الانساني مذابح ـ بالاسلحة النارية الفتاكة الحديثة ـ غاية في الوحشية،

والقسوة، والهمجية، والبشاعة، أضعافاً مضاعفةعما ارتكبه المغول. « . . . ، انه بلا شك أو ريب ، فإننا أناس متوحشون» ـ قال ذلك ونستون تشرشل ، وهو يراسل من منطقة مراخان (في أفغانستان) (لجريدة لندنية) في سنة ١٨٩٧، وهو ينظر الى الجنود البريطانيين يطلقون الرصاص على السجناء، ويحرقون القرى في حملة مستمرة على الحدود»[1].

---

(١) جريدة الصنداي تايمز ، ٦ يناير ١٩٨٠ م ص: ١٧ ، عمود رقم ١ ، تحرير بيتر ويلشر .

قِسْمُ المَصَادِرِ وَالمَرَاجِعِ

أ ـ أسماء المصادر والمراجع باللغة العربية

روعي في ثبت المصادر والمراجع ، ترتيبها حسب الأحرف الهجائية للمؤلف « اسم العائلة » ؛ ومن ثم لغة ذلك المصدر أو المرجع ، وان كان قد ترجم الى لغات اخرى ، حسب معرفتنا . ولم نفصل بين المصادر والمراجع من حيث لغاتها ، ثم حاولنا ـ قدر المستطاع ـ ترجمة المواضيع ، وأسماء الكتب الى اللغة العربية ليستطيع القارىء العربي معرفة المصدر أو المرجع بسهولة . وفي آخر الكتاب أثبتنا جميع المصادر والمراجع والدوريات ، اسلامية وغير اسلامية ، باللغة الانجليزي لتكون الفائدة أعمّ وأشمل لكي يستطيع الباحث أن يقرأ المراجع التي كتبت بلغات أوروبية ـ الانجليزية منها خاصة ، بأسمائها الأصلية ، وأسماء المواضيع وأسماء كتابها . وبما أن المصادر والمراجع ، التي عولنا عليها في اخراج كتابنا : « أوضاع الدول الإسلامية في المشرق الإسلامي »، هي نفس المصادر والمراجع التي تناولت فترة هذا الكتاب ، فقد أثبتناها هنا ، وبنفس الطريقة والمنهج .

ثبت المصادر والمراجع

« حسب الأحرف الهجائية لمؤلف كل كتاب ، أو مقالة ، ثم اللغة التي كتب بها المصدر أو المرجع » .

أولاً : المصادر القديمة

أ ـ المخطوطات .　　　　لغة المصدر

* ابن اياس ، محمد بن أحمد ،

ـ **عقود الجمان في وقائع الزمان** : مخطوطة أيا صوفيا (بمكتبة السليمانية) استانبول ، رقم : ٣٣١١ . — عربية

* ابن تغري بردي : أبو المحاسن يوسف ،

ـ **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي** : مخطوطة مكتبة متحف قصر طبقباي ، استانبول ، رقم : ٣٠١٨ . — عربية

* حاجي ، خليفة ،

ـ **تقويم التواريخ** : مخطوطة مكتبة المجلس الوطني الايراني ، رقم ٤٧٧٢ . — فارسية

* حافظ آبرو ، عبد الله بن لطف الله ،

ـ **زبدة التواريخ** : مخطوطة أيا صوفيا (مكتبة السليمانية) استانبول ، رقم : ٣٠٣٥ . — فارسية

نسخة أخرى في المكتبة الوطنية الايرانية ، طهران ، رقم : ١٥٧٨ . — فارسية

* ابن حبيب ، الحسن بن عمر ،

ـ **درة الإسلام في دولة الاتراك** : مخطوطة مكتبة يني جامع ، استانبول ، رقم ٨٤٩ . . — عربية

* ابن حماد ،

	لغة المصدر
- **قوت الأرواح وياقوت الأرباح** : مخطوطة مكتبة أسعد (بمكتبة السليمانية) رقم ٢٢٠٢ .	عربية
* خوانډ أمير ، غياث الدين بن همام الدين الحسيني ،	
- **خلاصة الأخبار في بيان احوال الاخيار** : مخطوطة بمكتبة المجلس الوطني الايراني ، طهران ، رقم : ٥٧٢٢ .	فارسية
* الدبيثي ، أبو عبد الله جمال الدين ابن الدبيثي ،	
- **ذيل مدينة السلام** : مخطوطة مكتبة سعيد علي باشا (بمكتبة السليمانية) استانبول ، رقم : ١٨٧٠ .	عربية
* ابن دقماق ، غرس الدين إبراهيم ،	
- **الجوهر الثمين في سيرة الملوك والسلاطين** : مخطوطة ايا صوفيا (بمكتبة السليمانية) استانبول ، رقم : ٣١٧٢ .	عربية
* الذهبي ، شمس الدين محمد ،	
- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام** : مخطوطة ايا صوفيا ، (بمكتبة السليمانية) ، استانبول ، رقم : ٣٠٠٥ - ٣٠١٦ .	عربية
* رشيد الدين ، فضل الله الوزير بن عماد الدولة ،	
- **جامع التواريخ (تاريخ جنكيز خان)** : مخطوطة ايا صوفيا (بمكتبة السليمانية) ، استانبول ، رقم : ٣٠٣٤ .	عربية
* العمري ، شهاب الدين بن فضل الله ،	
- **مسالك الأبصار في ممالك الامصار** : مخطوطة ايا صوفيا (بمكتبة السليمانية) ، رقم : ٣٤٣٩ .	عربية
* الكازروني ، علي بن محمد ،	
- **مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس** : مخطوطة ، مكتبة جار الله (بمكتبة السليمانية) ، استانبول ، رقم : ١٦٢٥ .	عربية
* الملك ، السلطان الأفضل ،	

	لغة المصدر
- **نزهة العيون في تاريخ طوائف القرون** : مخطوطة دار الكتب القومية ، القاهرة ، رقم : ٤٩٦٤ .	عربية
* النويري ، شهاب الدين أحمد ،	
- **نهاية الارب في فنون الأدب** : مخطوطة دار الكتب القومية ، القاهرة ، رقم : ٥٤٩ .	عربية

ب ـ مصادر مطبوعة

	لغة المصدر
* ابن الأثير ، عز الدين علي ،	
ـ **الكامل في التاريخ** : بيروت ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ .	عربية
ـ **التاريخ الباهر** : تحقيق أ . طليمات ، القاهرة ، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣ .	عربية
* الاربلي ، عبد الرحمن ،	
ـ **خلاصة الذهب المسبوك** ، مختصر من سير الملوك : بغداد ، ١٩٧١ م .	عربية
* ابن اسفنديار ، محمد ،	
ـ **تاريخ ـ ي ـ طبرستان** : اختصره وترجمه الى الانجليزية الاستاذ/ براون ، لندن ، ١٩٠٥ م .	فارسية مترجم إلى الانجليزية
* ابن أبي اصيبعة ، موفق الدين أحمد ،	
ـ **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** :بيروت، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م .	عربية
* بار هبريوس ، گريگور أبو الفرج ،	
ـ **كرونوگرافي** : ترجمه من اللغة السريانية إلى الانجليزية ارنس ووليس بودج ، مطبعة جامعة اكسفورد ، لندن ، ١٩٣٢ م ؛ (انظر أيضاً ابن العبري) .	سريانية ترجم إلى الانجليزية
* ابن بطوطة ، محمد ،	
ـ **رحلة ابن بطوطة** : بيروت ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .	عربية
* بناكتي ، فخر الدين أبو سليمان ،	
ـ **تاريخ بناكتي** ، معروف بـ « روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ والانساب » تحقيق د/ : جعفر شعار ، طهران ، ١٣٤٨ هـ . ش .	فارسية

	لغة المصدر
* بندكت ، « الاخ » القس ، أو الراهب ،	
- روايته (عن قصة ذهابه الى منغوليا) تحقيق ، دوسون ، نيويورك ولندن ، ١٩٥٥ م .	اللاتينية مترجم الى الانجليزية
* ابن بي بي ، الأمير نصير الدين حسين (يحيى) بن محمد ،	
- مختصر سلجوق نامة فهٔ ابن بي بي ، مختصر من « الأوامر العلائية في الأمور العلائية » ، تحقيق/م . ت . هوتسما ، ليدن ، ١٩٠٢ م ، اعاد طبعه وتحقيقه مع اضافات تتعلق بتاريخ السلاطين السلاجقة في آسيا الصغرى ، الدكتور محمد جواد مشكور ، تحت عنوان « أخبار سلاجقهٔ - ي - الروم » طهران ، ١٣٥٠ هـ.ش .	فارسية
* بيزلي ، س . ر . ،	
- تاريخ نوفكّرود : ترجمه من اللغة الروسية الى اللغة الانجليزية ، ر . مايكل ، او ن . فوبرز ، لندن ، مجتمع كامدن ، جـ ٢٥/ سنة ١٩١٤ م .	الروسية مترجم الى الانجليزية
* البيضاوي ، أبو الخير ناصر ،	
- نظام التواريخ : تحقيق/ بهمن كريمي ، طهران ، ١٣١٤ هـ . ش .	فارسية
* بارس ، ماثيو ،	
- التاريخ الانجليزي : ترجمه من اللاتينية الى الانجليزية : ج . أ جايلز و د . س . ل . ، لندن ، ١٦٦٨ م .	لاتينية مترجم الى الانجليزية
* بولو ، ماركو ،	
- رحلات ماركو بولو ، ترجمه من متنه الاصلي (وأظنه اللاتينية) الخاص بـ : ل . آي . بندتو ، الأستاذ الدكتور/ الدروكسي ، ادنبره ، ١٩٣١ م	لاتينية الى مترجم الانجليزية
- كتاب السير ماركو بولو ترجمة سير/ هـ . يول ، لندن ، ١٩٢٦ م .	لاتينية مترجم الى الانجليزية
* تنشنك ، تشتن ،	
- رحلات الكيدبائي ، كتبه حواريه : لي تشه - تشئنك ، ترجمه من	الصينية ترجم

لغة المصدر

اللغة الصينية الى الانجليزية الاستاذ/آرثر وولي، لندن ،١٩٦٣ م . — الى الانجليزية

* ابن تغري ، بردى أبو المحاسن ،

- **النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة** : تحقيق ، نصار ، القاهرة ١٩٧٠ م . — عربية

* ابن جبير ، محمد بن أحمد ،

- **رحلة ابن جبير** ، بيروت، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م . — عربية

* الجوزجاني ، القاضي منهاج الدين سراج ،

- **طبقات - ي - ناصري** ، تحقيق عبد الحي حبيبي ، كابل ، ١٣٤٣ هـ . ش . حققه وترجمه الى الانجليزية ، الميجر/ هـ . ج . راڤرتي ، لندن ،١٢٩٨ هـ / ١٨٨١ م ، أعيدت طباعة الترجمة الانجليزية في عام ١٩٧٠ م . — فارسية
ولة
ترجمة
انجليزية

* ابن الجوزي ، عبد الرحمن ،

- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** ، حيدر آباد ، ١٣٥٩ هـ . — عربية

* الجويني (ج . أ . بويل) ،

- **دراسات حول تاريخ - ي - جهانكشاي للجويني** ، ترجم بويل الجزء الأول وقدمه إلى جامعة لندن لنيل درجة الدكتوراه في عام ١٩٤٩ م . — فارسية ترجم
إلى
الانجليزية

* الجويني ، علاء الدين عطا ملك ،

- **تاريخ - ي - جهانكشاي** : تحقيق الأستاذ : ميرزا محمد بن عبد الوهاب القزويني ، طبعة ليدن ، ١٣٢٩ هـ/ ١٩١١ م ، ١٣٣٤ هـ /١٩١٦ م ، و ١٣٥٥ هـ /١٩٣٧ م . ترجم الى اللغة الانجليزية على يدي الأستاذ الدكتور/ ج .أ . بويل ،تحت عنوان : **تاريخ فاتح العالم** ، مطبعة جامعة مانشستر ، ١٩٥٨ م ، — فارسية
وله
ترجمة
انجليزية

* الجويني ، معين الدين منتجب الدين ،

- **عتبة الكتبة** ، تحقيق/ محمد القزويني ، عباس اقبال ، طهران ، ١٣٢٩ هـ . ش . — فارسية

* أبو حامد ، محمد بن إبراهيم ،

	لغة المصدر
- **ذيل سلجوق نامة - ى - ظهير - ى - النيشابوري** ، طهران ، ١٣١٣ هـ . ش .	فارسية
* ابن حجر ، شهاب الدين العسقلاني .	
- **أنباء الغمر بأنباء العمر** ، تحقيق/ دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .	عربية
- **الدور الكامنة في اعيان المائة الثامنة** ، تحقيق / م .جاد الحق ، القاهرة ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م .	عربية
* ابن أبي الحديد ، عبد الحميد ،	
- **شرح نهج البلاغة** : تحقيق/ ن . إبراهيم ، القاهرة ، ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م .	عربية
* الحسيني ، صدر الدين أبو الحسن علي ،	
- **أخبار الدولة السلجوقية** ، معروف أيضاً بـ « **زبدة التواريخ** » تحقيق محمد اقبال ، لاهور ، ١٩٣٣ م .	عربية
* الحموي ، أبو الفضايل ،	
- **التاريخ المنصوري ، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان** : تحقيق/ كريازنيويج ، موسكو ، ١٩٦٠ م .	عربية
* ابن خلدون ، عبد الرحمن ،	
- **العبر وديوان المبتدأ والخبر** . ، بيروت ، ١٩٦٧ م .	عربية
* ابن خلكان ، شمس الدين أبو العباس أحمد ،	
- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** : تحقيق/ م . م . عبد الحميد ، بيروت ١٩٦٨ م .	عربية
* خواند أمير ، غياث الدين بن همام الدين ،	
- **تاريخ حبيب السير في اخبار افراد - ى - بشر** ، تحقيق/ م . د . سياقي ، طهران ، ١٣٣٣ هـ . ش .	فارسية
- **دستور الوزراء** ، تحقيق الأستاذ/ سعيد نفيسي ، طهران ١٣١٧ هـ . ش .	فارسية
* ابن دحية ، عمر بن حسن ،	

	لغة المصدر
ـ النبراس في تاريخ بني العباس : تحقيق عباس العزاوي ، بغداد ، ١٣٥٦ هـ/ ١٩٤٦ م .	عربية
* الدوادار ، أبو بكر علي ،	
ـ كنز الدرر وجامع الغرر ، « الدرة الزكية في الدولة التركية » جـ ٨/ تحقيق : الريتش هارمان ، القاهرة ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧٢ م .	عربية
ـ كنز الدرر وجامع الغرر ، « الدر المطلوب في اخبار ملوك بني أيوب »جـ ٧/ تحقيق : س .عاشور ،القاهرة١٣٩١هـ /١٩٧٢ م .	عربية
* دوبريديا ، س . الراهب ،	
ـ خارطة ڤنلند وعلاقة التتر ، تحقيق وترجمة : ر . أ سكلتون ، وآخرون ، لجامعة ييل « طبع مطابع جامعة ييل ، ١٩٦٥ م .	لاتينية مترجم الى الانجليزية
* دوجوانفيه ، اللورد جون ،	
ـ حياة القديس لويس التاسع ، ترجمه من الفرنسية الى الانجليزية / ر . هيج ،لندن ، ١٩٥٥ م .	فرنسية ترجم الى الانجليزية
* الديار بكري ، حسين بن محمد ،	
ـ تاريخ الخميس في أحوال انفس نفيس ، بيروت ، ١٢٨٣ هـ .	عربية
* الذهبي ، شمس الدين محمد،	
ـ العبر في أخبار من غبر ، تحقيق الدكتور/ ص. المنجد ، الكويت ، ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦ م .	عربية
ـ دول الإسلام ، حيدر آباد ، ١٣٣٧ هـ .	عربية
ـ المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ محمد بن الدبيثي : تحقيق / م .جواد ، بغداد ، ١٣٧١ هـ /١٩٥١ م .	عربية
ـ سير اعلام النبلاء ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .	عربية
ـ تذكرة الحفاظ : تحقيق دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م .	عربية
* ابن رافع ، محمد السلامي ،	
ـ ذيل تاريخ ابن النجار : تحقيق/ عباس العزاوي ، بغداد ،	

	لغة المصدر
١٣٥٧ هـ/ ١٩٣٨ م .	عربية
* الراواندي ، محمد بن علي ،	
- راحة الصدور وآية السرور في تاريخ آل سلجوق : تحقيق/ محمد اقبال ، طبع في ليدن ، ١٩٢١ م بهولندا .	فارسية وله ترجمة عربية
* ربان ، بارصوماو ماركوس ،	
- رهبان قبلاي خان امبراطور الصين (حياة ورحلات رجلين من اتباع الكنيسة النسطورية)، ترجمه من اللغة السريانية الى الانجليزية / سير اي .أ. وليز بودج ، لندن ، ١٩٢٨ م (انظر أيضاً تحت يابا الله الثالث) .	سريانية ترجم الى الانجليزية
* ربرك ، الراهب (القس) وليم الربركي ،	
- رحلة وليم الربركي ، تحقيق/ دوسون ، تحت عنوان « البعثات المغولية » لندن ونيويورك ، ١٩٥٥ م .	لاتينية ترجم الى الانجليزية
* ربرك ، الراهب وليم ،	
- رحلة وليم الربركي الى الجزء الشرقي من العالم ، ١٢٥٣ - ١٢٥٥ ، مع تقريرين لرحلة سابقة ل : جون البيان الكربيني، تحقيق و . و . روكهل ، لندن ١٩٠٠ م اعيدت طباعته سنة ١٩٦٧ م .	لاتينية ترجم الى الانجليزية
* رشيد الدين ، فضل الله الوزير بن عماد الدولة ،	
- جامع التواريخ ، جـ ١ من بداية قبائل المغول حتى نهاية حكم تيمور قا آن ، جـ ٢ من بداية سلطنة هولاكوخان حتى نهاية حكم غازان خان ، تحقيق /ب . كريمي ، طهران ، ١٣٣٨ هـ . ش .	فارسية
* رشيد الدين (مولير ، د . ج . ميتلند) ،	
- دراسة وترجمة جامع التواريخ لمؤلفه رشيد الدين فضل الله ، الخاص بالقبائل التركية والمغولية : اطروحة قدمها مولير الى جامعة لندن ، مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية ، لندن ،١٩٥٧ لنيل درجة الدكتوراه .	فارسية ترجم الى الانجليزية
* رشيد الدين	
- جامع التواريخ ، جـ ٢ ، مترجم الى اللغة العربية من الطبعة	فارسية ترجم الى

	لغة المصدر
الفرنسية ،ترجمه م . نشأت وآخرون ، بيروت ، ١٩٦١ م .	الفرنسية ومترجمة الى العربية
* رشيد الدين ،	
- جامع التواريخ (خلفاء جنكيز خان) ترجمه الى اللغة الانجليزية الاستاذ الدكتور/ج . أ . بويل ، نيويورك، ١٩٧١ م .	فارسية مترجم الى الانجليزية
* ابن الساعي ، علي بن انجب ،	
- الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ، جـ ٩ : تحقيق ،م . جواد ، بغداد ، ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م .	عربية
- مختصر أخبار الخلفاء ، القاهرة ، ١٣٠٩ هـ .	عربية
* سبط ابن الجوزي ، يوسف بن قزغلو ،	
- مرآة الزمان : تحقيق دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الدكن ، ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ .	عربية
* السبكي ، تاج الدين أبي ناصر ،	
- طبقات الشافعية الكبرى ، الطبعة الثانية ، بيروت آيضاً طبعة القاهرة ، ١٣٠١ هـ .	عربية
* السيوطي ، جلال الدين	
- تاريخ الخلفاء ، بيروت ؟ ،	عربية
* ابن شاكر ، فخر الدين الكتبي ،	
- فوات الوفيات ، تحقيق/ م ، محيي الدين ، القاهرة ، ١٩٥١ م .	عربية
* أبو شامة ، عبد الرحمن بن اسماعيل ،	
- تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، المعروف أيضاً بـ « الذيل على الروضتين » ، القاهرة ، ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٦ م .	عربية
* ابن الطقطقا ، محمد بن علي بن طباطبائي ،	
- الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، بيروت ، ١٣٨٣ هـ /١٩٦٣ م له ترجمة انجليزية ، قام بها : س . ا ى ج . وتنكك ، لندن ، ١٩٤٧ م .	عربية له ترجمة الى الانجليزية
* الطوسي ، نصير الدين محمد ،	
- كيفية واقعة بغداد ، ذيل لكتاب « جهانكشاي » للجويني ، ج ٣	فارسية له

	لغة المصدر
ص ص : ٢٨٠ ـ ٢٩٢ ، ترجمه الى اللغة الانجليزية الاستاذ الدكتور /ج . أ . بويل ،في مجلة الدراسات السامية ، ١٩٦١ م ، جـ ٦/ ص ص : ١٥٠ - ١٦١ .	ترجمة الى الانجليزية
ـ المقدمة الطويلة لـ : جدول المرصد الايلخاني ، حققها وترجمها الى اللغة الانجليزية الاستاذ الدكتور/ ج . أ . بويل ، نشر في مجلة الدراسات السامية ١٩٦٣ م جـ ٨/ ص ص : ٢٤٤ ـ ٢٥٤ .	فارسية تترجم الى الانجليزية
* ابن العبري ، گريگوري ، أبو الفرج ،	
ـ تاريخ مختصر الدول ، ترجمه المؤلف من اللغة السريانية الى اللغة العربية حققه ، صاليحاني ، بيروت ، ١٩٥٨ م .	السريانيةترجم الى العربية
* ابن العديم ، كمال الدين عمر ،	
ـ زبدة الحلب في تاريخ حلب ، تحقيق/ س . الدهان ، دمشق ١٣٨٧ هـ/١٩٦٨ م .	عربية
* إلعروضي ، نظام الدين ،	
ـ المقالات الأربع «چهار مقالت» تحقيق محمد القزويني ، و ، م . معين ، طهران ،١٣٣٣ هـ . ش ، ١٩٥٤ م ترجمها الأستاذ الدكتور / اى . براون الى اللغة الانجليزية ، لندن ١٩٠٠ م .	فارسية ترجم الى الانجليزية
* العمري ، شهاب الدين العمري ،	
ـ التعريف بالمصطلح الشريف ، القاهرة ، ١٣١٢ هـ / ١٨٩٤ م .	عربية
* ابن العميد ، المكين جرجس ،	
ـ أخبار الايوبيين ، تحقيق س . كُهنْ ، مجلة الدراسات الشرقية ١٩٥٥ م ـ ١٩٥٧ م ، جـ ١١/ص . ص : ١٠٩ ـ ١٧٧ .	عربية
* العوفي ، نور الدين محمد ،	
ـ لباب الألباب ، تحقيق سعيد نفيسي ، طهران ، ١٣٣٣ هـ . ش .	فارسية
ـ جوامع الحكايات ولوامع الروايات ، تحقيق/ مصفا ، طهران ، ١٣٥٣ هـ . ش	فارسية
* أبو الغازي ، بهادرخان ،	
ـ تاريخ عام عن : الترك ، والمغول ، والتتر ، ترجم أصلاً من	مغولية مترجم

	لغة المصدر
مخطوطة باللغة المغولية الى اللغة الانجليزية ، وطبع في لندن سنة ١٧٢٩ م ، ل . ج . وج نيتون وآخرون .	الى الانجليزية
* أبو الفد ، عماد الدين اسماعيل ،	
ـ **المختصر في اخبار البشر** ، القاهرة ، ١٣٢٥ هـ .	عربية
* فصيح ، أحمد بن محمد ،	
ـ **مجمل ـ ی ـ فصيحي** ، تحقيق/ م . فروخ ، مشهد ، ١٩٦٠ ـ ١٩٦٢ م .	فارسية
* ابن الفوطي ، كمال الدين عبد الرزاق ،	
ـ **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة** ، تحقيق/ م . جواد ، بغداد ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م .	عربية
ـ **تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب** ، تحقيق ، م . جواد ، دمشق ١٩٦٥ م .	عربية
* القزويني ، حمد الله المستوفي ،	
ـ **التاريخ المختار ، أو التاريخ المنتخب « تاريخ ـ ی ـ گزيده »** تحقيق/ نوائي ، طهران ، ١٣٣٩ هـ . ش ، ترجمه الى الانجليزية الاستاذ الدكتور/ اى . براون ، لندن ، ١٩١٣ م .	فارسية له ترجمة الى الانجليزية
ـ **القسم الجغرافي من كتاب « نزهة القلوب »** ترجمه : ج . لوسترنج الى اللغة الانجليزية ، طبعة ليدن ، هولندا ، ١٩١٩ م .	فارسية مترجم الى الانجليزية
* القلقشندي ، أحمد ،	
ـ **مآثر الانافة في معالم الخلافة** : تحقيق/ فراج ، الكويت ، ١٩٦٤ م .	عربية
ـ **صبح الاعشى في صناعة الانشاء** ، القاهرة ، ١٩١٤ م .	عربية
* ابن كثير ، أبو الفدا ،	
ـ **البداية والنهاية** ، بيروت ، ١٩٦٧ م .	عربية
* الكربيني ، جون البلانو كربيني .	
ـ تاريخ المغول ، تحقيق/ س . دوسون . بعنوان « البعثة المغولية »	لاتينيةمترجم

	لغة المصدر
لندن ونيويورك ، ١٩٥٥ م .	الى الانجليزية
* الكربيني ، جون البلانوو وليم الربركي ،	
- **المتون والتراجم** ، تحقيق/ س . رايموند بيزلي ، لندن ، ١٩٠٣ م .	لاتينية مترجم الى الانجليزية
* الكرخي ، مولانا ظهير الدين ،	
- **وثائق تاريخية من أوائل العهد الاسلامي إلى آخر عهد الشاه اسماعيل الصفوي**، تحقيق/س .أ ثابتي ، طهران ،١٣٤٦هـ . ش .	فارسية
* كيراكوس ، كيراكوس الاكنجكي .	
- **وصف مختصر عن ظهور التأتأر** ، ترجمه وعلق على حواشيه الأستاذ/ ج . أبويل ، تحت عنوان «**كيراكوس الاكنجكي عن المغول**» في المجلة الآسيوية المركزية ، ١٩٦٣ م ، جـ ٨/ قسم ٣ ، ص . ص: ١٩٩ -٢١٤ .	ارمنية مترجم الى الانجليزية
* كَريكَور ، كَريكَور الاكنكي أو الاكنكير ،	
- **تاريخ الأمة ذات الأقواس (المغول)** تحقيق وترجمة/ ر . بليك ، و ، ر . م . فراى ، طبع مطبعة جامعة هارفرد ، ١٩٥٤ م .	ارمنية مترجم الى الانجليزية
* مجهول المؤلف ،	
- **أخبار الدولة العباسية** ، تحقيق/ الدوري وعبد الجبار ، بيروت ، ١٩٧١ م .	عربية
* مجهول المؤلف ،	
- **التاريخ السري للمغول** ، ترجمه من اللغة الصينية الى الانجليزية / ارثر وولي ، لندن ، ١٩٦٣ م .	صينية مترجم الى الانجليزية
- **تاريخ المغول السري** ، «**تاريخ سري مغولان**» ترجمته من الطبعة الفرنسية (طبعة باريس ، ١٩٤٩ م) الى اللغة الفارسية الدكتورة/ شيريني بياني ،طهران ، ١٣٥٠ هـ . ش .	صينية مترجم الى الفرنسية ومنها إلى الفارسية
* مجهول المؤلف ،	
- **حدود العالم**، ترجمه وشرحه من اللغة الفارسية الى اللغة الانجليزية	

لغة المصدر

الاستاذ الدكتور/ ف . مينورسكي ؛ حرره : س . أي بوزوورث ، ل : احياء ذكرى : اى . ج . و جب ، السلسلة الجديدة ، ١١ ، لندن ، ١٩٧٠ م . — فارسية مترجم الى الانجليزية

- **حدود العالم** ، تحقيق/ منوتشهر ستوده ، طهران ١٣٤٠ هـ . ش/١٩٦٢ م . — فارسية

* ابن المعمار ، أبو عبد الله محمد ،
- **كتاب الفتوة** ، تحقيق مصطفى جواد ، وآخرون ، بغداد ١٩٦٠ م . — عربية

* معين ، أبو العباس أحمد ،
- **كتاب تاريخ شيراز أو « شيرازنامه »** تحقيق/ ب . كريمي ، طهران ، ١٣١٠ هـ . ش/ ١٩٥٠ م . — فارسية

* المقريزي ، تقي الدين أحمد ،
- **كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك** ، القاهرة ، ١٩٥٧ م . — عربية

* ميراخواند ، محمد بن خواندشاه ،
- **تاريخ روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء** ، طهران ، ١٣٣٨ هـ . ش . — فارسية

* ابن ميسر ، محمد بن علي ،
- **أخبار مصر** ، القاهرة ، ١٩١٩ م . — عربية

* النخجواني ، هندوشاه
- **تجارب السلف** ، تحقيق/ عباس اقبال ، طهران ، ١٣١٣ هـ . ش ، — فارسية

* النسوي ، شهاب الدين محمد المنشيء ،
- **سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي** ، تحقيق/ حافظ حمدى، القاهرة ١٩٥٣ م . — عربية
- **نفثة المصدور** ، تحقيق/ يزد گردى ، طهران ، ١٣٤٣ هـ . ش/١٩٦٥ م . — فارسية

	لغة المصدر
* الهروي ، سيف الدين . - كتاب تاريخ هرات ، تحقيق/م . ز . الصديقي ، نشرته جامعة كلكتا ، ١٣٦٢ هـ/ ١٩٤٣ م .	فارسية
* هيثوم الأول ، هيثوم بن قنسطنطين روبن ، ملك ارمينيا (كيراكوس كاندسكتسي) ، - رحلة هيثوم ، ملك الأرمن الورع ، الى الخانين باتو ومنكو في ٧٠٣ و٧٠٤ (حسب التقويم الارميني) موافق لـ : ١٢٥٤ - ١٢٥٥ م ، ترجمه من الروسية الى الانجليزية الاستاذ بريتسكنيدر في كتابه بحوث في العصور الوسطى ، جـ ١/ص . ص : ١٦٤ - ١٧٢ .	ارمنية مترجم الى الانجليزية وكان قد ترجم الى لغات روسية وفرنسية وغيرهما
* هيثوم ، - رحلة هيثوم الأول ملك ارمينيا الصغرى الى بلاط الخان العظيم مونككم ، اعاد ترجمته الى الانجليزية/ ج . بويل ، المجلة الأسيوية المركزية ، ١٩٦٤ م ، جـ ٩/ قسم ٣ ، ص . ص : ١٧٥ - ١٨٩ .	ارمنية ترجم الى الانجليزية
* ابن واصل ، جمال الدين ، - مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ، جـ ٤ ، تحقيق/ م - ربيع القاهرة ١٩٧٢ م .	عربية
* ابن الوردي ، عمر ، - تاريخ ابن الوردي ، ؟؟،(غير معروف مكان وزمان الطبع) .	عربية
* وصاف الحضرة ، شرف الدين عبدالله (أو شهاب الدين عبد الله) ، - تاريخ وصاف ، المعروف أيضاً بـ « كتاب تجزية الامصار وتزجية الاعصار ، تحقيق عبد المحمد آيتي ، طهران ، ١٣٤٦ هـ . ش .	فارسية

	لغة المصدر
* يابا الله الثالث ، الاب بارصوما ،	
- **تاريخ يابا الله الثالث** ، ترجمه عن اللغة السريانية ووضع حواشيه الى اللغة الانجليزية ، جيمس أ . مونت كُومري ، نيويورك ، ١٩٦٦ م (انظر ايضاً تحت « ربّان » .	سريانية مترجم الى الانجليزية
* اليافعي ، عبد الله بن أسعد ،	
- **مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان** ، حيدر آباد ، ١٣٣٧ هـ / ١٩١٩ - ١٩٢١ م .	عربية
* ياقوت ، الرومي .	
- **معجم البلدان** ، بيروت ، ١٩٥٧ م ،	عربية
* ابن أبي اليسر ، تقي الدين ،	
- **مرثية** « عن سقوط بغداد والخلافة العباسية » أوردها الذهبي في كتابه **تاريخ الاسلام** ، مخطوطة ايا صوفيا (بمكتبة السليمانية) حققها وترجمها الى الانجليزيه جوسف دوصوموجي ، **مجلة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية** ، لندن ١٩٣٣م ، جـ ٧/قسم : ١ ، ص . ص : ٤١ - ٤٨ .	عربية وانجليزية مترجمة
* اليونيني ، قطب الدين ،	
- **ذيل مرأة الزمان** ، تحقيق دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد ، ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م .	عربية

ثانياً : المراجع الحديثة

(كتب ودوريات)

	لغة المرجع
* آرنولد ، سير توماس ،	
- الخلافة ، لندن ، ١٩٧٠ م .	انجليزية
* اقبال ، عباس ،	
- مجموعة مقالات آشتياني ، تحقيق د/م . د . سياقي ، طهران ، ١٣٥٠ هـ . ش	فارسية
- تاريخ مفصل ايران من استيلاء المغول حتى اعلان المشروطية (تاريخ المغول) ، طهران ١٣٤٧ هـ . ش .	فارسية
* ألن ، و . اى . د . ،	
- تاريخ الشعب الجرجاني ، لندن ١٩٧١ م .	انجليزية
* أيالون ، ديفيد ،	
- ياسا جنكيز خان العظيمة ، مجلة الدراسات الاسلامية ، ١٩٧١ م . جـ ٣٣/ص . ص : ٩٧ - ١٤٠ . وجـ ٣٤/ص . ص : ١٥١ - ١٨٠ .	انجليزية
* بارتولد ، ويلهلم	
- الدراسات الأربع في تاريخ آسيا الوسطى ، طبع ليدن . هولندا ، ١٩٦٢ م .	انجليزية

	لغة المرجع
- **تركستان حتى الغزو المغولي** ، ذكرى جب ، السلسلة الجديدة ، جـ ٥/لندن ، ١٩٦٨م، أعيدت طباعته في ١٩٧٧ م .	انجليزية
-**امبراطورية المغول**،ترجمه الى اللغة الفارسية هـ . بوري ، تبريز؟؟ .	فارسية
- **تاريخ اتراك آسيا الوسطى** ، ترجمه عن الفرنسية الى العربية ، سليمان ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .	فرنسية مترجم الى العربية
* بدر ، مصطفى طه ،	
- **زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدي المغول** ، اطروحة قدمت الى جامعة القاهرة سنة ؟١٩٤ م لنيل شهادة الماجستير .	عربية
* براون ، اديوارد . ج . ،	
- اقتراحات لتحقيق متكامل لكتاب جامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله ، **مجلة الجمعية الآسيوية الملكية** ، ١٩٠٨ م ، ص . ص: ١٧ ـ ٣٧ .	انجليزية
- **تاريخ الأدب الفارسي** ، طبع لندن، ١٩٠٦ م وطبع كيمبردج ، سنة ١٩٦٤ م .	انجليزية
* برنت ، بيتر	
- **الامبراطورية المغولية ، جنكيز خان : انتصاره وتراثه**، لندن ١٩٧٦ م	انجليزية
* بروكلمن ، كارل	
- **تاريخ الشعوب الاسلامية** ، ترجمه الى الانجليزية : ج . برلمان ، و ، م . برلمان ، لندن ، ١٩٤٧ م .	مترجم الى الانجليزية
* بريتسكنيدر ، أى ،	
- بحوث في العصور الوسطى مأخوذة من مصادر اسيوية شرقية معاصرة ، لندن ، ١٩٦٧ م .	انجليزية

	لغة المرجع
ـ ملاحظات حول جغرافية وتاريخ وسط وغرب آسيا في العصور الوسطى ، مجلة شمال الصين ، فرع من مجلة الجمعية الآسيوية الملكية ، ١٨٧٦ م ، جـ ١٠/ ص . ص: ٧٥ ـ ٣٠٧ .	انجليزية
* بوزوورث ، سي . اى ،	
ـ تاريخ ايران وافغانستان ووسط آسيا في العصور الوسطى ، لندن ، ١٩٧٧ م .	انجليزية
* بوكونيي ، ساندور ،	
ـ الحصان البرزفلسكي ، ترجمه الى الانجليزية : ل . حلبي ، لندن ، ١٩٧٤ م .	مترجم الى الانجليزية
* بويل ، جون إندرو ،	
ـ حول القاب بعض الأمراء المغوليين التي وردت في الجويني ، مجلة هارفرد للدراسات الآسيوية ، ١٩٥٦ م ، جـ ١٩/ الأقسام ٣ ـ ٤ ، ص . ص : ١٤٦ ـ ١٥٤ .	انجليزية
ـ غزو المغول لشرق فارس ، ١٢٢٠ ـ ١٢٢٣ ، في « التاريخ اليوم » جـ ٩/ قسم : ٥ ، ص . ص : ٦١٤ ـ ٦٢٣ ، لندن ، ١٩٥٩ م .	انجليزية
ـ موت آخر خليفة عباسي ، مأخوذ من تقارير اسلامية معاصرة ، مجلة الدراسات السامية ، ١٩٦١ م ، جـ ٦/ص . ص : ١٤٥ ـ ١٦١ .	انجليزية
ـ الجويني ورشيد الدين كمرجعين في تاريخ المغول ، كتاب : مؤرخو الشرق الأوسط ، لندن ، ١٩٦٢ م ، ص . ص : ١٣٣ ـ ١٣٧ .	انجليزية
ـ القادة العسكريون المغول في افغانستان والهند حسب ما ورد في طبقات ـ ى ـ ناصري ، للجوزجاني ، ايران ـ شناسي ، رقم ٢ ، كراتشي ، ١٩٦٣ م ص . ص: ٢٣٥ ـ ٢٤٧ .	انجليزية

	لغة المرجع
- كيفية تقديم الحصان كفداء عند المغول في القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، **المجلة الآسيوية المركزية** ، ١٩٦٥ م ، جـ١٠/ قسم : ٣ - ٤ ص . ص: ١٤٥ - ١٥٠.	انجليزية
- مكان مدفن الخان العظيم اكتاي ، آكتا اورينتاليا ، ١٩٦٨ ، جـ ٣٢/ص . ص : ٤٩ - ٥٠ .	انجليزية
- **تاريخ كيمبردج لايران** ، جـ ٥/ الفترة السلجوقية والمغولية ، مطبعة جامعة كيمبردج ، ١٩٦٨ م .	انجليزية
* بويل ، ج . أ .	
- أهمية كتاب جامع التواريخ كمصدر عن التاريخ المغولي ، **ايران - شناسي** ، رقم : ٢ ، طهران ، ١٩٧٠ م ، ص. ص: ١ - ٨ .	انجليزية
- احتلال المغول لمدينة اصفهان ، **المؤتمر الدولي عن ايران** ، روما ، ١٩٧١م، ص. ص: ٣٣١ - ٣٣٦ .	انجليزية
- رشيد الدين : المؤرخ العالمي الأول ، ايران ١٠ ، لندن ، ١٩٧١م، ص .ص : ١٩ - ٢٦ .	انجليزية
- مراكز ومواقع متعلقة بتاريخ امبراطورية المغول ، **مواصلة المؤتمر الدولي الثاني للمتخصصين في الشؤون المغولية**،اولان باتور،١٩٧٢ م ، ص . ص : ٧٥ - ٧٩ .	انجليزية
- أراضي مخيمات الكرايت الصيفية والشتوية ، **المجلة الآسيوية المركزية**، ويسبادن، ١٩٧٣ م ،جـ ٣/قسم : ١٧ ، ص .ص : ١٠٨ - ١١٠ .	انجليزية
- بعض الأفكار حول مصادر فترة تاريخ الايلخانيين في ايران ، **ايران ١٢** ، لندن ، ١٩٧٤ م ، ص . ص : ١٨٥ - ١٨٨ .	انجليزية
- بعض الملاحظات الاضافية حول الأسماء المغولية الواردة في تاريخ الأستاذات الأقواس ، **بحوث في اللغة الألطائية** ، بودابست ، ١٩٧٥ م ، ص . ص : ٣٣ - ٤٢ .	انجليزية

لغة المرجع

ـ امبراطورية المغول العالمية،١٢٠٦ ـ ١٣٧٠ ، لندن ، ١٩٧٧ م ؛
(وهذا الكتاب يحتوي على مجموعة كبيرة من مقالات هذا الاستاذ
الكبير ، ذي الاطلاع الواسع ، عما كتبه حول المغول ومشرق
عالمنا الاسلامي . والكتاب يحتوى على اثنين وثلاثين بحث في
منتهى الدقة والعناية) . — انجليزية

* بالاديوس ، رف ، أ : ،
ـ شرح رحلات ماركو بولو في شمال الصين ، مأخوذة من مصادر
صينية ، **مجلة شمال الصين ، فرع من مجلة الجمعية الأسيوية
الملكية** ، ١٨٧٦ ، ١٠ ، ص. ص: ١ ـ ٥٤ . — انجليزية

* بارو ، اى.،
ـ افتتاح الطرق البرية الى كاثاي ، **الرحلات والرحالون في العصور
الوسطى** ، تحرير: نيوتون ، لندن ، ١٩٣٠ م ، ص . ص :
١٢٤ ـ ١٥٨ . — انجليزية

* پتروف ، فكتور ب.،
ـ **منغوليا ، لمحة مختصرة**،لندن ، ١٩٧٠ م . — انجليزية

* بتس ، دو لاكرويكس ،
ـ **تاريخ جنكيز خان العظيم** ، لندن ، ١٧٢٢ م ، طبع في باريس
اولا سنة ١٧١٠ م ؛ ومنها ترجم الى اللغة الانجليزية . — فرنسية ترجم الى الانجليزية

* برودن ، م.،
ـ **الامبراطورية المغولية ظهورها وتراثها** ، ترجمه : اى . پول ،
و سي . پول ، لندن ، ١٩٤١ م . — مترجم الى الانجليزية

* پوب ، ن . ،
ـ حول بعض الأسماء الجغرافية في جامع التواريخ ، **مجلة هارفرد
للدراسات الأسيوية** ، ١٩٥٦ م، جـ ١٩/ قسم ١ ـ ٢ ، ص .
ص : ٣٣ ـ ٤١ . — انجليزية

	لغة المرجع
* بول ، س . لين ،	
- السلالات الاسلامية الحاكمة ، لندن ، ١٨٩٣ م .	انجليزية
* بولياك ، اى . د . ،	
- المغول ، لندن ، ١٩٦٩ م .	انجليزية
* بويل ، هارون ،	
- تاريخ مختصر ايران ، ترجمه من الالمانية الى الفارسية : ز . شفقه ، طهران ، ١٣٤٩ هـ . ش .	المانية مترجم الى الفارسية
* تشيمبرز ، جيمس ،	
- فرسان الشيطان ، غزو المغول لأوروبا ، لندن ، ١٩٧٩ م .	انجليزية
* توران ، عثمان أو (عصمان) ،	
- المثالية في السيطرة العالمية بين اتراك العصور الوسطى ، مجلة الدراسات الاسلامية ، ١٩٥٥ م ،جـ ٤/ ص . ص: ٧٧ - ٩٠ .	انجليزية
* ثوماس ، برترام ،	
- العرب ، لندن ١٩٣٧م .	انجليزية
* ــــ ــــــ	
- جريدة الصن داى تايمز ، ٦ يناير ، ١٩٨٠م .	انجليزية
* جيبون ، اديوارد ،	
- تاريخ انحلال وسقوط الامبراطورية الرومانية ، نيويورك ، ١٩٢٧ م .	انجليزية
* حايري ، أ . هـ . ،	
- نصير الدين الطوسي ، دوره المزعوم في سقوط بغداد ، المؤتمر الدولي للمتخصصين في الشؤون العربية والاسلامية ،بروكسل، ٣١ أغسطس حتى ٦ سبتمبر ، ١٩٧٠ م .	انجليزية
* حذيفة ، سعد محمد ،	
- أوضاع الدول الاسلامية في المشرق الاسلامي ،بيروت ،مؤسسة دار الرسالة ، ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م .	

	لغة المرجع
* حجازي ، محمد ،	
- خلاصة تاريخ ايران حتى انقراض القاجاريين ، طهران ، ١٣٤٦ هـ . ش .	فارسية
* حمدي ، حافظ ،	
- الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي،القاهرة ، ١٩٥٠ م .	عربية
- الدولة الخوارزمية ، القاهرة ، ١٩٤٩ م .	عربية
* خان ، اقتدار علام ،	
- النظرية الملكية التركية المغولية ، عصور وسطى الهند ، ١٩٧٢ م ، جـ ٢/ص . ص : ٨ - ١٨ .	انجليزية
* خصباك ، جعفر ،	
- مجلة كلية الآداب والعلوم ، بغداد ، جـ٣/ ص . ص : ١١ - ٢٧ .	عربية
* الخويطر ، عبد العزيز ،	
- بيبرس الأول ، مساعيه ومنجزاته ، لندن ، ١٩٧٨ م .	انجليزية
* دوبوى ، ت . ن ،	
- حياة جنكيز خان العسكرية : خان الخانات ، نيويورك ، ١٩٦٩ م .	انجليزية
* دوراتشويلتز ، إكور ،	
- البعثات البابوية إلى الخانات العظام ، لندن ، ١٩٧١ م .	انجليزية
دو صوموجيي ، جوسف ،	
- تاريخ الإسلام للذهبي ، مجلة الجمعية الآسيوية الملكية ، ١٩٣٢ م ، ص . ص : ٨١٥ - ٨٥٥ .	انجليزية
* دوگلاس ، ر . ك ،	
- حياة جنكيز خان ، ترجيم من مصادر صينية معاصرة ، لندن ، ١٨٧٧ م .	صينية مترجم الى الانجليزية

لغة المرجع

* رازي ، عبد الله ،
- التاريخ الكامل لايران من تأسيس سلالة ماد حتى العصر الحاضر ، طهران ، ١٣٣٤ هـ . ش . — فارسية

* رانسيمان ، س . أ ، .
- تاريخ الحروب الصليبية ، مطبعة جامعة كيمبردج ، ١٩٥٢ - ١٩٥٤ م . — انجليزية

* راوندي ، م . ،
- حكومات وسلالات ايران من حملة العرب حتى استقرار المشروطية ،طهران ، ١٣٥٤ هـ . ش . — فارسية

* رشاد ،م. ،
- الخلافة العباسية (٥٧٥ / ١١٧٩ - ١٢٥٨/٦٥٦)،اطروحة قدمت الى جامعة لندن سنة ١٩٦٣ م ، لنيل شهادة الدكتوراه . — انجليزية

* روس ، السير ، اى ، د . ،
- الرحلات والرحالون في العصور الوسطى ، تحرير نيوتون، لندن ، ١٩٣٠ م ، ص . ص : ١٧٤ - ١٩٤ . — انجليزية
- التحرك (التجوال) البدوي في آسيا مجلة الجمعية الملكية للفنون، ١٩٢٩ م . — انجليزية

* السير ، اى . د .،و ف . هـ . إسكراين ،
- قلب آسيا، لندن ، ١٨٩٩ م . — انجليزية

* ريازانوفيسكي ، ف . أ . ،
- الأسس الرئيسية لقانون المغول ، انديانا ، ١٩٦٥ م . — انجليزية

* ريو ، سي . ،
- فهرست المخطوطات الفارسية في المتحف البريطاني ، لندن، ١٨٨٩ م . — انجليزية

المرجع	لغة المرجع
* ساووندرز ، ج . ج . ،	
- **المسلمون والمغول** ، جامعة نيوزيلندا في كنتربري ، ١٩٧٧ م .	انجليزية
- **تاريخ الفتوحات المغولية** ، لندن ، ١٩٧١ م .	انجليزية
* سايكس ، د . ،	
- **تاريخ ايران** ، اكسفورد ، ١٩٢٢ م ، وله ترجمة الى الفارسية ، طبعة طهران، ١٣٣٠ هـ . ش .	انجليزية ومترجم الى الفارسية
* سپولر ، برتولد ،	
- **تاريخ المغول في ايران** ، ترجمه من اللغة الالمانية الى اللغة الفارسية د/ م ميرافتابي ، طهران ، ١٣٥١ هـ . ش/ ١٩٧٢ م .	المانية ترجم الى الفارسية
- **المغول في التاريخ** ، ترجمه من اللغة الالمانية الى اللغة الانجليزية : ج ويلر ، لندن ، ١٩٧١ م .	المانية ترجم الى الانجليزية
- **تاريخ المغول** ، معتمداً أساساً على المصادر الشرقية والغربية المعاصرة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، ترجمه من اللغة الالمانية الى اللغة الانجليزية : هلكا دروموند ، واستوارت دروموند ، لندن ، ١٩٧٢ م .	المانية ترجم الى الانجليزية
- **العالم الاسلامي** ، **الفترة المغولية** ، ترجمه من اللغة الالمانية الى اللغة الانجليزية : ف . ر . سي . بكلي ، ليدن ، (هولندا) ، ١٩٦٩ م .	المانية ترجم الى الانجليزية
- **العالم الاسلامي** ، **عصر الخلفاء** ، ترجمه من اللغة الالمانية الى اللغة الانجليزية ، ف . ر . سي . بكلي ، ليدن (هولندا)، ١٩٦٠ م .	المانية ترجم الى الانجليزية
* سكورمانّ ، م . أ . ،	
- التطبيقات المغولية (المالية على) الأقطار الخاضعة تحت نفوذهم خلال القرن الثالث عشر ، **مجلة هارفرد للدراسات الآسيوية** ، ١٩٥٦ م ، ج ١٩/ص ، ص : ٣٠٤ ـ ٣٨٩ .	انجليزية
* سياقي ، م . د . ،	

لغة المرجع

- السلطان جلال الدين خوارزم شاه ، طهران ، ١٣٤٦ هـ . ش . — فارسية

* شپّارد ، اى .

- الطرق العسكرية عند المغول ، معهد الخدمات (العسكرية) الملكي المتحد لدراسات الدفاع ، مجلة عسكرية تصدر كل ثلاثة أشهر ، الولايات المتحدة ، ١٩٢٩ م ، جـ ١٨/ص . ص : ٣٠٥ ـ ٣١٥ ، — انجليزية

* شعبان ، عبد الحي ،

- التاريخ الاسلامي ، تفسير جديد ، جـ ٢ / لندن ، ١٩٧٦ م . — انجليزية

* صوصه ، أحمد ،

- فيضانات بغداد في التاريخ ، بغداد ، ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣ م . — عربية

* الصياد ، فؤاد عبد المعطي ،

- مؤرخ المغول الكبير ، رشيد الدين فضل الله الهمداني ، القاهرة ، ١٣٨٦ هـ /١٩٦٧ م . — عربية

* العميد ، طاهر ،

- بغداد ، مدينة المنصور المدوره ، بغداد ، ١٩٦٧ م . — عربية

* فوكس ، رالف ،

- جنكيز خان ، لندن ، ١٩٣٦ م . — انجليزية

* ڤرنادسكي ، ج . ،

- ملاحظات حول التاريخ الاويغوري في العصور الوسطى المتأخرة ، مجلة الجمعية الشرقية الامريكية ، ١٩٣٦ م ، ٥٦/ ص . ص : ٤٥٣ ـ ٤٦١ . — انجليزية

- هدف ومحتويات ياسا جنكيز خان ، مجلة هارڤرد للدراسات الآسيوية ، ١٩٣٨ م . جـ ٣/ص . ص : ٣٣٧ ـ ٣٦٠ . — انجليزية

- المغول وروسيا ، جـ ٣ ، مطابع جامعة ييل ، ١٩٥٣ م . — انجليزية

* ڤلاديميرستوف ، ب . ج . ى .

- حياة جنكيز خان ، ترجمه من اللغة الروسية الى اللغة الانجليزية — روسية مترجم

لغة المرجع

الامير/ د . س ميرسكي ، لندن ، ١٩٣٠ م ؛ ظهر له ترجمة فرنسية سنة ١٩٤٨ م . | الى الانجليزية وله ترجمة فرنسية

- **النظام الاجتماعي للمغول** ، الاقطاعية البدوية ، في سنة ١٩٣٤ م . ظهرت الطبعة الروسية في سنة ١٩٤٨ م ، وترجم الى الفرنسية ومنها ترجمته الدكتورة شيريني بياني الى اللغة الفارسية ، طهران ، ١٣٤٥ هـ/١٩٦٧ م . | روسية ترجم الى الفرنسية ومنها الى الفارسية

* فيليس ، أى . د . ،
- **المغول** ، لندن ، ١٩٦٩ م . | انجليزية

* القزاز ، م . ص . د .
- **الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير** ، (٥١٢ - ٦٥٦ هـ) ، بغداد ، ١٣٩١ هـ /١٩٧١ م . | عربية

* كرايدر ، لورانس ،
- الاقطاعية وحكومة التتر في العصور الوسطى ، دراسات مقارنة في المجتمع والتاريخ **مجلة دولية ، تصدر كل ثلاثة اشهر** ، ١٩٥٨ - ١٩٥٩ م ، جـ ١/ص . ص: ٧٦ - ٩٩ . | انجليزية

- **النظام الاجتماعي « التركي - المغولي » للبدو الرعويين** ، بلومنگتون ، ١٩٦٣ م . | انجليزية

* كريتزك ، ج . ،
- ابن الطقطقا وسقوط بغداد ، العالم الاسلامي ، ١٩٥٩ م . | انجليزية

* كلارك ، د . د .
- **رحلات في روسيا ، وتارتاري ، وتركيا** ، ادينبره ، ١٨٣٩ م . | انجليزية

* كلاركسون ، ج . د . ،
- **تاريخ لروسيا** ، نيويورك ، ١٩٦١ م . | انجليزية

* كلوسون ، السير جيرالد ،
- الاسم اويغور ، **مجلة الجمعية الآسيوية الملكية** ، ١٩٦٣ م ، جـ

	لغة المرجع
٨/ قسم ٣ ـ ٤ ، ص . ص : ١٤٠ ـ ١٤٩ .	انجليزية
* كليفز ، فرانسيس وودمان ،	
ـ النقش المغولي ـ الصيني لسنة/ ١٣٤٦ ،مجلة هارفرد للدراسات الآسيوية ، ١٩٥٢ م ، جـ ١٥/ص . ص : ١ ـ ١٢٣ .	انجليزية
ـ الأسماء والتواريخ المغولية في تاريخ الأمة ذات الأقواس، طبع مطبعة جامعة هارفرد ، ١٩٥٤ م .	انجليزية
ـ ترجمة حياة بايان الباريني في يوان تشه ، مجلة هارفرد للدراسات الآسيوية ، ١٩٥٦ م ، جـ ١٩/ قسم : ٣ ـ ٤ ، ص ص : ١٨٥ ـ ٣٠٣	صينية مترجم الى الانجليزية
ـ تاريخية معاهدة (أو ميثاق أو مبايعة) بالگونه ، مجلة هارفرد للدراسات الآسيوية ، ١٩٥٥ م ، جـ ١٨/ ص . ص : ٣٥٧ ـ ٤٢١ .	انجليزية
* كُهِنْ ، كلود	
ـ ما قبل تركيا العثمانية (١٠٧١ ـ ١٣٣٠) ترجمه من الفرنسية الى الانجليزية ج . جونز ـ وليمز ، لندن ، ١٩٦٨ م .	فرنسية ترجم الى الانجليزية
* كوك ، ر . ،	
ـ بغداد ، مدينة السلام ، لندن ، ١٩٢٧ م .	انجليزية
* كَروسّت ، رينهْ ،	
ـ ظهور وعظمة امبراطورية الصينيين ، لندن ، ١٩٥٢ م (أو« امبراطورية السهوب » ، ظهرت الطبعة الفرنسية في باريس سنة ١٩٣٩ م .	فرنسية ترجم الى الانجليزية
ـ فاتح العالم ، ترجمه الى الانجليزية : دنيس سينور ، وماريان ماكلر ، ادينبره ولندن ، ١٩٦٧ م . ظهرت الطبعة الفرنسية في سنة : ١٩٤٤ م في باريس .	فرنسية مترجم الى الانجليزية
* لتش ، د . اى . ،	
ـ آسيا في صنع اوروبا ، جـ ١/ في اثنين ، مطبعة جامعة شيكاغو ،	

لغة المرجع

١٩٦٥ م . — انجليزية

* لديارد ، كاري

- حملات المغول العسكرية في كوريا وتاريخ كتابة تاريخ المغول السري ، **المجلة الاسيوية المركزية** ، ١٩٦٤ م ، جـ ٩/ قسم : ١ ، ص . ص : ١ - ٢٢ . — انجليزية

* لمب ، هارولد ،

- **غزو البرابره** ، لندن ، ١٩٤١ م . — انجليزية

- **جنكيز خان امبراطور جميع الناس** ، نيويورك ، ١٩٢٨ م ، ترجمه الى الفارسية صارمي ، طهران ، ١٣٥٠ هـ . ش . — انجليزية وله ترجمة فارسية

* لمبتون ، أ . ك . س . ،

- البناء الداخلي للامبراطورية السلجوقية ، **تاريخ كيمبردج لايران** ، جـ ٥ ، كيمبردج ، ١٩٦٨ م . — انجليزية

- **الملاك والفلاحون في ايران** ، دراسة لتولي ودخل الأراضي ، مطبعة جامعة اكسفورد ، ١٩٦٩ م . — انجليزية

* لنك ، م . د . ،

- **الجرجانيون** ، لندن ، ١٩٦٦ م . — انجليزية

* لوسترنج ، ج . ،

- بغداد خلال فترة الخلافة العباسية ، اكسفورد ، ١٩٠٠ م . — انجليزية

- **أراضي الخلافة الشرقية** ، كيمبردج ، ١٩٠٥ م . — انجليزية

- قصة موت آخر خليفة عباسي ، **مجلة الجمعية الآسيوية الملكية** ، ١٩٠٠ م ، ص . ص : ٢٩٣ - ٣٠٠ (انظر تحت القزويني في قائمة المصادر) . — انجليزية

* مارتن ، هـ . د . ،

- الحروب المغولية مع هسي - هسيا (١٢٠٥ - ١٢٢٧) ، **مجلة الجمعية الآسيوية الملكية** ، ١٩٤٢ م ، ص . ص : ١٩٥ - ٢٢٨ . — انجليزية

	لغة المرجع
- **ظهور جنكيز خان وفتوحاته في شمال الصين** ، لندن ، ١٩٥٠ م .	انجليزية
* مجموعة من المؤلفين المستشرقين	
- **الموسوعة الإسلامية** ، الطبعة الجديدة ، ١٩٦٠ - ١٩٧١ م .	انجليزية
* مجموعة مؤلفين	
- **كتيب عن الطورانيين** ، تأليف القسم الجغرافي في مركز المخابرات البحري ، موظفي الاميرالية البحرية ، مطابع الجامعة، اكسفورد ، ١٩١٨ م .	انجليزية
* مشكوتي ، ف .	
- **من السلاجقة الى الصفويين** ، طهران ، ١٣٤٣ هـ . ش .	فارسية
* معروف ، ناجي ،	
- **المدارس الشرابية ، ببغداد وواصل ومكة** ، بغداد ، ١٣٨٥ هـ /١٩٦٦ م .	عربية
* معين الحق ، س . ،	
- **خوارزم شاه ٤** ، جلال الدين خوارزم شاه ، **مجلة الجمعية التاريخية الباكستانية** ، كراتشي ، ١٩٧٦ م ، جـ ٢٤، قسم ١ و٢، ص ص/ ٥٠ - ٨٢ وص . ص: ١٠٨ - ١٤٦ .	انجليزية
* منكس ، ك . هـ . ،	
- رشيد الدين عن الصين ، **مجلة الجمعية الشرقية الامريكية** ، ١٩٧٥م ،ص ص: ٩٥ - ٩٨ .	انجليزية
* ميتشلي ، سيلفيو ،	
- **منغوليا بحثاً عن ماركو بولو ومغامرين آخرين** ، ترجمه من اللغة الايطالية الى اللغة الانجليزية ، پروس پنمان ، لندن ، ١٩٦٧ م .	ايطالية ترجم الى الانجليزية
* مينورسكي ، ڤ ،	
- الشرق الأوسط في السياسة الغربية في القرون الثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر ، **مجلة جمعية آسيا الوسطى**	

	لغة المرجع
الملكية ، ١٩٤٠ م ، ٧٧، ص. ص: ٤٢٧ ـ ٤٦١ .	انجليزية
ـ رحلة تميم بن بحر الى الاويغوريين ، **مجلة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية** ، جـ ١٢/ قسم ٢ ، ١٩٤٨ م ص. ص: ٢٧٥ ـ ٣٠٥ .	انجليزية
ـ قوقاسيا ، ٣، عاصمة اللان ، مكس ، وحملات المغول العسكرية ، **مجلة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية**، جـ ١٤ ، قسم ٢ ، ١٩٥٢ م ، ص. ص: ٢٢١ ـ ٢٣٨ .	انجليزية
ـ قوقاسيا ، ٣، عاصمة اللان ، **مجلة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية** ، ١٩٥٣ م ، جـ ١٥ ص . ص : ٥٠٤ ـ ٥٢٩ .	انجليزية
ـ **التاريخ القوقاسي** ، **دراسات في التاريخ القوقاسي** ، لندن ، ١٩٥٣ م .	انجليزية
ـ **الاتراك ، والايرانيون ، والقوقاسيون في العصور الوسطى** ، لندن ، ١٩٧٨ م . .	انجليزية
* مينورسكي ، و . م . مينوڤي ،	
ـ نصير الدين الطوسي في الشؤون المالية ، **مجلة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية** ، ١٩٤٠ ـ ١٩٤٢ م ، جـ ١٠/ص. ص: ٧٥٥ ـ ٧٨٩ .	انجليزية
* نيوتون، أ . ب . ،	
ـ **الرحلات والرحالون في العصور الوسطى** ، لندن ، ١٩٣٠ م .	انجليزية
* هارت ، كابتن ، ب . هـ .	
ـ **قادة عظام** ، لندن ، ١٩٢٧ م .	انجليزية
* هاوورث ، السير هـ . ،	
ـ **تاريخ المغول** ، لندن ، ١٩٢٧ م .	انجليزية
* هوتسما ، م . ت .	
ـ بغض الملاحظات حول تاريخ السلاجقه ، اكتا اورينتاليا، ١٩٢٥ م ، جـ ٣/ ص. ص: ١٣٦ ـ ١٥٢ . (انظر أيضاً تحت	

	لغة المرجع
ابن بي بي في قائمة المصادر) .	انجليزية
* هودجسون ، م . ت . ،	
ـ فرقة الحشاشين، هيگث ، ١٩٥٥ م ترجمه الى اللغة الفارسية : ف . بدرهاي، طهران ، ١٣٤٦ هـ . ش .	انجليزية مترجم الى الفارسية
ـ الدولة الاسماعيلية ، تاريخ كيمبردج لايران ، جـ ٥/تحرير : ج . أ . بويل ، كيمبردج ، ١٩٦٨ م .	انجليزية
* وصيلي ، جنتسكوتسكي .	
ـ جنكيز خان ، ترجمه من اللغة الروسية الى الفارسية/ م . هرمزان، موسكو ، ١٩٧١ م .	روسية ترجم الى الفارسية
* وودز ، ج . اى .	
ـ ملاحظة حول احتلال المغول لمدينة اصفهان ، مجلة دراسات الشرق الأدنى ، جـ ٣٦/يناير ، ١٩٧٧ م، رقم : ١، ص .ص : ٤٩ ـ ٥١ .	انجليزية
* ووكر ، سي . سي .	
ـ جنكيز خان ، لندن ، ١٩٣٩ م .	انجليزية
* ويتفوجل ، ك . أ . وفنك تشيا ـ تشنك	
ـ تاريخ مجتمع الصينيين ، ليوا (٩٠٧ ـ ١١٢٥) ترجم من مصادر صينية ، فيلادلفيا ، ١٩٤٩ م .	صينية ترجم الى الانجليزية
* يول ، هـ .	
ـ كاثاي والطريق الى هناك،وهو مجموعة ملاحظات عن الصين في العصور الوسطى في أربعة مجلدات، طبعة جديدة ، جمعية هكلايت ، لندن ، ١٩٦٧ م .	انجليزية

ب ـ أسماء المصادر والمراجع باللغة الانجليزية

ب ـ قائمة أسماء المصادر والمراجع باللغة الانجليزية

BIBLIOGRAPHY

(1) CLASSICAL WORKS

A) Unpublished Works

al -Dhahabi — Shams al-Din: **Tarikh al-Islam Wa Wafayat al-Mashahir Wa al-A'lam,** Aya Sophia, (Sulaymaniyya) Istanbul, MSS, No. 3005-16.

al-Dubaythi — Abu 'Abd Alla Jamal al-Din Muhammad: **Dhayl Madinat al-Salam,** Sulaymaniyya (Sehid Ali Pasa's collection) Istanbul, MSS, No. 1870.

Ibn Duqman — Ghars al-Din Ibrahim: **al-Jawhar al-Thamin Fi Sirat al-Muluk Wa al-Salatin,** Aya Sophia (Sulaymaniyya), Istanbul, No. 3172.

Ibn Habib — al-Hasan b. 'Umar: **Durrat al-Islam Fi Dawlat al-Atrak,** Yeni Cami', Istanbul, MSS, No. 849.

Hafiz-i Abru — 'Abd Alla b. Lutf Alla: **Zubdat al-Tawarikh,** Aya Sophia, (Sulaymaniyya) Istanbul, MSS, No. 3035, a Copy in the KKM, No. 1578.

Hajji — Khalifa: **Taqwim al-Tawarikh,** KKMSMI, Tehran, MSS, No. 4772.

Ibn Hammad — **Qut al-Arwah Wa Yaqut al-Arbah,** As'ad (Sulaymaniyya), MSS, No. 2202.

Ibn Iyas — Muhammad b. Ahmad: **'Uqud al-Juman Fi Waqa'i' al-Zaman,** Aya Sophia (Sulaymaniyya), Istanbul, MSS, No. 3311.

al-Kaziruni — 'Ali b. Muhammad: **Mukhtasar al-Tarikh Min Awwal al-Zaman Ila Muntaha Dawlat Bani al-'Abbas,** Sulaymaniyya (Jaralla), Istanbul, MSS, No. 1625.

Khuwand Amir — Ghiyath al-Din: **Khulasat al-Akhbar Fi Bayan Ahwal al-Akhyar,** KKMSMI, Tehran, MSS, NO. 5722.

al-Malik — al-Sultan al-Afdal: **Nuzhat al-'Uyun Fi Tarikh Tawa'if al-Ourun, DKM, CKM, Cairo, MSS, No. 4964.**

Nuwayri — Shihab al-Din Ahmad: **Nihayat al-Arab Fi Funun al-Adab,** DKM, Cairo, MSS, No. 549.

Rashid al-Din — Fadl Alla: **Jami' al-Tawarikh (Tarikh Jinkiz Khan)**, Aya Sophia (Sulaymaniyya), Istanbul, MSS, No. 3034.

Ibn Taghri Bardi — Abu al-Mahasin: **al-Manhal al-Safi Wa al-Mustawfa Ba'd al-Wafi**, TSMK, Istanbul, MSS, No. 3018.

al-'Umari — Shihab al-Din: **Masalik al-Absar Fi Mamalik al-Amsar**, Aya Sophia (Sulaymaniyya), Istanbul, MSS, No. 3439.

B) Published Works

Ibn al-'Adim — Kamal al-Din 'Umar: **Zubdat al-Halab Fi Tarikh Halab**, Edited by: S. al-Dahhan, Damascus, 1387/1968.

Ibn al-'Amid — al-Makin Jarjas: **Akhbar al-Ayyubiyyin**, Ed. by C. Cahen, **BEO**, 1955-7, vol. XI, pp. 109-177.

al-'Arwdi — Nizam al-Din: **Chahar Maqala**, ED. by: Qazwini and M. Mu'in, Tehran, A. H. Shamsi, 1333/1954; the English translation by: E. G. Browne, London, 1900.

Ibn al-Athir — 'Izz al-Din 'Ali: **al-Kamil Fi al-Tarikh**, Beirut, 1387/1967.

Ibn al-Athir — **al-Tarikh al-Bahir**, Ed. by: A. Tulaymat, Cairo, 1382/1963.

al-'Awfi — Nur al-Din Muhammad: **Lubab al-Albab**, Ed. by: S. Nafisi, Tehran, A. H. Shamsi, 1333.

al-'Awfi — **Jawami' al-Hikayat Wa Lawami' al-Riwayat, Ed. by A. H. and M. Massafa, Tehran, A. H. Shamsi, 1353.**

Banakati — Fakhr al-Din Abu Sulayman: **Tarikh Banakat**, Known al **Rawdat Uli al-Albab Fi Ma'rifat al-Tawarikh Wa al-Ansab**, Ed. by Dr J. Sha' 'ar, Tehran, A. H. Shamsi, 1348.

Bar Hebraeus — Gregory Abu al-Faraj: **The Chronography**, translated from the Syriac by: Ernest A. Wallis budge, Oxford University Press, London, 1932. (See also, Ibn al-'Ibri).

Ibn Battuta — Muhammad: **Rihlat Ibn Battuta**, Beirut, 1384/1964.

al-Baydawi — Abu al-Khayr Nasr: **Nizam al-Tawarikh**, Edited by B. Karimi, Tehran, A. H. Shamsi, 1314.

Beazley — C. R.: **The Chronicle of Novgorod**, translated from Russian by: R. Michell and N. Fobers, London, Camden Society, volume XXV, 1914.

Benedict — Brother: **The Narrative**, Ed. by: C. Dawson, Under the title **The Mongol Mission**, London and New York, 1955.

Ibn Bibi — Amir Nasir al-Din: **Mukhtasar Saljuq Nama-iy Ibn Bibi**, abstracted from: **al-Awamir al-'Ala' iyya Fi al-Umur al-'Ala' iyya**, Ed. by: M. H. Houtsma, Leyden, 1902, reproduced, with additional works concerning the Seljuq history in Rum, by M. J. Mashkur, entitled: **Akhbar Salajiqa-iy Rum**, Tehran, A. H. Shamsi, 1350.

Carpini	John of Plano: **History of the Mongol, (HM)**, Ed. by: C. Dawson. entitled: **The Mongol Mission**, London and New York, 1955.
Carpini	Johan De Plano and William De Rubruquis: **The Texts and Versions**,Ed. by: C. Raymond Beazley, London, 1903.
Ch'ang Ch'un	**The Travels of an Alchemist**, written by his disciple Li Chih-ch'ang, and translated from Chinese by A. Waley, London, 1963.
al-Dawadar	Abu Bakr 'Ali: **Knaz al-Durar Wa Jami' al-Ghurar, al-Dur al-Matlub Fi Akhbar Muluk Bani Ayyub**, vol. VII, Ed. by S. A. Ashur, Cairo, 1391/1972.
al-Dawadar	**Kanz al-Durar Wa Jami' al-Ghurar, al-Durrat al-Zakiyya Fi al-Dawlat al-Turkiyya**, vol. VIII, Ed. by Ulrich Haarmann, Cairo, 1391/1972.
De Bridia	C. Friar: **The Vinland Map and the Tartar Relation**, Edited and translated by R. A. Skelton, T. E. Marston and G. D. Painter, for the Yale University, Yale University Press, 1965.
De Joinville	Lord Johen: **The Life of St. Louis IX**, Translated into English by R. Hague, London, 1955.
al-Dhahabi	Shams al-Din Muhammad: **al-'Ibar Fi Akhbar Man Ghabar**, Edited by Dr S. Munajjid, Kuwayt, 1386/1966.
al-Dhahabi	**Duwal al-Islam**, Hyderabad. A. H. 1337.
al-Dhahabi	**al-Mukhtasar al-Muhtaj Ilayhi Min Tarikh al-Hafiz Muhammad b. al-Dubaythi**, Edited by: M. Jawad, Baghdad, 1371/1951.
al-Dhahabi	**Siyar A'lam al-Nubala'**, Cairo, 1956.
al-Dhahabi	**Tadhkirat al-Huffaz** Ed. by: Da'irat al-Ma'arif al-'Uthmaniyya, Hyderabad, 1376/1957.
Ibn Dihia	'Umar b. Hasan: **al-Nibras Fi Tarikh Bani al-'Abbas**, Ed. by: A. A. al-'Azzawi, Baghdad, 1356/1946.
Diyar Bakri	Husayn: **Tarikh al-Khamis Fi Ahwal Anfas Nafis, Beirut, 1283.**
Fasih	Ahmad b. Muhammad: **Mujmil-i-Fasihi**, Edited by: M' Farrukh, Mashhad, 1960-2.
Abu al-Fida	'Imad al-Din Isma'il: **al-Mukhtasar Fi Akhbar al-Bashar, Cairo, 1325.**
Ibn al-Fuwati	Kamal al-Din 'Abd al-Razzaq: **al-Hawadith al-Jami'a Wa al-Tajarib al-Nafi'a Fi al-Mi'at al-Sabi'a**, Ed. by: M. Jawad, Baghdad, 1351/1932.
Ibn al-Fuwati	**Talkhis Majma' alAdab Fi Mu'jam al-Alqab**, Ed. by. M. Jawad, Damascus, 1965.
Abu al-Ghazi	Bahadur Khan: **A general history of: Turks, Mongols, and**

Tartars, translated originally from a Monogol Manuscript; translated into English and printed in London, 1729, for j. and j. Knapton and others.

Grigor — Grigor of Akanc: **History of the Nation of the Archers (The Mongol), (HNAM)**, Edited and translated by: R. Blake and R. M. Frye, Harvard University Press, 1954.

Ibn Abi al-Hadid — 'Abd al-Hamid: **Sharh Nahj al-Balagha**, Ed. by: N. A. Ibrahim, Cairo, 1329/1911.

Ibn Hajar — Shihab al-Din al-'Asqalani: **Inba' al-Ghumr Bi Anba' al-'Umr, Edited by Da' irat al-ma'arif al-'Uthmaniyya, Hyderabad, 1388/1968.**

Ibn Hajar — **al—Durar al-Kamina Fi A'yan al-Mi'at al-Thamina**, Edited by M. S. Jad al-Haq Cairo, 1385/1966.

al-Hamawi — Abu al-Fada'il: **al-Tarikh al-Mansuri, Talkhis al-Kashf Wa al-Bayan Fi Hawadith al-Zaman**, Edited by P. Gryazniuyj, Moscow, 1960.

Abu Hamid — Muhammad b. Ibrahim: **Dhayl Seljuq-Nama-iy Zahir-i-Nishapuri**, Tehran, A. H. Shamsi, 1313.

al-Harawi — Sayf al-Din: **Tarikh Nama-iy Harat**, Edited by: M. Z. al-Siddiqi, Published by Calcutta University, 1362/1943.

Hudud — Hudud al-'Alam, Translated and explained by: V. Minorsky, Edited by: C. E. Bosworth, E. J. W. Gibb Memorial, New Series, XI, London, 1970.

al-Husayni — Sadr al-Din: **Akhbar al-Dawlat al-Seljuqiyya**, Known as **Zubdat al-Tawarikh**, Edited by: M. Iqbal, Lahore, 1933.

Ibn al-'Ibri — Gregory Abu al-Faraj: **Tarikh Mukhtasar al-Duwal**, Edited by Salihani, Beirut, 1958.

al-Irbili — 'Abd al-Rahman: **Khlasat al-Dhahab al-Masbuk, Mukhtasar Min Siyar al-Muluk**, Baghdad, 1971.

Ibn Isfandiyar — Muhammad: **Tarikh-i-Tabaristan**, Abridged and translated into English by E. G. Browne, London, 1905.

Ibn al-Jawzi — 'Abd al-Rahman: **al-Muntazam Fi Tarikh al-Muluk Wa al-Umam**, Hyderabad, 1359.

Ibn Jubayr — Muhammad b. Ahmad: **Rihlat Ibn Jubayr**, Beirut, 1384/1964.

Juwaini — 'Ala' al-Din 'Ata Malik: **Tarikh-i-Jahan Gushay**, Edited by Mirza M. Qazwini, Leyden, 1329/1911, 1334/1916 and 1355/1937, English translation by J. A. Boyle, entitled **The History of the World Conqueror (HWC)**, Manchester University Press, Manchester, 1958.

al-Juwaini, — Mu'ayyad al-Din Muntajab al-Din: **Kitab 'Atabat al-Kataba,**

Edited by M. Qazwini and A. Eqbal, Tehran, A. H. Shamsi, 1329.

Juzjani — Qadi Minhaj al-Din: **Tabaqat-i-Nasiri,** Edited by A. Habibi, Kabul, A. H. Shamsi, 1343, English translation by Major H. G. Raverty, London, 1298/1881, reprinted in 1970.

Karakhi — Mawlana Zahir al-Din: **Isnad Namahay Tarikh-i-Az Awa'il Dawrahay Islam Ta Awakhir 'Ahd Shah Isma'il Safawi,** Edited by D. A. M. Thabiti, Tehran, A. H. Shamsi, 1346.

Ibn Kathir — Abu al-Fida Isma'il: **al-Bidayat Wa al-Nihayat,** Beirut, 1967.

Ibn Khaldun — 'Abd al-Rahman: **al-'Ibar Wa Diwan al-Mubtada Wa al-Khabar.**, Beirut, 1957.

Ibn Khallikan — Shams al-Din: **Wafayat al-A'yan Wa Anba' Abna' al-Zaman,** Edited by M. M. 'Adb al-Hamid, Beirut, 1968.

Khuwand Amir — Ghiyath al-Din: **Tarikh Habib al-Siyar Fi Akhbar Afrad-i-Bashar,** Edited by M. D. Siyaqi, Tehran, A. H. Shamsi, 1333.

Khuwand Amir — **Dastur al-Wozora'**, Edited by S. Nafisi, Tehran, A. H. Shamsi, 1317.

Kirakos of Ganjak — **A Brief Description of the Appearance of the T'at'ar,** Annotated and translated into English by J. A. Boyle, with the title: Kirakos of Ganjak on the Monogol, **CAJ**, 1963, VIII, 3, pp. 199-214.

al-Maqrizi — Taqi al-Din Ahmad: **al- Suluk Li Ma'rifat Duwal al-Muluk, Cairo, 1957.**

Ibn al-Mi'mar

Abu 'Abd Alla Muhammad: **Kitab al-Futuwwa,** Ed. by M. Jawad and others, Baghdad, 1960.

Mir Khuwand — Muhammad b. Khuwand Shah: **Tarikh Rawdat al-Safa Fi Sirat al-Anbiya' Wa al-Muluk Wa al-Khulafa'** Tehran, A. H. Shami, 1338.

Mu'in — Abu al-'Abbas Ahmad: **Shiraz Nama,** Edited B. Karimi, Tehran, A. H. Shamsi, 1310/A. H. 1350.

Ibn Muyassir — Muhammad b. 'Ali: **Akhbar Misr,** Cairo, 1919.

Nakhjawani — Hindu Shah: **Tajarib al-Salaf,** Edited by 'A. Eqbal, Tehran, A. H. Shamsi, 1313.

Nasawi — Shihab al-Din Muhammad al-Munshi: **Sirat al-Sultan Jalal al- Din Mankobirti,** Ed. by H. A. Hamdi, Cairo, 1953.

Nasawi — **Nafthat al-Masdur,** Edited by A. H. Yazdgirdi, Tehran, A. H. Shamsi, 1343/A. D. 1965.

Paris — Matthew: **English History,** Translated from the Latin by the Rev. J. A. Giles, D. C. L., London, 1668.

Polo — Marco: **The Travels of Marco Polo,** translated into English from the text of L. F. Benedetto by Proffessor Aldo Ricci with

an introduction and index by Sir E. D. Ross, Edinburgh, 1931.

Polo — **The Book of Ser Marco Polo**, Translated by Sir H. Yule, London, 1926.

al-Qalqashandi — Ahmad: **Ma'athir al-Inafa Fi Ma'alim al-Khilafa, Edited by Farraj, Kuwayt, 1964.**

al-Qalqashandi — **Subh al-A'sha,** Cairo, 1914.

Qazwini — Hamad Alla Mustawfi, **Tarikh-i-Guzida, Edited by Nawa'i. Tehran, A. H. Shamsi, 1339, English translation by E. G. Browne, London 1913.**

Qazwini — **The Geographical Part of the Nuzhat al-Qulub**, translated into English by G. Le Strange, Leyden, 1919.

Rabban — Sawma and Markos, **The Monks of Kublai Khan Emperor of China** (the life and travels of the two Nestorian churchmen). translated from the Syriac by Sir E. A. Wallis Budge, London, 1928. (See Yaballaha I I I)

Ibn Rafi' — Muhammad al-Salami, **Dhayl Tarikh Ibn al-Najjar, Edited by A. al-'Azzawi, Baghdad, 1357/1938.**

Rashid al-Din — Fadl Alla: **Jami' al-Tawarikh,** vol. I, **Az Aghaz Pidayash Qabail Moghul Ta Payan Dawra-iy Timur Qa'an;**volume I I, **Az Aghaz Saltant Hulagu Khan Ta Payan Dawra-iy Ghazan Khan,** Ed. by B. Karimi, Tehran, A. H. Shamsi, 1338.

Rashid al-Din — (Muller, D. G. Maitland), **A study and translation of the «Compendiumof Histories» by Rashid al-Din Fadl al-llah Concerning the Turkish and Mongol Tribes,** Theseis for Ph. D., 1957, from School of Oriental and African Studies, University of London.

Rashid al-Din — **Jami' al-Tawarikh, Vol. I I, trenslated into Arabic by M. S. Nash'at and others, Beirut, 1951.**

Rashid al-Din **The Successors of Genghis Khan (SGK)** Translated from the Perian by J. A. Boyle, New York, 1971.

Rawandi — Muhammad b. 'Ali: **Rahat al-Sudur Wa Ayat al-Surur Dar Tarikh Al-Seljuq,** Edited by M. Iqbal, Leyden, 1921.

Rubruck — Friar William: **The Journey of William of Rubruck to the Eastern Part of the World,** 1253-55, with two accounts of the earlier journey of John of Pian De Carpine, W. W. Rockhill, London, 1900, reproduced in 1967.

Rubruck — **The Journey of William of Rubruck,** with the title: **The Mongol Mission,** Edited by C. Dawson, London and New York, 1955.

Ibn al-Sa'i — 'Ali b. Anjab: **al-Jami' al-Mukhtasar Fi 'Unwan al-Tawarikh**

Wa 'Uyun al-Siyar, Edited by M. Jawad, Baghdad, 1353/1934.

Ibn al-Sa'i — Mukhtasar Akhbar al-Khulafa' Cairo, 1309.

Suyuti — Jalal al-Din: Tarikh al-Khulafa, Beirut,?

The Secret History of the mongols, London, 1963.

Ibn Shakir — Fakhr al-Din al-Kutubi: Fawat al-Wafayat, Edited by M. Muhiy al-Din, Cairo, 1951.

Abu Shama — 'Abd al-Rahman b. Isma'il: Tarajim Rijal al-Qarnayn al-Sadis Wa al-Sabi', Known also QS al-Dhayl 'Ala al-Rawdatayn, Cairo, 1366/1946.

Sibt Ibn al-Jawzi, — Yusuf b. Qizughlu: Mir'at al-Zaman, Edited by Da'irat al-Ma'arifa/ Uthmaniyya, Hyderabad, Deccan, 1370/1951.

al-Subki — Taj al-Din Abi Nasr: Tabaqat al-Shafi'iyya al-Kubra, 2nd Edition, Beirut, ?, also Cairo, 1301.

Ibn Taghri Bardi, — Abu al-Mahasin: al-Nujum al-Zahira Fi Akhbar Misr Wa al-Qahira, Edited by A. Nassar, Cairo, 1970.

Tarikh Sirri Monghulan, (TSM) translated from the French edition, the translation of Paul Pelliot (Histoire Secrete des Mongols, Paris, 1949) by Dr S. Bayani, Tehran, A. H. Shamsi, 1350.

Ibn al-Tiqtaqa, — Muhammad b. 'Ali b. Tabataba: al-Fakhri Fi al-Adab al-Sultaniyya Wa al-Duwal al-Islamiyya, Beirut, 1383/1963; English translation by C. E. J. Whitting, London, 1947.

al-Tusi — Nasir al-Din Muhammad: Kaifiyyat Waqi'a-iy Baghdad, a dhayl to Jahan Gushay of Juwaini, vol. 3/pp. 280-292; translated into English by J. A. Boyle in the JSS, 1961, vol. VI, pp. 150-61.

al-'Umari — Shihab al-Din: al-Ta'rif Bi al-Mustalah al-Sharif, Cairo, 1312/1894.

Unknown — Akhbar al-Dawlat al-'Abbasiyya, Edited by A. al-Duri, and 'Abd al-Jabbar, Beirut, 1971.

Ibn Abi Usaybi'a — Muwaffaq al-Din Ahmad: 'Uyun al-Anba' Fi Tabaqat al-Atibba' Beirut, 1376/1956.

Ibn al-Wardi — 'Umar: Tarikh Ibn al-Wardi, ?, ?.

Ibn Wasil — Jamal al-Din: Mufarrij al-kurub Fi Akhbar Bani Ayyub, vol. IV, EEdited by Dr H. M. Rabi', Cairo, 1972.

Wassaf-i-Hadrat, — Sharaf al-Din 'Abd Alla: Tarikh Wassaf, known as «Kitab Tajziat al-Amsar Wa Tazjiat al-A'sar, Edited by A. Ayati, Tehran, A. H. Shamsi, 1346.

Yaballaha I I I, — Father Bar Sauma: The History of Yaballaha I I I, translated from the Syriac and annotated by James A. Montgomery,

Octagon Books, Inc., New York, 1966. (See Rabban).

al-Yafi'i — 'Abd Alla b. As'ad: **Mir'at al-Janan Wa 'Ibrat al-Yaqzan Fi Ma'rifat Ma Yu'tabar Min Hawadith al- Zaman** Hyderabad, 1337/1919-21.

Yaqut — al-Rumi: **Mu'jam al-Buldan, Beirut, 1957.**

Ibn Abi al-Yusr, — Taqi al-Din b. Abi al-Yusr Marthiyya (al-Dhahabi, **Tarikh al-Islam**, MSS), Edited and translated into English by Joseph De Somogyi, in **BSOS**, 1933, vol. VII, part I, pp. 41-48.

al-Yunini — Qutb al-Din: **Dhayl Mir'at al-Zaman,** Edited by Da'irat Al-Ma'arif al-'Uthmaniyya, Hyderabad, 1374/1954.

(2) MODERN WORKS

Allen — W. E. D.: **A History of the Georgian People,** London, 1971.

al-'Amid — Tahir: **Baghdad, Madinat al-Mansur al-Mudawwara, Baghdad, 1967.**

Arnold — Sir Thomas: **The Caliphate,** London, 1970.

Ayalon — David: The Great Yasa of Chingiz Khan, **SI.**, 1971, vol. XXXIII, pp. 97-140 and vol. XXXIV, pp. 151-180.

Badr — M. T. B.: **Zawal al-Khilafa al-'Abbasiyya Min Baghdad 'Ala 'Aydi al-Moghul,** Thesis for M. A., Cairo, 194?.

Barthold — W. W., **Four Studies on the History of Central Asia, Leyden, 1962.**

Barthold — **Turkestan down to the Mongol invasion,** Gibb Memorial Trust, New Series, V, London, 1968, reprinated in 1977.

Barthold — The Empire of the Mongols, translated into Persian by H. A. Puri, Tabriz ,?.

Barthold — **Histoire des Turks de Asie Central,** translated into Arabic by A. A. Sulayman, Cairo, 1958.

Bokonyi — Sandor: **The Przevalsky Horse,** English translation by L. Halapy, London, 1974.

Bosworth — C. E.: **The Mediaeval History of Iran, Afghanistan and Central Asia,** London, 1977.

Boyle — J. A.: **Studies on the Ta'rikh-i-Jahan-Gusha of Juvayni.** Thesis accepted for Ph. D., London University, 1949.

Boyle — J. A.: On the Titles given in Juvaini to Certain Mongolian Princes. **HJAS**, 1956, 19M3-4, pp. 146-154.

Boyle — J. A.: The Mongol Invasion of Eastern Persia, 1220-1223, **History Today, IX, 5., pp. 614-623, London, 1959.**

Boyle J. A.: The Death of the last 'Abbasid Caliph: A Contemporary Muslim Account, **JSS,** 1961, vol. VI, pp.145-61.

Boyle J. A.: Juvayni and Rashid al-Din as sources on the History of the Mongol, **Historians of the Middle East,** London, 1962, pp. 133-137.

Boyle J. A.: The Longer Introduction of the **«Zij-i-Ilkhani»** of Nasir al-Din Tusi, **JSS,** 1963, vol. VIII, pp. 244-54.

Boyle J. A.: The Mongol Commanders in Afghanistan and India According to the Tabaqat-i-Nasiri of Juzjani, **IS,** II, Karachi, 1963, pp. 235-247.

Boyle J. A.: The Journey of Het'um I King of Little Armenia to the Court of Great Khan Mongke, **CAJ,** 1964, IX/3, pp.175-89.

Boyle J. A.: A Form of Horse Sacrifice among the 13th and 14th Century Mongols, **CAJ,** 1965, X, 3-4, pp.145-150.

Boyle J. A.: The Burial Place of the Great Khan Ogedei, **AO,** 1968, vol. XXXII, pp. 45-50.

Boyle J. A.: **The Cambridge History of Iran, (CHI),** vol. V, The Saljuq and Mongol Periods, Cambridge Univ. Press, 1968.

Boyle J. A.: The Significance of the Jami' al-Tawarikh as a Source on Mongol History, **IS** 2, Tehran, 1970, pp. 1-8.

Boyle J. A.: The Capture of Isfahan by the Mongols, **Convegno Internazionale Sul Tema La Persia Nel Medioevo, Atti.,** Rome, 1971, pp. 331-6.

Boyle J. A.: Rashid al-Din: The First World Historian, **Iran IX,** London, 1971, pp. 19-26.

Boyle J. A.: Sites and Localities Connected with the History of the Mongol Empire, **PSICM, ULAN BATOR,** 1972, pp. 75-79.

Boyle J. A.: The Summer and Winter Camping Grounds of the Kereit, CAJ, **Wiesbaden, 1973, vol. 3/17, pp. 108-110.**

Boyle J. A.: Some Thoughts on the Sources for the Ilkhanid Period of Persian History, **Iran XII,** London, 1974, pp. 185-188.

Boyle J. A.: Some Additional Notes on the Mongolian Names in the History of the Nation of the Archers, **RAL,** Budapest, 1975, pp. 33-42.

Boyle J. A.: **The Mongol world Empire,** 1206-1370, London, 1977.

Brent Peter, **The Mongol Empire, Genghis Khan: His Triumph and his Legacy,** London, 1976.

Bretschneider, E.: **Mediaeval Researches from Eastern Asiatic Sources,**

London, 1967.
Bretschneider, E.: Notices of the Mediaeval Geography and History of Central and Western Asia, JNBJRAS, 1876, X, pp.75-307.
Brockelman . Carl: History of the Islamic People, translated by J. and M. Perlmann, London, 1947.
Browne E. G.: Suggestions for a complete edition of the Jami'—ut—Tawarikh of Rashid al-Din Fadlu'llah, JRAS, 1903, pp. 17-37.
Brown E. G.: A Literary History of Persia, London, 1906, Cambridge, 1964.
Cahen Claude: Pre-Ottoman Turkey, c. 1071-1330, translated from the French by J. Jones-Williams; London, 1968.
Chambers James: The Devil's Horsemen, The Mongol Invasion of Europe, London, 1979.
Clarke D. D.: Travels in Russia, Tartary and Turkey, Edinburgh, 1839.
Clarkson J. D.: A History of Russia, New York, 1961.
Clauson Sir Gerald: The Name Uygur, JRAS, 1963, 8/3-4, pp. 140-149.
Cleaves F. W.: The Sino-Mongolian Inscription of 1346, HJAS, 1952, vol. 15, pp.1-123.
Cleaves F. W.: The Mongolian Name and Terms in the History of the Nation of the Archers, Harvard University Press, 1954
Cleaves F. W.: The Biography of Bayan of the Barin in the Yuan shih, HJAS, 1956, 19/3-4, pp.185-303.
Coke R.: Baghdad, The City of Peace, London, 1927.
De Rachewilts, Igor: Papal Envoys to the Great Khans, London, 1971.
De Somogyi Joseph: The Ta'rikh al-Islam of Adh-Dhahabi, JRAS, 1932, pp. 815-855.
Douglas, R. K.: The Life of Jenghiz Khan, translated from the Chinese contemporary chroniclers, London, 1877.
Dupuy T. N.: The Military life of Genghis: khan of Khans, New York, 1969.
EI The Encyclopaedia of Islam, New Edition, by number of leading Orientalists, Leyden and London, 1960-1971.
Eqbal 'A. A.: Majmu'a-iy Maqalat, Edited by Dr M. D. Siyaqi, Tehran, A. H. Shamsi, 1350
Eqbal Tarikh Mufassal Iran Az Istila' Moghul Ta I'lan Mashrutiyyat, (Tarikh Moghul), Tehran, A. H. Shamsi, 1347.
Fox . Ralf: Genghis Khan, London, 1936.
Gibbon Edward: The History of the Decline and Fall of the Roman Empire, New York, 1927.

Grousset — René: The Rise and Splendour of the Chinese Empire, London, 1952.

Grousset — R: Conqueror of the World (CW), translated by Denis Sinor and Marian Mackellar, Edinburgh, London, 1967.

Hairi — A. H.: Nasir al-Din Tusi, His alleged role in the Fall of Baghdad, Vᵉ Congrès International D'Arabisants et D'Islamisants, Bruxelles, 31, Aout-6 Septembre, 1970

Hamdi — Hafiz: al-Sharq al-Islami Qubail al-Ghazu al-Moghuli, Cairo, 1950.

Hamdi — al-Dawlat al-Khuwarazmiyya, Cairo, 1949.

Hart — Captain, B. H: Great Captains Unveiled, London, 1927

Hijazi — Muhammad: Khulasa-iy Tarikh Iran Ta Inqirad Qajariyya, Tehran, A. H. Shamsi, 1346.

Hodgson — M. G. S.: The Order of Assassins, The Hague, 1955; The Persian translation by F. Badrahai, Tehran, A. H. Shamsi, 1346.

Hodgson — The Isma'ili State, The Cambridge History of Iran, vol. V, Edited by J. A. Boyle, Cambridge, 1968.

Houtsma — M. T.: Some Remarks on the History of the Saljuks, AO, 1925, vol. 3/pp. 136-52. (See also: Ibn Bibi).

Howorth — Sir H.: History of the Mongols, London, 1927.

Khan — I. A.: «The Turko- Mongol Theory of Kingship, MI, 1972, vol. 2/pp. 8-18.

Khasbak — J.: MIKAU, Baghdad, 1958, vol. 3/pp. 110-27.

al-Khowaiter — 'A.: Baibars the First: His Endeavours and Achievements, London, 1978.

Krader — L.: Feudalism and the Tartar Polity of the Middle Ages, CSSH, 1958-9, vol. 1/pp. 76-99.

Krader — Social Organization of the Mongol-Turkic Pastoral Nomads, Bloomington, Ind., 1963.

Kritzeck — J.: Ibn al-Tiqtaqa and the fall of Baghdad, WI, 1959.

Lach — D. E.: Asia in the Making of Europe, vol. 1 in two, The University of Chicago Press, 1965.

Lamb — H.: The March of the Barbarians, London, 1941.

Lamb — H.: Chingiz Khan, translated from English into Persian by A. Sarimi, Tehran, A. H. Shamsi, 1350.

Lambton — A. K. S.: The Internal Structure of the Seljuq Empire, CHI, vol. V, Cambridge, 1968.

Lambton — Landlord and Peasant in Persia, a Study of Land Tenure and Land revenue, Oxford University Press, 1969.

Lang — M. D.: The Georgians, London, 1966.

Ledyard — Gari: The Mongol Campaigns in Korea and the Dating of the Secret History of the Mongols, **CAJ**, 1964, IX, 1, pp. 1-22.

Le Strange — G.: **Baghdad During the Abbasid Caliphate,** Oxford, 1900.

Le Strange — The story of the Death of the last 'Abbasid Caliph, **JRAS,** 1900, pp. 293-300.

Le Strange — **The Land of the Eastern Caliphate,** Cambridge, 1905. (See also, al-Qazwini, above.)

A Manual of the «Turanians», — Compiled by the Geographical Section of the Naval Intelligence Division, Naval Staff Admiralty, University Press, Oxford, 1918.

Martin — H. D.: The Mongol wars with Hsi-Hsia (1205-1227), **JRAS,** 1942, pp. 195-228.

Martin — **The Rise of Chingis Khan and his Conquest of North China,** London, 1950.

Ma'ruf — N.: **al-Madaris al-Sharabiyya Bi Baghdad Wa Wasit Wa Macca,** Baghdad, 1365/1966.

Mashkuti — N.: **Az Salajiqa Ta Safawiyya,** Tehran, A. H. Shamsi, 1343.

Menges — K. H.: Rashid al-Din on China, **JAOS,** 1975, pp. 95-98.

Micheli — Silvio: **Mongolia in Search of Marco Polo and other adventures,** translated from the Italian by Bruce Penman, London, 1967.

Minorsky — V.: Middle East in Western Politics in the 13th 14th and 15th Centuries, **JRCAS,** 1940, 77, pp. 427- 61.

Minorsky — Tamim ibn Bahr's Journey to the Uyghurs, **BSOAS,** 1948, XII, 2, pp. 275-305.

Minorsky — Caucasica, I I I: The Alan Capital, Magas and the Mongol Campaigns, BSOAS, XIV, 2, 1952, pp. 221-38.

Minorsky — V.: Caucasica I I I; The Alan Capital, BSOAS, 1953, XV, pp. 504-529.

Minorsky — **Caucasian History, Studies in Caucasian History,** London, 1953.

Minorsky — **The Turks, Iran and the Caucasus in the Middle Ages,** London, 1978.

Minovi and Minorsky, M.V.: Nasir al-Din Tusi on Finance, **BSOAS,** 1940-2, X, pp.755-89.

Moinul Haq — S.: The Khwarazmshah, IV, Jalal al-Din Khwarazmshah, **JPHS,** Karachi, 1976, vol. XXIV, part 1 and 2, pp. 50-82, and pp. 108-146.

Newton — A. P.: **Travel and Travellers of the Middle Ages,** London, 1930.

Palladius Rev. A.: Elucidation of Marco Polo's Travels in North-China drawn from **JNBJRAS**, 1876, X, pp. 1-54.

Petis Chinese Sources, De la Croix: **The History of Genghizcan the Great, London, 1722.**

Petrov V. P.: **Mongolia, A profile,** London, 1970.

Phillips E. D.: **The Mongols,** London, 1969.

Poliak A. N.: The Influence of Chingiz- Khan's Yasa upon The General Organization of Mamluk State, **BSOAS**, 1942, X, pp. 862-76.

Poole S. Lane: **The Mohammadan Dynasties,** London, 1893.

Poppe N.: On some Geographic Names in the Jami' al-Tawarikh, **HJAS,** 1956, 19/1-2, pp. 33-41.

Powel Haron: **Tarikh Mukhtasar Iran,** translated from German into Persian by R. Z. Shafaqa, Tehran, A. H. Shamsi, 1340.

Power E.: The Opening of the Land Routes to Cathay, **Travel and Travellers of the Middle Ages,** Edited By Newton, London, 1930, pp. 124-158.

Prawdin M.: **The Mongol Empire, its Rise and Legacy** (ME), translated by E. and C. Paul, London, 1941.

Qazzaz M. S. D.: **al-Hayat al-Siyasiyya Fi al-'Iraq Fi Al-'Asr al-'Abbasi al-Akhir,** (A. H. 512-656), Baghdad, 1391/1971.

Rashad A. M.: **The Abbasid Caliphate,** (575/1179-656/1258), Thesis submitted for the degree of Doctor of Philosophy, London, 1963.

Rawandi M.: **Hukumathay Wa Silsilhay Iran Az Hamla-iy A'rab Ta Istiqrar Mashrutiyyat,** Tehran, A. H. Shamsi, 1354.

Razi 'A.: **Tarikh Kamil Iran, Az Ta'sis Silsila-iy Mad Ta 'Asr Hadir,** Tehran, A. H. Shamsi, 1334.

Riasanovsky V. A.: **Fundamental Principles of Mongol Law,** Indiana, 1965.

Rieu C.: **Catalogue of the Persian Manuscripts in the British Museum,** London, 1889.

Ross Sir E. D.: Prester John and the Empire of Ethiopia, Travel and Travellers of the Middle Ages, Edited By Newton, London, 1930, pp. 174-194.

Ross Sir E. D.: Nomadic Movement in Asia, **Royal Society of Arts,** 1929.

Ross Sir E. D. and F. H. Skrine **The Heart of Asia,** London, 1899.

Runciman S. A.: **History of the Crusaders,** Cambridge University Press, 1952-4.

al-Sayyad F. 'A.: Mu'arrikh al-Moghul al-Kabir, Rashid al-Din Fadl Alla al-Hamadani, Cairo, 1386/1967.

Saunders J. J.: The History of the Mongol Conquests (HMC), London, 1971.

Schurmann H. F.: Mongolian Tributary Practices of the Thirteenth Century, HJAS, 1956, vol. 19, pp.304-389.

Shaban M. A.: Islamic History, A New Interpretation, vol. 2, London, 1976.

Sheppard E.: Military Methods of the Mongols, Royal United Services Institute for Defence Studies, Army Quarterly, 1929, vol. 18, pp. 305-15.

Siyaqi M. D.: Sultan Jalal al-Din Khwarazm Shah, Tehran, A. H. Shamsi, 1346.

Spuler Bertold: Tarikh Moghul Dar Iran, translated from German into Persian by Dr M. Miraftab, Tehran, A. H. Shamsi, 1351/1972.

Spuler The Mongols in History, English translation by G. Wheeler, London, 1971.

Spuler Bertold: History of the Mongol (HM), based on Eastern and Western Accounts of the 13th and 14th centuries, translated from German into English by Helga and Stuart Drummond, London, 1972.

Spuler Bertold: The Muslim World, The Mongol Period, translated from the German by F. R. C. Bagley, Leiden, 1969.

Spuler Bertold: The Muslim World, The Age of the Caliphs, translated from the German by F. R. C. Bagley, Leiden, 1960.

The Sunday Times January 6, 1980

Susa A.: Fayadanat Baghdad Fi al-Tarikh, Baghdad, 1383/1963.

Sykes P.: Tarikh Iran, Tehran, A. H. Shamsi, 1330; English Edition, A History of Persia, Oxford, 1922.

Thomas Bertram: The Arabs, London, 1937.

Turan O.: The Ideal of World Domination among the Mediaeval Turks, SI, Vol. 4/pp. 77-90.

Vernadsky G.: The Mongols and Russia, Vol. III, Yale University Press, 1953.

Vernadsky G.: The Scope and Contents of Chingis-Khan's Yasa, HJAS, 1938, 3/pp. 337-360.

Vernadsky G.: Notes on the History of the Uigurs in the late Middle Ages, JAOS, 1936, 56/pp. 453-461.

Vladimirtsov B. Ya.: The Life of Chingis-Khan, Translated from Russian by Prince D. S. Mirsky, London, 1930.

Vladimirstov — B. Ya.: **Nizam Ijtima'i Moghul**, «Le Regime Social Des Mongols, Le Feodalizme Nomade, The Persian translation by Dr Sh. Bayani, Tehran, A. H. Shamsi, 1345/A. D. 1967.

Wassili — Janzschewetski: **Chingiz Khan**, translated from Russian into Persian by M. Hurmuzan, Moscow, 1971

Walker — C. C.: **Jenghiz Khan**, London, 1939.

Wittfogel, K. A. — and Feng Chia-Sheng: History of Chinese Society: LIAO 907-1125, translated from Chinese sources, Philadelphia, 1949.

Woods — J. E.: A note on the Mongol capture of Isfahan, JNES, vol. 36, January, 1977, No. 1, pp. 49-51.

Yule — H.: **Cathay and the Way Thither** «Being a Collection of Mediaeval Notices of China», 4 volumes, New Edition, The Hakluyt Society, London, 1967.

ABBREVIATIONS

AC	Acta Orientalia
BEO	Bulletin D'Etudes Orientales
BSOAS	Bulletin of the School of Oriental and African Studies
BSOS	Bulletin of the School of Oriental Studies
CAJ	Central Asiatic Journal
CHI	The Cambridge History of Iran
CSSH	Comparative Studies in Society and History, an International Quarterly
CW	Conqueror of the World
DKM	Dar al-Kutub al-Misriyya
EI	Encyclopaedia of Islām
HJAS	Harvard Journal of Asiatic Studies
HM	History of the Mongols
HMC	The History of the Mongol Conquests
HNAM	History of the Nation of the Archers (the Mongols)
HWC	The History of the World-Conqueror,(translated into English by J.A.Boyle)
IS	Iran-Shenasi
JA	Journal Asiatique
JAOS	Journal of the American Oriental Society
JNBJRAS	Journal of North-china,Branch of the JRAS
JNES	Journal of Near Eastern Studies
JPHS	Journal of the Pakistan History Society
JRAS	: Journal of the Royal Asiatic Society
jrcas	Journal of the Royal Central Asian Society
JSS	Journal of Semitic Studies
KKM	Kitāb Khāna-iy-Milli
KKMSMI	Kitāb Khāna-iy-Majlis Shuray Milli Iran
ME	The Mongol Empire,Its Rise and Legacy
MED.RES.	Mediaeval Researches from Eastern Asiatic Sources
MI	Mediaeval India
MKAU	Majallat Kulliyat al-Adab Wa al-Ulūm, Baghdād
MM	Muslims and Mongols
PSICM	Proceedings of the Second International Congress of Mongolists

RAL	Researches in Altaic Languages
SGK	The Successors of Genghis Khan,(Translated into English by J.A.Boyle)
SHM	The Secret History of the Mongols,(Translated into English By A. Waley)
SI	Studia Islamica
TSM	The tārīkh Sirri Moghūlān,(translated into Persian by S. Bayani)
TSMK	Topkapi Sarayi Müzesi Kütüphanesi
WI	The World of Islām

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة

المقدمة

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع